الكوكب الوضّاح

في

[illegible] اصلاح

على ما اخترعه خدمة الابروتستانت

تاليف الاب فان هام اليسوعي

بمطبعة المرسلين اليسوعيين
في بيروت سنة ١٨٧٦

الجزء الاول

في

اوصاف المصلحين وحقيقة اصلاحهم



صورة لوتير صوّرها يوحنا هُلْبين معاصِره

قال لوتير في مذاكراتهِ وجه ٣٥ : عندي ثلثة كلاب شريرة وهي
الكنود (كفران النعمة) . والكبريا . والحسد . مَن عضتهُ احسنت عضه .
ومزاجي يتغزر بالغضب . وعقلي يشحذ غررهُ بالكيد .
وقريحتي تجود عند الغيظ

مقدمة

قصدنا بهذا الجزء الاول انارة القاري الباحث في حقيقة هذه المسالة التي لقد طالما حاول قوم اخداع الناس بها متلاعبين بسلامة ضمير سكان هذه الاقطار الشرقية

ان القاري اذا فتح النشرة الاسبوعية الابروتستانية المطبوعة ببيروت بقصد ان يعرف ما هو مذهب الاصلاح ومن هم ايمته عثر على تاريخ هذا الاصلاح الموهوم الذي وصفه مؤرخة وصفاً لا اسناد له ولا علم لمصدره ولا لمخرجه ولا ذكر له في التواريخ الصادقة ومن ثم لمزيد احترامنا القاري وحبه الحق لم نات في هذه المسالة الاهم الأ بما قد بني على الاسانيد الصحيحة المدروجة في محلها

فعليه من رام الاطلاع على حقيقة ذلك المشهد الماثل الذي ضرب به كرم الرب اي الكنيسة الكاثوليكية في الجيل السادس عشر وقد تلقب ازدهاء بالاصلاح فدونه وان يفتح هذا السفر ويتأمل جيداً وصفاً بني على حقيقة الامور وصحة الحوادث فتتضح لديه الحقيقة وتنجلي المسألة اذ قد بينا له ذلك تبياناً غنياً عن الشرح ادركه الخاص والعام ومن تصفح هذه الصفحات جيداً وتأمل هذا الوصف والتبيان الناشئين عن ذات الحوادث اغنى عن شارح يشرح له ما هو مذهب الاصلاح ومن هم ايمة الاصلاح فكفى القاري ذوقه ورأيه الصائب لينتج من ذلك نتائج عملية هي ترياق سم الضلال وشمس تضمحل بانوارها ظلام الاكاذيب فيحمد العلي على عنايته اذ قد القى في افواه ايمة الاصلاح وفي لسان حال الحوادث المحزنة انذاراً حقاً خلاصياً. ولا غرو فان لسان حال

الحوادث التي ارتاع اية الاصلاح لمشاهدتها فكفروا باصلاحهم شأنها ان توقف خطوات الانسان على جرف الهاوية قبل ان يطرح نفسه في ذلك تيه الاضاليل المودية الى مذهب النطق والمتممة الكفر على ما هو واضح للعيان

لكن ان دُفع هذا السفر الى اهل الطياشة الذين بدلاً من طلبهم الحق والارتشاد يذهبون وراء الترهات كان حريّاً بهم ان يتلقوه لانه من الاسفار الجدية ولم يصنف لمن هم مثلهم ولم يؤلفه لمن احبوا التعامي فلمثل هولاء ان يتحوا النشرة الاسبوعية و يطلقوا العنان لجواد مخيلتهم في ميادين حكاياها واقمار خرافاتها لكنهم ان حصدوا زرع انعامهم فلا يلوموا الاّ انفسهم اذ يصح فيهم قول روح الله القدوس القائل : من يتكي على المكاذب فذاك يراعي الرياح (امثال ١٠ : ٤)

الفصل الاول

في الاصلاح الابروتستانتي
على ما حكم به لوتيروس
مبدعه نفسه

اذا ما اعترضت على اقوام انطووا تحت لواء هذا الاصلاح بما ابداه لوتيروس من التعدي وفاه به من المنكرات وعلمه من الاضاليل وذكرتهم بما جاء به التاريخ الصادق عن هذا المدغ وسوء اقواله المطلقة اجابوا بما خدعوا به اهل النوايا السليمة وقالوا ما لنا ومبدع الاصلاح فهب انه كان على ما كان وجاءت به التواريخ وقد فاه بما تنعر الان من استماعه فنحن لا نلتفت الى شيء من كل ذلك على اننا لا ننظر للفاعل الى ما فعل. بل وانهم لم يكتفون بهذا الايراد لكنهم يستندون على كتاب الله ايضاً فيقولون لك لِمَ تنظر الى الادوات الحقيرة الضعيفة ولم تلتفت الى ما نشا عنها . الم يستخدم تعالى حمارة فنطقت . والم يستخدم بلعام فبارك شعبه المختار مع ان بلعام كان نبياً كاذباً

فهذا ما اجابوك به خداعاً فيوهمون للسامع بان الاصلاح حميد فيصفونه بما ليس فيه ويشخصونه للناس بهيئة شابهت الحق فيذكرون منه ما وافق ويضربون صفحاً عما غاير . حتى انك اذا ما صغيت لاقاويلهم توهمت انه اصلاح حقاً وان تاريخه صادق على ما قصه لك ملفقوه فانحنوا المشرق بما سموه تاريخ الاصلاح . لكنك اذا ما اطلعت عليه وامعنت النظر بما اودع فيه عثرت على امور كثيرة غير التاريخية فان هذه لا ذكر لها فيه ولا حقيقة

فبناءً عليهِ لما كنا قد وعدنا بان نشمر على ساعد الهمة فنبين فساد هذه الاضاليل اقلة اقطعها واقبحها وانجز حرَّ ما وعد اخذنا نكشف برقع الريا عن ذلك المحيا وارينا صاحب ذلك التاريخ قيمة اصلاح شخصه بصورة الحق. وان هو الاَّ كذب ومين فلم نقبض منهُ زيوفًا اصلاً اهل يزعم رواج زيوفه بهذه الاقطار وها ان هٰهنا قد نصب ميزان بيت المقدس

فاننا نتساهل مع الخصم ونجاريه على زعمهِ وهو مجرد الالتفات الى الاصلاح فنريه بان هذا الاصلاح العزيز لديه ليس هو احسن من لوتيروس مبدعه . وان رفض الخصم المبدع لعساده وسفاهته وسلم بالاصلاح لزعمه صحته وملاحته نقول لهُ اعلم ياصاح ان الاشجار التي تاتي باثمارها ولا يخرج من العوسج تين . فان اصلاحًا ابدعه لوتيروس لم يكن احسن من لوتيروس وان كنت على ريب في هذا فدونك وشهادة لوتيروس نفسه باصلاح ابدعهُ . فقد شهد الفاعل بفعلهِ وحكم الصانع على صنعتهِ وافادنا الناسج عن قيمة منسوجه فانهُ اعلم منك بما فعل وادرى بما صنع واخبر بما نسج

فان شهادته هذه لم تؤخذ من تاليفه ذلك المعلوم باحاديث السفرة اي باحاديث تحدث عنها بعد ان اكل وشرب فاصبح ثملاً . بل قد اخذت من بين اقوال لاق بانسان ان يتفوه بها اذا كان بحالة الصحو والانتباه

فقد اراد بلعام ان يلعن شعب الله فباركه. وقصد لوتيروس قذف اللعنات ضد بيعة الحق فكانت لعناته ادلة راهنة وحجة قاطعة بشان هذه البيعة الوطيدة الاركان

اسمع ما قاله وهو صاحي العقل وان لحظة مستفيقاً من سكرته بخمرة الغضب ضد الكنيسة التي يجحدها وقد تبددت عن اذهانه غيوم الغيظ والحنق. فوقف امامه شخص الحق وتشخصت ادلته الحقيقية وبراهينه الساطعة على ما كان استقاها من موارد العلوم الالهية الصادقة فاخفاها ظلام الشهوات وسترها حجاب الاميال. لكن لما كانت شمس الحق لا تحشر واشعته لا تحصر بددت من اذهانه غمام دخان الابخرة المتكاثفة وجعلته ان يقر بها رغماً عن عماه وقهراً عن حبه بالتعامي

فقد وقف على تآليفه اهل العلم في انكلترة وامركا والمانيا وتصفحوا صفحاته فانتقدوها. وحكموا بكونها له وغرة قريحته. واكدوا لنا صحتها لا كما فعل انجيليوا بيروت الذين عفواً ياتون بالمقال وعفواً ينكرونه بدون دليل ولا برهان. واذا ما افحمتهم بحجة التاريخ الصادقة زعموا بانهم جاءوا باحسن برهان واكبر دليل اذا ما فتحوا فاهم وقالوا ان هذه تواريخ حرفها اليسوعيون

فما لنا ولسخافة برهانهم فلنلتفت الى ما قاله لوتيروس نفسه لدى تامله وعد الله الحق لكنيسة اسسها على صخرة لا تتزعزع. فقال لها بايات ذكرها متى البشير في اخر بشارته الشريفة حيث قال الرب لتلاميذه لدى مبارحته الارض وصعوده الى السماء فالتفت وكلمهم بكلامه الاخير قائلاً: اني معكم طول الايام والى منتهى الاجيال (متى ٢٨ : ٢٠)

فكلما خطر هذا الوعد الالهي لاذهان لوتيروس قلق واضطرب وخاف وارتعد. ولما لم يستطع مقاومة قوة هذا الكلام. ولا ياتي ضده ببرهان اجبر على الاقرار بالحق وان يفوه بالصدق فكتب الى البرتوس امير بروسيا قائلاً. ان كان الله لا يستطيع ان يغلط فالكنيسة لا تستطيع

ان تغلط

فقد اجبره الحق ان يقر بان الكنيسة لا تستطيع ان تغلط وان شئت ان تعرف ما هي هذه الكنيسة فانها هي الكنيسة الكاثوليكية الكنيسة العظيمة على ما كان يدعوها الوثنيون انفسهم . هي الكنيسة المتحدة بسدة بطرس الصفا في رومية على ما فاه به ذلك الظافر الذي قهر تدمر مدينة النخل (اوزيبوس كتاب ١ فصل ٣٠)

فبقوله الكنيسة قد اعنى الكنيسة الواحدة الكاثوليكية على ما كان قد تعلمه في صغره بتعليم ارضعت لبنه لبنيها . قد اعنى عن هذه الكنيسة عينها فقال : لا احد يستطيع ان يسلب من اخصامنا لقب هذه الكنيسة الذي لما كانوا متسلحين به شجبونا بقوته واهلكونا (هذا ما قاله لوتيروس في تفسيره الاصحاح ٦ من سفر التكوين في النسخة المطبوعة في وتمبرج)

فاخذ يشرح معناه ويسهب بالقول فانجلى القصد وعين الكنيسة بقوله عن الكاثوليكيين : انه يوجد برهان يعسر دحضه ضدهم ويصعب سلبه منهم ويتنع علينا ملاشاته او اقله دحضه

لكن ترى ما هو هذا البرهان فانه هو الوعد الالهي الذي وعد به الرب كنيسته فحظيت بكلامه وحق الرسالة الالهية والاسرار الحقيقية . فاوضح لوتيروس افكاره بهذا الشان ايضاحاً لا يستطيع عليه احد سواه فقال : ترى كيف كنا نطلع على هذه الاشياء بدون هذا الوعد . فبناء عليه كان الايمان المسيحي ويسوع المسيح وروح القدس معهم . فالتفت لنفسه وشجب ذاته بذلك الاصلاح الموهوم صنعته فقال : ويحاً لي ترى ما الذي افعله انا الذي قد علمت ضدهم كما يعلم التلميذ ضد معلمه فهذه هي افكار داهمتني فعرفت ضلالي وتاكدت ذنبي . واسفاه فحبذا لو اني لم

اشرع بنل هذا المشروع ولا علمت كلمة واحدة . على انه من ذا الذي يستطيع ان ينهض ضد هذه الكنيسة التي نقول عنها في قانون الايمان ونؤمن بالكنيسة المقدسة (تآليف لوتيروس طبعها والش ٨ وجه ٤٧٩)

فقد اضطرب لوتيروس وقلق لدى تامله اقوال الله الشريفة بشانها وشان تعاليمها الصادقة . وخاف وارتعد لما ابداه من الاضاليل التي اذا ما غاص في بحرها تعامى واذا ما انقشعت الغيوم بازاء اشعة الحق خاف وارتعد واقر بضلاله والغلط

على انه ليس فقط قد اقر بالكنيسة وبما وعدها المسيح بوعوده الصادقة بل وانه قد اقر بصحة التقليد ولعن نفسه لمضادته اياه فقال : انه لا يخطر لذهن انسان كم يستولي عليّ من الغم والارتباك لكوني علمت ضد ما علمه اباء الكنيسة وهم من الرجال المشاهير والعقول الذكية والعلماء الماهرين نخبة العالم . ومنهم كثيرون قديسون كرام نظير القديس امبروسيوس والقديس اغسطينوس والقديس ايرونيموس . فانهم قد امنوا وعلموا بكذا وبكذا . وناهيك عن اقوام بنادون صارخين الكنيسة الكنيسة . ومما يزيدني غمًا وكدرًا هو انه يعسر على الانسان ان يغلب ضميره بهذه الامور ويذهب مبتعدًا من اناس حازوا عظم الاعتبار وكان الاعتماد على كلامهم فيبتعد الانسان من الكنيسة ذاتها ولا يسلم لتعليها (تآليف لوتيروس طبعها والش ٢٢ وجه ٩٤٨)

ارايت يا صاح كيف قد حكم صاحب الاصلاح نفسه على ذات اصلاح موهوم ابدعه . فجاء الانجيلي في بيروت واخذ يلفق تاريخًا حسب ميله وهواه ولا صحة لما اورده ولا حقيقة لما ادعاه بل قد اشحن الاوراق اكاذيب وتلفيقًا تاييدًا لاصلاح شجبه اربابه ورذله مبدعوه انفسهم

مصدقين على تعاليم الكنيسة الذي مع كل سفاهتهم وشدة وقاحتهم لم يستطيعوا مقاومته بل اقروا به رغم انفهم

فها اننا قد اوقفناك على حقيقة اقوال المبدع نفسه المودوعة بتاليف النها وقد شهد بصحتها اهل الانتقاد اجمع . فرايت كيف قد رذل عمله وشجب فعله وشهد بصحة تعاليم الكنيسة وانه لا يستطيع مقاومة الكاثوليكي ولا دحض تعاليم استند عليها اذ كان الوعد من الله للكنيسة الكاثوليكية وحدها . فقد ناداك لوتيروس نفسه من فمه باقوال سطرها بيده واودعها تاليفه فاسمع لان الله قد اعطانا الاذان لنسمع كلام الحق ونسدها عن استماع الباطل . قال الحكيم : ان اذن تسمع وعين تبصر كلتاهما صنعها الرب (امثال ٣٠ : ١٦)

[illegible]

الفصل الثاني

في مفاعيل الاصلاح ونتائجه على ما وصف لنا لوثيروس في تآليفه

قال احد مشاهير كتبة العصر: ان التاريخ كان امينًا نحو اوامر الله تعالى فكتب على خراب صور وبابل خراب الماضي وخراب المستقبل فان لوثيروس صاحب هذا الاصلاح الموهوم قبل ان يختفي في ظلام القبر التفت فراى نفسه محفوفًا بجيوش الخراب الناشيء عن روح العصيان الذي بثه في المانيا ولدى تامله خراب كنائس فصلها عن الوحدة الكاثوليكية كتب هو ايضًا في دوره على هذا الخراب خراب الماضي وخراب المستقبل .

فقد امضى هو نفسه على اقرار اقر به في نفس تآليفه عن عجزه وعن عقيم مساعيه وفروغ جهده ورذل ما كان قد ابداه ولدى تامله المستقبل وقد عاين ما كان عتيدًا ان يتاتى عن ذلك الاصلاح اهتال وارتعد واخذ يصف لنا اثار اعماله في تآليفه المطبوعة في فيتمبرج

فقد خاف وارتعد وقلق ضميره في اخر حياته واضطرب فتحقق حينئذٍ عظم خراب قد نشا وعتيد ان ينشاء عن تعاليمه وهو اذ ذاك مزمع الوقوف لدى الديان الرهيب ليعطي حسابًا عن جميع اعماله . فاعترف بضلاله ونادي مصرحًا باضرار نجمت وتنتج عن اصلاحه وانه لصادق بحكمه واعلم بفعله من الجميع حتى ومن صاحب النشرة الاسبوعية نفسه . على ان لوثيروس قد ابتدع الاصلاح واختبر فعهده اصلاحًا

فكان خرابًا وما زال هذا الخراب يزداد فلم يأتِ يوم الَّا قد انضم خراب جرى فيه على مجموع خراب هذا الاصلاح الموهوم

قال وقد التفت الى كنائس خربها ومعابد اعطلها ومدمغ دنسها: ان الناس يشعرون بعضًا لدى مشاهدتهم بانه منذ آن قريب كان الكل في راحة وسكون وقد ملك السلام في كل مكان فيما ان الان قد امتلأت الاقطار بدعًا واحزابًا وانه لرجس يمزق الاكباد حزنًا.. . فوجب عليّ ان اقر معترفًا بان تعليمي قد سبب شكوكًا كثيرة وهذا ما لا يمكني انكاره فكثيرًا ما قد اهالتني هذه الامور لاسيما متى ويخني ضميري بكوني قد مزقت حال الكنيسة السابق الذي كان في راحة وسلام تحت عهد البابا وية. على ان الناس قد تقهقروا الى الوراء وازدادوا يوميًا رداءةً فانهم اصبحوا الان على اشد حب للانتقام وكثر بخلهم وقد عروا عن شعائر الرحمة وعادوا عديمي الحياء والاداب وعديمي الاصلاح وبالاجمال امسوا على اعظم رداءة مما كانوا عليه في عهد البابا وية .... وانه لامر مستغرب عجيب اورث شكًا فظيعًا وهو انه منذ ما اضاء تعليم الانجيل المحض رايا العالم قد ازداد شرًا ... فاخذ الرفيع والوضيع والشرفاء والخدام يعيشون وفاقًا لعقائدهم.... هذا وقد استتلى كلامه بما يعتار به قلمه وانا نلتمس المعذرة عن نقل ذلك فقال: فما هم الَّا خنازير ولا يلبثون الَّا خنازير فيؤمنون ايمان خنازير ويموتون ميتة خنازير.... قد زعمنا بان نظهر للناس بكوننا انجيليين بترتيبنا المناولة على كلا الشكلين وبقلبنا الايقونات وبامتلاء اجوافنا لحومًا وبامتناعنا عن الصوم والصلوة الخ. اما نظرًا للايمان والمحبة فلا يبتغيها انسان. فشر البشر بيننا قد توصل في مدة وجيزة الى هكذا درجة حتى اني ظننت ان العالم لايدوم مدة خمس سنوات على هذه

الحال ...... فالامر وقع تحت الامتحان ولا يقتضي له برهان فنحن الواعظون قد اصبحنا الان على كسل عظيم وتهاون جسيم وعلى اقل همة مما كنا عليه منذ برهة تحت ظلام جهل البابا وية.فانه لعمري امر يناح من جرائه ويبكى عليه (تآليف اوتيروس مطبوعة في ويتيمبرج مجلد ٣ وجه ٣٨١ و٣٨٧)

فانه لعمري اصلاح عجيب قد حمل ربه على ان يعترف بمثل هذا الاعتراف و يقر بهذا الاقرار

واذا ما توهم انسان بان هذه الاقوال هي خاصة بلوتيروس وحده وانه كان يتفوه بها احيانًا وجيوش الغيوم اظلمت حواسه فقد ضل منخدعًا على ان اكبر محركي دواليب الاصلاح قد ارتأوا رايه بهذا الصدد وفاهوا بما قد فاه به وتكلم

فكل قد علم قول ميلانكتون القائل: لعمري ان نهر الالبا مع كل امواجه لا تكفي مياهه دموعًا تهطل نواحًا على حال الاصلاح المنقسم . فقد وقع الشك على المسائل الاكثر اهمية . فانه لداء عضال (تآليف ميلانكتون رسائل كتاب ٤ وجه ١٠٠)

اما كلفيسوس فقد صرّح بابلغ من ذلك عن نتائج الاصلاح الادبية فقال في تاليفه عن الشكوك ان الرعاة اي نعم ان الرعاة انفسهم الذين يصعدون المنابر هم الان مثال الفساد الفظيع ونموذج جميع الرذائل فلذا لم تحصل عظاتهم على اكثر قوة واعتبار من حكايا ينادى بها في محل الروايات واني اتعجب من ان الاولاد والنساء لا يلطخونهم بالطين والاوخام . اه

فهذه حالة وصفها لوتيروس وصدق عليها ميلانكتون وامضاها

كلفينوس وقد جاءت وفاقاً لصحة حكم العلاّمة ترتوليانوس في الجيل الثاني قائلاً عن تعليم اراطقة عصره: ان كيفية الادب تدل على نفس التعليم (في كتابه الذي عنوانه بريسكريبسيون عدد ٤١)

راجعنّ تاليف هذا العلاّمة الجليل الذي لدى تامله اختلافات اراطقة عصره ومشاهدته انشقاق انشقاقهم اراد برهاناً على كذب تعاليمهم فوجد برهاناً لاق بارباب الاصلاح الموهوم

فخراب التهذيب واحتقاركل سلطة وعدم الالتفات الى العقائد وعدم خوف الله تعالى . ومن ثم خلاعة لا يكبحها عنان فهذه ما لحظها في مبتدعي عصره وهذا ما نشاء ايضاً عن مبادي الاصلاح . ولما كنا نخشى اتهام من ينسبنا الى الاغراض جئنا بشهادة ارباب الاصلاح انفسهم وذكرنا نفس اقوالهم

الفصل الثالث

في الابروتستانية قبل ظهور لوتيروس

او في طلائع الاصلاح الموهوم

انك اذا ما تصفحت صفحات العدد ١٧ من النشرة الاسبوعية الابروتسنانية عثرت على امر عجيب ومشهد غريب تعلق بما سموه تاريخًا للاصلاح . فانه لعمري من المضحكات وما اطلع عليه عاقل الاّ قهقه ضحكًا

فقد اراد ملفق ذاك التاريخ ان يعطي لاصلاحه قدمية ويبيّن انه لم يكن حديثًا قد اخترعه مبدعوه زاعمًا انه بذلك يوليه اعتبارًا لدى الناس بناءً على قدمية اصله وقديم عهده لعمري كيف يعطي الملفق اصلاً لما لا اصل له ويبين له قدمية وهو جنين حبلت به امه البارحة فطرحته اليوم

فهكذا قد راينا كل بدعة وارطقة مزقت احشاء بيعة الله المقدسة قد ادعت القدمية واشتهدت باسناد اضاليلها على ظاهر القدمية

اما فتح دفاتر قديمة ذات شبهة والتباس على ما بينه لنا المؤلف في العدد المذكور من نشرته زاعمًا بانه يزكي هذه البدعة و يعطيها صفة شرعية بتسلسله اياها الى قدمية قديمة العهد فهذا لعمري مما لا يقبله عقل عاقل وقد اتعب نفسه بالمحال

فلا غرو ان الناس لا يبدون المضحكات حبًا بالمضحكات ولا ياتون بالمحال حبًا بالمحال بل تحملهم اليه اغراضهم ويصرون عليه عنادًا

فبناءً عليه لما رايتم انتم خدمة الابروتستانت ان لا تخلُّص لكم من اعتراض غرقكم في قعر لجة الخجل والقاكم في عظم الارتباك وهو سوال سالكم به السائل قائلاً : اين كنتم قبل الجيل السادس عشر واين

كانت كنيستكم . اضطررتم ان تربطوا ذاتكم بحبل القدمية وان بخيط العنكبوت

فلذا التفتم الى الوراء وخضتم اباحة بحر الاجيال الاولى والفتم كنيسة ادخلتم فيها كيفما اتفق الامر وكان بدون قيد ولا رباط ولا اتحاد وانضمام جميع الذين قد سبقوكم تمردًا وعصيانًا وان ضادوكم تعليمًا. فاينما عثرتم باراتيكي حارب الكنيسة والباباوية كان عندكم من سلفاء لوتيروس وكليفنوس فلا تبحثون في تعاليمه ان كانت توافق تعاليمكم او لا توافق

فبناء عليه جمعتم سلسلة انضم فيها جميع المبتدعين والمحرومين والمرذولين من يوحنا هيس الى فيلف ومنه الى الفودواس والاليجيين ومن الاليجيين الى البوليفيين والكاتاريين وهلمّ جرًا

لعمري اني لم ارَ بكل ما ادعاه الاصلاح سخافة حاكت مدعاه القدمية

فمع هذا لا تنذهلنَّ متعجبًا ايها القاري الحبيبُ فان هذه الطريقة ليست بحديثة عند الاراطقة . فقد انبانا عنها العلاّمة ترتوليانوس نفسه منذ الجيل الثاني على ان اراطقة عصره قد حذوا هذا الحذو فاتبع خطواتهم اراطقة جاءوا بعدهم وهكذا الى منتهى الايام

فان اراطقة ذلك العصر لما لم يروا مهربًا مما اعترضهم به المدافعون عن بيعة الله الحق بقولهم لهم ايها المبدعون ارونا اصلكم . اخذ اولئك الكذبة ان يسلسلوا انفسهم فضموا بدعتهم الى بدعة قبلها وهذه الى ما قبلها وهلمّ جرًا الى عهد الرسل الكرام زاعمين بذلك ستر حداثة بدعتهم بجلباب القدمية . فعندها نهض قاضي قرطجنة واجابهم قائلاً : لا تخدعوا ايها الاقوام فانكم بهذا التسلسل الموهوم لا تتصلون برسل الله بل ببدع حرمها هولاء الرسل الكرام

الفصل الرابع

في ماهية الاصطلاح الابروتستاني واربابه على ما انبات بهِ التواريخ الصادقة والآثار الصحيحة

قد راينا صاحب تاريخ ذلك الاصلاح الموهوم المدروج في صفحات النشرة الاسبوعية الابروتستانية كثيرًا ما قد سعى بتحسين هذا التاريخ فتراه تارةً يخفي الشوائب والعيوب واخرى يسترها بوشاح التمويه وحينًا يكبر ما حقر ويعظم ما هان ويجلل ما رذل ويفخم ما يستحى منه. وما ذاك الّا تشويقًا للوقوف على اساطيره وترغيبًا للاطلاع على اصلاح كان بهِ الفساد وتعظيمًا لشان مبتدعيه. فيا من على اساطير اهل الضلال قد وقفت ولاقاويلهم طالعت لاتستسمنن ذا ورم فان هي الّا تمويهات خداعًا لمن يخدع واقتناصًا لمن في اشباكهم قد يقع. فما الاصلاح وذووه الّا اهل للاحتقار وهذا ما دلت عليه التواريخ الصادقة والادلة الراهنة: فقد وزن المنتقدون كل ذلك بميزان الانتقاد وحققه المحققون كل التحقيق فلم نرَ منهم من قد التفت الى ما عنه قد شاع وذاع بل قد رغبوا عنه وازدروا بهِ

فاننا لسنا في اعصار سادت فيها الاغراض فاعمت اعين المخزيين بل قد اتضحت الحقيقة للعيان فانجلت لاهل العرفان حتى انهم لايلتفتون الى تلفيقات لفقها الملفقون بشان الاصلاح الموهوم وقد ابوا استماع تمويهات اعتمد عليها الماكرون

اما نحن فلم نقصد دحض تلك التلفيقات وتبيان فساد تلك

الخزعبلات التي استوجبت الانضمام في سلك الخرافات وان تُدفن في لحد الحكايات بل قصدنا والتاريخ الصادق هادٍ امين والحقيقة اصدق دليل ان نبين ماهية ذلك الاصلاح وما هم اهله وما بهِ قصدوا وعليه اعتمدوا فدخلنا هذا الميدان حبًا بالحق وايضاحًا للحق ليستنير بانواره كل انسان

فاذا كان ذلك فلنبحث في هذا الاصلاح واربابه وقد طرحنا الاغراض متاملين عقول اولئك المبتدعين وعلومهم ومعارفهم فانها قد حميت في كور الانتقاد حتى انك لاترى عاقلاً اديبًا وفاضلاً اريبًا الاَّ قد ضم في سلك الغلو والمبالغات ما قيل بشانهم من المديح واذيع عنهم من حسن الصفات والامتيازات

على ان الانتقاد الذي لا يحابي ولا ياخذ بالوجوه قد علم وتاكد ودحض وفند وحكم بحكم صائب بان اولئك المبتدعين ما كانوا الاَّ مقلقين معربدين مفتنين كملت فيهم صفات ارباب الثورة وتمت بهم المقتضيات . واذا ما سمعت عنهم مديحًا و بشانهم تعظيمًا فقل قد كان هذا في اعصار فيها عاشوا واجيال فيها طغوا فسادوا

هذا وان الاصلاح نفسه اذا ما وضعته بازاء التاريخ وجدته عاريًا عن وشاح فلسفة راموا ان يستروا عورته بهِ حال ظهوره ويجلببوه بهِ في مهده

قالوا ان مبتدعين ظهروا في الجيل السادس عشر فبنوا الابروتستانية قد صرحوا باعتاق العقل واستقلال الافكار . فمن سمع بهذا رغب فيهم ونحوهم قد هام ودخل في قلوب اولي الالباب السليمة نحو هولاء الاقوام ميل ونسب صراخهم الى علو الهمة ومساعيهم الى اعتاق الافهام . لكن هل

فانك ياهذا بان اولئك المفتنين قد بادوا اولاً بمبدا حرية البحث ليستندوا عليهِ ضد السلطان الشرعي ثم اخذوا حالاً والقوا على اعناق الناس نير تعاليم عسر الحمل

فقد زعزعوا اركان سلطان كان من الله ليقيموا على اثاره سلطانهم الذاتي فهذا ما انبأنا بهِ التاريخ عن ذلك الاصلاح الموهوم

وقد كثرت على هذا الادلة ووفرت الشواهد فغطت اوليك المبتدعين بالعار واولتهم كل الاحتقار . لكن قد استحى بها ذاكرها وسامعها ودنست قراطيس القيت عليها غير انهُ تاييدًا لما قلناه واثباتًا لما اوردناه تكلمنا بما لا يانف من الوقوف عليهِ مطالعوه . فاولاً . عن الاصلاح ثم عن ارباب هذا الاصلاح على ما انبأتنا بهِ التواريخ الصادقة

اولاً . في الاصلاح في ذاته

اما الابروتستانية فهي لفظة لاتينية معناها مذهب الاحتجاج وهي عبارة عن مجموع شيع كثر عديدها وكل من هذه البدع ضد للاخرى وعلمت ما لم تعلمه اختها انما قد اتفقت جميعًا على امر واحد لا غير وهو الاحتجاج على سلطان الكنيسة

فلا يخفى للاذهان بان هذه الشيع فيها ما يحمل الانسان على اعتبارها فانها شيع حقيرة ذليلة تسمت كل منها باسم مبدعها ونفت اختها . اما اشهرها فهي اللوترانية والكلفينية والزونكلية والانكليكانية والصوشيانية والارمينيانية والاناباتيستية وغيرها حتى اذا ما رمنا تعداد اكثرها مل السامع وضجر المطالع . ومما لاق اعتباره هو ان هذه الشيع بعد ان ادعت بالبحث في الحقائق الدينية اتفقت جميعًا على محض التمرد والعصيان على

ساطان بيعة الله الوطيدة الاركان وكان هذا رباط وحيد قطرها ببعضها فنادت من تم اصلاحًا اصلاحًا

اما هذا الاصلاح فقد كان سرابًا جمع كل الاضاليل وهذا ما اتفقت عليه كل هذه الشيع وتاهت في اقفار هذا الاصلاح الموهوم فان شئت ان تكون لوترانيًا فانكر حرية الانسان او ارمينيانيًا فاخرج جثة اضاليل بيلاجيوس من لحدها . فلا باس عليك اذا ما سلمت مع بعضها بحقيقة سر الافخارستيا ولك الاختيار بان تنكرها فتكون كلفينيًا محضًا وزوينكليًا صرفًا . ولا حرج عليك بان تنكر لاهوت الكلمة المتجسدة فتكون صوشينيانيًا صادقًا وان توغلت في بحر الاضاليل العديم القرار والساحل معًا وارتكبت مطايا الاوهام فتمسي كواكريًا الخ . فمع هذا كله فانك لا تخرج عن حدود الاصلاح ولا يمنع اختلاف معتقدك ومضادة يقينك ومباينة ايمانك من ان تكون ابروتستانيًا صادقًا جليلاً فاضلاً كريمًا معتبرًا بشرط ان تحتج على سلطان الكنيسة الشرعي . فاحتج ولا تخف واعصَ ولا تخشَ واطغَ ولا تجزع فانك لا تبرح ضمن الاصلاح فانها لعرصة رحبة فاركب متون كل مطايا الاضاليل فلن تخرج خارجًا عن دائرتها الوسيعة

هذا ولم تقف الابروتستانية عند محاربة سلطة الكنيسة الشرعية بل قد نزلت ميادين السياسة وضربت وطعنت وهدمت ودمرت واحرقت ورمدت فانك لن تستطيع التفكر بما القته من الفتن والحروب في المانيا وفرنسا وان تتذكر ما فعلته بتلك الممالك الّا قد ارتعدت منك الفرائص هذا وناهيك ان تلك النار ما زالت ولن تزال تتوقد فتمضي الاجيال وتتوالى الايام وتزول الاعمار وشرها لا يزول وما نذكر لك عن

ماهية المبتدعين واعمال اولئك الضالين ومساعي اعداء الايمان القويم زادك انوارًا بهذا الشان

ثانيًا . في ارباب الاصلاح الابروتستاني

سر بنا يا صاح الى تلك الاقطار الالمانية التي اصبحت وقتئذٍ مهد العصيان على السلطان الشرعي . لا تعتمدنَّ الّا على التواريخ الصادقة والادلة الراهنة التي تسد افواه المماحكين . فقد اجتمع حول لوتيروس جمهور المنقادين الى اضاليله فظهرت الابروتستانية على ما هي عليه من الانقسام والانشقاق والقلاقل والاختباط . فرايتها من الجهة الواحدة قد قلقت الناس بتعاليمها ومن الجهة الاخرى قد جذبت الميلبلين الى احضانها فذاعت شهرتها في الافاق فهذا خائف يرتعد وذاك هائج لا يرتدع فكشف مبدعها عن جبينه الوقح خالعًا العذار رافعًا حجاب الاحترام والاعتبار واخذ يطعن بالحقائق الالهية والعقائد الدينية فلم يترك تهذيبًا علمته بيعة الله المقدسة وتربى عليه المؤمنون الى ذلك الحين الّا مسه وضاده . فكان الشر عموميًا والنار اشتعلت في كل الجهات لاسيما لانه ظهر في عصر كانت فيه اوروبا واحدة علومًا ومعارف واراء وتهذيبًا . على ان اللاتينية كانت اللغة العامة فانتشرت في كل ممالكها وذاعت العلوم والتعاليم والاراء والتدابير فلما انتشرت راية العصيان في بقعة رايت جارتها قد مالت اليها اعتلان الداء فعم الوباء وساد الانشقاق وتشتت شمل الرفاق

ولقائل ان يقول وما الذي حمل الناس على اذاعة الاضاليل واتباع الاقاويل وما الذي يريد ذلك الطاغي وما الذي يدعيه فما هي مقاصده

وما مأربه بنبذه الطاعة للسلطان الشرعي وتحريبه الناس للعصيان وخرابه الاقطار الالمانية المكللة وقتئذٍ بزهور الفلاح بخصب اراضيها وكثرة غناها وعمار كنائسها ونجاح هياكلها ومعابدها . قلنا له لا تنخدع يا صاح بجوابات فخيمة لم تكن وفق الحال اذ قد نقضت القول الاعمال بل دونك واستقراء اعمال اوليك المبتدعين واستيعاب كلام اولئك المفتنين المفسدين فيتضح لك الحق ويعتلن الصدق . فاذا ما بحثت ودققت وفحصت وحققت رايت بونًا عظيمًا وفرقًا جسيمًا بين ما قالوه عن حرية البحث وبين ما علموه واستساروا بموجبه. على انهم لم يستخدموا ذلك المبدا (اعني به حرية البحث) الّا ليهدموا السلطان الشرعي فيبنوا سلطانهم وعندها رفضوا الاحتمال وانكروا حرية الافكار فلم يكونوا الّا ناشري راية العصيان وارباب ثورة على ما يجرى في سائر الازمنة والادهار . لا بل قل عنهم انهم هم الذين قد القوا من الثورة الاركان وهم الذين هدموا النظام وعلموا الناس الثورة والهيجان فقد عصى هولاء وتمردوا فابوا الآن يطاعوا فلم نرَ من نفى الاحتمال نظير لوتيروس الذي اذا ما قاومه انسان غاب عن دائرة التعقل وخاض بحور السرسام واهان المعترض واوعبهُ شتمًا ودعاه مجنونًا احمق . ولِمَ يا هذا وانت تنادي بحرية البحث وقالوا عنك الزاعمون واثنى المتغرضون انك قد عتقت العقل من الاسر واطلقت الحرية للافهام وما زلنا نسمع الابروتستانت يفتخرون بهذا قائلين : ان الابروتستانية اطلقت حرية الجنان فانعتق الانسان

واذا ما صغيت لتلفيق الملفقين وصغت سمعًا لدعاوي المتحزبين شخصوا لك لوتيروس ذا افكار عالية ومزايا كريمة فاضلة حتى قالوا عنه انه

واقرانه المدافعون عن حقوق الانسانية . هذا ما قالوه عنه وعليه به قد اثنوا لكن راجعنّ تاليفه فانه هو يشهدعن نفسه على انه من مزاياه الظاهرة العيان والتي لا يستطيع انكارها انسان هو انه قد بيّض وجه من ذمه وسوّد وجه من مدحه على انك لا ترى انسانًا متوحشًا عديم الاحتمال نحو الاخرين نظيره

انما هو الذي قد سعى بنفي كارلوستاد من ولايات ساكسا فاحتمل هذا كل الشقا حتى انه اضطر على ان يباشر الحطابة ويحمل الحطب بل وقد باشر ما دون ذلك ذلاً ومشقة حتى يربح معيشته . وما شاقني الا ان اسمع ما كان يبديه هذا الذي تفتخر الابروتستانية به هذا الذي قد نادى بحرية البحث في مشاحنته مع الزونكليين اقرانه فانهم متى لم يذعنوا لاقواله شتمهم بسميج الاقوال ونعتهم قائلاً : بانهم حمقا يجدفون هالكون فان كانت هذه تصرفاته مع اخوته ونصيره به اتعجب يا هذا من سفاهته بحق علماء مدرسة لوفين وما نعتهم به بشتائم يستحي المعترون الجائلون في الازقة والشوارع ان يفوهوا بها بقوله لهم انهم بهائم وخنازير وكفرة وهلمّ جرًا من اصطلاحات تراها في قاموس مبدع الاصلاح

اي نعم بهذه قد تفوه لوتيروس ولم يكن سائر المبتدعين دونه سفاهةً فقل عنهم ما سمعت ولا تخشَ لومة لائم لان ارباب اصلاح الاداب المسيحية التي سدت افواه اعداء الدين عمومًا بالسماجات قد نطقوا وبالسفاهات قد تفوهوا ومطايا الرذائل قد ركبوا . فقد صدق على قولنا هذا ملانكتون الشهير بينهم وهو تلميذ لوتيروس نفسه في كتابه الى احد اصحابه حيث ابان عظم ما يقاسيه من سوء معاملة اقرانه قائلاً : انك تراني ههنا في ضيق هذا حده حتى انه يمتنع ان اوضح لك عظم المشاق وشدة المصاعب فتراني في

كل لحظة اعزم على الفرار · اما كلفينوس فكفاك شهادة به بمعاملته ميكائيل سيرفيت وكيف كان سبب موته الشنيع وما ذاك الا لان هذا المسكين ابى الاعتقاد باضاليل مغتصبه وناهيك عما تراه في كتاباته من سوء تصرفاته مع اخصامه

هذا وقد خطر لاذهان هنريقوس الثامن ملك انكلترة ان يدحض ذلك التاليف المعروف بعبودية بابل فهاج لوتيروس وجاش وكشف عن جبين تشخصت عليه الوقاحة وكتب للملك المذكور ونعته بما خطر لاذهانه من الالقاب اللطيفة فدعاه منافقاً مجنوناً احمق ادنس الخنازير واكبر الحمير

ارايت كيف كان لوتيروس يعامل الجلالة الملوكية فلا تعجب من هذا على ان هذا المبدع من جملة مباديه ان جميع المسيحيين كهنة وملوك فبذا هدم اركان الطاعة ديانةً وسياسةً فقد كتب للشعب بعد ما اجراه من الحوادث في نيرامبرغ فقال في اعلانه بان الامبراطور والملوك الذين يقاومون اللوترانية ما هم الا مغتصبون ظالمون واخذ يتهددهم بالسقوط فسمع اهل القرى بوق العصيان وعاينوا راية الطغيان فثارت الثورة في كل جهات المانيا ونهض اهل القلاقل ونشروا راية العصيان على مواليهم وطغوا على روسائهم فرفض كاهن زيشنان عظة لوترانية فقاموا عليه وهجموا في نيجين الوفا الوفا ليخلصوا كاهناً من المبدعين فقد رام رئيس كامبلين ان يردع شركاه في الاملاك عن التعديات فهجموا على داره واحرقوها ونشروا فوق رسومها الدارسة راية مكتوب عليها الحرية ولم يكن الشعب الواطي الا اداة بيد الاعيان لهدم الاديرة واهانة الاكليروس والرهبان وفاقاً لامر لوتيروس الصارخ : لذا افعلوا باسم الله والحربة

فخضع الاعيان لامره واستساروا بموجب دسائسه وهيجوا الشعب وتلوا عليه اوامر لوتيروس وشرحوها له بلغته فابدى ما ابداه من الفظائع وارتكبه من القبائح

سر بنا يا صاح الى الاقطار الالمانية والممالك الجيرمانية حيثما شن العصيان الغارات وتمرد ارباب الاصلاح نشر الرايات حيثما داسوا السلطة الشرعيـة فسلموا البلاد للعصيان والتمرد والعناد فخربت ودمرت فتزعزعت كراسي الملوك وقُلب العرش فسادت الاوغاد وسطت على العباد وانحطت راية الامجاد وانقدت النيران وساد الفجار واظلم من التمدن النهار وتطايرت من الشهوات الشرار . سر بنا يا صاح الى اقطار تخللتها الان الدروب الحديدية فقربت اقصاها فعاد ادناها واذا ما ركبت احدى المركبات وجلت تلك الجهات وحطت بك عصا الترحال في احدى المحطات وشئت ان تمعن النظر بما هنالك من الاثار القديمة الدالة على فظائع اهل الاصلاح الذين افسدوا الارض والبطاح فاطفاوا ضياء الفلاح . رايت اثارًا عظيمة تان الانين وتنوح في كل حين تاكد للمارين ما اجراه ظلم المتمردين من ارباب الاصلاح الاولين

سر الى تلك الاطراف واكتشف على تلك الاثار وتامل ما ابدته من الاصلاح النار فترى ما فعله الفجار الذين راينا بعض الناس ينشرون عنهم الفخار . لعمرى اذا ما تسلحت بالتاريخ الصادق وامعنت النظر بالحقائق نظرت شذرًا الى تمويهات جاءت النشرة الاسبوعية تستر بها فظاعة ذلك الاصلاح زعمًا منها خداع اولي الالباب انقبض منها الزيوف وقد تاكدنا بان تاريخًا جاءت بهِ خليق ان يضم في سلك الحكايات ويعد من الخرافات لاسيما وقد شهد الابروتستانت انفسهم

وعلماءهم اعينهم بان ما مثل هذه التمويهات الاّ دارية عن الاسناد وانها ضرب من الحكايات غب ان بحثوا ودققوا وراوا وتاكدوا شرًا فاق كل الشرور اتاه اولئك المبدعون فعصوا وتمردوا وخربوا ودمروا فلاشوا السلطة الشرعية وزعموا انهم اعتقوا الحرية فالقوها في اسر العبودية

اهل قد هالك ما سمعته متاخرًا عما جرى في عاصمة مملكة الفرنساويين حينما نهض الفجار فالقوا النار وحرقوا منها عظيم الاثار وكادوا ان يجعلوها بوار فهذه كلها ان هي الاّ اشارة طفيفة عما فعله اهل الاصلاح في ظهورهم وما اجروه من امورهم الغريبة الاسماع وما ذاك الاّ لان روح العصيان واحد في كل مكان وزمان ومن اطلق للشهوات العنان اراك ما ظهر للعيان فهذا ما فعله اولئك المبتدعون فقد نشروا اولاً راية العصيان وهيجوا الشهوات والاميال فالقوا شرارة فصارت اتونًا ثم عمت فاحرقت ما وقع امامها فلم يقف امامها شي ولم ينج من حريقها شي. اهل يستطيع ملقي النار اطفاءها غب ان اتقدت والتهبت . فالله وحده قدير ان يوقفها ولو لم يداركنا برحمة من لدنه ويوقف تلك الثورة لانمحت من التمدن المسيحي الاثار وما كانت الكثلكة شيدته من اركان التمدن الحقيقي قد دخل في خبر كان . قلت هذا فانتبه لك وقد سبقني الى اثباته علماء الابروتستانية انفسهم واخصهم العلاّمة مانسيل في تاريخ الالمانيين منذ ظهور الاصلاح وعلم هولاء المنتقدون وتاكد اولئك المحققون بان كل ما شاع من الثناء والمديح عن ذلك الاصلاح وارباه ان هو الاّ محض الحكايات التي لا قيمة لها ولا اعتبار عند اولي الانتقاد حتى انها حقيقة من الحقائق التي لا يشوبها ريب بان الابروتستانية عند ظهورها قد خربت اثار العلوم الاولية الحقيقية واوقعت جواد الفلاح

وهو في حومة الميدان وما كانت قد اسسته الكثلكة عكسته هذه ولولاها لكان التمدن المسيحي قد اخذ حده لكنها جاءت فخربت حدايق العلوم ولاشت من اثارها الرسوم فلاق بنا اذ ذاك ان نقول لو لم يبق لنا الرب بقية لحاكينا صادوم وعامورة

هذا واهل الخداع يثنون عليها ويقولون انها قد فتحت العقول وازهرت العلوم والفنون فاقنعوا بهذا يا اهل التمويه مؤرخيكم الذين قد علوكم مقامًا وارتفعوا فوقكم شانًا وعلمًا واعمالًا فقد حجوكم بساطع البرهان وصادق الدليل فاسندوا اراءهم على التاريخ الصحيح لا على حكايا تلفقونها وتنشرونها في اقطار سورية خداعًا للناس وانها احبولة الوسواس

سر بنا يا صاح الى اراضي المانيا فانك اذا ما رايت اثارًا قديمه دلتك على فظاعة ذلك الاصلاح وما فعله اربابه من الجور والظلم فكانت اثارًا شهودًا على سوء اعمالهم وها اننا نذكر لك بعضها تاكيدًا لواقعة الحال مؤملين بانك اذا ما وقفت عليها وتاملت معانيها سرت بموجب الحق الصادق وكانت امثولة للاستنارة فتقيك من خداع اهل الخداع وتزن تمويهاتهم بميزان الانتقاد الصادق فيمحص لك الحق وتتاكد الكلام الصدق

فكاني بك قد امتطيت متن مركبة بخارية وسارت بك في سكك المانيا الحديدية فحطت بك في محطة بالقرب من عاصمة وسفالية القديمة مدينة مونستر الشهيرة في التاريخ لاسيما في تاريخ الاصلاح

فقبل ان تبلغ المحطة ولدى دنوك من تلك العاصمة ترى تلك الابراج المنيعة القديمة قد لاحت لناظريك وبانت بنايات جليلة لديك وقد ارتفعت علوًا فسادت على ما دونها من المنازل والمساكن فكلمتك

بلسان حالها قائلة اني دليل اهديتك الى مدينة شهيرة الاثار وسيدة هذه الديار. لكنك اذا ما نزلت فيها وسرت في ازقتها وجلت شوارعها قامت امامك سراية وكنيسة خصصها ابناء الكنيسة الاولون الى القديس لامبرتوس المعظم. فاذا ما دنوت من تلك السراية رايت في اعلاها برجًا تعلق على جدرانه الخارجة ثلثة اقفاص حديدية. فلا غرو ان ذا المنظر مما يوليك العجب. فعندها سل احد المارين وقل لهم ما هذه وما المقصود بها فاجابك بديهًا قائلاً قد اعدت هذه الى ثلثة من المناديين بالاصلاح فيذكر لك اسماءهم وما جرى بهم من العقاب وفاقًا لعوائد تلك الاحقاب عقابات استوجبوها لما سببوه من مشاهد فظيعة جرت فيها سيول الدما ومذابح مزقوا فيها لحمان سكان تلك البلدان فاهطل الدموع المدرارة وقل يا للخسارة الخسارة وودع المكان وسر الى ما قدام فتحل محلة اذا ما سالت ما اسمها قالوا لك المحلة الحمراء فقل لهم لمَ سميت بهذا الاسم فاجابك الشعب قائلاً: قد تسمت بالحمراء بسبب مذابح الاصلاح الدامية فان الدم قد جرى في هذه المحلة سيولاً فخضب منها الازقة والشوارع وصبغ المساكن والمنازل فتلونت بالوانه فلذا سميت المحلة الحمراء. فان حرت عجبًا لا تدعنَّ الحيرة تتغلب عليك بل اصعد الى قاعة لاق ساغ ان يزوروها لما فيها من اثار ذلك الاصلاح ففيها تمت مشاهد فظيعة وامور شنيعة كانت اثمار مبادي الاصلاح ونتيجة مواعظ واعظيه فالقوا الشرار واتقدت النار فاحرقت الديار فتركت امام اعينك مثل هذه الاثار.

اتعجب من هذا وقد اصبح العقل البشري القاضي الوحيد على حقائق الايمان فنهض المتعصبون وقام المجانين وشرحوا كتاب الله على ما شاءوا

وفسروا على ما توهموا واخذوا يسندون تصرفاتهم الشاذة واعمالهم القبيحة على هذا الكتاب الجليل . فاصبحت المانيا فريسة التعصبات والعروبة هذه الافات فنهض المسمى ماتياس حارلم وجمع اليه عصابة من الانابا تيستيين وامر بنهب الكنائس وسلب المعابد وتمزيق الامتعة المقدسة واتلاف الانية الكريمة . فقام في وسط مدينة مونستير ودعاها جبل صهيون وامر بجمع كل ما ملكه سكانها من المال والدراهم والفضة والذهب والحجارة الكريمة وان يوضع هذا جميعه في خزينة واحدة عامة واجبر اتباعه ان ياكلوا جميعًا معًا ويعيشوا عيشة عمومية وان يستعدوا لايقاد نيران حرب عزم على مباشرتها ليخضع جميع امم الارض الى سلطانهِ . ولما كان هذا الاحمق المجنون يباشر مثل هذه المقاصد الجنونية ومثل نفسه بجدعون رام استئصال جيوش المنافقين بحفنة من الرجال على لغة اهل السرسام قضى نحبه واوقى الناس فظيع شره

لكن نهض حالاً خليفته وسار على اثاره رفضًا وتعصبًا وكان هذا رجلاً يسمى بيكولد وقد اشتهر باسم يوحنا دي ليد وهو من ارفض الرفاض رجل خياط فقام عريانًا في ازقة منستير مناديًا : ها ان ملك صهيون قد اتى . واقام اثنى عشر قاضيًا من جماعتهِ وقد هاموا حبًا بهِ وتمسكوا بحبال تعاليمهِ فسكروا بخمرة الرفض واستخدمهم تخجيجًا لماربهِ السوء بادعائهِ لنفسهِ ملكية وسلطة عامة وقد اتفق مع رجل صائغ ادعى النبوة فقام هذا النبي في وسط مجلس قضاة اسرائيل وصاح مناديًا : هذا ما يقولهُ الرب الاله كما اني قد اقمت في الازمنة القديمة شاول ثم داود ولم يكن هذا الاّ راعيًا ملوكًا على اسرائيل قد اقمت اليوم بيكولد نبيي ملكًا على صهيون

فعندها نهض بيكولد واكد لهم بانه كان قد راى مثل هذه الرويا فمنعه روح التواضع عن اعلانها لكن لما كان الله تعالى قد تكلم بفم نبيه وجب عليه ان يخضع ويصعد على العرش تتميمًا لاوامر العلي . اما القضاة فامروا باجتماع الشعب فاجتمع في ساحة السوق واذا بسبي جاء الى بيكولد بسيف مجرد علامة لسلطانه على كل الارض ليوسع تخوم مملكة صهيون حتى اربع اقاصي المسكونة فنودي به ملكًا رسميًا في ذلك الاحتفال الجنوني في ٢٤ حزيران سنة ١٥٣٤

وقد كان بيكولد هذا تزوج بزوجة سالفه وكللها ملكةً وحدها دون ساير نسائه اللاي كنّ سبع عشرة نكحهنّ وفاقًا لمبدا الحرية التى اعطاها بهذا الشان .

اما القتل والفتك والسبي والنهب وكل فظيعة وقباحة وشناعة ومشهد ينفر النظر منه ويابى السمع استماعه وكل جنون وحماقة فقد اخذ مداه في عهد هذا الملك المجنون فكان ١٦ شهرًا لا غير حتى ان الانابابتستيين انفسهم نهضوا ضد لوتيروس الذي اذاع مبدأ هذه التعاليم فرمهم ونبهم ووبخهم فعصوه وتمردوا عليه وساروا بموجب ما وافقهم الروح وفاقًا لقاضي العقل .

فلمَ يحنق لوتيروس على هولاء ولمَ مقت تصرفات اناس قبضوا على الكتاب وفسروه بحسب ارائهم واخذوا يجعلون تفسيراتهم الخصوصية اسًا لجنونهم . لمَ حنق لوتيروس منهم لادعاءهم النبوة والملكية اما قد ادّعى هو نفسه حق الرسالة ليلاشي ملك البابا الذي دعاه مسيحًا دجالًا. قد ادّعى حق محاربته وهيج الناس عليه فلمَ لا ينهض الانابابتيستيون ويدعون مثل هذا السلطان ويقولون ان الله قد تكلم معهم وبهم فاعطاهم

سلطاناً يستاصلون به الاشرار وكل ملوك الارض ليقيموا ملكوتاً جديداً يجلس على عرشه هم الابرار

ان لوتيروس قد وضع المبدا اما هم فنتجوا النتائج

فبنى ملك صهيون هذا لنفسه سرايات عظيمة وجمع الخزائن الثمينة واصبح ذا مالية بليغة بالنهب والسبي والتعدي والقتل وبكل انواع الجور والظلم واخذ يقلد سليمان الحكيم ملك اسرائيل وادعى بان ملكه يدوم الى الابد الى ان ياتي الرب وياخذه منه وانه هو الملك الوحيد وملكه من الله فله ان يذل الامراء ويقهر العظماء ويستعبد المتقدمين فهام اتباعه بمباديه وحث انبياؤه الشعب على الاقدام وان يشرعوا بتاييد هذا الملك فاصبحت مونستير مدينة صهيون يقصدها العال والدون وكل يدعي بانه ملك مطلق على عقله وقلبه وتصرفاته ونزل سليمان صباحاً يومياً الى ساحة البلدة ليقضي على الشعب وينهي دعاويهم بذاته متداخلاً بادنى الامور لاسيما المشككة وما يجرى ما بين الرجل وزوجته والسيدة وجاريتها والعبد ومولاه وقد تبعه الخطيب والجلاد فخطب الخطيب بما وافق امر الملك واجرى الجلاد اوامر الملك حتى ان احدى محظياته لما ارتابت بالوهية رسالته ذهبت فريسة السيف البتار وفاقاً لاوامره

هذا وما زال يظلم ويتعدى ويسلب وينهب ويخوض بحور الادناس بكثرة نسائه ويتوغل بالانهماكات ويصنع الولائم الفاخرة حتى انه كثيراً ما امر بهذه بعد نزول خطيبه من منبر الوعظ والارشاد وهاك ما جرى مرة من الامور المضحكة والمحزنة معاً

فقد رام ملك صهيون هذا اجراء ما حاكى مثالاً جاء في الكتاب

الالهي وهو انه رام ان يقلد وليمة العريس فامر بالمدعوين ليحضروا الى وليمته فقصدها الناس وقد اعدت في تلك الساحة بعد نهاية الوعظ وجلس الناس يتناولون الطعام واذا بملك صهيون قد نهض عن عرشه والملكة عن يمينه واخذ يطوف جائلاً ويتامل كلاً من المدعوين واذا بالحاظه قد وقعت على رجل مسكين لم تكن ملابسه وفق حالة تتطلبها الوليمة فالتفت ملك صهيون اليه واحدق النظر به وزأر وزجر وانتهر قائلاً: لمَ حضرت ياهذا وليس عليك ثياب العرس: فاخذ ذلك البائس يعتذر اما الملك فلم يكن يسمع مثل هذا بل انه استسار بموجب اخلاقه الوحشية فرايت ذلك المسكين اصبح قتيلاً في الحال

وما زالت هذه الحركات تزداد مع الايام وسعت من مكان الى مكان على ان ملك صهيون لم يحصر اوامره في ولاية استولى عليها بل قد اتفق مع عماله المتشتتين في ولايات مختلفة فرايت الجهات قد هاجت وماجت وسرت الحركة على جناح السرعة حتى وصلت الى الولايات المجاورة فرنسا بل وبعض ثغورها وكل من هذه الشيعة الانا باتيسنية يستسير بموجب هذا السرسام. ويروم اجراء ما في راسه من الاحلام فحنق لوتيروس وتكدر وحرمهم وتهدد ورذل تعاليمهم ومآربهم لكن من يسمع له ويصغي لمقاله . فقد اوقد النيران وثار الشرار

فمن المحامين لارباب الاصلاح ملك هيس فانه كان سيف الاصلاح وقد خضع كل الخضوع لاوامر لوتيروس المبدع . غير ان هذا الملك ممن قد ركبوا مطايا الشهوات فساقتهم الى سوق الشبهات فخاض بحور الادناس وتلطخ بحماة الاوخام وبينه وبين قرينته الشرعية نفور لا يقدر وبغضة لا توصف ولارباب الاصلاح مقاصد باكتسابه ليكون سيفاً

للترب عن مقاصدهم فطلب اليهم ان يتزوج بزوجة اخرى في حيوة زوجته الشرعية فلم ينكروا طلبه بل راموا منه ان يكون ذلك خفيًا فكان الاثم اذا ما كان خفيًا اصبح حلالاً . واجبروه على الالتماس بصورة ما زالت مودوعة في صفحات التاريخ ففيها ما غطاه وايته عارًا فقال عن نفسه لقد خشيت في مدافعتي عن الانجيل ان اذهب قتيلاً في ميادين الحرب واني لمتاكد بان نفسي تاخذها الشياطين اذ لا استطيع الانتصار على شهواتي فلا خلاص لي ما دمت مع زوجتي فاني التمس اذًا اجراء رحمة الشريعة القديمة تحوي بتكثير النساء

فقبل الايمة القاسه وامضوا عليه بقولهم اذ كان امتناعه عن الادناس ممتنعًا لشدة شهوته اذنا له بالزواج بزوجة فوق زوجته

امضاه لوتيروس وبوسير وميلانكتون

فعندها نشر هذا الملك راية المدافعة عن مذهب المبتدعين وجرد سيفه على الاناباتيستيين فجاء الى مونستير وحصرها فاخذها وقبض على ملك صهيون ووزيره وجلاده فقتل في ذلك الحصار جم غفير حتى جرى الدم في ازقة البلدة ودكت بناياتها وسلبت اموالها وعادت على اسوء حال اما ملك صهيون ومعاوناه فاعدوا لاشنع عقاب غير ان هذا الملك قد ارتد عن غيه واعترف تائبًا غب ذلك شنقوه ومعاونيه في تلك الاقفاص الثلثة القائمة فوق البرج من قصر صان لامبرت والسيف الذي قطع روسهم ما زال في تلك القاعة عبرةً للناس لئلا يحذوا حذوهم فعلى هذه الصورة اضمحل ملك اسرائيل الاناباتيستي المبنى على تعاليم لوتيروس الوخيمة ومباديه القبيحة اهل يعتجب هذا الرجل من العصيان وقد سار به وعلمه فعبثًا يدعي بانه اظهر الوداعة والالطاف انما انه هو

القائل للاساقفة : انه سوف تتلى عليكم براة من مرتين لوتيروس وانها براة لوترانية تذيقكم مر العقاب والتفت الى تابعيه وقال : دونكم والاساقفة فاقتلوا وانهبوا واسبوا فمن فعل ذلك فقد أكمل مشيئة الله

فنهض الارذال وسطوا على الروساء الدينيين وغير الدينيين واخذوا ينهبون اموال الشرفاء فرايت اهل القرى صواعق انقضت على منازل الاعيان واملاك الشرفاء فسرقوا ونهبوا وقتلوا وذبحوا وخربوا ودمروا هذا ومن الاعيان من يغريهم ويقويهم على مثل هذه الاعمال فحنق لوتيروس واغتاظ اذ لم يمكنه توقيف تلك الحركة وقد احتاج الى مراعاة خاطر الامراء والعظماء فانتهر القرويين فخابت منه المساعي حتى ان احد المؤرخين صاح بهِ قائلاً : كيف تردعهم وقد تلوا كتاباتك التي الفتها في لغتهم الشعوبية تهييجًا لهم وايقادًا لنار توحشهم واطماعهم

اما هذا المبدع فاستعان عليهم بسيف الشرفاء وسطوة الامراء فدارت عليهم الدوائر فذهبوا فريسة القتل والفتك وسال الدماء سيولاً حتى ان المورخين الصادقين قد قوموا تلك المذبحة فكان من ذُبحوا فيها ماية الف نسمة

ولما كانت هذه الحركة قد عمت كل الولايات وقام القرويون على السادات وطافوا في كل الجهات فعوملوا بما به قد عوملوا اتعلم ما الذي كان يفعله وقتئذٍ لوتيروس

اصغ سمعًا يا صاح لقول احد المؤرخين الذي اخذ يرثي لحال اولئك القرويين فقال ويلاه عليكم ايها القرويون قد سرتم بموجب اراء ارباب الاحزاب فترى ما الذي عاملكم بهِ لوتيروس فانه امر بهلاككم واخذ ينشد مديحًا لدفنكم عرسًا عقده لنفسه اذ قد نكح راهبة

فانشغل بافراحه في حال احزانكم

ارايت ياصاح ما اجراه الاصلاح في المانيا ومالكها وما ابداه من الفواحش والفظائع والجور والظلم حتى اصبحت البلاد بابل القلاقل فهتكت حرمة الشرائع بعد هتك حرمة السلطة الروحية . وهذه حوادث ماخوذة عن اصدق المورخين اتينا بذكرها لا لانها الوحيدة في تاريخ الاصلاح بل قد كانت اشارة عن فظائعهِ وغرابة قبائحهِ

فاذا كان ذلك فعلى القاري اللبيب ان يفرق بين الحق والباطل ويفصل بين الصدق والكذب

الفصل الخامس

في لوتيروس وفي شرعية رسالة ادعاها

قدحار عقل لوتيروس وارتبك ولم يجد طريقة يثبت بها شرعية دعواه فتراه يخبط خبط عشوا لايدري ما يقول ولا يعي ما يفعل كانك بهِ رجلاً اكثر الصياح والضوضاء لئلا يسمع صوتاً يعترضه قائلاً : بيّن لنا يا هذا صحة ما تدعيه ومن ذا الذي اقامك ربّاً للاصلاح ومن الذي دعاك اليهِ ومن اين اتيت وما الذي تفعله اوكانهُ قد هيج في نفسهِ البغضة والحنق والكيد والنكد لئلا يصحو فتناديه الفروض قائلة : دع ما تدعيه واخضع لسلطان اقامهُ الله تعالى وارعوِ عن غيك اما هو فقد تاه في قفار الاضاليل ولم يعبأ بصوت الضمير فخلته فرساً جموحاً يسير. ولا يهتدي يخبط ولا يعي

منسيًا كل النسيان

اسمعت مقال الجهلاء وزعم الحمقاء . فان كنت على جانب من الصبر الجميل واستطعت احتمال اقاويل الملتويين وازعام المفترين دونك وما قالته النشرة الاسبوعية في عددها ١٠ ان الكنيسة قد نست في الازمنة السابقة الاصلاح حتى والمبدا القائل ان الخلاص هو من الله. فياجميل صبر قراطيس سطرت عليها هذه الاقاويل ويالخصب العقول الضالة فلكم قد ارتنا من الحماقة وبسطت لدينا من الجنون

اهل نسكت عن كل هذه ونقابلها بعين الازدراء والاحتقار افما يعلم ارباب الاصلاح بان من الاعتراضات ما يخنقهم ومن البراهين سيف باتر ذو حدين اذا ما ضرب شق المضروب به شطرين

قلتم ان الكنيسة عامود الحق على ما صرح به رسول الامم قد امست منذ اكثر من الف سنة مدرسة الكفر وبابل الضلال يجب الخروج منها عاجلاً. فيالحماقتكم ويالفظيع جهلكم افما تعلمون بان افترائكم هذا قد مس المسيح نفسه وانزلتموه عن عرش مجده لتضموه في سلك اقبح المخادعين لانه ان كان قد ترك كنيسته بعد ان كان قد اوعدها بانه يبقا معها الى منتهى الاجيال قد اكدتم بان المسيح قد كذب . فمن ثم لم يكن الدين المسيحي عمل الله

فبمَ على هذا تجيبون فلا مَهرب لكم من هذا البرهان ذي الحدين اما ان كنيسة المسيح قد كانت تلاشت في عهد ارباب الاصلاح الموهوم ومن ثم كانت مواعيد المسيح باطلة او انها ما زالت وقتئذٍ موجودة . ومن ثم اجيبونا بايما حق تستطيعون النهوض عليها وتضرمون نيران الحرب ضدها فتعلمون ما رزلت وترذلون ما علمت

فهذه لعمري براهين سديدة سدت افواه المبتدعين انفسهم حال منادتهم ضدها حتى ان لوتيروس عينه لم يقدر الا ان يعترف بعصمة الكنيسة الكاثوليكية فلذا رايته احياناً قد اقر بصحة تعاليمها فمن جملة ما قاله : ان كان الله لا يستطيع ان يكذب فالكنيسة لا تستطيع ان ترتكب خطاء وضلالاً (في رسالتهِ الى البرنس البرت)

كيف لا تسد افواه المبتدعين وتخزي المنافقون اذا ما جلس العقل على عرشه واستند على حقيقة الحق وحكم صواباً فلا شك كانت ازعام المبتدعين اوهى من بيت العنكبوت

سألت ربي ان يمن على بيعته برجال حاموا عن عروسته فحذوا حذو ترتوليانوس العجيب الذي نهض للدافعة عن هذه العروسة وافحم مبتدعي عصره باعتراضاته وسألهم بايما حق يدعون الاصلاح ومن ذا الذي اقامهم لمثل هذا العمل فقال :

«فليثبت لنا الاراطقة بانهم رسل جديدون وان المسيح قد نزل ثانية على الارض واعطاهم سلطان فعل معجزات كان يفعلها فبهذه العلامات يعرف الرسل الحقيقيون فليأتوا بمعجزات تايد رسالتهم . اما انا فاني اعهد منهم اية عظيمة على انهم قد حذوا حذو الرسل لكن عكساً. فقد كان رسل الله يقيمون الموتى اما الاراطقة فانهم يميتون الاحياء

فبهذا قد خاطب علماء الكنيسة لوتيروس وسائر الاحزاب قائلين اثبتوا لنا انكم رسل جديدون قد اقامكم الله لتبنوا كنيسة جديدة بدلاً من الكنيسة القديمة . قد اعترضوا فربكوا الاراطقة باعتراضهم حتى ان لوتيروس نفسه قد وافق علماء الكثلكة بهذا المبدا حيث قال من رام ان ياتي بشي جديد ويعلم خلافاً للتعاليم القديمة يجب ان تكون رسالته من

لدن الله ويزكي هذه الرسالة بصحيح المعجزات فان كان لا يستطيع ذلك فليمضِ في حال سبيله (في تآليفهِ المطبوعة من والش)

قد اعتمد لوتيروس على هذا المبدا كل الاعتماد حتى انهُ افحم بهِ ارازموس وطلب منهُ معجزة ليثبت بها تعليمه عن حرية الاختيار وعلى هذا المبدا نفسه قد استند ضد تعليم زوينكليوس والاناباتيستيين وكل المبشرين بالابروتستانية الذين كانوا قد انفصلوا عنهُ

فلما التزم هذا المبدا وجب عليهِ اجراء المعجزات تأييدًا لرسالته واثباتًا لكونها شرعية ولما لم يكن من وسعه فعل ايات اخذ يحصر اذهانه بما يمكنهُ من دعواه فقد راينا ديلنجر من مونيخ قد تسلح بالتاريخ الصادق واخذ ينتقد على لوتيروس بهذا الخصوص فبين جليًا بان هذا المبدع قد اتى باربعة عشر رايًا اختلف احدها عن الاخر بل نقض احدها الاخر في هذا الشان

فقد قلقت افكار لوتيروس كل القلق لفروغ رسالته من اسناد شرعي فاخيرًا لاجل راحة افكاره اخذ يعتبر قلق ضميره ضربًا من التجارب الشيطانية فقال ان الشيطان يعرف كيف يجربنا على انهُ يقول لنا انكم تبشرون بالانجيل فمن ذا الذي امركم بذلك ومن الذي قلدكم وظيفة التبشير مع ان لم يوجد من سبقنا الى ذلك في الاجيال الماضية . بل يقول ان كان عملكم لا يرضي الله انما تكونون سبب هلاك ملايين من الناس . هذا ما كان يختلج في افكار لوتيروس وما كان يعذبه حتى انك تراه نيف عن العشرين مرة قد جاء في تاليفه بمثل هذه العبارات . ولم ياتِ مرةً ببرهان قاطع يسكت بهِ قلق ضميره ويقنع من اعترضه على دعواه . اخيرًا اخذ يحاول فعل المعجزات فاحصى من

جملتها هرب الدوكة اورسولا دي مونتيميربرغ من دير فريبرغ لكن لدى التحقيق قد تاكد بان الدير لم يكن حصينًا فلذا اضمحلت الاية وتلاشت المعجزة

فعندها سكت اوتيروس عن ايضاح شرعية دعواه ولم يجهد باقناع الناس بصحة رسالته لئلا تصبح هزءًا . اما ارازموس الذي قد نادسه تاريخ الاصلاح بانة صوت صارخ ان عدوا طريق الاصلاح فلدى تأمله معجزات المبدعين وايات هولاء المفسدين صاح صارخًا بما امتاز به من التهكم قائلًا : ان ارباب الاصلاح جميعًا لم نرَ منهم في امر معجزات ادعوها وايات حاولوا فعلها قد استطاعوا على برء حصان اعرج فشفوه من عرجه

الفصل السادس

في لوتيروس رب الاصلاح الموهوم وكتاب الله الشريف

ان من سمع رب الاصلاح مناديًا بكتاب الله المنزل من الله ومقدمًا اياه الناس كقاعدة الايمان الوحيدة . فمن سمعهُ يستغيث دائمًا بكتاب الله الموحى من الله ويحارب بيعة الله زاعمًا اسناد محاربته عروسة الله على ايات كتاب الله خال لديه ان ذلك المبدع قد امتلىء فواده احترامًا واوعب فواده وقارًا نحو الايات الشريفة . لكن ياالخيبة الامال ترى من لا يحير بعد ذا مدهشًا اذا ما سمع لوتيروس يتكلم على كاتبي الاسفار الالهية وكيف يتصرف بكلام الله المنزل

لا غرو ان من وقف على تاليفهِ المطبوعة في وتمبرج ويبا ذهب غائصًا بحور الانذهال لاطلاعه على ما فاه بهِ لوتيروس من الاقوال

اسمع يا صاح ما قد فاه بهِ ضد موسى كليم الله وضد شريعة موسى التي هي حقًا من الله

قال: اما نظرًا لموسى فلا تثقنَّ بهِ بل كن على ريب من اقوالهِ انهُ اقبح الاراطقة وانهُ مرذول محروم وانه اشنع من البابا ومن الشيطان نفسه فانهُ عدو المسيح الرب الاله

فهذا ما قالهُ لوتيروس ليس في جلوسهِ على الموائد وغراءهِ بالمشروب والماكول وقد كثرت خرافات فاه بها في ذلك الان فكانت اقبح ضرب من الخلاعة والفشار بل انه قد فاه بها في نفس تفاسيره كتاب الله وايات الاصحاح الرابع من رسالة الاناء المصطفى الى اهل غلاطية

فلم يكتفِ هذا الضال بان يدنس كلام الله بتفاسيره الخلاعية على ما ترى في تفسيره العدد ١٠ من الاصحاح ٢١ من سفر الامثال وما فاه بهِ من مجون تخجل القلم ان يسطرها اعتبارًا للقاري بل انهُ قد حذف وزاد من المتن الاصلي بحسب هواه

فلا تعجب بعد هذا اذا ما رأيت انجيلي بيروت قد مدّوا يد التلاعب بايات الله الشريفة وحذفوها اوزادوا عليها فما هم الاَّ تلامذة صادقوا الاقتداء بمعلمهم وحسب التلميذ ان يكون مثل معلمه

فقد طبع لوتيروس الكتاب المقدس اول طبعة فحذف كل رسالة بولس الى العبرانيين وكل رسالة يعقوب وسفر الرويا برمته بل وانهُ قد توصل كفرًا وبلغ نفاقًا حتى قال ان رسالة يعقوب الرسول انما هي رسالة كالتبن وما ذاك الاَّ لان هذه الرسالة الجليلة قد صرّحت بضرورة الاعمال الصالحة خلافًا لازعام بدعة الاصلاح

فخجل اتباعه من ازعامهِ واستحوا من تصرفاتهِ فاعادوا الرسالتين

المذكورتين وسفر الرويا الجليل الى سلك الاسفار الالهية القانونية

هذا ما كان من حذف لوتيروس لايات الكتاب فقط بل اسفارًا برمتها . اما ما كان من زيادته عليها فهاك شاهدًا يغنيك عن كل شاهد وهو ان الاناء المصطفى قد قال في رسالته الى الرومانيين (٣ : ٢٨) . اذًا نحسب ان الانسان يتبرر بالايمان . فنهض لوتيروس وقال بالايمان وحده مزيدًا على الاية لفظة وحده التي لا تراها لا في الاصل اليوناني ولا في اللاتيني . فلما وقف اصحابه على هذه الزيادة واذهلتهم وقاحة مبدعها غاروا على اعتباره وقالوا له انك بمثل هذه الاضافة قد اعطيت الكاثوليكيين سلاحًا يحاربون به ترجمتك اما هو فغفاه وقد نخته الكبرياء وصرخ وقد امتلئ منه الفواد احتقارًا فكتب لاحد خلانه قائلاً : اراك قد تعجبت لكوني قلت اننا نتبرر بالايمان وحده مع ان لفظة وحده لا وجود لها في متن رسالة الرسول فاذا ما شاحنك الباباويون على هذه اللفظة فدونك وان تجيبهم في الحال ان باباويًا وحيوانًا سيان

لا اجمل من مشاحنة مبدع الاصلاح ولا الطف من عبارته . لعمري من يرتاب برقة الفاظه وقد قيل ان الكلام صفة المتكلم . اتعجب يا صاح اذا ما رايت تلامذة رب الاصلاح في بيروت قد اقتفوا منه الاثار . فقد اتحفنا اهل الهدى بتبيان تلاعبهم بايات الله الشريفة واثبتنا ذلك بادلة راهنة وحجج قاطعة فاتضح جوابهم لدى الجميع فانهم اخذوا يقذفون الشتائم ويوعبونا افتراء . لكننا لما كنا نحامي عن الحق بعناية الاله الحق نهض الاهلون وانهم لعمري على ماعظم من الذوق السليم كيف لا وقد تربوا بتعليم الحق في اقطار سورية التي تشرفت بوطا اقدام اله الحق فانصفوا لنا من افتراء المفترين وبما مكنهم من حجتنا وصحح صدق ادلتنا نقس

كان عن روح الاعتدال الصارخ ضد روح الشتائم والهذيان بل قل روح ثمل سكران ولا تخف لومة لائم . فظهر الحق وزهق الباطل وعلم كلٌ الصحيح من الفاسد فاتحفونا بكتب الثناء ورسائل المديح فجاءتنا ليس فقط من لدن كرام ملتنا المسيحية بل ومن اجلاء الملل الاجنبية عن المسيحية ولا غرو ان ذا ما به يعظم شأننا ويايد مقالنا غير انه لاعظم ثناء ومديح على اهل هذه الاوطان لاصابة حكمهم وصوابية مقالهم

ومما يزيدك عجبًا بجواب لوثيروس المذكور اعلاه المملوء لطمًا وادآمًا حجة جاء بها وبرهان ابرزه للوجود واسناد ثابت الدعائم مدافعةً عن اضافته لفظة وحده ضد كل معترض وسدًا لكل فمٍ

قال : ان الحجة الوحيدة التي اسندت عليها سبب اضافتي لفظة وحده وانها الحجة سدت مسد كل حجة هو اني شئت بان لفظة وحده تنزل في ذلك المكان واني آمر بها فان ارادتي وحدها اعظم حجة . لاسدّ فوك يا مبدعًا جئت بمثل هذا الاصلاح . لعمري اهل اوضح من كلامك واجلى من مقالك انما انه قول قاطع لاسيما اذا ما كان عن كلام الله ومتن ايات انزلها الله *

هذا وقد استتلى كلامه بكلامهِ قائلاً : اني لاعلم حسنًا وذا منذ امد مديد بان لفظة وحده لا وجود لها في متن رسالة الرسول لا في الاصل اليوناني ولا في اللاتيني غير اني ما ندمت الاّ على امر واحد وهو اني ما زدت على هذه لفظتين اخريتين وهما بدون كل الاعمال حتى يتضح لدى الجميع بان الانسان يتبرر بدون اعمال ايما ناموس كان اطلاقًا واذا ما استشاط الباباويون الحواويين غيظًا وماتوا كمدًا فانهم لن يغيروا هذه اللفظة من نسخة ترجمتها وعليها المعوّل

فاجمل ما تقدم هو ان من وقف على نسخة لوثيروس اصابه ما اصاب ذلك العلاّمة الجليل اعني بوصويت ذلك الاسقف المفضال على ان من تلا اساطير امام المبدعين اخذ يكرر ما تلاه ليرى ان كان احكم تلاوته وهل لم يخطئ بقراءتهِ لما يعثر عليهِ من التغيير والتبديل ويطلع عليهِ من التحريف

لعمري من ذا الذي يفتكر بان لوثيروس الذي يدعي المدافعة عن كلام الله المنزل والمحاماة عن متن الكتاب يتفح متفوهًا بمثل هذه الاقوال السمجة والالفاظ المعوجة

الفصل السابع

في ترجمة الكتاب الشريف من لوثيروس رب الاصلاح الموهوم

لقد اخطأ كل الخطاء من ظن او قال بان لوثيروس كان اول من ترجم كتب الله الشريفة الى الالمانية فاذا ما سمعت ابروتستانيين يزعمون هذا الزعم اعلم ان الرفض قد حملهم اليهِ فمن ثم ايضاحًا لحقيقته اقتضى تبيان ما انبأت بهِ التواريخ في هذا الشأن

ان الكتاب المقدس كان قد ترجم الى الالمانية في عهد كارلوس الكبير من ربان مور وفالفريد سترابون وهوغ دي فلوري وترجمة بالالمانية نفسها الراهب اوطفريد من فيسمبرج وكانت النسخ المطبوعة قبل ظهور لوثيروس فوق الاربعة والعشرين طبعة في الالمانية وهذا قول من جملة موئديه ذلك العلاّمة لاهوتي بوتيلاشج الشهير (اعني به فسيلنجير)

اما لوتيروس فقد ترجم الكتاب زاعماً بكون ترجمته وفق المتن الاصلي واذا ما اصغت سمعاً لبعض الابروتستانت قالوا لك انها ترجمة فريدة المثال وانها نخبة انتخبت واحسن ما جاءت بهِ قريحة رب الاصلاح بل انها محجنة الخاصة معنىً وتعبيراً و بالاجمال بها قد انحصر فضله ولاق افتخاره . اما تاريخ الاصلاح الموهوم المطبوع من انجيلي بيروت فقد ذكر هذه الترجمة غير انهُ الى الان لم تراه بالغ بالثناء عليها فيما انهُ كثيراً ما قد عظم اعمال لوتيروس التي دونها

قد بينا في الفصل السابق كم قد تلاعب لوتيروس بكتاب الله واياته رغماً عن مناداتهِ باحترامهِ فلا اقتضاء بعد ذلك لان نبين فساد ترجمته البعيدة عن التدقيق ولاغرو انهُ قد باشرها بروح التواضع العميق و بناها على قاعدة لا تخل واس لا يتزعزع وهي اهواءَوه النفسية

قد ترجمها بروح تواضع نفى كل ما لم تكن مستهُ ايديه واحتقر كل تاليف لم يصدر عن قريحتهِ لاسيما اذا ما كان مؤلفوه كاثوليكيين فبهذا الروح المفعم كبرياء قد اشار لاحد خلانه ان يكتب ما ياتي وهو اذ ذاك منشغل بترجمته الغراء على ما شهدت بهِ تواريخ كوكلوس وجه ٢١٥

قال لو علم لوتيروس بان الكاثوليكيين جميعاً قديرون ان يترجموا ترجمة صادقة وان فصلاً واحداً من الكتاب الشريف لكان تنازل والتمس مساعدتهم ولكان جد في ترجمة الكتاب و بالغ بتدقيقهِ ولم يجبر انساناً بمطالعة ترجمته وكانت ترجمته لنفسهِ دون غيره واذا ما اخطئ فلا يجوز للباباويين بان يدنسوا افكارهم بالحكم عليها لان اذانهم طويلة ونهيقهم خفيفاً من ان يستطيعوا الحكم على تاليفهِ وانهُ يعلم حسناً بان الباباويين ليسوا باقدر من حمار الطحان ليعلموا كم يقتضي من الاعتناء

والعقل والانتقاد في ترجمة الكتاب

ارأيت كيف اعتمد رب الاصلاح على نفسو واحتقر غيره وبلاه على خفة عقلو واسفاه على جهلو اتدعي يامن تدعي الاصلاح المعارف لنفسك وتنكرها على علماء كانوا زينة كل عصر فجلسوا في المجمع التريدنتيني وحكموا على اعمالك وفندوا كل تعاليمك فانهم علماء تهذبت بهم الاعصار الماضية والحاضرة وقلما وجدنا لهم نظيرًا

فلندع هذا المغرور يغتر بذاتو وينفي المعارف عن غيره ويخصها بنفسو فهات الان لنرى منزلة ترجمته تلك الغراء في عقول علماء الابرونستانت واهل الانتقاد انفسهم فلندع اهل الاغراض يثنون على معلمهم وامامهم ولنعتمد راي من اشتهروا بمعرفة لغة الكتاب وامتازوا بنفس الانتقاد

فمن جملة مؤيدات دعوانا قول لوتيروس نفسه الذي قد احترق كمدًا لعدم مقابلة ترجمته بالترحاب وهاك ما وجد بخطو ومضى عليو بامضاه قال: ان ترجمتي قد كلفتني عناءً جسيمًا مع هذا اراها على ما قل من الاعتبار عند جماعتنا فتلاها اخصامنا اكثر منا

ولا شك ان ترجمته هذه المفسودة اصبحت هدفًا لسهام اهل الانتقاد المشهود لهم بالفن وبمعرفة لغة الكتاب فانزلها كثيرون من علماء الابروتستانية من المتقدمين والمتاخرين منزلة التاليف الخداعة وغير الصادقة

فقد اعتمدتها كنائس ابروتستانية اولًا ثم رفضتها. اهل من حرج على علماء الكثلكة ان يرذلوها بوضوح فسادها وهل من كان على جانب من شرف النفس يثني على ما يستوجب الرذل ويحصي نفسه في مصاف

اهل الرفض ويصيح مناديًا بانها ترجمة غراء وملحة فريدة وهي اولى ان تطرح على المزابل لما فيها من التلاعب والتحريف

دونك ايها القارئ اللبيب وحكم ارباب الفن وماجاء به التاريخ تأييدًا لمقالنا ورذلاً لاراء اولي الاغراض .

ان مارتين بوسير المعاصر للوتيروس وشريك ارائه قد صرح بخطاء هذه الترجمة وفسادها وقد كتب فيلبوس مارنيكس في سنة ١٥٩٤ الى العلاّمة دروزيوس قائلاً : ان جميع الترجمات الرائجة في كنائس الاصلاح لم ترَ ترجمة تبعد عن الاصل اكثر من ترجمة لوتيروس في الالمانية

ولما تاكد مجمع الابروتستانت المنعقد في دار تريست من هولاندة عدم صحة هذه الترجمة وبعيد صدقها امر بالغائها وان يعتمد على نسخة غيرها

ورفضت كنيسة زوريك ترجمة لوتيروس منذ سنة ١٦٠٢ فنهض بعد مرور سنين علماء فيتمبرج وتشكوا كل التشكي من اللوترايين لرفضهم ترجمة لوتيروس وبغضهم اياها

والابلغ من هذا كله ان الابروتستانت انفسهم قد صرحوا قائلين ان هذه الترجمة قد سببت شكوكًا بين اهل الاصلاح وانها ينبوع القلاقل والفتن وانها تسوق النفوس الى الهلاك

هذه اراء المتقدمين فدونك وحكم المتاخرين قد رأينا العلاّمة مونتير يوضح مأربه مذ بضع سنين بان يرى في عصرنا الحالي ترجمة في الالمانية مطبوعة مدققة لتستطيع الكنيسة الانجيلية التي تأمر بتلاوة كتاب الله ان تقدم للمؤمنين ترجمة مفهومة

قلنا ان كنيسة زوريك قد رفضت ترجمة لوتيروس منذ الابتداء

فخذا حذوها فيما بعد سائر كنائس سفيسرة فاخذ رعاتها يصححون ترجمة يسكاتور فاعتمدتها جمعية بيرن

فهكذا حكم التاريخ على ترجمة لوتيروس وقد نقلنا عن تواريخ الابروتستانت انفسهم . فهذا ما يوضح قيمة تاريخ الاصلاح الموهوم الهائم به انجيليوا بيروت الذين تاكد اهل سورية منهاجًا يسلكون فيه وعلم الشعب ايا منزلة ينزلون اقاويلهم ويقومون تعاليمهم

الفصل الثامن

في فردوس نص عنه ارباب الاصلاح واختلافهم بامر العقائد

لا تعجب من خرافات اهل الضلال وتعليمهم المحال واختلافات اراءهم على موضوع واحد فان ذا قد كان عن زعمهم الحرية المطلقة لكل انسان بان يفسر كتاب الله الشريف على ما شاء

فقد احتقر لوتيروس وقرينه زوينكليوس تفاسير علماء الكنيسة الاقدمين واخذوا يفسرون كتاب الله على حسب اهوائهم فجاءوا باغرب تفسير

فزعم زوينكليوس بان الكتاب لم يعلم عن الخطية الاصلية فبناء عليه لا وجود لسر الفداء. وزعم بان العماد لا لزوم له وانه لا يمنح نعمة البتة بل انه قد دل فقط على قبول النعمة . ولما تورط بنتائج هذه التفاسير العظيمة جاء بتعليم غريب عجيب انزل انبيا الله ورسله الكرام والهة الوثنيين وانطاهم فردوسًا واحدًا واحل جميعهم نعيمًا واحدًا

لقد اصاب العلاّمة بوصويت الجليل اذ سال قائلاً: ترى من قد

تصور فردوساً على ما توهمه بعض ارباب الاصلاح ومن ذا الذي انزل الاباء والانبياء والرسل والقديسين والمسيح مخلص العالم نفسه فردوساً واحداً مع نوما اب الوثنية الرومانية وكاتون الذي لما اشتد به الغضب قتل نفسه وكل عبدة الاصنام حتى الهة الوثنية انفسهم ومن اعدوهم ابطالاً نظير هيرقولوس وثيزيوس لعمري من وقف على اساطير هولاء الضالين وتامل بما علموه من مثل هذا التعليم حار منه العقل وانذهل ولم يعلم اهل ذا كفر شنيع ام جنون فظيع فان ذي حقائق علمها ارباب الاصلاح وقد انباءتنا التواريخ بهذه التعاليم والامر اتضح

اصغ سمعاً يا صاح لما كتبه زوينكليوس احد ايمة الاصلاح الى الملك فرنسيس الاول قبل وفاته وما كتابته الاّ قانون ايمان يوضح به لذلك الملك معتقده وانما يلتزم واضع القانون بان يزن الكلام ويدقق الالفاظ

قال زوينكليوس هذا الامام في تفسيره الحيوة الابدية موجهاً الكلام الى الملك المؤما اليه: يجب عليك ايها الملك ان تؤمل بان ترى هنالك جميع المتقدمين من الانام الممتازين كالقديسين والابطال والمؤمنين الفاضلين منذ انشاء العالم. هنالك ترى هابيل واخنوخ ونوح وابرهيم واسحق ويعقوب ويهوذا وموسى ويشوع وجدعون وصاموئيل وفنحاس وايليا وايليشع واشعيا مع البتول والدة الله التي تنباء عنها هذا النبي وداود وحزقيا ويوسيا ويوحنا المعمدان والقديسين بطرس وبولس وترى هنالك هيرقليوس وثيزيوس وسقراط واريستيديس وانتيغونوس ونوما وكاميللوس وكاتون والشيبيونيين. هنالك تشاهد سلفاءك وجميع اجدادك الذين خرجوا من هذا العالم بالايمان. لعمري اهل اجمل وابهى واعظم

واجد والذ واعذب من الافتكار بهذا المنظر العجيب والمشهد الجميل (في تبيان الايمان المسيحي سنة ١٥٣٦ وجه ٣٧)

هذا ما كتبه احد ايمة الاصلاح في قانون ايمان اهداه الى اعظم ملك مسيحي وانه لكتاب قال عنه بولينجر خليفة زوينكليوس المذكور انه ملحة ملح ترنم بها هذا البلبل ونخبة نخب غرد بها هذا الطائر العذب الصوت (في المقدمة)

اهل تعجب بعد هذا من ان هولاء الرجال مرسلون من لدن الله العلي لكي يصلحوا بيعة الاله العلي

فلما سمع لوتيروس بما علمه زوينكليوس عن هذا الفردوس الغريب هاج عليه وجاش وصاح صارخا: انه قد ايس من خلاص زوينكليوس لانه لم يرتض فقط بان يحارب سر الافخاريستيا الاقدس باعوجاج تفاسيره بل قد اصبح وثنيا اذ وضع كفرة الوثنيين واشقياءهم حتى وشيبيون المنهمك بالملذات ونوما لسان حال الشيطان ذاك الذي قد اقام الوثنية عند الرومانيين في مصاف الانفس الطوباوية . لعمري ترى ما الفائدة لنا من العماد وسائر الاسرار والكتاب المقدس ويسوع المسيح نفسه ان كان الكفرة والمنافقون وعبدة الاصنام والوثنيون واهل الانهماك والفواحش قديسين وطوباويين . ثم استتلى كلامه بكلامه قائلاً: ما هذا الكلام انما انه عين التعليم بان كل انسان يستطيع ان يخلص بايما دين كان عليه وبايما اعتقاد اعتقده (راجع بوسويت تاريخ التغييرات كتاب ٢ عدد ٣٠)

لكن اهل تعجب من هذه الاضاليل اذا ما عهدت مبداء استنسار بموجبه ارباب الضلال بتفسيرهم كتاب الله وشرحهم ايات الله . اهل

يذهلك ضلالهم اذا تعقلت روحًا حركهم والى هذه الدركات اسقاهم . اهل تعلم ما هو هذا الروح وما هذا المبدأ فدونك وان تعتمد اقوال ائمة الضلال بهذا الشان

ان لوتيروس الامام الاكبر حظى ليلًا بمشاهدة روح واذا سالته ما هذا الروح قال لك صريحًا انه الشيطان وانهما قد تخاطبا معًا وتسامرا ليلتهما . وفي سنة ١٥٢٥ حظي زوينكليوس ايضًا ليلاً بمسامرة مثل هذا الروح غير انه لم برح في ذهنه النبوي ان يبين لنا ان كان سمير ليلته ابيض او اسود فكيفما كان لونه وكانت هيئته قد انبأنا بانه قد علمه ان يرذل حضور السيد المسيح حقيقة في سر الافخاريستيا الاقدس كما وان لوتيروس قد تعلم من ذلك الروح ان يرذل ذبيحة القداس المسجود لها ولقد كان يتمنى بان يرذل حتى وحضور السيد المسيح حقيقةً في سر النعمة فكتب الى جماعته في ستراسبورغ بانه على غاية الامتنان لهم ان اعطوه وسيلة لينكر هذا الحضور السري لانه لا اقود من ذلك ولا اوفق لمقاصده بضرة البابوية

غير انه لم يحصل على هذه الوسيلة على انه ما برح مندهشًا من قوة كلمات التقديس وسلطتها : هذا هو جسدي وهذا هو دمي : هذا هو جسدي المعطى لاجلكم : هذا دم العهد الجديد المسفوك لاجلكم ولاجل مغفرة الخطايا

اما كارلوستاد فقدم عن هذه الكلمات البسيطة الصريحة تفسيرًا يهزأ به ويضحك من جرائه على ان هذا المفسر قد زعم بان المسيح بقوله هذا هو جسدي لم يعنِ عما كان يقدمه ساعتئذٍ لتلاميذه بل قد اشار فقط عن ذاته جالسًا على المائدة معهم

فاخذ زوينكليوس وايولامباد يدافعان عن كارلوستاد المذكور المطرود بدساتس لوتيروس من ساكسا فذهب متخبيًا في سفيسرة

ايولمباد اي سراج المنزل كان راهبًا قديم الايام من رهبنة القديسة بريجيتا خلع الثوب الرهباني ونكح شابة وكان كارلوستاد القديم الايام ايضًا من الذين كانوا قد سبقوه واعطوه مثل هذا النكاح

فكان زوينكليوس وايولمباد يزعمان بان هذه الكلمات : هذا هو جسدي : هي رمزية وان لفظة هو في الاية على زعم زوينكليوس بمعنى يعني . اما ايولمباد فكان يقول ان لفظة جسد هي رمز الجسد

هذا ورايت بوسير وكابيتون من ايمة الاصلاح ايضًا اشد غيرة في مدافعتهما عن المعنى الرمزي . اما بوسير اسي قرن البقرة كان من رهبان مار عبد الاحد خلع الثوب الرهباني ونكح راهبة خالعة وكابيتون اسي كيبفلين او صغير العقل كان ايضًا كاهنًا متزوجًا واذا ما مرض اقام زوجته الثانية تعلم عوضًا عنه على منبر اللاهوت

فكل هولاء الكهنة الجاحدين كانوا يجدّون كل الجد ليكذبوا اسرار الله في عهد محبته فغيروا وبدلوا وحرفوا وتلاعبوا وراجعوا الكتاب وامعنوا النظر باياته املاً بالوقوف على ما يمكنهم من الاستناد على المعنى الرمزي فلم يجدوا وما برح زوينكليوس يبذل المجهود ويسهر الليال ليجد حلاً لهذا المشكل ومع ذلك رغمًا عن والي المدينة الغوا ذبيحة القداس مع انه كثيرًا ما قاومهم ولم يستطيعوا ان ينفوا العقيدة الكاثوليكية بهذه الذبيحة الالهية والحضور السري

فما مضى اثنا عشر يومًا الاّ وقد راى زوينكليوس حلمًا فقال انه خال لذهنه بانه يشاحن والي البلدة وكان هذا شديد المحاربة ولم يستطع

التخلص منه وإذا بشبح خاطبه بهذه الكلمات قائلاً له : يا انذل الرجال لِمَ لاتجيب بما قد سطر في سفر الخروج (١٢ : ١١) ان الخاروف هو الفصح اي انه رمز الفصح

فهذه اية كثيرًا ما قد تهلل موجودها ناكروا الاسرار زاعمين بانهم قد وجدوا المرموز بالرمز المعطى دليلاً عنه فهذا سلاح تسلح به زوينكليوس لانه اول من وجده

غيران هذا الروح المجهول اللون ولم يعرفه زوينكليوس ان كان اسود او ابيض قد اخطى كل الخطاء لان في الاية المذكورة لايقال الخاروف هو الفصح بل انه وفاقًا لاصول اللغة العبرانية الشهيرة قد حذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه اذ ان معنى الاية ذبيحة الفصح فحذفت لفظة ذبيحة المضاف واقيمت لفظة الفصح المضاف اليه فكان المعنى صريحًا ان الخاروف هو ذبيحة الفصح ولاخلاف بهذا اذ قد اتضح كل الوضوح مما ياتي في نفس الايات التابعة حيث قد قيل صريحًا لا ان الخاروف هو الفصح بل ذبيحة الفصح (خروج ١٢ : ٢٧) فان كان ما رواه زوينكليوس صحيحًا فيكون روح الكذب سمير ليلتهِ قد غلط وخصيصته بمعنى الاية

غير ان زوينكليوس لما استفاق من حلمه راجع الكتاب ووقف على الاية وتسلح بها ونادى وجماعته نصرًا

اما لوتيروس فقد تاثر كل التاثير لمشاهدته لابعض ارباب الاصلاح بل وكثيرًا من الكنائس قد نهضت ضده وخلعت نيره لكنه لم ييأس ولم تخزَ كبرياه بل ما زال على عجرفته فدونك وما قد فاه بهِ : ان البابا ضربة على راسي وناكري الاسرار والاناباتيسنيين حمل ثقيل على ظهري

مع هذا اني اسير وحدي ضد جميعهم فاغلبهم في القتال وادوسهم بالارجل ثم قال : اني اقول بدون افتخار انهُ منذ الف سنة لم يُنظف الكتاب احسن تنظيف ولم يُفسر احسن تفسير ولم يُدرك احسن ادراك اكثر مما نظفته وفسرته وادركته (تآليف لوتيروس مجلد ٢ وجه ٤٩٨)

اذهبوا الان يا من تطلبون الحق اذهبوا الى مثل هولاء الايمة وارووا غليل ظماءكم

الفصل التاسع

في المبدا المعتمد الاصلاح في تفسير كتاب الله الشريف وحكم علماء الابروتستانت المتاخرين عليه بموجب الاصول المنطيقية والعلمية الحقيقية

فان كان تعالى قد تكرم على الجنس البشري بانزال الوحي فلم يشاء تعالت حكمته ان يترك معنى الوحي لحكم العقل البشري فيتصرف بهِ حسب اهوائهِ فكيف يسلّم تعالى الوحي للبشر ويسلم معاني اقواله الجليلة الى ضعف عقل كل منهم فان ذا لتضاد لا يتفق مع الحكمة الالهية

فلو كان الدين المسيحي الذي انما هو وحي فاق الطبيعة مذهبًا فلسفيًا لاختلفت المسالة وكان حينئذٍ تفسيرهُ عقلاً موافقًا لاصل ينبوعه على انهُ يكون اذ ذاك ناشئًا عن العقل البشري فمن ثم كان لهذا العقل نفسه تفسيرهُ والحكم عليهِ لكنهُ دين موحى من الله ومجموع حقائق فايقة الطبيعة لا يتعلق الحكم عليها بالعقل وحدهُ ولا ينوط امر تفسيرها بهِ بمعزلٍ عما سواه

ولقائل ان يقول انهُ حسمًا لكل نزاع وقطعًا لكل مشكل اعتمدنا بتفسير الوحي على كتاب موحى واتخذناه قاعدة للتفسير وقانونًا للتاويل ·

اعلم يا صاح ان ذا لا يحل مشكلًا وقعنا فيهِ بل انما قد جئت بما يبعد المسالة من الحل لان كتابًا موحيًا اتخذته قانونًا للتفسير صامت لا يتكلم ولا استطاعة لهُ ان يفسر ذاته بذاته بل انك ترجع بهذه الوسيلة الى حكم النطق وحده فيتصرف بالوحي بحسب اهوائهِ فياتيك بمعاني يضاد بعضها البعض وعن هذا كثرت الشواهد اليومية فلو قلنا ان للعقل ان يمرن حكمه في ميادين الحقائق العقلية · فلا احمد من ذلك ولا اجمل اما قولك بان للنطق الحكم على كلام الوحي فهذا محض التناقض

فبناء عليهِ لم نرَ حدًا اوسط بين الكثلكة ومذهب النطق اذا اعتمدنا المبادي المنطيقية الصحيحة

فمتى سلمت بالوحي وجب التسليم بالمبدا الكاثوليكي اي بسلطان معصوم يحافظ على الحقائق الموحاة ويفسرها وهذا ما سلم بهِ وصدق على صحته اخص علماء الابروتستانت الذين لا يحيدون عن اصول المنطق الصحيحة وان شجبت مذهبهم ورذلت تفاسير جماعتهم وهاك اقوالًا فاه بها هولاء العلماء المشاهير بهذا الشان فقال احدهم انهُ من اوضح الوضحات ان الكثلكة منطيقية اكثر من الابروتستانية (كوبين في فلسفة الدين المسيحي)

وقال الاخر وهو كبلير في رسالته الى المعلم هالم : ان المذهب الفائق الطبيعة الكاثوليكي هو وحده منطيقي · وقال غيره : فاذا قد اصابوا بقولهم ان مذهب العصمة هو المذهب الفائق الطبيعة الوحيد (في مكتبة غوتينغ) · قال رينالد في رسائله على فلسفة قانت : انهُ متى انطوى الدين

على اسرار وبنى يقينه على ايات ومعجزات كان مذهب العصمة احسن مذهب يقتضي التسليم به وانه المذهب الديني الوحيد المبني على التاريخ وقد استحقت موافقة اجزائه لبعضها اسم مذهب حقيقي

وقال اخر ان كان الله تعالى قد اوحى تعاليمه نظير حقائق لا بد منها للخلاص فلا يمكن ان يختص تفسيرها الاّ بطغمة تعلّم منقادة من روح الله القدوس فتكون من ثم معصومة (اوراق ليبزيك عدد ٢٧١)

واننا نختم الكلام بما قاله العلامة كرانغ خليفة العلامة قانت في مدرسة كيليسبرغ . انه لا يوجد الاّ انسان واحد متمسك بالمذهب الفائق الطبيعة وكان من ثم منطيقيًا محضًا اعني به الكاثوليكي الروماني على ان هذا الانسان لا يؤمن فقط بالكتاب بل وبالتقليد وبفعل فائق الطبيعة يفعله روح الله القدوس راسًا نحو الكنيسة فعلى هذه الصورة لا يمكن للكنيسة ان تغش وان كلاً من افراد بنيها اذا ما ارتاب بامر ديني خضع لحكمها

تاملوا هذا يا من تدعون التمسك بالمذهب الفايق الطبيعة من الابروتستانت واعلموا ان ذا مذهبًا منطيقيًا محضًا لان مباديه ناتجة عن بعضها فاذا ما سلمتم بهذه المقدمة وهي ان الانسان اذا ما ترك لفهمه لا غير لا يستطيع ان يجد طريق الخلاص فنتج بانه لاجل ان يتوصل اليها قد احتاج الى قائد معصوم لانها تحتمل تفاسير كثيرة اذ ليس فقط الفيئات الدينية المختلفة بل المؤلفون الخصوصيون حتى والمتمسكون بالمذهب الفائق الطبيعة لم يتفقوا ولا يتفقون ولن يتفقوا ابدًا على المتن المقدس (في كتابه عن الحكم الفلسفي في مذهب النطق)

فلا مقدرة للابروتستانية لتقاوم هذه السهام التي رشقها بها ابناؤها

وان ذا الانتقام منها اخذ به مذهب النطق الناشي عنها

على ان هذا المذهب المثلث الوقاحة الذي قد حارب نفس الوحي ودق بنات الانزال قد زرع بذار الخراب في العالم المتاخر لكنه انما قدم خدماً لانتصار الحق نظير سائر الاضاليل التي تنهض عليه

على ان مذهب النطق لما كان قد تولد من الاصلاح وعن حرية البحث التي لا يصدها سلطان رايته انما كان ليرتد على المبدا الذي انما عنه قد نشاء ليلاشي هذا المبدا بتوسيعه اياه فانه لهادم تلك البنايات السريعة العطب القائمة بازاء بيعة الله المقدسة وانه لمحارب الابروتستانية بسلاح نتائجها منطيقيًا وانه لماح عن جبينها تلك الصبغة الفائقة الطبيعة التي تركها لها ارباب الاصلاح الاولون فحملها ضرورةً اما على نكران المسيحية مطلقًا او على الارتداد الى الوحدة الكاثوليكية . فمن ثم لا نعجب منذهلين اذا ما راينا الخراب قد سعى كل السعي في حضن الابروتستانية على ان هذا الخراب كان عن مذهب النطق الذي يزعزع الابروتستانية بثبوت واقدام وانه فعل ضلال ينتقم للحق بتورطه وتجاوزه فانه لقصاص من الابروتستانية الضالة يفتح لها طريق الهدى والارتداد

وها اننا قد شاهدنا علامات هذا الارتداد الى حضن الوحدة الكاثوليكية الذي قد توقفه الاميال والاغراض لكنها لا تستطيع ان تمنعه بل لابد من انه يكون

انما ان الخوف من السقوط في مذهب النطق قد رجّع بعض مذاهب الابروتستانت في انكلترا والمانيا الى التقليدات الكاثوليكية القديمة اي نعم قد راينا هذه المذاهب قد وقفت لحظة لكن هذا الوقوف ان هو الا الخطوة الاولى في الطريق السالك

فاذا ما كثر عدد السايرين فيه رايت الحركة قد عمت ومما يزيدها سرعة مطالعة تآليف الاباء القديسين وتعاليم الاجيال الاولى وكل من طالع الاقدمية المسيحية بتدقيق اقتنع مع العلامة جيبون بان من قد طالع وتفقه لا يسعه ان ينكر هذه الحادثة التاريخية وهو انه في الاربعة الاجيال الاولى المسيحية كانت مبادي الكثلكة وحدها معتمد عليها نظريًا وفعليًا (في كتاب التذكارات الاول فصل ١)

فحينئذٍ يكرر القول مع الكلفينيين في صورة نصوها في سنة ١٧٧٥ وقدموها للملك فرنسا حيث قالوا: إن رجع اليوم ايريناوس وغريغوريوس وكيريللوس واثناثيوس واغستينوس والذهبي الفم الى العالم فانهم لا يرون الفة كانوا اعضاؤها الّا ضمن الكنيسة الكاثوليكية

لعمري ان مثل هذا الاقرار الذي اعترف بو علماء الابروتستانت انفسهم شانه ان يجبر اهل العقول على ان يعنوا النظر ويتاملوا

الفصل العاشر

في ما جرى بين لوتيروس امام الاصلاح الموهوم
وبين كارلوستاد وارباب مجلس اورليمند
من المشاحنة عن تكريم الايقونات

قد ملت اذان اهل المعارف من تفخيم انجيلي بيروت لتاريخ اصلاحهم الموهوم الناشيء عن شدة تمسكهم بالمحال وسعيهم بان يجعلوا الاسود ابيض وكثيرًا ما جاؤوا فيه بمسائل مطروقة وقد سئم اهل العلم لكثرة دحضها وان هي الّا اعتراضات صبيانية لا يعباء بها الشاب الكاثوليكي

الحديث الايام الذي لم يتقن من العلوم سوى مبادي تعليم الدين

فمن جملة هذه المسائل تكريم الايقونات الذي كثيرًا ما ترنم الابروتستانت بهِ وظنوا انهُ لاعتراض عسر الحل وقد حله الطفل الرضيع وعلم ان بين السجود للاله المعبود وبين تكريم ايقونات اصفيائهِ الكرام بون عظيم اذ لم يقصد بتكريم الايقونة السجود لها ولا لمثلها بل انها ذكر ذكرتنا بهِ فنحييه بالاكرام ملتمسين شفاعته

اما نحن فاننا لا نتعرض الى هذا الاعتراض السخيف الذي اذا ما التفتنا اليهِ توهم قوم اهميته بل اتينا بذكر ما ابداه لوثيروس امام المبدعين من المدافعة عن تكريم الايقونات

فقد انبأنا التاريخ الصادق الذي تداولته ايدي الابروتستانت انفسهم واعتمدهُ مشاهيرهم بانهُ لما كان لوثيروس قد وقع تحت الترسيم في قلعة وارتبرج واطلق كارلوستاد العنان لجواد العصيان باذاعة اضاليله وقد داس سلطان لوثيروس وكثيرًا ما داس اراءه وعلم ضد ذبيحة القداس والحضور السري في الافخاريستيا ورذل الايقونات وكانت مواعظه هذه في مدينة ويتمبرج نفسها مهد اللوثرانية جاش لوثيروس وهاج وطعن وقدح واعرب في كتابة كتبها بهذا الشان عما احاقه من الاكدار لا لسبب تعاليم علمها خصمه المذكور فقط بل لسبب سلطان اتخذه لنفسه وزعم بكونه يرتفع بهِ على لوثيروس امام البدعة فقال عن الذين تجاوزوا حدود سلطانه : اني ادافع عنهم لدى البابا لكن كيف اوقيهم من الشيطان لدى ساعة الموت الرهيب متى وقف الروح الشرير امامهم وخاصمهم بكلام الكتاب القائل : كل غرسة لايغرسها ابي تقلع وقوله ايضًا طافوا ولم ارسلهم . فلاغرو انهم يطرحون وتتذير

في جهنم النار (تآليف لوتيروس المطبوعة في ويتمبرج مجلد ٧ وجه ٢٧٣)

قال هذا حتى ولما رجع الى مدينة ويتمبرج تهدد سكانها بالرجوع عما علمهم وبه بشرهم قائلاً : اذا ما برحتم مصرّين على هذه الاحوال رجعت بكلامي وكذبت كل ما قد كتبت وعلمت اي نعم اني ارجع بذلك واترككم وحدكم في الميدان اعلموا هذا وتاكدوا . ترى ما الذي يضركم القداس البابا وي . اه

لعمري قد علم الناس وتاكدوا ان الارتداد يكون عن الضلال فاذا ما ضلّ انسان وتاه رجع عن ضلاله الى الحق المبين واعنده الناس من المهتدين . اما عند اهل الضلال فالامر خلاف على ان لوتيروس قد زعم تعليم الحق والانذار بالحق. وردَّ الناس الى الحق فلما مس اقرانه حبه الذاتي تهددهم بالرجوع عما كان قد علمه . ما هذه الاقوال ايها المبدع فان كنت ضال لِمَ تدعي الانذار بالحق وان محقا لِمَ تهدد جماعتك بالارتجاع فقد علمنا بان ما حملك على طريق سلكتها انما الاغراض والاميال

فنعم ما قاله العلامة بوصويت بهذا الشان ان من طالع تآليف لوتيروس راى ما اذهل منه العقل فراجع التاليف من اوله ليهتدي ما يقوله هذا الرجل ويتحقق هذا الانجيل الجديد الذي يبشر به (تاريخ تغييرات التعليم الابروتستاني كتاب ٢)

فمن جملة تناقضه في تصرفاته ايضاً فضلاً عن تعاليمه هو انك تراه اليوم يطنب بكارلوستاد وفي الغد اصبح عدوه

قد انبانا التاريخ بان كارلوستاد لما طرد من ويتمبرج قصد مدينة ورليمند في ساكسا واخذ وجماعة الانابانيستيين ينادي ضد لوتيروس

ويدعوه متملق البابوية لانه ابقى اثارًا للقداس وللحضور السري

ولما كانت اقواله قد حركت الناس وصار هيجان عظيم امر المللك لوتيروس ان يتوجه الى هنالك ويصلح الاحوال فالتقى وخصمه في بينا حيثما جرت بينهما تلك المشاحنة الشهيرة وابتدت الحرب العوان واياها قد اكدت تاليف لوتيروس والتواريخ الابروتستانية

فلما كان لوتيروس قد خطب وعلم التقى بكارلوستاد في بارجة الدب الاسود اما ما فاها بهِ من الاقوال وقد سرت الحميا في رؤسهما ولعبت الصهباء بدماغهما فنطقوا بما لا يليق ان ينطق اللسان بهِ اذا ما تحدث عن مسائل دينية وتعاليم لاهوتية فلا لوم عليهما ولاعتب واننا ضاربون صفحًا عن صفات القائلين باحثين فقط عما قالوه

فمن جملة الشتائم المحتملة ان لوتيروس دعى كارلوستاد خداعًا ماكرًا فاستشاط هذا غيظًا وصرح بانهُ لا يستطيع احتمال اراء لوتيروس فعندها اخذ هذا يزدري بهِ ويحركه للعدوان قائلاً ان كنت من القديرين دونك وان تكتب ضد اقوالي فانك لعاجز عن ذلك لامحالة فازداد كارلوستاد انفعالاً فالقى اليهِ لوتيروس دينارًا وقال لهُ ضمه اليك ان كنت من المفلحين وقبض احدهما على يد الاخر علامةً لاشهار الحرب واخذا الاقداح وشربا على هذا العهد فضم كارلوستاد الدينار وشرب الكاس ونهض مودعًا خصمه قائلاً لهُ : سالت الله لا عدت اراك الاَّ فوق المشنقة : فاجابه لوتيروس قائلاً سالته تعالى ان تقع فتكسر رقبتك قبل ان تخرج من ههنا (تآليف لوتيروس رسالة الى سكان استراسبورغ)

فهذه مناقشة لطيفة جرت بين ارباب الاصلاح ومثلها ساجات

كثيرة فاها بها على تلك المائدة قبل المفارقة ومن تلك الساعة اشتعلت نيران الحرب بينهما فكانت حقًا حرب عوان

فلا تعجب اذا ما رايت الذين صغوا لاقوال هولاء المبدعين قد حذوا حذوهم بالتبشير بالانجيل فنهض الرفيع والوضيع وحمل الكتاب بايديه واخذ ينذر ويعلم بحسب اهوائه مسندًا اوهامه على الايات الجليلة وما تبقى من مواعظ مثل هولاء الجهلاء اكد لنا صحة هذا المقال

انبأتنا التواريخ بانه في ويرت بلدة بالقرب من نوريمبرغ نهض رجل قروي وقد تجلبب بعباءة وسكين في منطقته والكتاب المقدس بيده واخذ يعظ عن حرية الاختيار زاعمًا بانه يبين من نفس ايات الكتاب الشريف بان الله تعالى هو الفاعل الخطية فينا (ويسلينجير وجه ٥٠)

ومثله قد نهض في اورليمند شاب بيده كتاب الله واخذ يشاحن لوتيروس على تكريم الايقونات ويبين له بان رذلها قد ايده كتاب الله وان كل تفسير وافق تكريمها مرذول وقد جرت المشاحنة بين لوتيروس وارباب مجالس اورليمند على ذلك علنًا

فكان انجيليوا اورليمند قد انتخبوا كارلوستاد راعيًا عليهم فعلّم هذا الراعي رذل الايقونات فحضر لوتيروس بامر الملك لتسكين هيجانًا سببه كارلوستاد بارائه وتعاليمه واخذ يلوم سكان اورليمند على قبولهم كارلوستاد الملتوي بينهم وعلى اصغائهم لتعاليمه المعوجة لاسيما لما علّمه عن رذله الايقونات

فنهض ارباب المجلس واعترضوه قائلين لِمَ تنادي بمثل هذه : تعال نجتمع في مجمع ونتباحث عن ذلك

فمال الى رائهم هذا ولما استقرت بهم الحال في ذلك المكان واخذوا

يديرون الاقداح ويشربون الراح احياء للارواح فتشحذ منهم القريحة فيحسنون الجدال فعندها التفت اليهم لوتيروس ووبخهم على امرين احدها قبولهم كارلوستاد راعيًا عليهم ولم يؤذن بذلك امير ساكسا ولا ديوان ويتمبرج فاجابه اولئك الذوات قائلين ان كان كارلوستاد ليس براع شرعي علينا كان تعليم مار بولس كذبًا وبهتانًا لاننا نحن الذين قد اخترناه واقمناه علينا راعيًا. فلما راهم لوتيروس قد قبضوه من عين عملته اختزى ساكتًا ثم اخذ يونبهم لكونهم قد اخطأوا بتكسيرهم الايقونات والتماثيل قائلاً لهم: كيف يسوغ لكم كتاب الله مثل هذا الارتكاب

فقالوا: اتؤمن بان موسى هو الذي قد نزلت على يده العشر كلمات

اجابهم نعم

قالوا اما ان الكلمة الاولى القايلة لا يكن لك اله غيري قد وليها ما يفسرها وهو لا تصنع لك ندًا ولا منحوتًا فعندها اجابهم قائلاً: قد اعنى الله بذلك عن الاصنام والتماثيل التي يؤدى لها سجودًا اختص بالله

ارايتم يا جماعة اهل ذلك الاصلاح الموهوم كيف اجاب امامكم على اعتراض طالما ترنمتم به. اما ان ذا تفسير جاء به علماء الكثلكة الكرام

هذا وقد استتلى لوتيروس كلامه قائلاً بهذا الشان: اني لست بساجد لايقونة يسوع مصلوبًا ولا لخشبة علق عليها الفادي بل انما قد سجدت لذات الفادي بتكريمي الخشبة وهكذا قال عن ايقونات اولياء الله الكرام مبررًا ذلك التكريم من سمة السجود المختص بالمعبود وحده وقال ان من فهم الخلاف فقد اخطئ واذا ما وجد من تورط بمثل هذا التكريم وانتقل منه الى التعبد المحض فقد تجاوز الحد واقتضى اصلاحه لكن لا يليق بنا

ان نرذل التكريم لكون قد وجد من اساء التصرف به

فلما افحم لوتيروس تلك الجماعة ببرهانه اخذ يخاطبهم بمالوف عبارته المجونية ولاباس من ذلك اذ كانوا واياه محاذين وقتئذٍ للماكيل الفاخرة والنبيذ فالتفت اليهم وقال اذا ما وجد من لم يدرك حقيقة تكريم الايقونات وتوصل الى ان عبد المنحوتات اهل يجب علينا ان نرتجع عن الممدوحات فهب قد وجد من اساء بزيجة سنها الله اهل تهجرون بسبب فعله نساءكم وتطردوهنَّ من بيوتكم واذا ما وجد ما اساء استعمال الخمرة هل تهرقونها على الارض وترتجعون عن شربها مكتفين بالماء

الجزء الثاني

في نخر فوائد الاصلاح الموهومة

قد لاق بنا قبل ان نشرع في الجزء الثاني من بحثنا عن الاصلاح الموهوم ان نقرر ما قد نقدم ذكره في الجزء الاول تسهيلاً على القاري اللبيب . فلما كان ناشر تاريخ الاصلاح الموهوم قد امتطى مطايا الضلال وركب جواد الاوهام وقدم للناس الخرافات بدلاً عن الحقائق بادرنا لكشف الحجاب عن تلك الاضاليل وتسلحنا بحقيقة التاريخ فاهدينا القاري الى الطريق الصحيح واوقفناه على صحة الاثار الجلية التي اوضحت لنا ما كان لوتيروس امام الابروتستانية الذي رام ناشر تاريخ الاصلاح في اقطار سورية ان يستره بثوب الكمال ويوشحه بوشاح العظمة والجلال وينزله منزلة ابطال الرجال وانه الامام الاكبر وجليل الخبر والمخبر. فان سالتني كيف ساغ لناشر ذلك التاريخ ان يضع امام بدعة انطوى تحت لوائها في منزلة عالية ودرجة سامية وسربله بتلك الحلل اجبتك انه يعسر عليَّ جدًا ان اهديك الى ينبوع ما قال ومصدر ما ابان غير اني لقائل الحق وناطق بالصدق المحض بان لاشيء من ذلك في التاريخ ولم ينبئنا عنه صاحب النقل الصحيح

فلذا لما رايت ناشر تلك الاساطير قد ضل عن سواء الطريق اخذت بالتحقيق فجئت بالحجة التاريخية المستندة وبالاثار المعتمدة سدًا لخلل اساطيرن وهداية لمن وقف على اضاليله

فبينا لابناء الاقطار السورية وسكان الافاق الشرقية بتآليف لوتيروس امام الابروتستانية وما كتبه عنه مؤرخوا عصره والذين قد جاءوا من بعده وقد اعتمد اقوالهم مشاهير العلماء ونخب الادباء من الابروتستانت انفسهم فاتضح الحق وزهق الباطل وانقشع الحجاب وعلم كل من قصة لوتيروس واموره ما قد ضرب على محك الادلة الصحيحة والبراهين السديدة وحمي في كور الامتحان وسكب في قالب الانتقاد فكان خلافًا لما سطره ناشر ذلك التاريخ وعكسًا لما لفقه صاحب ذلك التلفيق لكن ليس علينا من حرج فان رام ملامًا فدونه وان يلوم التاريخ فان ذا لقاضٍ عادل لا يأخذ بالوجوه فان ابطى باصدار الحكم والقى حكمه على اولي الفهم فلا باس من التاخير فقد استقامت منه الاحكام ومن انصف لا يلام

فمن رام هداية الى سواء الطريق والوقوف على ما كان حقًا حقيق فقد اهديناه الى محجة الطريق ومن هام الى الاوهام وجنح الى الازعام ورام تعليل المخيلة بالاصلاح فقد اجاد ناشر تاريخ الاصلاح الموهوم بالتمويه واحسن التدليس والتمليق ووشي الزيوف ونمق الالوان فليعتمده من رام الانخداع ويقصده من تاق الى الخرافات واشغل اذهانه بالخزعبلات

اما حقيقة الحال على ما تناقلتها الاجيال فقد اجدنا بها المقال اذ هدينا القارىء اللبيب الى الينابيع الصحيحة والمصادر الحقيقة ذاكرين له ما

حكم به لوثيروس نفسه في اخر حياته عن مشروعه وما نتج عن هذا المشروع من النتائج والمفعول ولما كان من قصد ناشر قصة حياته ان يعطي عظمة لامامه ذاكرًا من تقدمه كانهم طلائع قوته ومهدوا طريقه فاستشرنا التاريخ بهذا الشان فجئنا باحسن تبيان موضحين ما جاء في التاريخ عن سمات رب الاصلاح واقرانه وما امتازوا به من المزايا الخاصة فرايناهم من اهل التمرد والعصيان على كل سلطة شرعية وسلطان بامر المدنية والاديان فتاكد القاري ذلك التمرد القبيح والعصيان الفظيع الذي اهاجته مبادي الاصلاح في الاقطار الجيرمانية حيثما اصبحت السلطة نسيًا منسيًا وبينا له قيمة مشروع ذلك الامام الجاحد وكيف حاول اسناد اعماله على اركان شرعية فانتقدها الانتقاد فكانت افكًا محضًا واطلعناه على تعرضات المبدع لكتاب الله الشريف وكيف انشغل بترجمته فكانت حسب اهوائه فانزلها علماء الابروتستانية منزلة الزيوف وحكموا بفسادها اذ كان عن صحة الاصل ابتعادها ولم نكتم عن مبداء حرية تفسير الكتاب لكل من الناس فجاءت نتيجة هذا المبداء الوخيم بالمفاعيل المضحكة الفظيعة معًا فكان مبداء جهولاً فبانت محاليته اذ لا اسناد له في نفس الكتاب اما بنتائجه الفعلية ومفاعيله الادبية فقد ظهرت للعيان لدى كل انسان فكفاك عنها شاهدًا ذلك المشهد المضحك الذي جرى في بارجة الدب الاسود في بينا

فاذا ما اعتمد القاري على ما قررناه في الجزء الاول من بحثنا اذ انه قد بني على صحة التاريخ الصادق اتخذه مقياسًا قاس به ما اودعه ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم اساطير التمويهية العارية عن كل اسناد والخالية عن كل ادلة فقد قصد مطالعوا التاريخ الوقوف على حقائقه ووثقوا

بايرادات مسطرية لزعمهم انها صادقة ولولا ذلك لما القوا عليها الالحاظ فاين ادلتك الراهنة يا من تعرضت لتاريخ الاصلاح الموهوم وما هي حوادث تذكرها واين حجج تستند عليها فان كانت لا صحة لامور ادرجتها ولا حجة راهنة تسند اقوالك عليها فلمَ تنزل خزعبلاتك منزلة الحقائق التاريخية

وما قد اولانا كل العجب جسارة من برز الى الميدان في هذا العصر والاوان ونشر مثل هذه السلع وبسط كذا بضائع ولم يكتفِ بمثل هذه الازعام بل تعظيمًا لشان ايمة المبدعين الذين فسدوا الدين زعم بان مبدعي الابروتستانية قد ساعدوا على توسيع دايرة المعارف وفتحوا ميدانًا للعلوم والصنائع واعتقوا حرية الشعوب فاولوا فضلاً عظيمًا لكل ما انطوى تحت لفظة تمدن في الاقطار الغربية وان ذا لعمري لخطاء جسيم وضلال مبين

فمن ثم شرعنا في الجزء الثاني بالبحث عن هذا الامر الجزيل الاهمية فازحنا الحجاب عن هذه الازعام الابروتستانية وعرّيناها عن التمويه وبينا سخافة ادلتها وكذب مؤيداتها وخلعنا عنها ثوب السفسطيات لنرى هل يليق ان تذكر بين الحقيقيات فاعتمدنا بذلك قول التاريخ الصادق وما علمته الفلسفة المحضة فعندها يعلم القاري اللبيب كيف يبرز حكمه الصادق على تلفيق ملفق ذلك التاريخ الذي تراه في هذا وفي غيره من الحديثين فلا يدري ما يقول وعن هذا ادلة واضحة تراها في مقالتنا هذه الثانية واذا ما سالته ان اثبت لي يا صاح ما قلته واكد لي حقيقة ما اوردته رايت برهانه قد لبث في شق القلم ودليله في قعر المحبرة وبدلاً عن ذلك عهدته قد امتاز بمزية ايمته الاولين من الطعن ببيعة الله المقدسة

وان مكنته الفرصة او لم تمكن غمس قلمه في وحول ايه الابرونستانية ورشق به بدون حياء ولا تخجل وجوه ابناء الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية

فلذا لاق بنا احياناً ان نتعرض لسوء تصرفاته وقبيح معاملته فمن ثم كان لابد من الكلام عن بعض الحقائق الدينية ونعلم ناشر تلك الاساطير بان طعنه في الكنيسة ركن الدين ان هو الا تجديف وانه قد لا يعلم بانه من المجدفين

لكننا في كل ذلك لا نتسلح بحركات الغضب ولا نغمس قلمنا بمرارة الطعن والقدح ولا نلتفت في الابحاث للاشخاص بل الى المسالة وحدها عنزل عن الناس ولئن اقتدى ناشر التاريخ بمعلميه الاقدمين واخذ بالتفاته الى الكاثوليكيين يركب مطايا الغضب ويجرى به جواد الاحتداد ولئن اعتذر طوراً عن سوء تصرفاته لما نابه من ملام اهل العرض والصلاح على ما فعل في نشرته رايته لم يخل بمبدا امام الاصلاح اذ قال عن نفسه: ان بي كلاباً ثلثة من الاردياء وهذه الكلاب الثلثة هي النكود والكبريا والحسد قد اماتت من عضته واني ممن قد اصطلح مزاجه بالغضب وبه شحذ سنان قريحته فاحسن شي الفته ما لقني الغضب اياه وسطرته وفوادي بنار الاحتداد قد انقد . اه

اما نحن فاننا تاركون هذه الضاريات الثلث الى رب الاصلاح ولمن حذا حذوه فلا يخرجنا نبحها عن دائرة الاعتدال لا سيما وقد تطلبت دعوى ندافع عنها الوقوف عند حدود اللياقة والاداب لان امر الكنيسة الكاثوليكية واحبارها الكرام الذي كثيراً ما تكلم عنهم ذلك التاريخ باحتقار لجهل صاحبه وتوغله في اقفار الضلال يمنعنا عن ان نخوض وحول النذالة مثله اذ لا يليق ذلك باللياقة والمحبة المسيحية

وإننا لقائلون مع احد مشاهير شعراء الاقدمية الشهير بسلامة ذوقه وسمو لطف شعايره : إننا نخوض الميدان حتى وفي هذا الآن رافعين راية الحق فنحارب متأكدين النصر. ونجاهد موقنين بالفتح وراية الاداب منشورة متوكلين على الاله القدير فانه للحق نصير. وللمدافعين عنه ظهير

الفصل الاول

في تفنيد تاريخ القوم الفودوا على ما نشرته نشرة انجيليٌّ بيروت الاسبوعية

سنة ١٨٧٣ (١٥ : ٣٥) وسنة ١٨٧٣ (١ : ١٠)

قد نشرت النشرة الاسبوعية الابروتستانية في بيروت اوراقًا عنوانها تاريخ الفودوا وهو عبارة عن نسيج حكايا وخرافات اشحنت بها تلك الوريقات غير ان عقلاً ثاقبًا اخترعه ويدًا قوية سطرته قد حلّته بالافتراء وزينته بالشتائم على الكنيسة الكاثوليكية وراسها الاعظم ووشحته بوشاح العظمة الفارغة قائلةً ان في مطالعته فوائد للعالم المتمدن

ولسائل ان يسال من هو صاحب تاريخ الفودوا فاني اجيبه في الحال انه قد اخفى علينا اسمه ولا حرج عليه اذ قد تحمله اسباب على ذلك ولا غرو فاني اعذره كل المعذرة لكتمه اسمه الكريم فكيف نطلب منه

يا هذا ان بيح باسمه هل تقصد فضيحته وتروم هتك حرمته أتعزم بان في ذكر اسمه فخر اله لعمري اني لم ارَ رائحة الحكمة في كل ما نشره صاحب هذه الوريقات اما كتمان اسمه فكان عن حكمة تامة كيف لا يدعى حكيمًا من لم يشأ ان ينسب لنفسه التلفيق ويعزي اليها الحكايا والأكاذيب وقد انزلها منزلة التاريخ الصادق

لكن قد خابت منه الامال على انه مهما حاول صاحبنا التنكير فقد ظهر لنا من وراء برقع شفاف فاني لعارف به رجلاً قد اتحفنا بالرد على ردنا كشف التلاعب والتحريف فعبثًا تحاول يا هذا حجبك عن اعيننا فان ما في ارتداع السهام على اليسوعي فان هام من الادعاء الباطل والعظمة الفارغة والعري التام عن الادلة والبرهان آكد لنا بانه وتاريخ الفودوا اخوان توأمان وفاتحا رحم واحد

فقلت بعد ان انتفخ القلب عناء من مطالعة تلك الاساطير ما الذي حمل صاحبها على تلفيقها ورايناه قد هام شوقًا اليها وانشغف غرامًا بتلك الاقوام المجهولة وتعاليم وعوائد عزاها اليهم فاجابني العقل لِمَ هذا الاعتراض أَلا تعلم ان ليس على الذوق جدال وان للناس في ما يعشقون مذاهب فرضخت لحكم العقل وقلت لصاحبنا دونك وان تملئ الصحف فما علينا الآن نزن اقوالك بميزان الانتقاد فيستخرج منها العالم المتمدن ما وعدته به من الفرائد النفيسة

لكن من تكرم بهذه المواعيد وجب عليه ان يسندها على اسانيد فترى على مَ اسندت تاريخك ان قلت على مخيلتك فانها محكمة بالاوهام لا بالتاريخ وان قلت على تواريخ صادقة فقد كذبتك واقعة الحال فلا يكفي التاريخ ان يدعى تاريخًا بل قد وجب اسناده على صحة القول

والنقل واين هذه الصحة من اساطيرك حيث اطنبت بمديح القوم الفودوا فقدمتهم للناس مثالاً واستغليت كلامك قائلاً : ان تعليمهم هو عين تعليم الابروتستانت

ان الفودوا اقوام ذوي رفض وتعصب وهذا ما لا يختلف به اثنان اما قولك ان تعليمهم هو عين تعليم الابروتستانية فهذا محض المذيان على ان التاريخ الصادق قد اعلمنا موكدًا وانبانا محققًا بان الفودوا قد صاروا ابروتستانت منذ عهد بوسير وايكوليمباد من ايمة الابروتستانت وان الفودوا لعظم ما قاسوه من الاحتجاج من قبل الابروتستانت تركوا جانبًا من تعاليمهم القديمة وانفسدوا بتعاليم الابروتستانية فما مثلهم الامثل بعض مسيحيي المشرق اولئك الذين يكفرون بمذهب ابائهم وينحازون الى الابروتستانية انحيازًا

ففي ما قلناه محض الصحة التاريخية وعن ذلك ياتي البرهان الساطع والدليل القاطع أما الذي حمل هذا المؤرخ الابروتستاني على هذا الزعم الفاسد فهو انهُ لما رام يجلبب بدعتهُ بجلباب القدمية وشحها بوشاح الفودواوية وقال عن هذه انها ذات قدمية رسولية وقفز من الجيل الثامن والتاسع للدين المسيحي الى الجيل الثالث وان هو الا مشعبذ يقفز على سلسلة التاريخ وهل تنكر عليهِ خفة الحركة وقد قفز فوق أجيال ثمانية

فكذب ما كذب ولفق ما لفق في عصر يدعى عصر الانوار والابلغ من كل ذلك انهُ صاحب تاريخ الفودوازعم ان في ما سطره فوائد لتمدن العصر . إلامَ تمتطون يا ايها الاقوام مطايا الاكاذيب وما الذي تقصدونهُ بهذه الاساليب هل خلتم السوريين العوبة بهم تلعبون

ام توهموهم انهم بكذبكم لايشعرون ولفساد بضاعتكم لاينتقدون.
مهلاً يا ايها الاقوام فان كنتم لاتلتفتون احتراماً الى السوريين فان السوريين قد غاروا على شانكم وراموا انكم تضربون عن خزعبلاتكم وما ذاك الاّ حفظاً لاعتباركم

فقد قضى العقل الثاقب على اساطير انزلتموها منزلة التاريخ وميّز الاهاون بين الصحيح والفاسد غير انه زيادةً للايضاح باشرنا بتفنيدها مستندين على اشهر علماء الابروتستانية فمنهم العلامة هيرزوغ معلم التاريخ في اشهر المدارس الكلية البروتستانية في المانيا الذي قد نشر متاخرًا في هالل سنة ١٨٥٣ تاليفًا نفيسًا (سماه فودوا الرومانية) بين فيهِ ما ارتكبهٔ ابناء ملته من الاضاليل التاريخية ولفقوه من الحكايا الخزعبلية لاسيما في التواريخ الفودواوية

فان نابك يامن اتحفت سورية بتاريخ الفودواوية صنعة صنعك بها العلامة المشار اليهِ فلا حرج علينا بذلك اذ قد ادبك ابن ملتك وكذبك علامة مذهبك

نشدتك باله الحق ان تتصفح وجه ٢٩٨ من صفحات تاليف العلامة هيرزوغ المشار اليهِ فترى اسمًا سماك بهِ ومن حذو حذوك اى من حذوت حذوهم فلا غرو انك ان سمعت بهذا الاسم كتمته كما كتمت علينا اسمك غير اننا افادةً للعالم المتمدن ابحنا بهِ وقلنا ان العلامة المشار اليهِ قد سمى ملفقين لاموءرخين اناساً قصوا قصة الفودوا على ما قصها صاحب الوريقات وابان تلفيقهم كالشمس في رابعة النهار وفي ما اورده من البراهين الساطعة والادلة القاطعة ما يقنع العاقل محب الحق ويخزي كذب الكاذب الجانح عن محجة الحق

الفصل الثاني

في تاريخ القوم الفودوا على ما افادنا به التاريخ الصحيح

لعمري من هم الفودوا وهل تعاليمهم هي عين تعاليم الابروتستانت على ما زعمه صاحب تاريخ الاصلاح في تلفيقهِ فاننا قد اعتمدنا في هذا البحث كلام العلاّمة هيرزوغ الابروتستاني المار ذكرهُ لحكمهِ الصائب العاري عن الاغراض فقد افتتح هذا العلاّمة بحثهُ في هذه المسالة بكلام الاناء المصطفى القائل: لا نستطيع ان نعمل شيئًا يضاد الحق بل ما فيهِ النصرة للحق (قرنتية ثانية ١٣ : ٨)

فان العلامة المذكور لما علم تلاعب جماعته بصحة التاريخ واتضحت لديهِ الحقيقة ابى الاّ ان يبيح بها قائلاً عن نفسهِ اني عالم بكون كثيرين قد تعاموا ميلاً نحو الفودوا ويشق عليهم جدًّا ان يروا بناء ادلة واهنة بنوها على احتيال دعوه مقدسًا قد هبط لكن ما العمل فان التاريخ قد بني على الحجج الراهنة والادلة القاطعة وليس هو تلفيق تخترعه المخيلة

فعن السوال الاول وهو: ما هم الفودوا فقد اجاب التاريخ قائلاً: ان الفودوا هم صعاليك ليون وقد تسموا باسم بطرس فالدو الذي ولد في قصبة تدعى فود من ولاية الدوفيني في فرنسا وتسمى باسمها

فقد دعوا هولاء الاقوام صعاليك ليون لفقر كانوا يزدهون بهِ ولما كانت مدينة ليون تُدعى وقتئذٍ لاونا (لفظة لاتينية) دُعوا هولاء الاقوام ايضًا لاونيين نسبةً اليها

ثم انهم كانوا يُدعون ايضًا اينساباتيس وهي لفظة غالية اي ماخوذة عن لغة الغلوا القديمة معناها حِذاء وذلك لاحذية خصوصية كان الاقوام المذكورون يحتذونها وقد شقوا وجهها الاعلى فبان ظهر اقدامهم على مثال الرسل الكرام . وقد ذكرنا هذا الحذاء واللقب لانها من سمات هولاء الجماعة الخاصة على ما يتضح لديك في ما ياتي تقريبا

فاذا كان ذلك فدونك الان ملخص تاريخ الفودوا على ما نصهُ موّرخوا اعصارهم الذين عرفوهم واطلعوا على احوالهم وتعاليمهم وشاهدوا تصرفاتهم وظهرت لهم مقاصدهم

قال المؤرخ رينير في كتاب عنوانه الارانقة وقد كتبهُ في سنة ١٣٥٠ ان فالدو الرجل التاجر من ليون لما كان باجتماع مع اهل حرفته وقد اثر بهِ موت فجائي الم وقتئذٍ باحد اغنياء تلك المدينة بادر حالاً فوزع ماله على الفقراء وضم لنفسهِ جماعة وعلمهم الفقر الاختياري وان يقتدوا بسيرة السيد المسيح لاسمهِ السجود وسيرة رسلهِ الكرام

قال المؤرخ بطرس بيلكدورف (في كتابهِ الرابع ضد الفودوا وهو شاهد عيان للفودوا في حال سطوتهم فاعرب عن تعاليمهم وعن سيرتهم بعبارة جلية ان الرجل المسمى فالدو لما كان قد اثر بهِ تعليم الانجيل عن فضيلة الفقر توهم ان الحيوة الرسولية قد اضمحلت عن وجه الارض فرام تجديدها فباع مقتناه فحذا حذوه كثيرون وانضموا اليهِ لاجل هذه الغاية

هذه هي حقيقة اصل الجماعة الفودوا غير انهم اخذوا مع الايام يختلقون اخلاقًا جديدة

افاد العلامة ايبرارد من بيتون في تاليفهِ الذي عنوانهُ ضد

الارطقة انه من مزايا العوام الفودوا ازدهاءكان عن عجرفة وفقرٌ قد جُبل بطين البطالة . قال انك ترى هولاء الاينساباتيس حفاة الارجل او بالحري قد احتذوا احذية مكشوفة الوجه فيستعطون ولا يقتاتون الاّ من الصدقة غير انهم يُعابون لتظاهرهم وتفاخرهم

فان مثل هذه التطرفات المجبولة بالاميال الشاذة لا تقف عن حدود على ان الفودوا لم يلبثوا قليلاً على هذا الفقر الرسولي الموهوم الاّ قد اخذوا يعتبرون على ما انبانا به العلامة بطرس بيلكدورف ان الرسل لم يكونوا فقراء فقط بل كانوا ايضاً مبشرين بالانجيل فشرعوا من ثم يبشرون اقتداء باثار رسل الله الكرام فادعى التبشير رجالهم ونساؤهم . فلما كانت بيعة الله المقدسة قد ايتمنها تعالى وحدها على رسالة تعليم الامم ووعدها الكلمة المتجسدة بانه يكون دائماً معها . هل تسكت عن جهل الجهلاء وحماقة الحمقاء . لالعمري بل انها قاومت جنونهم فقد لفق صاحب تاريخ الاصلاح هذه المقاومة تلفيقاً ناسب مجموع تلفيقه فقال عن الكنيسة : انها عاملتهم ضرباً وقتلاً فسفكت دماءهم وداست على جثث قتلاهم وناهيك وناهيك . . "

اما التاريخ الصادق والنقل الصحيح المثبوت بادلة راهنة وحجج قاطعة فقد ابانا بان الكنيسة لما كانت اماً فقد عاملتهم بحنو والدي ساعية مدة ٥٠ سنة بترجيع هذه الاغنام الضالة الى حظيرة الخلاص فارشدتهم وعلمتهم وجادلتهم وباحثتهم فنص لنا الاب برنردوس دي فونكولد ما جرى في مباحثات حضرها فقال . فمما وقع على الفودوا من اللوم دعواهم بالتبشير رجالاً ونساء قهراً عن نهي الرؤساء لاسيما وقد ثبت من كتاب الله الشريف ان النساء يلزمهنّ بان يكنّ في

البيعات صوامات فان ليس ماذون لهنّ في ان يتكلمنَ بل يخضعنَ (قرنثية اولى ١٤ : ٣٤)

فكان الحكم المحكم على هذه المباحثة رجل امتاز بتقى وقداسة وهو حضرة بطرس المعروف باسم رايموندرس ديفانتير

انما ان ذا دليل قاطع على طول اناة بيعة الله المقدسة اذ انها قد صرفت خمسين سنة كاملة تباحث هولاء الاقوام وتجادلهم ولم تهدِ نحوهم شيئًا يغاير الحنو الوالدي والغيرة الرسولية

ففي سنة ١٢٠٦ جرت مباحثة اخرى معهم فظهر فيها خداعهم وقصرت حججهم على ما انبانا العلامة بطرس دي فوشيرني في تاريخ الالبيجيين

فاخيرًا في سنة ١٢١٢ حضر الفودوا الى رومية وقد التمسوا من السدة الرسولية التصديق على بدعتهم

قال المؤرخ الاب كونراد دورسبيرج وقد عاين هولاء الاقوام وقتئذٍ في رومية ان ما قد اثر بسكان رومية وبالحبر الاعظم نفسه مشاهدتهم غرابة هولاء صعاليك ليون الذين قد امتازوا بتظاهرهم بفقر رسولي واحذيتهم المكشوفة الوجه وان جمعياتهم قد وطأت شان الكنيسة والكهنوت فاندهل البابا من ازدهائهم بتلك الاحذية وبقلنسوة غطت روسهم على مثال الرهبان وبشعورهم الطويلة نظير العوام

فلا غرو ان مثل هذه الغرابات تخفي تحتها ما كان مرذولاً وتنتهي باهلها بما لا يرام من التورطات

فقد اتضح مما تقدم حال هذه البدعة في انتشائها. فان هي الا ضرب اخر من شيعة الدوناتيستيين الذين كان يحاربهم القديس اغسطينوس

في عصره اما الفرق بينهما فهو ان الدوناتيستيين كانوا يعلمون ان الاسرار تمنح النعمة بفعل الفاعل لا بفعل المفعول اما الفاعل فهو كاهن اما الفودوا فقد علموا هذا التعليم عينه غير ان الفاعل عندهم قد يكون كاهنًا او عاميًا لاسيما اذا احتذى احذيتهم الرسمية وقد توصلوا الى هذا الحد بعد مدةٍ لشكهم بسيرة بعض الكهنة فارتاوا منح الاسرار من العوام اذا كانوا اولي سيرة ممدوحة هذا ما قاله المورخ بطرس بيلكدورف

فاذا كان ذلك هل يسوغ لصاحب تاريخ الاصلاح ان يقول ان تعليم الفودوا هو عين تعليم الابروتستانت فيما ان هولاء ينكرون الاسرار واولئك يقرون بها حتى وقد منحها عوامهم فاين الاسرار عند انجيلي بيروت واين الاعتراف واين الحل واين الالتجاء الى حكم الحبر الاعظم فهذه كلها كانت عند الفوداوين وان ضلوا تعليمًا

فهذا هو اصل الفودوا وهذا تعليمهم فاذا كان ذلك فعلى محب التمدن ان يقدم لنا الفوائد الناجمة للعالم المتمدن عن تاريخ الفودوا فلقد تكون هذه الفوائد محصورة على ما في عقل صاحب تاريخ الاصلاح باحذية هولاء الاقوام وهي ان تكون نعلًا لا وجه له يقي الاقدام ويعرض ظهر الارجل للحر والبرد او لمجرد التظاهر بالتقشفات .

فعليهِ اذًا وعلى من اصاخ سمعًا لتلفيقاتهِ ان يحذو حذو هولاء الاقوام الذين هم مثال التمدن لديهِ

اما بيعة الله تعالى فلم تكن لتلتفت لمثل هذه الغرابات رأيًا وتملقًا بل قد اقيمت من الله حكمًا معصومًا بامر التعليم والتهذيب فبحثت في بدعة الفودوا فراتها ضربًا من الجهالة فلذا لم تعقد مجمعًا وتحرم عقائدهم

على ما فعلت ضد الابروتستاست وهذا دليل واضح على البون الظاهر بين البدعتين لا على عين التعليم على ما زعم صاحب التاريخ الموهوم

فان كل ما جاء عن عمل الكنيسة وقد تعلق بامر الفودوا هو ان المجمع اللاتراني الذي عقده البابا اينوشنسيوس الثالث قد لمح بعض التلميح عنهم بحرمه الاراطقة اذ ضم اليهم ايضًا اولئك الذين قد نسبوا لانفسهم بجحة التقوى سلطان التبشير ولم يكونوا مدعوين

قال المؤرخ كونراد دورسبورج : في تلك الاثناء ثبت البابا قوانين الرهبان الصغار المنطوين تحت قانون القديس فرنسيس مثال التواضع ليكونوا مثالاً للفقر المسيحي وللطاعة التامة فكانوا حقًا فقراء انجيليين لا اهل ازدهاء وعجرفة وتعنت وعناد نظير الفودوا

الفصل الثالث

ان ملفق تاريخ الفودوا الانجيلي البيروتي قد اتخذ تلفيقاته سلاحًا يحارب بهِ بيعة الله المقدسة طاعنًا بحق روسائها الكرام وقادحًا بحق ابنائها الصحيحي الايمان

لما كان لكل ملفق من غاية قصدها ولكل محرف من مقاصد اعتمدها وكان ارباب تحريف كتاب الله الشريف وملفقي تواريخ

وهمية لم يقصدوا بالتحريف مجردا للتحريف ولا بالتلفيق مجرد التلفيق بل قد حرفوا وصحفوا ولفقوا وكذبوا لغاياتٍ قصدوها ولمآرب ابتغوها لم نكتفِ بدحض ارائهم وبيان فساد مقاصدهم وتفنيد ازعامهم بل قد تتبعنا خطواتهم وقشعنا البرقع عن خبث دسايسهم

فلو كان ملفق تاريخ الفودوا قد وقف عند مجرد التلفيق لكان ما قد بيناه من وهن ادلته وكذب اساطيره كافيًا لخزيه اذ قد تكلم التاريخ الصادق وظهرت الحجة الراهنة واتضحت اقوال التواريخ الصادقة وانجلت حقايقه الباهرة ونهض حتى علماء الابروتستانية انفسهم وسدوا فاه الملفقين لصحة انتقادهم وتسلح العلامة هيرزوغ الابروتستاني بعصا التاديب فادب كل ملفق لتاريخ الفودوا فاتضح من ثم تلاعب المتلاعبين وبان فساد المفسدين فوسمت جباههم بسمات العار فاصبحت عبرة لمن اعتبر

غير ان الذين قد حملتهم الوقاحة على التلاعب لم يكونوا ليقفوا عند هذا التلاعب بل قد ركبوا مطايا التلفيق لينزلوا ميادين الافتراء شاحذين اسنة الطعن وراميين بسهام القدح هتكًا لحرمة الاداب ودوسًا لحقوق اللياقة فافتروا على ما كان مقدسًا وشتموا من قد استووا على عرش الحق وناضلوا عن الدين والعدل فاتشحوا بلباس الحرمة فاحنى اهل الاعتبار لهم الرؤوس اعتبارًا واحتفوهم بجيوش الاحترام وعاملوهم بما لاق من الاكرام

فلذا لم نكتفِ باعلان تلفيق الملفقين وكشف البرقع عن محيا فساد المفسدين بل نازلناهم بالمضمار وبينا هذرهم بما افتروا به على الاحبار العظام وبثوه من سمهم الناقع ضد تعاليم بيعة الله المقدسة واشاعوه

من الاكاذيب المسودة وجه مخترعيها بقصد ان يسودوا محياها الوضاح فاعلن فساد مقاصدهم كما قد انضح تلفيقهم وتلاعبهم

لعمري انما يخجل ملفق تاريخ الفودوا وقد اشاع اموراً يخجل من نشرها بين الامم الهملة افلا يغطي وجهة العار اذا نشرها بين شعوب سورية انما يحترم ابناء الوطن من سوريين وعرب وكانة لا يحتسب طوائفها الكاثوليكية بشيءٍ وقد افترى على بيعة مقدسة تمسكوا بعرى تعاليمها الوثيقة وتعلقوا بسدة رسولية جلس فوقها من نشر راية المدافعة عن حقوق الضمير وحرية الاديان فقابلة ابناؤها بمزيد الامتنان واحتفوه بجيوش الاحترام واتحدوا بالسدة الرسولية وبالمجالس عليها كل الاتحاد حتى عاد ابناء الكثلكة كلهم واحد . ومع هذا قد كشف ملفق تاريخ الفودوا عن جبين الوقاحة واخذ يطعن ويقدح ويفتري ويشتم ولضعف مخيلته قد زعم ان ليس من يردعه ويكبح مطية وقاحته

فلاجل ان لا يخال لانسان باسا قد تغالينا باظهار افترائه واعلان فساد ايراداته ادرجنا اقواله بحروفها زيادة لخزيه وايضاحاً لمكره

قال وهو اكذب القائلين : وبقي الفودوا في راحة وامنية من القرن الثالث حتى الحادي عشر اي من ايام قسطنطين الى ايام هيلدبراند . اه (نشرة عدد ٥١ سنة ١٨٧٢) مريداً بذلك بيان عظم ما قاساه القوم الفودوا من ظلم بيعة الله المقدسة لكن فليقل لنا هذا الملفق كيف تظلم بيعة الله اناساً لم يكونوا بالوجود وكيف تسيء معاملة من كان في حيز العدم فاين كان الفودوا في الجيل الثالث حتى الحادي عشر حتى تحاربهم بيعة الله المقدسة هل وجد رجل فودوي قبل الجيل الثاني عشر فانما قد ظهر الفودوا في ايام حبرية البابا

لوسيوس الثالث في اوايل الجيل المذكور فمن ذا الذي يتفخ على نشر هذه الاكاذيب ويتسلح بها طعنًا على بيعة الله الحق سوى ملفق تاريخ الفودوا

قال وقد تركتهم في راحتهم حتى عهد هيلدبراند حتى اخذت رومية تحاربهم وغيرهم كثيرين من المؤمنين اعداء الوثنية الرومانية (عدد ٥٠ و١٥ سنة ١٨٧٣) .

واسفاه على سخافة عقلك ايها الشهير بين الملفقين افلا تعلم بانهُ ما من ابروتستاني اتصف ولو بما اقل من المعرفة والدراية توهم شبه صحة ما افتريت بهِ على بيعة الله المقدسة حتى ان اشهر ابناء الابروتستانية قد نهضوا ضده ودافعوا عن تعاليم كنيسة رومية الصحيحة وبينوا افتراء جماعتهم على هذه الكنيسة الوطيدة الاركان ونادوا علنًا بان ما تفتري عليها الابروتستانية من امر الوثنية ان هو الأَ محض الاكاذيب وحجة اوهن من بيت العنكبوت وها قد نهضت ايها الملفق تكرر مثل هذه الاقاويل الفارغة وتفتري حتى على كنيسة المشرق في ارض الشرق وقد ثبتت قدمية تعاليمها الروحية قل لنا علامَ تستند في قولك ان الكنيسة الكاثوليكية وثنية فاننا ندع اصغر ابناء الكنيسة الشرقية في هذه الاراضي الشرقية ان يعالجك بما يخجل وقاحة علت جبينك فجملتك على الطعن ولم تدرِ ما تقول

فما يزيدك خزيًا على خزي وعارًا على عارٍ افتراؤك لا على اطراف الناس اوعلى ذوات مهمولي الذكر بل على حبرَين جليلين نخبة الاعصار وزينة الاقران وان هما الأَ كوكبان قد سطعا في افاق الاجيال الماضية بنيرتها الوقادة وقريحتها الجوادة وحكمتها الضاربة

بها الامثال وفضيلتهما الساطعة الانوار حتى نهض علماء الابروتستانية انفسهم ودافعوا عن هذين الجليلين ردعًا لوقاحة سفهاء الابروتستانية وايضاحًا للحق ففند اولئك المشاهير افتراء المفترين ودحضوا اقاويل اهل الاقاويل وبرروا ذينك الحبرين الجليلين وبددوا هباء القول الوهم عن محيا ذكرهما السعيد وفضلهما الذي ما عليه من مزيد

افما عثرت ايها الملفق على ما اذاعه علماء ابروتستانيتك انفسهم مدافعةً عن ذكر هولاء الاحبار الكرام افما ذكر لك انسان من ملتك ابولوجية غريغوريوس السابع للعلاّمة غاب البروتستاني اما اطلعت على مدافعة العلاّمة ليو معلم مدرسة هال الكلية افما سمعت بما اذاعة الدوكتور بوردين في لوندرة في سنة ١٨٤٩ مدافعةً عن ذكر البابا غريغوريوس السابع الذي اتهمت عليه بالافتراء

فاينك عن تصنيف العلاّمة فويت المدارسي معلم كونيسبرج وقد طبع طبعة ثانية في بجهرسنة ١٨٤٦ فان هولاء وغيرهم من علماء الابروتستانية المشاهير قد اجمعوا مع العلاّمة جان دي موليرالمورخ السفيسري الابروتستاني معترفين للبابا غريغوريوس السابع ببسالة الابطال وشجاعة الجبار وفطنة المشترعين وغيرة الانبياء

فلا بد لك من امرين اما انك قد عرفت تآليف هولاء العلماء فمع ذلك افتريت على ذلك الحبر الجليل الذي اثبتوا فضايله الشريفة فكنت اكذب الكاذبين واما انك قد جهلت امرها فكنت اجهل الجهلاء واحمق الحمقا فنزلت ميادين العلوم التاريخية متسلحًا بجبهة نحاسية ولم تعلم الكوع من البوع

فقد افتريت ايضًا على البابا اينوشنسيوس الثالث فقلت : ولما

اخضعت البابوية الملوك والسلاطين اخذتهم وسيلة لقهر الشعب فهيج البابا اينوشنسيوس الثالث فيلبوس ملك فرنسا ان يقيم حرباً على الالبيجيين في الجنوب فحمل عليهم وبذل فيهم الصوارم رجالاً ونساء واطفالاً ودرس رسوم اطلالهم حتى افناهم عن وجه الغبراء. اه (عدد ٥١)

هل ادركت ما قلت وفهمت بما به قد تكلمت عن هذا الحبر المفضال زينة الاجيال الذي اجمع على مدحه علماء مذهبك الابروتستاني فدعوه رب الافضال اي نعم عن اينوشنسيوس الثالث قال علماء الابروتستانية انهُ قد ساد عصره بجود قريحته وذكاء نيرته فاولى التمدن نعمة احسان الحرية اذ قد انقذه من ظلم العظماء ونجاه من تعديات الكبراء

اعلم يا ايها الملفق ان فريديريكوس هورتير رئيس ديوان شافهوز الابروتستاني قد سهر الليالي في تصنيف ما بهِ قد بين فضل البابا اينوشنسيوس الثالث مدافعاً عن هذا الحبر الجليل من افتراء تلاعب بعض الابروتستانت الذين اراك قد اخترت لنفسك المقام بينهم وقد بنى العلّامة المذكور تصنيفهُ ذلك الشهير على مراسلات البابا المشار اليهِ فلا غرو ان من اطلع عليهِ لا يتجراء ان يفوه بما عثرنا عليهِ في النشرة الاسبوعية

فقد وجد العلّامة هورتير كتابات اينوشنسيوس الثالث في غوتينغ فاطلع عليها وتامل سامي معانيها وبحث في ظاهرها وخافيها فكانت سبب ارتداده عن الابروتستانية فجحد تعاليمها وكشف البرقع عن فساد مساعيها

فانه كلما تعمق العلّامة المذكور بتلك السطور الكريمة

استشاط غيظاً على ابناء ملته الذين تلاعبوا بالتاريخ بقصد الافتراء القبيح على ذلك الحبر الجليل صاحب اليد البيضاء على الجنس البشري على ما وصفه العلاّمة المذكور فسئمت روحهُ اكاذيبهم وكيف قد شنعوا بحق هام بيعة الله المقدسة التي احسن ادارتها العلية سنين عديدة حتى قال عن نفسهِ ان مطالعات طالعتها ودروساً درستها لكي اتمكن من تصنيف تاريخي عن البابا اينوشنسيوس الثالث حملتني على ان امعن النظر بحسن بناء الكنيسة الكاثوليكية العجيب فانذهلت لعزم احبار اداروها مدة اجيال عديدة واعتجبت من تيقظ سهروا بهِ على اتحاد التعليم ونقاوته معاً فعندها تمثلت في اذهاني تقلبات البدع الابروتستانية ومذلتها بخضوعها للسلطة البشرية وانقسامها على ذاتها واستبداد كل من ابنائها بتفسيرهِ الكتاب المقدس حسب اوهامهِ فما حرب انقدت نيرانها على البيعة الكاثوليكية في كل عصر وزمان وما جهاد جاهدته هذه الكنيسة بازاء الاخصام الاّ قد اثر بروحي تاثيراً خلاصياً . اه

اي نعم قد طالع العلاّمة المذكور التعاليم الصحيحة وتبصر بالاقوال الصادقة وميز بين الحق والباطل فسعى مع النعمة فجحد الاضاليل وارتد الى حضن بيعة الله الحق وافاد اهل العلم فوائد سامية يرضخ لها العقل الثاقب والراي الصائب فليت ابناء ملته يحذون حذوهُ وقد سطعت انوار تعليم بيعة الله الحق فابهرت ابصارهم فتعاموا بدلاً عن ان يهتدوا: سألنا الله الانوار ان ينير عقولهم فيرجعون عن ضلالهم ويدخلون حضن كنيسة الحق فيحيون النفس بتعاليم الحق راذلين التلفيق وكافرين بالتدليس والتمليق

الفصل الرابع

في حال الفودوا في عهد ابروتستانية الاصلاح

فلاجل ان تكون الفوائد تامة والمنافع للعالم المتمدن كاملة من تاريخ الاصلاح وجب على من يعثر به ان يتبع خطوات ملفقه جميعها فيهتدي كل الاهتداء لتلك المقاصد السنية والمآرب السامية ولما كنا قد اشغلنا حتى الآن في تفنيد تلفيق الملفق في ما اورده عن الفودوا قبل ظهورهم في الكون وفي الاجيال المتوسطة بقي علينا الآن ان نبحث في ما زعمه عن هولاء الاقوام بعد ظهور الابروتستانية وقد انقسم هذا البحث الى قسمين اولها قول الملفق ان تعاليم الفودوا والابروتستانت واحدة وان ما علمه اهل الاصلاح هو طبق تعليم الفودوا والعكس بالعكس حتى ان الابروتستانية لم تزد او تنقص شيئاً على تعاليم وجدت الفودوا متمسكين بها منذ انشائهم . والثاني هو مجد عظيم وفخر جسيم حازه الفودوا من الاستشهاد بسبب اضطهاد الكاثوليكيين حتى نظمهم الابروتستانت في سلك شهداء الايمان اذ انهم قد احتملوا لاجل الدين وكابدوا مر العذاب حباً باليقين

اما الطرق التي سلكها ذلك الملفق بياناً لمدعاه وتابيداً لفساد دعواه فهي من جملة غراباته وفرائد درر خزعبلاته

ففي الاول قال الملفق (نشرة عدد ١٥ سنة ١٨٧٢) واضعاً لمطالعي اساطير قوم الفودوا مثالاً للفضل والفضيلة وان تعاليمهم هي نفس تعاليم الابروتستانت الحديثة وفي عدد ١ سنة ١٨٧٢ قال ان الفودوا

انكروا حضور بطرس الرسول الى رومية ولبثوا اجيالاً عديدة يتكلمون جهارًا بكون البابا مسيحًا كاذبًا والقربان الاقدس المسجود له صنمًا والمطهر بدعة لا اصل لها وكانوا من المقاومين الابتداعات الباباوية ويضحكون على عبادة القديسين وذخائرهم ويهزاون بالرهبان والكهنة وهلمّ جرًا

فنقول ان حال الفودوا لدى ظهور الابروتستانية من امر التعليم هي حال بعض ابناء الاقطار الشرقية الذين غب ان كانوا قد اقتنصوا باحبولة الضلال كفروا بعقائدهم القديمة فاصبحوا ابروتستانت فعندها اذا ما ادّعى ابروتستاني ان تعليم ذلك الرجل الشرقي المرتد عن دين ابائهِ وتعليم الابروتستانت واحد صح مدعاه لكن لا لان ذلك الشرقي كان على ذلك التعليم سابقًا بل غب ان صبغة الابروتستانت صبغتهم صح بهِ مقالهم فهكذا قل عن القوم الفودوا فانهم قبل ظهور الابروتستانت كانوا يعلمون تعاليم ذكرناها سابقًا وهي خلاف تعليم الابروتستانية لكنهم لما اصطيدوا بشباك الابروتستانية ونشربوا تعاليمها اصبحوا والابروتستانت على تعاليم واحدة ولذا صح قول الملفق فيهم من هذا القبيل لا من قبيل مدعاه بان الابروتستانت وجدوهم على تعاليم الابروتستانية

وعن زعمهِ الثاني قال في عدد ١٥ من نشرتهِ سنة ١٨٧٣ : ان الفودوا لبثوا مدة اربعة اجيال موضوع اضطهاد رومية فدافعوا عن انفسهم بالاسلحة وانك كنت تراهم حينئذٍ اناسًا قليلي العدد فقراء متواضعين قد نهضوا رغمًا عنهم للدفاع عن انفسهم من اعدائهم الالداء فكانوا يذرفون العبرات على من سقط من خصمهم رحمةً وشفقةً .....

رحم الله دموع الملفق فلا غرو ان الاحشاء تذوب حزنًا على حال هولاء المصابين لمجرد وصفهِ حالهم حتى ان قال: كثيرًا ما كانت جيوش البابا تزحف على اراضي اولئك الودعاء ويفتكون بهم فتك الذئب بالحمل ويجبرونهم على هجر بلادهم

فاعجب من ملفق أَفنا خال لاذهانهِ ان التاريخ يكذبهُ وتبدد انوارهُ ظلام اوهامهِ فقال: قد اضطروا ان ياووا كهوف الجبال هربًا من جيوش مازارين ولويس الرابع عشر التي كانت تطاردهم ولا تتمكن منهم. كيف لا تذوبين ايتها النفس حنوًّا عليهم وهم قد انشغلوا في خلوتهم بقيام الصلوة ويتعلمون التعاليم الرسولية ويترنمون بزبور داود النبي حتى يخال ان صخور تلك الشعاب تترنم معهم ... (عدد ٥١ سنة ١٨٧٣)

لعمري قد تقطعت احشائي اسفًا على حالة هولاء المترنمين بالزبور الالهي والمتواجدين في تلاوة كتاب الله اعني بهِ كتابًا حرفهُ الابروتستانت والقوهُ بين ايديهم

غير ان الملفق لاجل ان يبدع في وصفهِ تلك الحوادث ولا يدع طرفًا من التلفيق يفوته كان لا بد له من ادخال اليسوعيين في تلك الاضطهادات فقال نشرة عدد ٥٢ سنة ١٨٧٣ وفي سنة ١٥٤٠ اثارت جمعية ليولاى اليسوعية حروبها العامة على التمدن (يعني الاصلاح الابروتستاني) القادم في اوربا وكانت دسائس اليسوعيين وصرامة عقاباتهم قد اجبرت الامم على الخضوع للبابا فهدوا سبيلًا لاذاعة تعاليم كنيسة رومية المختلسة

فيا للعجب كل العجب كيف قد اغرى اليسوعيون الناس على

طاعة البابا آنفا كان يجب عليهم ان يغروهم على عصيانهِ حتى ان البابا واليسوعيين قد اغروا كارلوس الخامس فاوقد نيران الحرب على الابروتستانت . هذه تلفيقات الملفق

فاشرقي الآن يا انوار التاريخ الصحيح وانيرينا في ديجور ظلام الملفقين نشدتكِ باسم الحق ان تسفري عن محيا الحق فاين نحن وفي اي التيه قد ضللنا ومن الذي به الى هذه الوهاد قد استاقنا ومن ذا الطاغي القائد العميان فيسقط واياهم في حفرة الهلاك فليذهب المحال الى الوراء وانت ايها الحق السائد على عقول الانام انطق فنحيا بكلمتك .

قال التاريخ : لما كانت تعاليم الاصلاح الحديثة قد نجحت في عقول القوم الفودوا وحيوا بروح خلع الكلفينيين المتمرد فتفاوضوا مع الابروتستانت في سنة ١٥٣٠ فقلبوا المجن وحملوا الاسلحة واملوا نجدة من لدن الذين حركوهم الى الشر . ففي سنة ١٥٣٥ اولاهم فرنسيس الاول هدنة لكنهم في سنة ١٥٤٢ او ١٥٤٣ اجتمعوا للقتال وحملوا السلاح وهدموا الهياكل ونهبوا الكنائس وارتكبوا الفواحش (راجع تاريخ الاكاديمي المسماة دي اينسكريبسيون مجلد ٩ وجه ٦٤٥ و٦٥٣)

فبناء على عصيانهم وقبيح اعمالهم اصدر ديوان ايكس مضبطة عليهم فنهض الكاردينال صادوليت اسقف كاربينترا وتشفع بهم لدى فرنسيس الاول فاوقف اجراء المضبطة غير انهم لما كانوا لا ينثنون عن عدوانهم وقد حملهم روح الخلاع على دوام العصيان عزم اميدأوس دوكا صفوا على طردهم من ولاياتهِ فعاضدهُ لويس الرابع عشر وارسل

جيوشه الى بيمونتي على الفودوا . فهذه حقيقة الاحوال على ما انبأنا بها التاريخ الصادق

فعلى العاقل الآن ان يقابل صدق التاريخ مع تلفيق الملفق المحاول جذب القلوب لحالة الفودوا خلانو اولئك الشهداء الافضال

انبأنا تاريخ السنين المتاخرة ان قد ثارت في باريز ثورة الكومون فابدعت بارتكاب قبائح لايتوصل اليها غيرها فعندها نهضت الحكومة فحاربتها فجرد المارشال ماكماهون القائض حاليًا على ذمام حكومة الفرنسيس سيفهُ البتار وردع اهل العدوان واخمد نيران العصيان فلاغرو ان الرجل الكوموني يعد قتل شركائهِ استشهادًا لكونهِ يعد تاديب الحكومة الشرعية اضطهادًا فهكذا قل عن الفودوا الشهداء فانزلهم يا ايها الملفق الابروتستاني منزلة الشهداء وصنف لشانهم التصانيف وانشر قصصهم وصف سيرهم فانك رب اعمالك وسيد ارائك اما نحن فاننا نقول لك ان رجالك اهل العصيان وسفاكي الدماء الذين اقتصت منهم الحكومة الشرعية عن فواحشهم وبينهم وبين شهداء بيعة الله المقدسة الذين قدموا حياتهم لاجل الدين بون عظيم كبعد الارض عن السماوات وفرق جسيم كفرق ملائكة السماء عن ملائكة الظلام

قد ذكر الملفق (عدد ٤ سنة ١٨٧٢) اسم كرومويل القابض ومتنذٍ على احكام انكلترا فمن جملة تلاعبَ الملفق اخفاؤهُ دسائس كرومول المذكور الذي كان يبعث بالدراهم الى الفودوا ويحرضهم على العصيان على ساداتهم فقال عنهُ الملفق انهُ امر الشعب بالصوم والصلوة اي نعم قد امرهم بذلك لكن غب ان كان قد اغرى الفودوا

على ايقاد نيران الفتن فما قومك هولاء يا ايها الملفق الاعين اقواسك
الذين اثاروا حرب القرويين في اقطار بروسيا والمانيا وقد تكلمنا عنهم
في الجزء الاول فصل ٤٠ فها قد سئمت انفسنا تلفيقاتك ومقتنا
خزعبلاتك فلفق ما شئت واكذب ما استطعت فاننا لن يوفك محك
الانتقاد ولم نألُ جهدًا بمحاربتنا اهل العناد

الفصل الخامس

في الطريقة التي اعتمدوها اهل الاصلاح ليجعلوا تعاليم الفودوا حسب اضاليلهم

فبقي علينا الآن ان نذكر طريقة اعتمدها اهل الاصلاح ليجعلوا تعاليم اقوام وقعوا بمخالبهم واحدة مع اضاليلهم فغب ذلك تراهم ينادون قائلين: ان تعاليم هولاء الاقوام هي عين تعاليم الابروتستانية

قال العلامة هيرزوغ الابروتستاني في تاليفهِ عن فودوا جرمانيا: ان اهل الاصلاح لاجل ان يجتذبوا الفودوا الى بدعتهم قد استعملوا صناعة التحريف والتلاعب ولم نرَ غيرهم قد وصل الى اقصى درجة في ذلك فما توصلوا اليهِ من التغيير والتبديل قد نشأ عن السعي بحذف كل عقيدة كاثوليكية من تعاليمهم

هذا وقد ابانا العلامة بطرس جيليس الابروتستاني في تاريخ الكنائس الابروتستانية فصل ٥ عما اقتضى تغييره وتبديله في تعاليم الفودوا لتطبق مع التعليم الابروتستاني. قال ان المرسلين اليهم من

قبل اهل الاصلاح نادوا انهُ محرم عليهم من الآن فصاعدًا حضور القداس والتسليم بخرافات الباباوية والاقرار بكهنة الكنيسة الرومانية وان الاعتراف السري غير مامور بهِ من الله تعالى وان السيد المسيح لم يرسم الاَّ سرين لا غير وهما سر المعمودية والافخاريستيا وهلمَّ جرًّا ٠ قال العلامة المذكور وهلمَّ جرًّا لكي يبين لنا انهُ لم يعدد جميع المسائل التي يسعى الابروتستانت بمحوها من عقول المؤمنين

فاذا كان ذلك أَفما يخجل ملفق تاريخ الاصلاح من ان ينادي قائلاً : ان عين تعاليم القوم الفودوا هي عين تعاليم الابروتستانت

هل تزعم يا ايها الملفق خداعًا ونحن واهل هذه الاقطار شهود عيان لتلاعبكم بضمائر الناس حتى اذا ما جعلتم نفسًا فريسة اضاليلكم قلتم انها تعتقد عين اعتقادكم اي نعم ان شبانًا وشابات جذبتموهم الى مدارسكم بحيلة التعاليم و بظاهر الارباح بل و ببذل المال اصبحت عقائدهم عين عقائدكم لكن قل لنا يا من تدعي هذه الدعوى الفاسدة هل ذلك الماروني او الملكي او غيرها من ابناء الكنيسة الشرقية الذي انحاز اليكم ويعتقد الآن عين اعتقادكم فينكر الاسرار الالهية ويكفر بعبادة البتول الطاهرة ويزدري بتكريم القديسين وهلمَّ جرًّا أَفما انكم انتم الذين قد سعيتم وسلبتم من فوادهِ هذه الكنوز الثمينة والنعم الكريمة التي تمكنهُ من الخلاص واقتنصتموهُ بحبائلكم فاصبح فريسة الهلاك فتعطون عن هلاكهِ جوابًا لدى الديان العادل الذي سفك دمه الكريم خلاصًا للبشر٠ هل كان ذلك المرتد عن حضن الكنيسة الكاثوليكية لا يعتقد بتكريم عذراء العذارى وقد رضع هذا التعليم المقدس مع لبان امهِ ٠ أَفما كانت امه تعلمه هذه العبادة وتلقنهُ الادعية وهو في حضنها٠ أَفما انهُ لما كان

يدخل كنيسة ملتهِ القديمة كان يرى ايقونة اولياء الله وقد حثهُ رعاتها على الاستشفاع بهم وارشدوه على التمسك بعبادة الشفيعة المتشفعة لدى مخلص نفوسنا . فمع ذلك تزعمون ان ذلك الشاب وتلك الشابة يعتقدان معتقدكم . اي نعم انهم كذلك اي لا يعتقدون بعقيدة بل قد كفروا بحقائق الدين لكن بعد ان رضعوا حليب مدارسكم احبولة الضلال وسقطوا في وهدة ضلالكم عربون الهلاك وعن ذلك كثرت الشواهد منها حادثة نحن شهودها حتى انهُ لما بدت لدينا اعتجبنا كل العجب وتاثرنا من جرائها لا بعض التاثير

لما كنت وكاهنًا اخر نستنشق الهواء يومًا في ضواحي بيروت وقد ظللنا ظل شجرة من حرارة الشمس واذا باحداث يصرفون اوقاتهم بالقرب من هنالك فحضروا الينا واتموا ما من عادتهم تتميمهُ نحو الكهنة فسالناهم في التعليم المسيحي وفي الصلوة والوصايا وهلمّ جرًّا وفي اثنا ذلك راينا احدى الشابات تحاول الابتعاد عنا فاستغربنا امرها ورمنا مخاطبتها فحضرت غير انها في قلق عظيم ولا تشا الدنو منا لاننا كهنة الامر الذي لا نعهدهُ في مسيحيي سورية فازادنا قلقها رغبةً في البحث في حالها فدنت منا فسالناها في التعليم لكن كلما ذكرنا شيئًا عن تكريم القديسين قلقت فسالناها عن عبادة البتول الطاهرة وكيف نستغيث بتلك الشفيعة القديرة فعلا جبينها الخجل وولت حالاً الهرب فكررنا عليها السوال فقالت وهي تفر هربًا (مريم العذراء ما في) اي لا التفات الى مريم العذراء ولا الى تكريمها

فليقل اهل هذه الاقطار ومن يجحدون تكريمهم لاولياء الله تعالى هل تعلمت تلك الشابة ذلك الجواب من اهلها ام من جيرانها ام من

كهنة ملتها لا لعمري ما ذلك الاّ عن روح الابروتستانية وقد تاكدنا بانهم انشأوا مدرسة في ذالك المكان واغروا الاهلين على ارسال اولادهم اليها فكانت تلك الشابة من جملة تلامذتهم فتعلمت تعاليم منها نكران اولياء الله المشفعين بنا لدى الله

فتعلم الابروتستانية التعاليم السالبة انفس المسيحية النعم السماوية واخصها نعمة الايمان فما الذي تنالهُ هذه الشابة من الفوائد غب ان سلبت منها نعمة الايمان واحسن وسيلةٍ للخلاص وهي التماس شفاعة ام الخلاص هل يجديها واهلها نفعًا لدى الله ما اتحفهم بهِ ارباب تلك المدارس من بعض الدراهم والملبوس وامور اخرى دنوية يصطادون بها الانفس لعمري كيف تستطيع تلك الشابة اذا ما دهمتها جيوش المحن ان تتخلص من ايدي المجرب وقد عرت عن الاسلحة الدينية الجزيلة الفاعلية

فانها قد فقدت الايمان وخسرت وسائل الخلاص فما الذي يفيدها ثوب بال وخسيس المال : ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه وما الذي يعطيه فداء عن نفسهِ

فمن المطالب بهذه النفس لاشك انها هي المطالبة اولاً غير ان الحديثة السن لا تدرك عواقب الامور فعلى اهلها التبصر بخيرها الروحي كتبصرهم بحال دنياها فانهم هم المطالبون ولقائل ان يقول افما ان معلميها المطالبون قلت ان هولاء الانجيليين الجديدين يباشرون مهنتهم ويلقون شباك دسائسهم وهذا دأبهم فلماذا ترسلون اولادكم الى مدارسهم هل جهلتم اخطار ضلالهم وقد نادى اساقفتكم واكليروسكم حتى والصحف عينها ضد اضاليلهم وابانوا لكم سوء مقاصدهم بل انهم هم انفسهم لم يخفوا

سوء نواياهم فنادوا في كتابات كتبوها لارباب امرهم انهم قد اعتمدوا على العلوم العالمية ليجذبوا الانفس الى تعاليمهم الابروتستانية

افلا يتعقل الاهلون ويحافظون على ايمان اولادهم فعن تهاونهم يسالهم الديان العادل ومنهم يطلب خلاص اولادهم فما الذي يخلفونه لثمرة احشائهم ان كانوا قد سلبوا منهم نعمة الايمان التي لاخلاص بدونها هل يجيبون فادي البشر الذي سفك دمهُ الكريم عن تلك النفس المخلوقة على صورة الله ومثالهِ قائلين : ربنا قد اخذنا دراهم وملابس ووعدنا الابروتستانت مواعيد فطرحنا اولادنا بين ايديهم

لعمري ان هذا التهاون الاَّ وبال عظيم على الاولاد ووالديهم وعلة هلاك الفريقين معًا ومع ذلك قد تعامى الاهلون ولم يستفيقوا من غفلتهم فيتداركون امر خلاص ثمرة احشائهم متذكرين قول مخلص العالم : ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم وخسر نفسهُ وما الذي يعطيه الانسان فداء عن نفسهِ فليفتكر بذلك المسيحيون وينقذوا انفسهم واولادهم من حبائل المحال فليتامل المتاملون ولايتغافل عنهُ المسيحيون الصادقون قال الكتاب : حد عن الشر

الفصل السادس

في ما كان من الفودوا في الازمنة المتاخرة
على ما نشرته نشرة انجيلي بيروت الاسبوعية

ان كان ملتق تاريخ الفودوا قد ارانا حتى الآن فخر الفودوا وغبطتهم لانضمامهم في سلك اهل الاصلاح حتى غدوا واياهم واحدًا فقد قدم لنا الآن تتمة هذه الغبطة وتاج هذا السعد واكليل ذلك الحظ في عصر جديد انفتح لهم وايام اقبال اقبلت عليهم فاصبحوا في جنة النعيم راتعين وبظل الراحة مستظلين فكانت اوطانهم جنة الفردوس في ارض الاموات وقد نالوا الغبطة الدائمة وهم بالاجساد

ولسائل ان يسال: كيف كان ذلك وانّى لهولاء الاقوام مثل هذه النعم بمعزل عن جميع البشر قلنا له اصغ يا صاح سمعًا لملفق تاريخهم وناشره في اقطار المشرق فانه قد بين لك الاسباب واعرب عن علة تلك الغبطة اذ ان الفودوا ما برحوا ينتقلون من راحة الى راحة بانضمامهم الى الابروتستانية وان كانوا فريسة اضطهاد الكثلكة الى ان ارتفعت راية منقذ الامم من العبودية وعلت اوطانهم فانطووا تحت لواء ملاك الخلاص فكسروا نير العبودية

اما منقذ الامم وملاك الخلاص ان هو الاّ غاريبالدي ورجاله البغاة هل تعجب من هذا يا صاح أفلا تعلم ان غاريبالدي هو منقذ الامم من العبودية اي نعم ان عصيانه على السلطان الديني والمدني وبغيه على حقوق الناس ومساعيه المزعزعة اركان العرش والمذبح هي من الجرائم

الجسيمة والقبائح الفظيعة لدى اهل العدل والانصاف وبازاء الشرائع والحقوق ولكن لدى ملفق تاريخ الفودوا فهي انقاذ وخلاص وانها سبيل للسعادة بل ومملكة الغبطة وهل ريب في ذلك وقد قال: ان الفودوا قد اصبحوا في جنة النعيم تحت لواء هذا المنقذ العجيب.

فلقد يخامرك الانذهال من هذا الايراد بل قد تحسبهُ ضرباً من الافتراء على الملفق المذكور او قد جئنا بهِ على سبيل التهكم لا لعمري ليس شيء من ذلك في ذلك فما خامر فكرك من الانذهال قد سبق فاستولى على افكارنا واخذنا نكرر تلاوة تلك الاساطير فكلما امعنّا النظر بها قلنا قد نكون اخطأنا ادراكاً لكن راجعنّ تلك الالفاظ ووردنّ تلك المعاني كيفما شئت وعلى قدر ما شئت فانك لاترى لها معنى سوى ما تقدم وهاك بها برمتها

قال في عدد ٥١ سنة ١٨٧٣ ونال الفودوا وطرهم تحت راية كاريبالدي الذي نادى بتحرير ايطاليا ونجح في انقاذها من ايادي هولاء المترفضين

وقال في عدد ١٠ سنة ١٨٧٣ : ان انتصارات نابليون (الثالث) وغاريبالدي اراحت ايطاليا من كل القلاقل وعطت الامن والسلام في كل الاماكن ومنحت كنيسة الالب اتم الراحة ونبذت جميع المخاوف والآن ترى تلك الاماكن جنة لا يدخلها فساد . اه

هذه اساطير قد نشرها ملفق تاريخهم في اقطار المشرق واطلع عليها ابناء المشرق هل راق لسكان هذه الاقطار مثل هذه الايرادات الغريبة والاقوال العجيبة فلا غرو فان عقلاء هذه البلدان قد حارت منهم الافكار وقالوا : كيف يكون الليل نهاراً والاسود ابيض والشر خيراً

والخراب عمارًا والهدم بناء والحرب سلامًا والنهب حلالاً والفتك نعمًا وجهنم نعيمًا فلقد طالما ارتعدت منا الفرائص واقشعرت الابدان كل مرة جاءت باخرة اورباوية وانبأتنا بفظائع اهل الكومون في باريز وقبائح الانتيرناسيونال وجرائر الرعاعية في اسبانيا أفما قد نفرت منا القلوب لدى سماعنا ما ابدته هذه الذئبة من الفواحش فكل ارض داسها البغاة فحشوا بها فخلتهم جرادًا يزحف او ملاك موت يفتك او منجل حصاد تحصد فانهم افة لا تدع ولا تذر وهم ينادون باسم غاريبالدي امامهم ويزدهون بمباديه تلك المفسودة فمع هذا قد دعى ملفق تاريخ الفودوا راية هولاء المردة راية الانقاذ واقوامًا انطووا تحتها قد رتعوا في جنات النعيم ،

فقال ابناء الشرق : يا ويلنا اذا كانت هذه اثمار انجيل جديد بشرنا به ارباب تلك النشرة أهذه التعاليم يعلمونها لشبان جذبوهم الى مدارسهم قلت ها انكم يا سكان سورية قد وقفتم على اساطير الملفق فنتجوا منها ما شئتم فانكم تخافون على شبانكم وتخشون غوائل مثل هذه التعاليم فما لي ولكم ايها الخلان وقد اتضح الامر كالشمس في رابعة النهار افما ان من رام السبب رام المسبب افما قد قال الكتاب من لمس القير لصق به

فهذه فوائد اشار عنها ملفق ذلك التاريخ للعالم المتمدن وقد بينها في سياق اساطيره غير انه لدى النهاية قد تناهى بها فافصح عنها كل الافصاح وبالغ بالايضاح فلم تُخفِ مقاصده ولم تستر نواياه

والابلغ من كل ذلك هو ان الفودوا قد نالوا تلك الغبطة باستمالة بعض الدول وبانظار بعض ارباب الاحكام وهاك ما قاله الملفق

بهذا الشان

قد نهضت كنيسة الالب من ردمها حتى ابهر لمعانها الساطع اعين كل اوربا وطلب كل من كان قد عرف التمدن (اي التمرد والعصيان على السلطة الكنائسية) واهله من اهالي ايطاليا مباديها الصحيحة التي جعلتها لها دستورًا وحرية الافكار علة الحروب التي كابدت احتمالها وارتد اهالي طوربن وسردينيا عن ضلالهم واهتدوا الى معرفة الصواب وندموا على ما فات من سوء اعمالهم نحوهم وكان ملك سردينيا شارل البرت من اول القوم الذين استحسنوا مبادي الفودوا وازمع ان يهبهم الحرية التامة ويكفر عما سلف من وزر سلفائهِ ..... وفي اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٨٤٨ صدر الامر الملوكي باعطاء الحرية الى اهالي الوديان (عدد ١٠ سنة ١٨٧٣)

اي نعم في سنة ١٨٤٨ وهي فرصة تزعزعت فيها اركان العرش في اوروبا ودهت فيها الدواهي فاحطت الرفيع ورفعت الوضيع وخربت النظام ظهر فيها الفودوا وبانت حالتهم على انه للابروتستانية المائلة الى الانحلال ان توليهم الانعام املاً بتوقيف انحلالها فبنت لهم الكنائس وشيدت الهياكل وقد كانوا سابقًا يقيمون الصلوة في كابلات سفارة دول انكلترة وبروسيا وهولاندة فقط

فبنى الانكليز للفودوا كنيسة انفق على بنائها ثلثماية الف فرنق. واخذ لهم الابروتستانت في جينيفا كنيسة العذراء عليها اشرف السلام واذاعوا صحيفة سموها البشرى العظيمة بيد ان الفودوا لا يبلغون في طورين اكثر من ٢٨٦ نسمة ومجموعهم في الجبال ان هو الَّا دون ٢٠ الف نسمة

ولسائل ان يسال : لِمَ هذا الاهتمام ولِمَ ذا الاحتفال . قلت ان الابروتستانية سخية العطاء لمقاصد تقصدها اي لاجراء احلام تحلم بها .

فمن احلام اعداء الكثلكة زعزعة اركان السدة الرسولية في رومية والغاء الكثلكة في ايطاليا فكيف يتوصلون لذلك وما الايطاليان الا شديدوا التعلق بكثالكة فلقد يستطيع العدو ان يميل اليه بعض الاهلين اما كفرًا واما عصيانًا واما تطويحًا في ميادين الخلاعة لكن جذب الايطاليانيين الى الارتقة فهو ضرب من المحال ودونه شوك القتاد وهل يسمح العلي الذي قد بنى كنيسته على الصخرة واقام كرسي هذه الصخرة في وسط ايطاليا ان تصبح اراضيها فريسة الارتقة بفتوحات اهل الاصلاح الموهوم

هل يدرك ذلك اعداء الكثلكة فما هولاء الا قد عللوا انفسهم بالمحال وساروا في ديجور الظلام وبنوا اعمالهم على الاوهام فقالوا قد عضدنا الفودوا وهم مفتاح ايطاليا لجهة الالب وقلنا ان دين هولاء القوم هو الدين الصحيح لانه عن الرسل بل عن المسيح نفسه فتقتنع ايطاليا بذلك فنفتتحها وهذه وسيلة تضمحل بها الكثلكة دين البابا وية

قال العلّامة هيرزوغ الابروتستاني عن ازعام زعمت قدمية الفودوا وعن مقاصد بنيت على هذه الازعام : بذا قد اقترنت المضحكات بسوء النوايا وفساد المقاصد

اما عن سوء المقاصد فقد تقدم المقال واما عن المضحكات فدونك الشواهد فاننا نختم المقال بتفنيد تلفيق ملفق تاريخ الفودوا باضحوكة بل باضاحيك تعلقت بقدمية مذهب الفودوا الرسولي

فمن جملة الذين تجندوا لهذا الزعم الملفق المذكور لكنه لما كان

الاخير عهداً اخرناه ذكراً ولا حرج علينا وان تفاضل عن اقرانهِ سخافة

فذكرنا اولاً مسيو بريز المؤرخ الفوداوي وهاك كلامهُ الهذر وقد جاء بهِ على سبيل الجد فقال : ان كنيستنا هي ام جميع الكنائس الابروتستانية وهاك البيان ان القديس بولس بذهابهِ الى اسبانيا مر باودية البيمونتي فرد الفودوا الى الايمان ببشارتهِ (تاريخ الفودوا مجلد ٤ صحيفة ٤٣) . فلا تسالهُ عن البرهان لان البرهان باقٍ في صدره وان تجاوزت بالالحاح قال لك : ان بطرس قد اسس كنيسة رومية و بولس اسس كنيسة الفودوا

فان كان لم يعجبك ذلك فدونك ما قالهُ مسيو موستون في سنة ١٨٢٤ في تاريخهِ عن الفودوا الذي نقحهُ واذاعهُ ثانيةً في سنة ١٨٥١ ولقبهُ لقباً لذت بهِ مخيلة اهل الاوهام اذ دعاه : اسرائيلي الالب : فقد اعلمنا هذا المؤرخ ان القديس سيكوندوس نال اكليل الاستشهاد في سنة ٢٩٠ للميلاد فمن قرى الفودوا قرية تسمى بهذا الاسم فاذاً كانت الفودوا منذ ذلك العهد فما رايي العاقل بهذا المنطق العجيب. لا سد فو قائله

ولما كان الخمر الجيد يحفظ للاخر اتحفنا القاري براح من خمرة ملفق تاريخ الفودوا في سورية الذي لهُ المحل الاول بين اقرانه حكماً وان تاخر وضعاً فقال في النشرة الاسبوعية عدد ٥٠ سنة ١٨٧٢

ان ما يويد هذا الكلام (عن قدمية الفودوا) قول عدو من اشد اعدائهم وهو رئيس اساقفة طورين اذ يقول ان الدلائل الكثيرة الواضحة تدل على ان هذه القبيلة هي منذ دهور كثيرة وايضاً قال ان اصل الفولدنسيين هوليو رجل ذي تقوى زائدة نبغ في زمان قسطنطين

الكبير ورفض الشركة مع سلبسترس الاول اسقف رومية وذلك لما رأى قبائحة والمصاريف الباهظة التي انفقها السلطان على الاكليروس . اه

فمن ذلك قلنا لو كان للملفق باصرتان لابصر لكن قد تعامى فخبط خبط عشواء فاعلم يا هذا ان لا صحة لما نقلتة اصلاً لانة لم يوجد رئيس اساقفة كاثوليكي ارتاى ما رمت اسناده اليه ثم انك ذكرت رئيس اساقفة ولم تذكر اسمة ولا تاليفة ولا العصر الذي صنف فيه فمع ذلك قد دلتنا القرينة من ذكرك البابا سيلفيسترس والملك قسطنطين على ان رئيس الاساقفة المشار اليه هو قلاوديوس دي سيتل رئيس اساقفة طورين الذي صنف كتابًا عن الفودوا في سنة ١٨١٧ وسماه المجادلة ضد الفودوا لكن ترى ما الذي قالة المؤلف المشار اليه عن الفودوا وعن قدميتهم فانة لم يقل شيئًا اصالةً من تلك الدلائل الكثيرة الواضحة التي تكلم عنها الملفق بل قد ذكر نقلاً عزى به البعض قوم الفودوا الى رجل يدعى لاون فدعوته انت بالعربية هوليو فاذا حملك على ذلك هل تتطلب العربية تكسير هذا الاسم وقد تسمى كثيرون من ابناء سورية باسم لاون وهذا الاسم تداولتة السنتهم فقد كسرته اما تعظيمًا لقومك واما اخفاء لمقاصدك وعلى كل مالنا واصطلاحاتك الغريبة لكن نشدتك الله قل لنا متى اعتبر العلماء نقلاً نقلة احدهم عن غيره انة راي الناقل فها اننا كثيرًا ما قد نقلنا عنك في تفنيدنا ازعامك هل تعد كلامًا نقلناه عنك راينا الخاص واننا نحن القائلينة والمعلمينة والبانون عليه

الفصل السابع

في الاصلاح الموهوم بالنظر الى التمدن

اولاً : في ما افاده عن هذه المسئلة علماء هذا العصر من الابروتستانت الكائنين في احسن مراكز التمدن

انا كثيرًا ما نسمع اقوامًا قد تستروا بظاهر العلوم والمعارف ولم يرغبوا ببذل ما تتطلبه العلوم من الجهود توصلاً الى المعارف الصحيحة قد فاهوا عن هذه المسئلة بما لم يقفوا له على اثار بل قد اسندوه على مدعي امثالهم العارين عن المعارف او على غيرهم ممن قد اوعبت صدورهم اغراضًا

فلما كانت هذه مسئلة تاريخية ووجب اسنادها على ينابيع صادقة اقتضى الاعتماد على التواريخ الصحيحة والادلة الراهنة والاثار غير المشوبة بريب . فقد افادنا التاريخ بنقله الصادق ما يمكننا من الوقوف على صحة واقعة الحال

فان رام ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم المطبوع في بيروت الانضمام بسلك المؤرخين الصادقين فدونه وان يبني تاريخه لا على الاغراض والانحراف بل على الحجج الراهنة والادلة الصادقة والنقل الصحيح فهذه دعائم بنينا عليها بحثنا فمكنا القاري من ابراز حكمه الصائب على هذه الحقايق

ولما كنا بما نقوله من الصادقين وعن الاغراض الملتوية منزهين اعتمدنا قول علماء الابروتستانية انفسهم واخصهم رجال هذا العصر المقيمين في احسن مراكز التمدن في اوربا

فاني اذا ما وجهت الحاظي نحو الاقطار الالمانية مهد الابروتستانية رايت مينسل مورخها الشهير بتنزهه عن الاغراض قد تكلم عن هذه المسالة الزاعمة بان اصلاح لوتيروس كان ايقاظاً للمعارف والعلوم ومهازاً للفلسفة وبالاجمال لكل ما ينطوي تحت لفظة تمدن موكداً ومحققاً لكل من له اذنان سامعتان ليسمع بان اصلاح لوتيروس كان عصر وعلة انحطاط الفلسفة وسقوط المعارف والعلوم وادثار الصنائع والفنون وبالاجمال خراب التمدن تماماً لاسيما اللغتين اللاتينية والالمانية وان هذا الانحطاط لبث جيلين كاملين لم يتكلم فيها علماء المانيا الاّ لغة لاتينية والمانية بربريتين (مينسل في تاريخ الالمانيين الحديث منذ عهد الاصلاح مجلد ٤ في المقدمة ووجه ٤٣٦ و ٤٣٧ ومجلد ٥ وجه ١ و ٧ ووجه ٣٣٥)

واذا حولنا الحاظنا نحو سفيسرة لاسيما جينيفا ميدان الابروتستانية وحصنها المنيع وقفنا على ما افاده بطرس دي جوكس من حكمه الصائب على الاصلاح الموهوم وقد كان هذا الرجل من خدمة الدين في جينيفا ثم صار رئيس مجمع الابروتستانية في نانت فبدلاً من ان يرى فلاحاً في العلوم المسيحية والتمدن قد بكى بكاء مرا على خراب وبلبلة سببة الاصلاح وادخله في التعليم المسيحي . فلذا شمر هذا الهمام على ذراع الهمة والنشاط واذاع تاليفاً انقسم الى اربعة مجلدات وعنونه مواعظ الدين المسيحي وقد بين فيه حقايق الايمان التي كان يعتقد بها الابروتستانت الاولون وفاقاً لاعتقاد الكاثوليكيين لكن قد تركها بنوهم رويداً رويداً الى ان تدهوروا في لجة الكفر وعدم الايمان فزعزعت مواعظ هذا الخادم الابروتستاني الافكار وهدمت

اركان ما يزعمونه من فلاح الاصلاح الموهوم واستيقظت افكار سكان سفيسرة ضد مثل هذه الاوهام الفارغة . فلما راى خدمة الدين مفاعيل هذه المواعظ في القلوب خافوا على مقامهم فاغروا صاحبها بدفع مرتب سنوي بشرط ان يرتجع عن اذاعتها . فاتضح لديه من ذلك ما هو موكد عندنا عن خدمة الابروتستانية حتى وفي هذه الاقطار وينسبوع الى اخصامهم وهو استعمال الذهب والفضة لمنع اذاعة الحق واستمالة الانام لبدعتهم

ومما اجاد به هذا الخادم الابروتستاني ورئيس مجمعهم كلامه عن الارتدادات الى الابروتستانية حيث قال : اني الوم كاثوليكيًا ارتد الى الابروتستانية اذ انه لا يسوغ للانسان ان يترك ما كان كاملاً ليطلب ما كان ناقصًا لكني لا الوم ابروتستانيًا صار كاثوليكيًا اذ انه قد لاق بمن كان على شيء ناقص ان يطلب ما كان كاملاً

اقمًا انه حكم قاطع عما يدعيه اقوام عن فلاح الابروتستانية بالعلوم الانجيلية مدة ثلثة اجيال متوالية ولم يكتفِ هذا الرجل بما تقدم بل انه قد ثبت موكدًا بان الاصلاح الموهوم ما زال دائمًا يرجع الى القهقري فنتج من ذلك نتيجة يسهل ادراكها من الوضيع والرفيع

وقد كان العلامة بطرس دي جوكس ماهرًا في مذهبه الابروتستاني لانه من ائمته وروساء مجمعه وعليمًا بامر الكثلكة ايضًا وقد بذل المجهود بالوقوف على حقائقها فقصد ايطاليا ورومية فانتزاع البرقع عن اعينه فحكم حكمًا صائبًا على اوهام كان من داب جهلاء الابروتستانت ان يلقوها على الكثلكة لاسيما طعنهم بحق احبارها الكرام قدوة الفضل والفضيلة وممن قد اتقح بمثل هذا القدح ناشر تاريخ

الاصلاح الموهوم في بيروت الذي رام اذاعة أكاذيب مذهبه وافترائه في اقطار سورية ولم يخشَ لومة لائم في عصر كان محك الانتقاد

فليراجع هذا الملفق شهادة بطرس دي جوكس الابروتستاني المودوعة في تاليفه المعروف بكتاباته عن ايطاليا فانه يرى فيها رذل هذا العلام لجميع الافتراء الملقى على جبين الكثلكة واحبارها الكرام وانها لشهادة رجل عاقل عالم امتحن الامور بذاته وفحصها في نفس مركزها على انه في اقامته في رومية مركز الكثلكة ومشاهدته مدارسها واديرتها والسدة الرسولية معلمتها زالت من نفسه كل اوهام ضدها وتاكد افتراء الابروتستانت عليها فرذل ازعامهم وشجب مقالهم

فقد بكى بكاء مرًّا على ما سببته الثورة الفرنساوية من الخراب والفظائع في الجيل الثامن عشر فنسب اسبابها الى التاليف النفاقية والافترائية التي اذاعها اهل الاعوجاج ضد الكنيسة الرومانية وراسها الاعظم فقال ان اهل الكذب والنفاق شرعوا بدسا تسهم اولاً ضد مركز الكثلكة ونشروا تاليف الظلام وتصانيف النفاق والبسوا خدمة الهيكل الاحبار الكرام المستحقين كل احترام نظير بيوس السادس وبيوس السابع ثوب العار واوعبوهما طعنًا وافتراء ولم يعلم هولاء الجهلة المفسدون بانهم اذا ما القوا سمهم في مناهل الديانة مورد النفوس نفروها عنها وبغضوها بها . اه

فقد اذهل كل انسان من اقوال هذا الرجل الاديب الذي بدلاً من انه ينسب الى الاصلاح الموهوم نجاح المعارف والتمدن قد نسب اليه مسئولية نشاءت عن مأتم ثورة الجيل الثامن عشر فقال: قد تقرر لديَّ ان ثورة الجيل السادس عشر الدينية هي السبب

الخلاصي للانقلاب السياسي الذي انتشبت ناره في سنة ١٧٨٩ واني لموقن بان روح الابروتستانية خليل محض للاستقلال ولحرية الاراء بامر الديانة والحكومة انشأ الثورة الفرنساوية التي هي اوسع مبدأ خراب شاهده العالم ولولا ظروف كانت حقًا من الله لهلكنا

هذا ما قاله بطرس دي جوكس الشهير غب ان كان قد صرف حياته بالمطالعة والسياحة للوقوف على حقيقة الاحوال ولما كان لم يقصده بابحاثهِ الّا التوصل الى الحق جازاه تعالى عن اتعابهِ اذ قد ارتد اخيرًا الى حضن الكثلكة في سنة ١٨٢٥ بعد ان كان صرح بما قدمناه لما كان ابروتستانيًا قبل بسنين عديدة من ارتداده على ان اخر كتابته بهذا الشان كانت في سياحته الثانية في ايطاليا سنة ١٨١٧ حيثما اجاد بما كتبه عن الكنيسة الرومانية التي ما برح ناشر تاريخ الاصلاح الموهوم ينادي ضدها

ومن صفات هذا العلامة الجليل هو انهُ قد ارتد الى الحق لاجل الحق لانهُ قد خسر بارتداده كل نعمة عالمية حتى انهُ قال عن نفسهِ للورد فيتون اودواردوس الانكليزي في كتابة بعث بها اليهِ اني الآن عريان من كل شيء راكضًا وراء الذين يحيون ولا اطماع في قلوبهم واهرب سعيدًا من الفئة المتمولين (نقلاً قوله هذا عن احد الشعرا اللاتينيين)

هذا واذا ملنا بالالحاظ نحو فرنسا الشهيرة في التمدن التي قد سعت بفلاحه في كل الوجوه رأت علامتها الابروتستاني الشهير قيزو قد اثنى على الكنيسة الكاثوليكية كل الثناء وانهُ في تاليفه عن التمدن انصف للكنيسة الرومانية ضد اقوام افتروا عليها كانها لا توافق التمدن

وامعن النظر فراى الابروتستانية خاوية خالية وما فيها سوى ظاهر مفخم ومما اذهله كل الاذهال هو ان الكثلكة ما برحت دائمًا وابدًا تضم بسلك جواهرها علماء مشاهير وفقهاء ممتازين متمسكين بحبال تعاليمهـــا قد سبوا فواد العالم بفضلهم وفضيلتهم وبمقابلة الابروتستانية مع الكثلكـة بالنظر الى التمدن ابان فضل الكثلكة واوضح ما في الابروتستانية من الروح الضيق ومخالفة النطق

الفصل الثامن

في ان واقعة الاحوال قد حققت ما تقرر في الفصل السابق
على ما اتضح لنا في الاعصار السابقة الاصلاح

اننا كثيرًا ما قد سمعنا اقوامًا يثنون على الابروتستانية لفضلها على التمدن . لقد استسمنت ياصاح ذا ورم ونفخت في غير ما ضرم اذ قد وقع حكمك بغير محله فدونك واستقراء اراء ايمة تمدن العصر ومشاهير الابروتستانية انفسهم ترى هل يقرون بفضل الابروتستانية على التمدن اما انهم لا ينكرون عليها هذا الاحسان بل قد قروا رأيًا على ان الاصلاح الابروتستاني قد اضر بالتمدن كل الضرر واوقف سير فلاحه . فهذه تقارير راهنة قررها نخبة رجال التمدن من كل ملة ومذهب

اما نحن فلندع الآن اقوال هولاء المشاهير جانبًا مكتفين بذكر الحوادث وواقعة الاحوال اذ انه اذا ما تكلمت حقيقة الاحوال اغنتنا

عن البيان

فليقل لنا اهل العرفان في اي فرع من التمدن والعلوم والمعارف لم يرتفع علماء الكثلكة فوق ذرى الدرجات ولم يسودوا فوق اعظم السادات في اية الفروع لم يحوزوا قصبات السبق وينشروا راية الظفر وفي اية فروع لم تكلل هامهم باكاليل الفلاح ولم يجلسوا على عرش التقدم والنجاح فمع ذلك تراهم قد اختلفوا علماً وقريحة واميالاً واغراضاً واراباً ولهم دون غيرهم الفضل على فلاح العلوم وتقدم المعارف واذا ما رأيت اناساً لم ينضموا في سلكهم لهم اليد البيضاء على التمدن قل ان هولاء قد اخذوا عنهم اوقد ارتقوا الى سلم التمدن لحذوهم حذوهم واعتمادهم على مباديهم

ليس من العجب ان ترى رجالاً خاضوا بحور العلم قد اتحدوا حيناً في بعض المذاهب فهذا ما قد شاهدناه في مدارس الفلسفة ومذاهب العلوم في كل عصر وجيل لكنه من العجب العجاب ان ترى الكثلكة في كل الاجيال قد جمعت في حضنها علماء لا يحصى عددهم وقد رخصت لجماعتها ان يبحثوا ويتعمقوا ويدرسوا ويتعلموا كل فن وعلم ويطالعوا كل حقيقة وضلال ويخوضوا المبادي ويقفوا على صحيحها وفاسدها ويستشيروا العلوم القديمة والتواريخ ويطرحوا لميدان الجدال عقائد دينهم وحقائق ادابهم ويضربوها على محك الانتقاد ويقابلوها بغيرها ويفندوها واعتراضات تلقى عليها ويبحثوا في اصلها وفرعها وبالاجمال قد رخصت للعقل ان ينزل ميادين المعارف والعلوم اصلاً وفرعاً وان يبارز رجالها ابطال الفنون وان يعرضوا حقائقها على الوضيع والرفيع وان ينزلوها عرضةً للانتقاد فساروا هذه الطريق وسلكوا هذا

المسلك وهم قد انضموا بايمان واحد وتعاليم واحدة وان اختلفت معارفهم وتنوعت معلوماتهم فوطدوا مبادي التمدن وشيدوا اركانه وثبتوا قوانينه ومكنوا شرائعه وكشفوا برقع الخداع عن محيا كل تمدن كاذب وفلاح موهوم

اتروم شاهدًا على ذلك فدونك وسادات عقدوا المجمع الاخير داخل جدران الفاتيكان افما انهم من كرام الرجال وفحول العلماء هل من علم ولم يحوزوا قصبات السبق فيه وهل من فن ولم يجلسوا على سدته وهل معارف ولم تضمها صدورهم انما قد رأيتهم يبحثون ويجادلون ويتخابرون ويتداولون هذا وقد نهضت دسائس العظماء والوضعاء تهيج بهولاء السادات الاغراض وتسند الاراء وتسعى بفصلهم وتحاول انشقاقهم فمع هذا كله قد اتفقوا على راي واحد بوحدة ايمانهم وتعاليمهم مثبتين مبادي التمدن الحقيقي وناشرين راياتها وقد اوقوا العقول من ان تضل بمعاني بشارة الكلمة الازلية المبشرة بمبادي التمدن الحقيقي والتعاليم الصحيحة غير الملتوية

هذه هي سمة الكثلكة في كل عصر وجيل هذه سمة الامينة الصادقة على التمدن الحقيقي فلم تبزغ انوارها في افاق المشرق الا راينا نخبة علمائه قد احنوا لها الراس . سر بنا يا صاح الى اغريقيا اليونان والى اقطار النيل افما قد رايت فحول العلماء وان اختلفوا اراء في علوم اودعتها صدورهم قد انضموا جميعًا بوحدة ايمانها وتعاليمها محافظين على المبادي الصحيحة والعلوم الصادقة

قد راينا الاقوام البرابرة طغوا كالطوفان على اثار المملكة الرومانية فغرقوا سكانها في بحر الجهل لعمري من الذي حفظ لنا كنوز التمدن

وقديم العلوم والمعارف فهم ابناء الكنيسة الكاثوليكية وحدهم فقد اوى هولاء الابطال كهوف الجبال وصنعوا لانفسهم ملجأ في الغاب وحفظوا فيهِ وديعة المعارف والعلوم واكتنزوا للعالم اجمع كنوز المبادي الصحيحة والتعاليم الصادقة

فاين كنت يا مذهب الاصلاح وابناء الكنيسة الكاثوليكية ياوون البراري محافظين على كنوز التمدن والعلوم قل لنا اين كانوا ايمتك ومن اين استقوا مياه معارف افسدوها فاولدوك است ثمرة احشائهم فمزقت ثوب التمدن الحقيقي وجلببت الالفة البشرية بجلباب الهوان

سر بنا يا صاح الى عصر لاون العاشر بابا رومية هل من وسعك تعداد كواكب علوم سطعت في عهدهِ . الق ِ الحاظك على تاريخ ملوك الفرنسيس وتامل عصر لويسهم الكبير فمن هم اولئك الرجال الحاشرين العلوم والمعارف في صدورهم انما هم ابناء الكثلكة

سر بنا الان الى القرن الاخير حتى هذه الساعة من هذا قرن الانوار واستقرأ احوال التمدن هل تستطيع انكار ضياء الشمس في رابعة النهار افليس مشاهير اية التمدن هم ابناء الكثلكة بل ان مشاهير الابروتستانية بين اية التمدن قد جحدوا مهدًا ربوا فيهِ وانضموا الى سلك الكثلكة الواحدة ايمانًا وتعليمًا وبها التمدن الصحيح والفلاح الحقيقي

فما علماء الكثلكة في عالم التمدن والمعارف الا كنجوم السماء فاذا ما اختلفت جرمًا وحركة فقد جذبها قوة جاذبة واحدة حول مركزها الواحد فالفت مجموعًا ولا تعاب بهذا الانجذاب اذ لاتنقص جرمًا او بهاء بل قد ازدادت بهاء لانضمامها بعضها فاكسبت احداها

الاخرى نورًا

فهذا مثال نظام وضعه ابن الله في بيعة الله فقد كثر علماؤها عددًا ومعارف واختلعوا قريحةً واقتدارًا فقد داروا جميعًا في مركزها متقدمين في التمدن الحقيقي والفلاح

هذا وانا كثيرًا ما قد وقفنا على اساطير نشرت في الاقطار السورية وكانت صدى اراء اقوام زعموا انهم ابناء القرن التاسع عشر ذي الانوار الساطعة واخص ما تضمنته تلك الاساطير انكارها المعارف على الكاثوليكيين الخاضعين لحقائق الدين ولسلطان الدين

غير ان صاحب الاساطير المذكورة قد فهم باهل المعارف اقوامًا خلعوا نير الطاعة الدينية والخضوع لكل سلطة كنائسية فلذا كانوا لديه علماء وابناء عصر الانوار بيد اننا نعهد العلماء الحقيقيين هم الذين يبحثون في الحق لا الذين يتحازون عنه والذين يخضعون اذهانهم لحقائق اله الحق لا الذين يضلون عنها اذ ان العلم قد انحصر بمعرفة الحقائق لا بالانحياز عنها والاستنارة تستفاد بانوارها لا بظلام الاضاليل فهذه معارف وعلوم ازدانت بها صدور الكاثوليكيين الصادقين فكانوا جهلاء لدى ابناء القرن التاسع عشر

الفصل التاسع

في ما كان من انهاض التمدن في عصر الاصلاح

زعم ملفق تاريخ الفودوا في اساطيره المنشورة في هذه الاقطار السورية ان التمدن قد نهض من سنة الرقاد وبزغت انواره

.واشرقت بظهور الاصلاح الموهوم ومساعي مبدعيه واخذ الملفق المذكور يقدم ويأخر ويتلاعب بالتاريخ زاعمًا بتمويهاته اقناع القاري بتلاعبه

كيف تعزي يا صاح لارباب بدعة الضلال انوارًا سطعت في الاقطار الاوروباوية ولم يكن اذ ذاك اهل العصيان قد عاينوا ضوء النهار . كيف تعزي اليهم انوار التمدن وهم هم الذين قد اوقفوا سيره على ما افاده علماء الابروتستانية انفسهم

فقد انبأنا التاريخ الصادق ان اوربا كانت في غرة القرن السادس عشر كوكبًا قد سطعت انواره بعلومها وفنونها وصنائعها حتى ابهرت عقول العقلاء وحيرت فهم الفهماء فنمت غرسة التمدن وازهرت واثمرت واشرقت انواره وسطعت حتى لم نرَ لها مثالاً في الاعصار السابقة لتقاعد اهلها عن نزول ميادين المعارف ولا في الاعصار اللاحقة لكثرة ترفهات اهلها وفساد ارائهم ومبادئهم ولانتشار فساد الاصلاح الموهوم وضلال تعاليمه وسوء مساعي اربابه

فمن كان على ريب في ذلك فدونه والوقوف على صحة التاريخ الصادق اي نعم قد يخدع مطالعوا اساطير الملفق في هذه الاقطار لعدم وقوفهم على ينابيع التاريخ الصافية لكن هل يستطيع الملفق ان ينشر مثل هذه الاكاذيب في الاقطار الغربية او في اقطار اخرى ضربت فيها حقايق التاريخ على محك الانتقاد الصحيح كلاَّ ثم كلاَّ ما اساطير لفقها الملفق الاَّ وقد عاملها اولي الابصار بما استوجبته من الهزء والاحتقار

افادتنا التواريخ الصحيحة انهُ كانت قد انحطت منزلة المعارف

والفنون بانحطاط المملكة الشرقية وانشغل اهل القرائح بالدسائس والمكائد والمفاسد عن العلوم والصنائع حتى وطيء الغزاة اراضيهم وصعدوا على عرش ملكهم وذلوهم كل الذل فانطفأت انوار العلوم من افاق اوطانهم ولما كان منهم اقوام قد احبوا كنوز العلوم وفضلوا جواهر الفنون على هواء الاوطان ومعاشرة الخلان هجروا القسطنطينية ودخلوا الاقطار الايطاليانية فتلقتهم مدينة فلورنسا بالترحاب وخففت وقر ما حل بهم من المصاب فسر القوم بايطاليا شقيقة اغريقيا مناخًا وخصالاً وانعكفوا على الفنون والعلوم وايقظوا الاهلين من غفلتهم حتى رأيت بعد مرور امد ليس ببعيد قد نمت شجرة المعارف وسطعت انوار العلوم وساد جواد العقل وباتت فرسان الميدان وحاز اهل القرائح قصبات الرهان فخلد ذكرهم في كل عصر وزمان

هذا وقد ظهرت الابطال في كل فن فاخترعوا المطابع ودخلوا بلدان جديدة فاكتشف دياز على راس الرجاء الصالح واكتشف كريستوف كولومب على امركا وسار فاسكا دي غاما على الهند الشرقي وكان ماجيلان اول من طاف حول الكرة المرة الاولى ودخل بيزار اقطار بيرو والبورتوغاليون اقطار البريزيل

حبذا رجال ظهروا في تلك الايام فخلدت اسماؤهم بين الانام فظهر دانت الشاعر الفريد وظهر رجال اصبحوا مثال الفصاحة والبلاغة فما من علوم وفنون وصنائع ومعارف الا وقد ظهر وقتئذٍ ايمتها الكرام واربابها المشاهير بين الانام فارتقت درجات التاريخ وارتفع مقام الهندسة وجواد علم الفلك سار في قبة الفلك

كان هذا جميعه ولم يكن لوتيروس وخلانه اهل العصيان في الوجود فاين كان ياصاح اية الاصلاح الموهوم وقد اشرقت انوار العلوم في عهد البابا لاون العاشر وانىّ لصناعة الهندسة ان ترى مثل ميكائيل انجلو وللتصوير ان يرجع اليهِ عصر رافائيل فاين كان لوتيروس وهل علم انسان وقتئذٍ بكلفينوس

فاذا كان ذلك هل نسلم لك بالمحال ونقر لجماعتك بايقاظ التمدن وقد اينعت اثماره قبل وجودهم بالكون بل انهم لما ظهروا اخروهُ عن سيرهِ فكدروا صحو افاقهِ الغراء واوقفوا جواده في الميدان وحطوه عن عظمته الرفيعة الشان ولم يخفَ الحق على انسان استند على صحيح الادلة والبرهان

الفصل العاشر

في ان معرفة اللغات العلمية تبرر الكثلكة من فرية ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم

قد اتضح لدى المطالع ان ملفق تاريخ الاصلاح قصد ان يوشح الابروتستانية بوشاح المجد والافتخار بيد انها فتاة عارية كما وان من عزمهِ ان يعري الكنيسة الكاثوليكية من ملابس عظمتها ويسلب منها ثوب فلاحها ليستر بهِ عورة فتاته المشمرة فلذا رأيته يعزي اليها ما للكثلكة حتى افترى على هذه بانها ادخلت في العلوم روح البربرية والظلم والجهل

فلا غرو فان مثل هذه ايراداته الفارغة يهزا بها من له ادنى المام

بعلم التاريخ ولذا لو نادى بها في الامصار الاوربَاوية لسخر به القوم وقهقهوا ضحكًا لخزعبلاته افلا تهزا اوربا به لقوله ان البابوات قد بذلوا مجهودهم ليبقوا الشعوب الخاضعين لسلطانهم في الجهل غير ان هولاء الشعوب قد فتحوا اعينهم وان شيئًا واحدًا استطاعت به الكنيسة ان تحفظ رياستها وهو تفاوتها في المعارف والعلوم لكن لما اخذت الشعوب تنمو في العلوم سقطت الرياسة (النشرة الاسبوعية سنة ١٨٧٣ عدد ١٩)

هذا وكان قبل ذلك اهدى مطالعي اساطيره في سورية تحفة بعض اقاويله الصبيانية حيث قال: ان الكهنة كانوا قد اختصوا لانفسهم حق توزيع نعم الخلاص مزدرين بالمعارف والعلوم وان الرهبان قد زعموا بان الهرطقات قد نشات عن درس اللغتي العبرانية واليونانية حتى قال احدهم ان من درس العبرانية عرض نفسه لان يصير يهوديًا وان العلما الايطاليان قد احتقروا الترجمة اللاتينية لسقم عبارتها فمع ذلك امرت الكنيسة الرومانية باستعمالها ورذلت كل ترجمة سواها (النشرة الاسبوعية سنة ١٨٧٣ عدد ١٢)

فهذا وخلافه من الهذر قد شحن به الملفق قراطيس نشرها واننا لنضرب صفحًا عن كثير منها بل اننا كنا سكتنا عن جميعها لولا مسه الكنيسة الكاثوليكية وافتراؤه عليها بقوله انها عدوة اللغات العلمية بيد ان انوار التاريخ الصادق تبدد اوهامًا رام الملفق القاءها في الاذهان السليمة وقشعت برقع ضلال حاول اضلال الناس به

فاين كان الاصلاح وآية الاصلاح لما اقامت الكنيسة الكاثوليكية المدارس لتعليم اللغات العلمية فاين كان لوتيروس لما كانت هذه

البيعة الجزيلة الغيرة قد بذلت المال والعلم بتعليم هذه اللغات الجليلة حتى انه اذا ما وجدت شيئاً حسناً في الابروتستانية لدى محبوبها انما كانت قد اخذته عن الكثلكة وانه لثوب سلبته وأتشحت به ستراً لعورتها وخداعاً للناس بظاهر محاسنها

فان كنت على ريب في ذلك فان يد التاريخ الصادق تصدع رداء الشك اذ قد قررت لنا بانه في غرة القرن الرابع عشر قبل ان جاء لوتيروس الى الوجود امرت بيعة الله المقدسة بتعليم العبرانية والكلدانية والعربية علناً في مدارس رومية وباريز واوكسفورد وبولونيا وصلامنكا وان البابا اكليمنضوس الخامس الذي وضعه الملفق بسلك باباوات زعم بانهم كانوا اعداء العلوم ومجبرين الشعوب على اللبوث في ظل الجهل انما هو من الباباوات الذين نجحوا تعليم اللغات العلمية ومن مقاصد هذا الحبر الجليل بذلك تصحيح الترجمات وتفسير الكتاب بالمتن الاصلي مع مراعاة حرمة الترجمة اللاتينية اسناداً للعقائد الدينية وسداً لافواه الاراطقة الذين من دابهم التلاعب بكتاب الله

فمن العلماء الكاثوليكيين الذين اشتهروا بتعليمهم هذه اللغات العلمية في اواخر القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر العلامة جان روشلين الكاثوليكي امام علماء العبرانية حتى انه كان اول من جعل علم هذه اللغة صناعة وان جان فيسيل من غرونينك من هولاندة كان قد علمه مبادي اللغة المذكورة فعلمها هو لمن رغبهم في تعليمها كما وانه بمساعدة بيوس دي ميراندول الشديد التعلق بالكنيسة الرومانية رغب المغرب بدرس اللغة العبرانية

اما نظراً للغة اليونانية فقد ابتدا تعليمها اولاً في ايطاليا قبل ان

تظهر البروتستانية ثم انتشر تعليمها في فرنسا ثم في سائر اقطار اوربا ولدى ظهور لوتيروس كان قد نجح تعليم هذه اللغة في باريز العلامة الايطالياني غريغوريوس من نيقورنتو وعن قليل حظت بها المانيا حيث علمها العلامة جان روشلين الشهير الذي كان قد علمها اولاً في اورليان وبواتير ثم في اينغلوستاد ولدى وجوده مرة في رومية شرح توثيديد شرحاً عجيباً ونطق به نطقاً جميلاً بحضرة ارجيروفيل اليوناني الذي لعظم اندهاشه صاح قائلاً : ان اغريقيا المنفاة قد قطعت جبال الالب

هذا وقد فلح الكاثوليكيون في هذه اللغات وغيرها فاشتهر بينهم العلامة انطونيوس من نيبريا وارازموس ولويس فيفيس ولورانسيوس فيلا وليوناردوس ارثين والكاردينال بمبوو صادوليت و بوجي وغيرهم كثيرون

فليقل لنا الملفق اين تعلم هؤلاء المشاهير اللغات العلمية هل في المدارس الابروتستانية أما ان الباباوات هم اول من بذلوا المجهود بتعليم هذه اللغات وانتشارها فصرفوا عليها الاموال الكثيرة حتى اغنوها بجمع الكتب العلمية اما ان الباباوات هم اول من القوا الانظار على متعلميها وعلى معلميها وانعموا عليهم بحسن الجوائز وملأوا خزائن الكتب بمشتراهم تآليف خطتها الايدي

فلا غرو فان ملفق تاريخ الاصلاح لم يع كل ذلك وقد جاء يبشر اقطار المشرق باعلانه الجهل فاعلم يا هذا ان الاولى بك ان تتعظ من كلام الحق القائل : ايها الطبيب اشف نفسك فبدلاً من انك تسعى ان تنير الاقطار السورية بانوار التاريخ فدونك وان تتعلمه

انت اولاً وتنير به اذهانك عساك تنجو من داء الجهل وسهام اهل العلم

الفصل الحادي عشر

في ان المدارس الجامعة قد تشيدت في عهد الباباوات وانظار الباباوات قبل هجوم طوفان الابروتستانية المضمحلة الآثار الجليلة

فمعلوم هو انهُ من اخص الاسباب التي اتسعت بها دائرة العقول علماً ومعارف المدارس الجامعة التي هي مركز قد جمع جميع فروع المعارف والعلوم والصنائع والفنون وما سخت به القرائح الجوادة والعقول الرفيعة حتى اصبحت منارة استنارت بها الاعصار فخرجت من ظلام الجاهلية وسارت في طرق التمدن الحقيقي وكانت المدارس المذكورة على ما يعلمنا التاريخ الصادق قد سطعت انوار علومها في الآفاق ومدنت اقطار المغرب قبل طغيان الابروتستانية الساعي ملفق اساطيرها بان يعزي اليها مثل هذا الفضل الجليل والاحسان الجميل بيد انها حيوان بهيم دخل حديقة عالم المعارف والعلوم فداسها برجليه ولولا فضل الكثلكة لكان اعاد الاعصار المنورة الى قرون الجاهلية

فلنا ان المدارس الجامعة مراكز المعارف الزاهرة كانت قبل ظهور الابروتستانية وقد انشئت بانظار الباباوية فان مدرسة اوكسفورد قد انشئت في سنة ٨٩٥ من سر الفدا ومدرسة كامبريج في سنة ١٢٨٠ ومدرسة براغا في ١٣٥٨ ومدرسة لوفين في ١٤٢٥ ومدرسة فينا في النمسا في ١٣٦٥ ومدرسة انغولستاد في ١٣٧٢ ومدرسة

ليبسيك في ١٤٠٨ ومدرسة بآل في ١٤٦٩ ومدرسة سالامنكا ١٢٠٠ مدرسة الكالا في ١٥١٧

هذا وليس من ينكر القدمية على مدارس باريز وبولونيا وفيراري وغيرها التي حازت تمام الشهرة قبل هجوم طغيان الابروتستانية

ومعلوم هو لدى اولي الالمام ان الباباوات كثيرًا ما قد ابدوا تمام الغيرة بانشاء هذه المدارس ونقدمها وكثيرًا ما قد انعموا عليها بانعامات وامتيازات فاذا كان ذلك فليقل لنا ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم إلامَ قد استند بسلبه هذا الفضل عن الكنيسة الكاثوليكية حتى نطق بالهذيان فقال ان رومية كانت تسعى باطفاء الانوار من عقول شعوبها بقصد ان تبقيهم في ظلام الجهل فهذه وخلافها من الاقاويل التي نقول بها الملفق على الكنيسة الرومانية واحبارها الفخام ضربنا عن ذكرها صفحًا وبذلك نستوجب امتنان ملفق ذلك التاريخ اذ لم نشاء اعلان جميع ايراداته الفارغة المغطته عارًا وهوانًا

كيف لا يخزى ويخجل لفريته على الباباوية وقد سبقت العناية الالهية وبررتها فعلاً وسدت افواه القادحين قبل ظهورهم للوجود اذ كانت قد اقامت على سدة الحق ذلك الحبر الجليل مهاز العلوم والمعارف نصير العلماء والبلغاء ومقصد الادباء والفقهاء من قد سحت بحور احسانه الفياضة عليهم وعلى المدارس جميعًا حتى اوصل التمدن الحقيقي الى ذرى الفلاح فنزعت عنها الالفة البشرية اثار بقايا الجاهلية واتشحت بملابس الانوار الزهية . هل يستطيع الملفق ان ينكر على ذلك الحبر المفضال اعني به البابا لاون العاشر عظم الفضل على المدارس وعلومها ومعلميها ومتعلميها ومن فلح فيها اما ان البابا لاون المخلد الذكر

السعيد هو الذي اوصل التمدن الى اعلى المراتب العالية

فان انكر الملفق ومعاضدوه هذه الحقايق التاريخية الراهنة فان اولي العقول الصائبة ينصفون للكثلكة ويثنون على فضلها واحسانها وقد رذلوا حجج الملفقين الواهنة

فكيف اوقع العذول اللوم على رومية وهي اذ ذاك ناشرة راية المعارف والعلوم وآخذة بيد العلماء وارباب الفنون بغيرتها الوفية وعنايتها السنية

فلقد اصاب العلاَّمة شاطوبريان اذ قال: ان مذهب الاصلاح لما كان قد حيي بروح مبدعه الراهب البربري الحسود نشر راية العدوان للصنائع وهدم مخيلة الانسان وداس القرائح بارجله

فلو نال هذا المذهب فلاحًا في ابتدائه لكان غرق الالفة زمانًا في ابحر بربرية لاتختلف عن بربرية الجاهلية فانهُ قد اعد عظمة الهياكل خرافات وطلح صناعة الحفر والهندسة والتصوير وثنية وجنح لان يضمحل الفصاحة والبلاغة والنظم والنثر ويفسد الذوق فيحوله عن اقتفاء الآثار الجميلة لينزله ميادين امور ناشفة يابسة باردة ويبدل بالفة مادية الفةً نجحت عقولاً وقرائح ويجعل بدلاً من الحركة العقلية اداةً جامدة فقد رذل هذا المذهب التقليدات القديمة والاخبار وحكمة الاقدمين وابتعد منذ ظهورهِ عن فلاح عصر لاون الكبير ذلك الجليل ومحامي العالم المتمدن ضد بربرية هطيلا ذاك الذي قد ضمحل من الالفة آثار الجهل ثم ناء عن فلاح عصر لاون العاشر الذي حسن الالفة كل التحسين حين قامت بذاتها ولم تعد تحتاج الى من يمسك بيدها

(شاطوبريان: كتاب الدروس التاريخية)

فمع ان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد تقاعد عن الاعتراف بحقيقة الاحوال لاستغراقه في بحور الضلال فمع ذلك قد اقر بانه لدى ظهور فتاته المثمرة كان العقل البشري آخذًا بالنمو علومًا ومعارف ولم يعوزه الأ من يزيد حركته سرعة" فقد اثبتنا على اقراره واصبحنا بامتنان لايضاح امتنانه لوجود تلك الحركة العقلية لكن فليقل لنا اين كان الاصلاح ومبدع الاصلاح لدى انشاء تلك الحركة العلمية فليعلم انها حركتها الكثلكة بانظارها ومساعيها وغيرتها وهمتها وان هذا المذهب الحق لا يخشى النزول في ميادين البحث والجدال بل قد خاضها وكشف الغبار عن محيا الكثلكة السايرة في النور وقد حاربت الظلام واهل الظلام وما ميادين تنزلها بحثًا وجدالاً الأ وقد زادت انوارها ضياء وبهاء

الفصل الثاني عشر

في ما افترى به صاحب الاصلاح على كنيسة رومية بخصوص ترجمات الكتاب المقدس

فمن جملة ما افتراه ملفق تاريخ الاصلاح على الكنيسة الكاثوليكية دعواه بان هذه كنيسة الحق والمحافظة على وديعة الدين الحق قد رذلت جميع ترجمات الكتاب المقدس وصدقت على ترجمة الفولكاتا اللاتينية واجبرت المؤمنين على مطالعتها دون غيرها وهاك قوله حرفيًا على ما نشرته النشرة الاسبوعية الابروتستانية عدد ١٢ سنة ١٨٧٣ : ان علماء اللاتينيين في ايطاليا احتقروا الكتاب المقدس في تلك اللغة لقلة

فصاحتها وهي النسخة المعروفة بالفولكاتا التي حكمت كنيسة رومية باستعمالها ونهت من استعمال كل ترجمة اخرى :

أفلا يخجل هذا الملفق من نشره الاكاذيب وخداعه الناس بازعامه المضلة فكيف يفتري على الكنيسة الكاثوليكية المقدسة وقد صدقت هذه الكنيسة علنًا على الترجمات المترجمة الى اللغات غير اللاتينية نظير ترجمة الكولي الالمانية وترجمة السيد كينريك الانكليزية وترجمة السيد مارتيني الايطاليانية وترجمة الاب دي فيقو البولونية وترجمة الاب غلير الفرنساوية وغيرها من الترجمات التي حثت المؤمنين على مطالعتها فاذا كان ذلك كيف ساغ لهذا الملفق ان يدعي بان الكنيسة الكاثوليكية قد رذلت كل الترجمات خلا الفولكاتا بل انه في كلامه على الترجمة اللاتينية قال ان الكنيسة المقدسة تقاوم تعليم لغات كتبت بها او ترجمت اليها الاسفار الالهية نظير العبرانية والسريانية واليونانية فلو كان الملفق على المام بعلم التاريخ الصادق لكان اطلع على حقيقة تصديق الكنيسة على الفولكاتا في ابحاث المجمع التريدنتيني المقدس ومراسيمه الكريمة فان الكنيسة قد بحثت في الترجمات اللاتينية المختلفة ورامت التصديق على اصحها واكثرها استعمالاً في الكنيسة لتكون ترجمة رسمية بايدي المؤمنين يعتمدون على صحتها ففرزت الفولكاتا عن سائر الترجمات اللاتينية الاخر وفضلتها عليها وقر القرار على استعمالها رسميًا لكنها تركت للترجمات الاصلية كاليونانية والعبرانية والسريانية كل اعتبارها وقوتها لان هذه الترجمات هي ميزان بيت المقدس توزن بها كل ترجمة حتى والفولكاتا ايضًا والى هذه المتون الاصلية تسند الكنيسة صحة العقائد الدينية وتسد افواه الاراطقة ولاجل

هذا التصديق على الفولكاتا قد جرت ابحاث كثيرة في المجمع واجتمع فيه مشاهير العلماء الماهرين في اللغات العلمية الاصلية نظير العلامة يعقوب لاينيس وفيغا وصالميرون الذين ما زالت كتاباتهم بهذا الشأن محفوظة رسميًا وقد شهدوا واكدوا بانه لم تكن غاية تصديق المجمع الموما اليه على الفولكاتا منع استعمال المتن الاصلي ولذا كلما مست يد التلاعب ايات الله المنزلة تسلحت بيعة الله المقدسة بالمتن الاصلي وسدت افواه المتلاعبين وبناء على هذه عادة الكنيسة وتعليمها نهض المدافعون على صحة الايات الشريفة وقاوموا يد التلاعب التي اعتلنت في تلك الترجمة العربية الابروتستانية المطبوعة حديثًا في بيروت الزاعم اربابها بانها قد ترجمت وفقًا لليونانية والعبرانية فرشقهم المدافعون بسهام الانتقاد وقد استندوا الى متن اليونانية والعبرانية فظهر تلاعب المتلاعبين وغطاهم الخزي والعار اذ قد اتضح تحريفهم كالشمس في رابعة النهار وقهقه عليهم ضحكًا الكبار والصغار حتى اخذ علماء ملة الاسلام انفسهم يصدقون للمدافع على مدافعته ويلومون المتلاعب على تلاعبه

فان كان الملفق يعلم بان الكنيسة الكاثوليكية لم تحصر تصديقها بالفولكاتا وحدها دون سائر الترجمات لِمَ يفتري على هذه الكنيسة وان كان يجهل ذلك فَلِمَ لا يطالع التواريخ الصحيحة هل يزعم بانه اذا ما افترى سوّد عرض الكنيسة الكاثوليكية لا لعمري فليس في اوراقه الا ما يعرب عن جهله بامر التاريخ الصحيح

الفصل الثالث عشر

في ان ترجمة ادعى لوتيروس بانه قد ترجمها عن المتن العبراني قد استعان عليها بتصانيف صنفها احد الرهبان بهذا الشان على ما انبانا التاريخ الصادق

ان ملفق تاريخ الاصلاح قد اقرن فريته على الكنيسة الكاثوليكية بانها ترفض تعليم اللغات العلمية بفرية افتراها على الرهبنات والرهبان اذ زعم في العدد ١٢ سنة ١٨٧٢ من النشرة قائلاً : وكان الرهبان يدعون ان جميع الارطقات قد نبعت من هاتين اللغتين (اي العبرانية واليونانية) وقال واحد منهم ان اليوناني لغة جديدة اخترعت حديثًا يجب ان نكون على حذر منها واما العبراني ايها الاخوة الاعزا فقد تحقق ان كل من نقله يصير يهوديًا بالحال هذه على شهادة هرسباج صديق اراسيموس : لله دره من ملفق يفتري على اهل الفضل والفضيلة وقد استند على الاقاويل المعنعنة

خذ ما نظرت ودع شيئًا سمعت به

ففي طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

هل يثق اولوا الالباب بتلفيق الملفقين وقد اشرق بدر علوم الرهبانية في الافاق لكن ما لنا والجدال بهذا الشان فان فضل الرهبنات علومًا ومعارف غني عن البيان ولا يوثر افتراء المفترين بعقول المتقدمين والمتاخرين . فمع ذلك ان في حادثة تاريخية ما يخذل المفتري على الرهبانية حتى وفي عهد رب اصلاحه الموهوم

فمن ادعاء لوتيروس زعمه بان قد ترجم الكتاب المقدس عن

الاصل العبراني وقد رغب في ان ترجمته تسد لدى ملته مسدكل ترجمة غير انهُ قد اجمع العلماء رايًا من الابروتستانت وغيرهم ان ترجمته افسد الترجمات فلذا رذلوها كل الرذل على ما قدمنا سابقًا في قطعة عنوانها: في رب الاصلاح والكتاب الشريف (جزء ١ فصل ٦)

فان رأيت شيئًا صحيحًا في ترجمة لوتيروس المذكورة فانما قد اخذه من تصانيف صنفها احد رهبان ماري فرنسيس قبل ظهور لوتيروس بجيلين تامين فلما لم يستطع لوتيروس ان يكبح في نفسه روح الادعاء ورام لملته ترجمة من نفسهِ وقد جهل اللغات العلمية لاسيما العبرانية التي لربما قد تعلم منها حروفها الهجائية او بعض المبادي الاصلية اختلس كنزًا رهبانيًا كان اكتنزه لبيعة الله المقدسة الشهير ليران اي نقولا ليرا سليل الرهبنة الفرنسيسكانية الذي لقبه اهل عصره بعلامة النفع ٠ فولد نقولا المومأ اليهِ في ليرا احدى مدن نورمانديا في فرنسا الواقعة بالقرب من فيرنويل من ابرشية افرو وقد هدتك على ذلك كتابة رسمت فوق مدفنهِ ودخل نقولا المذكور الرهبنة في ١٢٩١ وابتدأ في دير فيرنويل وغب ان ترشح بالعلوم الابتدائية ارسل الى باريز ليتقن العلوم والمعارف لاسيما علم اللغة العبرانية فانعكف الراهب المذكور على كتاب الله الشريف وعلى تفسيرهِ ولتاكده بانهُ لا يتوصل الى معانيهِ الجليلة ما لم يحسن اللغة التي انزل الكتاب بها جدَّ في تعلمها وصرف في تعليم الكتاب المقدس في اللغة المنزل بها سنين عديدة اي من سنة ١٢٩٢ حتى ١٣٢٠ باحثًا في المتن الاصلي ومطالعًا تآليف المفسرين حتى برع في هذا الفن وصنف فيهِ تصانيف جليلة واعطى قواعد راهنة لادراك معاني كتاب الله الشريف ٠ فحازت تآليفه الشهرة في عصره

وسائر الاعصار الاتية حتى لهج الرفيع والوضيع بفضلهِ في بيعة الله المقدسة وعليها بهذا الكنز الثمين الصريح العبارة والعذب الالفاظ فقالوا قد طربت بيعة الله واطربت الناس بصوت عودها وما ذاك الاّ لعذوبة الفاظ نقولا ليرا المذكور على ان لفظة ليرا معناها العود وهو احد الالات الموسيقية . ولما وسوس للوتيروس روح عجرفته ان يترجم الكتاب وهو لا يدرك العبرانية فاستعان بتعاسير العلاّمة ليرا المعبر عنهُ بالعود فقال الهازئون بلوتيروس والساخرون بدعواه: لولا العود الرخيم لما استطاع رقصًا لوتيروس اللئيم

فانبأ التاريخ ان قد هام ذلك العصر بتصانيف عود بيعة الله المقدسة في كتاب الله الشريف حتى ادهش عقول علماء النصرانية واليهودية معًا فمنهم صلمون لاوي اليهودي الاصل والذي ارتد فيما بعد الى حضن الكثلكة وصار اسقفًا على مدينة بورغوس ثم صار صدر وزارة يوحنا الثاني ملك لاون وكاستيلا ومات بطريركًا على اكويلا في ١٤٥٣ فهام هذا الاسقف والبطرك والصدر بترجمة ليرا وشروحاته ومزيد تعمقه بالعبرانية حتى انهُ طبعها وذيلها بشروحات نفيسة ومثله قل عن العلاّمة الفونس اكبر مدرسة الكومبوتل سنًا وغيرهما من العلماء المشاهير حتى يومنا هذا

فقد اتضح ان نقولا ليرا قد درس الكتاب المقدس في اللغة العبرانية سنين عديدة ودرس اللغة المذكورة في باريز قبل ظهور لوتيروس بمائتين سنة وان ليرا المذكور راهب فرنسيسكاني وان قد شهد بفضلهِ مشاهير العلماء حتى ومن اليهود انفسهم فاذا كان ذلك وكان المتعلم والمعلم العبرانية راهبًا وقد عاش قبل ظهور الاصلاح باجيال

واستنار بانوار هذا الراهب مبدع الاصلاح ذاته فكيف ساغ للملفق تاريخ الاصلاح ان ينعت الرهبنات بالجهل خصوصًا جهلهم اللغات العلمية كيف ساغ له القول ان الرهبان كانوا يدعون ان جميع الارطقات قد نبعت من تعلم العبرانية وان كل من تعلمها لا بد له من ان يصير يهوديًا وما شاكل ذلك من الاقوال الافترائية بيد انهم كانوا دائمًا وابدًا يحافظون على كنوز العلوم والتعليم حتى وفي الاجيال البربرية واناروا العالم بانوار علومهم وتعاليمهم . فلِمَ يفتري المفتري على الرهبان والرهبنات العلة بعد ان اتضح تحريفه كتاب الله الشريف وتلاعبه بالاسفار والايات الكريمة لم يرَ طريقة يبث بها آراءهُ المفسودة الّا التلفيق والافتراء هل خال لاذهانه بانه يقتنص اهل المشرق باحبولة خزعبلاته اذ لم يستطع ان يخدعهم بتلاعبه وتحريفه

الفصل الرابع عشر

في الحرية والاصلاح الموهوم

الحرية : وما ادراك ما الحرية فنعم الحرية ان كانت حقيقية غير اننا رأينا الناس يتركون حقيقة معنى الالفاظ وصحة الامور ويتمسكون بما وافق رغائبهم فكل ما وافق كبرياء البشر عظموهُ وفخموهُ وانزلوهُ منزلة الايات فهكذا قل عن حرية نادوا بها في الافاق فما هاموا بمناداتها الّا لموافقتها مآربهم وقد اسندوا عليها اغراضهم . لعمري لقد رأينا في كل عصر وجيل على ما انبانا التاريخ وشاهدنا في كل اين وحين اهل العصيان ناشرين راية العصيان باسم الحرية فاية مملكة واية سلطة

واي عرش وكرسي واي مبدإ ونظام لم يزعزع اهل العصيان اركانه بنداداتهم بالحرية فباية الطرق واية الوسائل هيجوا الشعوب على ملوكها والمرؤسين على روسائهم والعبيد على مواليهم والوضيع على الرفيع والفقير على الغني والظلم على العدل والاعتداء على الحقوق والحرام على الحلال أفما بصوت الحرية الصارخ في الازقة والشوارع وفي البدو والحضر فمنذ هنيهة رأينا احسن المدن واعظمها قد ذهبت اثارها الجليلة فريسة النار ورجالها فريسة السيف ونظامها فريسة القلاقل والفساد بمناداة العصاة الحرية الحرية ما احلى اسم الحرية ولكن ياما اقبح ما استعملها الاشرار فاورثوا الالفة الدمار

فباسم الحرية وباسم التسوية راينا اوربا تخضبت بالدماء وتدمرت منازلها وخربت اقطارها لدى تطاير شرار الاصلاح الموهوم الصارخ علنًا والمنادي جهارًا بكونه نهوض العقل البشري فلم تخمد من هذا الاصلاح النار فان خمدت لحظة في الاقطار فانها لم تخمد في الافكار بل ما زال القوم يحاولون اثارتها حيثما كانوا واينما حلوا حتى ان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم رام باساطيره ايقاد نيرانه في الاقطار الشرقية فانه وان كان من المتأخرين بهذا الفن فمع ذلك رام احياء مبادي الاولين فنادى بحرية الافكار والاعمال وقد تأسف على هذه الحرية لزعمه تغليلها من الكنيسة الرومانية

فلولا سخافة ايراداته وسماجة عباراته لما تعرضنا لتقولاته وتأولاته افلا يخجل اهل الاوهام من افترائهم على الدين الحق وزعمهم انه مائل للجور والظلم فان قصدوا بالحرية ما يقصده بها رعاع الناس واهل الفساد قلنا لهم قد اصبتم فان المسيحية ترذل حرية حولتموها عن اصل

معناها لكن ان قصدتم بزعمكم ان الكنيسة الكاثوليكية المؤتمنة على كنز المسيحية الحقيقية ترذل الحرية الحقيقية بحسب اصلها ووضعها وصحة مفادها فما انتم الاَّ قوم ضالون على ان للكثلكة الفضل على الجنس البشري واليد البيضاء على الالفة البشرية على ما صرح به احد مشاهير ارباب القلم المتأخرين بقوله : ان الدين الكاثوليكي قد مدَّن اممًا اعترفت به وما التمدن الاَّ الحرية الحقيقية

فان كنت ايها القاري الحبيب لا تأنف من مطالعة اساطير ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم ولا تكره الوقوف على تلك النشرة الاسبوعية واستطعت القاء الالحاظ على تلك الاساطير المودوعة فيها رأيت عظم اهتمام الملفق المذكور بان يعلن للناس بان الكنيسة الكاثوليكية عدوة الحرية وانها قد اعتدت على الحرية بل قد غللتها بقيود الظلم وكفاك شاهدًا من اقواله ما نبادر الى ذكر بعضه . افتح النشرة الاسبوعية عدد ١٥ سنة ١٨٧٣ فترى ذلك الملفق قد ذكر لك شعوبًا تنوح ببكاء من جور الكنيسة الكاثوليكية طالبة الانعتاق والحرية

قال : وكانت بلاد جرمانيا قد اخذت في التقدم في امر العلوم والصنائع وشاع العلم بين عامة الناس اكثر مما كان في الممالك الاخر .... وحفظوا انفسهم على نوع من الاستقلالية من جهة ايمانهم ولما ظهر لهم فساد رومية لم يلبثوا حتى طرحوا سلاسل عبوديتها ونيرها الحديدي عن رقابهم - اما بلاد سويسرا في ذلك الوقت فكان اهلها ذووا شدة وبأس يحبوا الحرية الى الدرجة القصوى ولما قصد اساقفتها جواز الحد في سلطتهم قاوموهم اشد المقاومة وقاتلوا عن حريتهم اشد المقاتلة ونجحوا - اما بلاد هولندا فكانت اول بلاد اوربا بالتجارة وقوة

الحرية اهلها ذووا شدة وبأس وحرية لاسيما الجهات البحر الشمالي وفي تلك الجهات تمكن الاصلاح وغلب (انتهى)

هذا وقد ضربنا عن ذكر شعوب اخرى رق الملفق لحالها واثنى علي عزمها يبد اننا نرى هذه الشعوب التي يثني الملفق على حالها قد سامت روحها حرية زعم هو ان بها سعادتها فلا غرو فان المانيا البائسة قد هامت كل الهيام لتخلع عنها ثوب حرية كاذبة البسها اياه اقوام سلبوا حريتها الحقيقية

فمن عبارة الملفق المسبوكة بقالب اوهامه ادخاله روح الاستقلال في الايمان الالهي فهذا تعليم لا يدركه لاهوتي ولا منطيقي لما فيه من التناقض البين على ان علماء اللاهوت والمنطق يدركون وجود الايمان الالهي في عقل ذي استقلال او امة فيها روح الاستقلال لكنهم لايدركون روح الاستقلال في الايمان

فهب ان العلماء ادركوا او لم يدركوا وهب ان المنطق وعلم اللاهوت رذلا اقوال الملفق المجبولة بطين التناقض فما الذي يهمه من ذلك انما انه قد القى مدادًا على قرطاس

فلنرجع الى كلامه عن عظماء الارض الذين اتحدوا مع علمائها ليأخذوا بيد الحرية المظلومة قال في العدد ٢٤ : ان اشراف جرمانيا ساعدوا كثيرًا في امر الاصلاح واتحد كثيرون من افاضل ابناء جرمانيا اتحادًا قويًا مع اصحاب العلوم واجتهدوا في انقاذ بلادهم من النير الروماني ... ان اولريخ ثان هوتن الملقب ديموسثنس الجرمانيين بسبب خطبه الماوة طعنًا في البابا كان بمنزلة حلقة موصلة الفرسان باسل العلم: ويمكن صاحب تاريخ الاصلاح ان يلحق بالمذكور

ايراسموس الذي ذكره فيما بين طلائع الاصلاح الموهوم

والابلغ ثم الابلغ والاجمل كل الجمال في هذا العدد نتيجة ابحاث بحث فيها الملفق ففاض قلبه فقررها في اخر عدد ٤١ سنة ١٨٧٣ بتاريخ ١٤ ت ١ وهاك عبارته : فالديانة البابَاوية تعتبر ديانةً وسياسةً . من حيث هي مذهب ديني فهي مضحكة ومسخرة على العقل البشري ..... ومن حيث هي سياسة فانها فتنة وعدوة لكل حقوق الانسان وحريته (انتهى)

لله در الملفقين واعجب من هذر المهذارين فقد اطلعنا على اساطيرك وفهمنا تقاريرك فاننا ندعك تخوض وحول الاكاذيب وبحور الاضاليل فندعك وما تقذفه من الشتائم ونستشير التاريخ الصادق فاننا نتصفح صفحات تاريخ استند على حقيقة الاحوال وصحة الامور استنـــادًا لا يزعزعهُ هذر المهذارين ولا يمسهُ تلاعب المتلاعبين ولم نكن لنفتري على الناس ونطعن ونقدح بالاشخاص اذ من دأبنا البحث في نفس الامور وحقيقة الاحوال فنبحث في القول بمعزل عن القائل حتى اذا عارضنا الاصلاح وحاربنا الابروتستانية مدافعةً عن الحقائق الكاثوليكية لم نمس من يتمسكون بهذا المذهب فمعظم ما نبتغيه لهولاء اخوتنا ونلتمسه من لدن ابي الانوار ان ينظر اليهم بعين رحمته حتى اذا ما استناروا بنور تعاليم كنيسته المقدسة ارتدوا عن ضلالهم وقبلناهم قبلة السلام فياما احب ان تسكن الاخوة معًا

ولما كان من مقصدنا الرد على افتراء صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم لاق بنا ان نبين اولاً ما الذي كان يقصده و يعلمهُ رب الاصلاح بلفظة الحرية وما هو معناها وما المقصود بها منهُ

الفصل الخامس عشر

في راي لوتيروس وتعليمه في حرية الانسان

قال احد الفلاسفة وهو روسو في كتابهِ في اهل الالفة والسلطان المدني : قد ولد الانسان حرًّا معتوقًا فمع ذلك هو مغلل بالقيود : فهذا قول دل على ان قائلة لم يبحث في عقل الانسان بل في اميال الانسان فلم يكن روسو مبدع هذا المبدا الفاسد بل قد ذهب هذا المذهب كثيرون ممن انضموا في سلك الفلاسفة والعلماء وكثيرًا ما رأينا اقوامًا قد زعزعوا اركان نظام الالفة وقلبوا عرش الملوك بمناداتهم بحرية كاذبة حددوها وعرفوها حسب اهوائهم ووفقًا لاغراضهم وكانت كلها اراء فاسدة لم يتخذها الناس مبدا ويجعلوها دستورًا للاعمال حتى ظهرت الابروتستانية اي الاصلاح الموهوم فجمعها جميعًا وجعلها تعليمًا بنى عليهِ بدعته وكانت اخص اساساتها

فقد غرس لوتيروس غرسة فساد التعليم في الحرية البشرية في كلامهِ عن الحرية المسيحية التي علم بموجبه ان المسيحي ليس تبعة انسان ولا يخضع لانسان . علّم هذا فوقع موقع الاستحسان لدى جهلة اتباعهِ واخذوا يسيرون بموجبهِ ولما اقتحموا ميادين العدوان اخذ يردعهم ويشرح كلامهُ قائلاً انهُ لم يقصد بذلك شيئًا ضد السلطان المدني وسلطة ارباب الاحكام لكن انذاره ذهب سدًى اذ قد صغى القوم لسابق تعليمه وساروا بموجبهِ فهاجوا على السادات واعتدوا على ارباب الحقوق وفتكوا بمواليهم وسلبوا اموالهم على ما ذكرنا سابقًا عن القلاقل التي جرت في المانيا (راجع الجزء الاول الفصل الرابع بتمامهِ)

غير ان لوثيروس لم يقف عند تعليمه عن الحرية بما تقدم ذكره بل قد علم عنها تعليمًا جنونيًا لا يدخل عقل انسان فلا يخل لاذهانك أفانه قال عن الاختيار المعتوق قولاً هزليًا فاه به على سبيل المزاح او في حال احتدام غيظه وخروجه عن دائرة التعقل لا لعمري بل انما قصد فيه تعليمًا فانهُ قد علم عن الاختيار المعتوق جهارًا ونادى علنًا وقال وكرر المقال وكتب وكرر الكتابة وجادل وماحك وضاد وعارض وبين تبيانًا جليًا انهُ يعلم ويرشد ويعطي مبادي ودستورًا للعمل على ما يؤكد التاريخ الصادق

اما نحن فلا نظن بان الابروتستانت خصوصًا ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم يعتقدون اعتقاد امام مذهبهم ويعلمون تعليمهُ عن الاختيار المعتوق فحاشا لنا ان نفتري عليهم بمثل هذا الافتراء ولقائلٍ ان يقول لنا ان كنتم لا توقنون بان الابروتستانت يذهبون مذهب امامهم بامر الاختيار المعتوق خصوصًا اذ لا يوافق الالفة البشرية ان يكونوا كذلك فلمَ تتكلمون عنهُ وتذكرونه في هذا البحث اجبناه قائلين انه قد حملنا على ذلك امران موجبان احدهما جهلنا حقيقة يقين ابروتستانت عصرنا هذا واعتقادهم لانهم لما كانوا لا يعتقدون بصورة ايمان معروفة بل امسى ايمانهم مبهمًا اعطوا سبيلاً للعاقل لان يحسن او يسيء الظن بهم فلذا التزمنا ان نبين اس تعاليم مذهبهم على ما علمه امام بدعتهم. والثاني اننا بايضاحنا حقيقة تعليم ايمة الابروتستانية عن الاختيار المعتوق ندحض افتراء الملفق على الكنيسة الكاثوليكية ونبين فساد مديحه الابروتستانية واثنائه عليها بقوله: انها انقذت الحرية البشرية واعتقتها من عبودية الكنيسة الكاثوليكية. فايضاحًا لذلك وبيانًا

لخطاء الملفق في كلا الامرين اي بافترائهِ على الكنيسة الكاثوليكية واثنائهِ على الابروتستانية يقتضي الاستناد الى الفلسفة الصحيحة والتاريخ الصادق على ما في عزمنا لكننا قبل ان نشرع بذلك يليق بنا ان نذكر اولًا تعليم لوتيروس امام الاصلاح الموهوم بهذا الشان فنقول

قد علم لوتيروس عن الاختيار المعتوق قائلًا: ان الله تعالى قد لاشى في الانسان الحرية وان كل ما حدث للانسان واحدثه الانسان كان عن ارادة الله الازلية الثابتة غير المتغيرة القاطعة الباتة وان الاختيار المعتوق هو اسم بدون مسمى وان الله تعالى هو الفاعل فينا الخير والشر وان كمال الايمان قد توقف على ان نؤمن ان الله هو عادل ولو جعلنا ابناء الهلاك وجوبًا بمجرد ارادتهِ

فلا غروان من اطلع على تعليم لوتيروس المذكور قال عمن فاه بهِ انهُ مجنون او قد قالهُ وهو غائب عن دائرة الهدى سكرًا او غيظًا وهلم جرًا فاننا نجيب عن ذلك قائلين ان لوتيروس قد علّم ذلك جهارًا واودعه في كتاب عنوانه: الاختيار المأسور اي الرقيق: فمجرد هذا العنوان دل على ما اودعه لوتيروس في هذا التاليف عن ان الاختيار مأسور باغلال العبودية. والابلغ من ذلك هو ان لوتيروس لم يكتفِ بايداع تعليمه بطون الاوراق بل قد جاهر بالتعليم المذكور ونادى بهِ على السطوح وناضل عنهُ واسنده الى المبادي اللاهوتية فاذا كان ذلك هل تبقى سبيل لعاقل لان يعذر امام الابروتستانية في التعليم المذكور هل توجد حجة اقوى ودليل اعظم يدلنا على حقيقة اقتناع المعلم بتعليمهِ من مناداته بهِ ومناضلته عنهُ واسناده اياه الى المبادي العلمية. فهذا ما فعله لوتيروس في تعليمهِ عن الاختيار المعتوق واننا

لنذكر لك حادثة جرت له ليس نظير تينك الحادثتين اللتين جرتا له في بارجة الدب في مدينة ينا ومع بلدية اورليمندة (راجع البشير ١١٧ و١١٨) بل مع احد علماء عصره ومشاهير زمانه واخص خلانه اعني به ارَسموس الذي كثيرًا ما قد اتى ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم على فضله حتى نظمه في سلك طلائع المذهب المذكور

الفصل السادس عشر

في ما جرى بين لوتيروس وارَسموس من الجدال على حرية الانسان

انكر لوتيروس حرية الانسان فهاج لذلك اولوا الابصار ونفر من هذا فساد تعليمه اولوا الافكار ومع ان ارَسموس الذي وضعه ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم في سلك طلائع الابروتستانية كان يمقت الجدال ويكره المماحكة وهو من العلماء المشاهير لم يستطع سكوتًا ولم يحتمل مثل هذه البدعة التي بتلاشيها حرية الانسان تلاشي كل الانسان

فكان ارَسموس المذكور من علماء عصره وقد حاز الشهرة بين قومه وفي اوربا اجمع واذعن لاقواله اهل البراعة حتى ان لوتيروس نفسه قد حاول اكتسابه لارائه وتذلل له في كتاباته خوفًا من شهرته ومزيد نفوذه (راجع كتاباته الى ارَسموس فصل ٣) وكثيرًا ما كان يتباحث معه ويتخابر لكنه لما قلب المجن على بيعة الله المقدسة واخذ ينشر البدع تنحى ارَسموس ونفر من تعاليمه حتى انه اخذ يدحضها ويبين فسادها بعبارة منطيقية واساليب جدلية موزونة بقالب الانتقاد فعندها

هاج لوتيروس وجاش وهاج لهيجانه جماعته في ويتمبرج وتوعدوا ارسموس وتهددوه وكتب اليه لوتيروس ينهيه عن معارضة كنيسته واخذ يطعن به ويفتري عليه ويهزاء بشيخوخته قاذفاً الشتائم عليه حتى اهاجت هذه تصرفاته اهل الادب

قال ميلانكتون حبذا لو سكت لوتيروس ففي سكوته صون لعرضه واني كنت اومل بان تقدمه في السن يخمد فيه نيران الاحتدام فقد خاب منا الامل اذ نراه يزداد شراسة مع الايام فان كان تعالى لا يبسط ذراع المعونة فلا جرم كانت اقوال لوتيروس مشومة العواقب (كتابات ميلانكتون فصل ٤ كتابة ٣٨)

قال ارسموس اني كنت اومل بان لوتيروس يصحو عقله ويهدا بلباله بالزواج فكان الامل ضرباً من المحال اذ رايناه قد ازداد شراسة وما مباحثتنا الا مع وحش ضاري (كتابات ارسموس فصل ١٨ كتابة ٣٢ و ٦١)

ومع هذا كله كان لوتيروس يدعي الدعة والاتضاع وانه حمل وديع لا يسيء الظن بانسان (اعمال لوتيروس في الرد على ملك انكلترة فصل ٦)

فتاثر ارسموس كل التاثير فعيد على نزول الميدان والقتال باسلحة الجدال وقد دار الكلام على حرية الانسان المنكورة من لوتيروس فاخذ ارسموس اولاً باعتبارات تخذل المبدعين جميعاً ثم تكلم عن لوتيروس وعن تعليمه في الحرية واسند كلامه على ايات كتاب الله وفقاً لطلب خصمه قال:

لم يومن الناس باقوال رسل الله الا لكون هولاء الكرام قد اثبتوا

تعليماً علموه بفعل المعجزات وصنع الايات وقد راينا في هذه الايام اناساً ابتغوا ان يؤمن الناس بهم وبتعاليمهم لمجرد دعواهم بانهم من اولي العقول . فقد راينا رسل الله يشفون المرضى ويقيمون الموتى ويمنحون موهبة اللغات بوضع الايدي حتى امن الناس باقوالهم هذا ولم يكونوا يعلمون تعاليم جنونية اما الان فاننا لم نرَ احد الذين يعلموننا اموراً جنونية محضة قد اشفى ولو حماراً اعرج وحبذا انهم مع عدم صنعهم الايات كانوا يستسيرون سيرة الادباء ويتصرفون تصرف العقلاء . واذا ما سالناهم ان يستسيروا سيرة نموذجية تليق بروح الديانة المسيحية اجابوك قائلين : ان الانسان يتبرر بالايمان لا بالاعمال . واذا ما سالتهم صنع الايات قالوا ان زمان المعجزات قد عبر وان الكتاب المقدس واضح جلي من ان يفتقر للايات . اه

ثم اخذ يبحث في نكران لوثيروس الاختيار المعتوق ويدحضه مستنداً الى الاية الالهية في حزقيال النبي (٣٣ : ١١) حيث قد ارسل الله تعالى نفسه نبيه المذكور ينذر شعبه قائلاً : فقل لهم حيٌّ انا يقول الرب الاله لن اريد موت المنافق بل ان يتوب المنافق من طريقه ويحيا . ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الردية ولماذا تموتون يا بيت اسرائيل : فقد رذل تعالى بهذه الاية الجليلة كل ترفعات يترفعها اقوام في الاختيار المعتوق وابان بان الانسان وان وقع في لجة الاثام يلتزم بالنهوض من سقطته اذ ان ذلك منوط به ومتوقف على ارادته وانه تعالى لا يريد هلاكه بل خلاصه فيحيا برجوعه عن طريقه الردية . وبناء عليه اخذ ارسموس يبرهن قائلاً : فاذاً مع تدهورنا في لجة اثامنا ما برحت حريتنا غير منثلمة ولا ممسوسة فاذاً نحن ارباب اختيارنا والاّ لما كنا

ثم ملك بذنبنا فاذًا للخاطي السلطان لان يصلح نفسه بمعونة الله والاّ لكان الذنب على الله اذا مات الخاطي غير تائب او اقلهُ فما كان يحق لله تعالى ان يونب الخاطي المأسور الحرية على عدم ارتداده اليهِ

فهل لعاقلٍ ان يحج على هذا البرهان السديد والحجة الراهنة والسيف البتار فمع ذلك لم يرتدع لوثيروس ولم يخزَ بل ما برح مصرًا على غيهِ مويدًا مبداه الفاسد الذي هو اس بدعته فالتفت الى ارسموس وقال: اني عليم بما يجعلك ان تنفر مشمأ زًا فانك قد استندت الى النطق البشري والحال كثيرًا ما كان ذلك يؤثر بي حتى اني قنطت آيسًا فاستفدت من ذلك ان في اليأس فائدة اذ انه يقود الى النعمة . اه

ومع ان نتائج اليأس هائلة فقد رضي المبدع بها . فما كفانا ما قد علم ضد حرية الانسان . اما ان طريقة سلكها تاييدًا لازعامهِ فقد عهدناها فيهِ فانهُ اخذ يشتم خصمه ويهينه وينعته بكافر وجاحدٍ وهلم جرًا من القذف المشين ولم يكتفِ بذلك بل اخذ يستعمل ايات الله كفرًا ونفاقًا وقال لخصمهِ اراك تعتمد على النطق ولا مدخل لهذا النطق في المسالة واخذ يحارب الاختيار المعتوق ويقول ان الانسان لا يستطيع الاّ ان يخطي وما قاله الرسول المصطفى في ان نصلح انفسنا ونخلع عنا الانسان العتيق حوّلهُ المبدع عن روح معناه واستعمله هزءًا وسخرية وقال عن رسل الله الكرام: انهم في نصهم هذه الايات كانوا يقولون لنا في انفسهم افعلوا ان استطعتم لكنكم لا تستطيعون

لعمري هل توصل اثيم الى مثل هذا الاثم الفظيع هازئًا بايات الله وبرسل الله . فعلى كلٍ قد تاكد جليًا ان لوثيروس قد علم ضد الاختيار

المعتوق واثبت ان لا حرية للانسان وان الاختيار البشري رقيق مأسور وقد تغلل بالقيود

الفصل السابع عشر
في ان الكنيسة الكاثوليكية انقذت الحرية وصانتها من اعتداء الابروتستانية

قد اتضح لدى الملاء بالبراهين المسنودة الى الادلة الراهنة والحجج الساطعة اراء الابروتستانية بالحرية البشرية وفساد تعليمها في الاختيار المعتوق وقد رامت اتحاف الجنس البشري بهذه البدعة الهادمة اركان الدين والالفة بل والملاشية سمة الانسان من الانسان فلا يخيل لذهن القاري بان ذلك التعليم المنسود قد علمه لوتيروس وحده وانفرد به براته بل قد حذا حذوه سائر ايمة الابروتستانية حتى فاقوه ضلالاً بهذا الشان وهاك ما كتبه كلفينوس في كتابه ضد المجمع التريدنتيني قال: من قال ان الحرية التي نتمتع بها هي اسم بدون مسمى قد ضمن له مقاله المسيح نفسه واغسطينوس عينه: وقد كرر هذا التعليم في أكبر تصانيفه المدعو اينستيتوسيون جز ١ فصل ٤٥ وهل تعجب اذا سمعت ميلانكتون ينادي صارخاً: ان خيانة يهوذا هي عمل الله نظير ارتداد بولس: فليعتجب من يعتجب اذ قد ساغ له العجب. اما نحن فاننا لقائلون ان ذلك تعليماً علمه ميلانكتون وذكره المجمع التريدنتيني بحروفه ليحرمه فاذا كان ذلك افما انها لتحفة ثمينة ومنة جزيلة رام المذهب الابروتستاني ان يتحف الامم بها لكن اذا كنت قد رايت

ميلانكتون وغيره من ايمة الابروتستانية قد عدلوا فيما بعد عن غيهم وشاهدت اوربا قد رذلت وشرائعها وخصالها وعلومها هذا الابداع فلا تنسب ذلك الى النطق وحده بل انما قد نتج ايضاً عن مفعول تعليم الكنيسة الكاثوليكية القويم الذي كان قد تاصل من قديم الايام في عقول الامم وقلوبها

فقد افترى ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم على البيعة الكاثوليكية ورام ان يلبسها ثوب العار الذي فصلته الابروتستانية على جسمها اي انه قد حاول القاء اللوم على الكنيسة المقدسة بكونها قد اسرت حرية الانسان بيد ان هذا الاسر والعبودية كان ثمرة تعاليم مذهبه . اما عن تعليم عروسة ابن الله وخازنة كنوز ايات الله عامود الحق المتين فدونك ان تصغ اليه سمعاً واذا ما ادركت معانيه وفقهت بما فيه احمدن المولى الذي اقام بيعته المقدسة حارساً يحافظ عن وديعة الحق فلم تزعزعها ارياح الاميال البشرية وعواصف اضاليل الانفس الشقية بل قد قامت في وسط ذلك الهيجان وتلك العواصف هذه صخرة الايمان وسدت افواه المبدعين ورذلت تعاليم الملحدين ووطدت اركان الحق المبين فرسمت في القانون ٥ من جلسة مجمعها التريدنتيني المقدس السادسة مدافعة عن حرية الانسان ضد مذهب الابروتستان فقالت : من قال ان حرية الانسان بعد سقطة ادم قد انطفأت او فقدت او انها اسم بدون مسمى فليكن محروماً : ثم ولزيادة تبيان تعليمها القويم رسمت في الفصل الخامس من الجلسة المذكورة مصرحة : من قال ان ليس في وسع الانسان ان يدبر نفسه . . . . بنوع ان تكون خيانة يهوذا عمل الله نظير ارتداد بولس فليكن محروماً : واخذت من ثم تسند تعليمها الى

ايات الله الشريفة على ما رأينا انفًا من ارسموس نفسه فكررت برهانها قائلةً : ان كانت اسفار الله تحثنا على الارتداد فلا غرو انها تذكرنا في الوقت نفسه بموهبة الحرية الممنوحة لنا من سخاء الايدي الالهية

اسمعت كلام البيعة المقدسة وفقهت تعليمها الصريح الباث الجازم والقاطع متون الضلال بدون ان يتعرض لمس المضل · ارأيت كيف انها قد ادرجت في قوانينها قول الابداع فرذلته وضربت عن اسم المبدع فلم تمسهُ فمحت كلام لوتيروس وكلفينوس وميلانكتون بقوة ايات الكتاب ولم تمس شخص المبدعين المذكورين فما ذاك الاَّ لانها نقيم دائمًا على عظمتها ونتذكر دائمًا انها ام فلا تمس العقوقين في مسها كفرهم

فقد ترتب على العاقل ان يحمد المولى على قيام صوت بيعته المقدسة مقام صوته الالهي محافظة على تعليمه الانسان واحسانه نحو الانسان اذ قد انقذت الكنيسة بهذه مراسيمها الالفة من الانحطاط وصدت الظلم عن ان يفتك بالحرية فصانت العقل من تشوش يعتريه اذا ما علم بان لا حرية لهُ يدبر بها ارادته · وان هام بيعة الله المقدسة الذي افترى عليهِ ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم زاعمًا بانه عدو الحرية قد نادى ضد تعليم المذهب المذكور فمنع هجوم الحالة البربرية على الافكار وانقذ الاداب والشرائع والالفة ونظامها معًا وان في مدافعة حبر الاحبار عن حرية الانسان صيانة مقام الانسان وفي محاماته عن حقيقة الوديعة الالهية حيوة التمدن الحقيقي وصونه من اعتداء اهل الضلال وفساد الخصال

الفصل الثامن عشر

في ان الكنيسة المقدسة قد علمت دائمًا وحافظت ابدًا على حرية الانسان

لما كان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد افترى على البيعة الكاثوليكية المقدسة بقوله انها عدوة الانسان وحريته اقتضى ان نبين له فساد مقاله اذ ان بيعة الله المقدسة قد حافظت دائمًا حكمًا وفعلاً على حرية الانسان بكل الانحاء وجميع الوجوه . قد اخطاء العلاَّمة كيزوت اذ انزل في تاريخ التمدن العام في اوربا ابناء البيعة المقدسة منزلة الرومانيين الاولين زاعمًا بان كلا الطرفين قد حُرِما الحرية الفردية واخذ يصف لنا المؤمن كمستغرق في بحر شركة الكنيسة وقد خصص لها ذاته تمامًا وكمالاً واستعد لان يضحي نفسه لاجلها حتى انه قد سعى وتصرف وفقًا لصوالحها بمعزل عن كل صالح له خصوصي . هذا ما زعمه كيزوت وفي ذلك خطاء فظيع لكنه لما كان خطاء قد نشأ على سبيل العرض عن مصدر حق اقتضى بيان الكيفية بتمييز التعاليم والاعمال رفعًا للاشكال

فلا جرم ان المؤمنين كانوا شديدي التعلق بالكنيسة المقدسة حين انشائها ولقد طالما سمعناهم ينادون بكونهم اذا ما انفصلوا عن شركتها برحوا ان يكونوا تلامذة يسوع المسيح الحقيقيين ومن المؤكد العاري عن كل اشتباه انه وفقًا لما قاله كيزوت قد وجد في الكنيسة المسيحية تمسك خاص بشرائعها ورغبة شديدة بانتشار ملكوتها لكن لا سبيل للقول بان مصدر هذه الشعائر وينبوعها كان مجرد روح

الشركة بعزل عن صالح الانسان الشخصي اي نعم كان المؤمن عضواً للشركة لكنه قد اعتبر هذه الشركة وسيلة تمكنه من بلوغ سعادته الابدية وكانت لديه شبه سفينة احتمى داخلها في قصف عواصف بحر العالم وهيجان امواجه ليصل بالامن والسلام الى مينا الخلاص وانه في تاكده ان لاخلاص له خارجاً عن الكنيسة لم يقصد في ذلك تخصيصه لها بل تخصيصه بها لالهه . فكان الروماني القديم مستعداً لان يضحي نفسه وصالحه لاجل وطنه اما المؤمن فيستشهد لاجل ايمانه وفي ذلك كل صالحه وكان الروماني يموت لاجل وطنه اما المؤمن فيموت لاجل الهه لا لاجل الكنيسة فهذا تمييز لابد منه في مثل هذه المسالة الدركة المختلفة العلايق حتى ان ادنى لبس فيها شانه القود الى اضاليل فظيعة

فلما كانت الحقيقة قد اتضحت وقد تبددت سبل الاوهام سطعت انوار تعاليم بيعة الله المقدسة عن حرية الانسان الشخصية وانها لحرية لقد طالما دافعت عنها وصانتها البيعة الكاثوليكية في التمدن المسيحي

لابد من نظام الفة ينضم الانسان اليه لكن يقتضي عدم استغراق الفرد بجسم الشركة لئلا يحرم فعلة الخصوصي حال كونه جزءها ففي انضمام المؤمن بسلك شركة الكنيسة وكونه عضواً لها قد حيت فيه الحرية الفردية وامسى ربّاً على جميع اعماله ومدبراً قوى نفسه بدون انثلام حقه بهذه الشركة المقدسة التي من اخص سماتها صيانة حرية افرادها . كيف لا وقد حافظت على تعليم الاله الحق ونطق هام هذه الشركة المقدسة بتلك الاية المرعدة فرائص سلطان عظماء الارض اذ قد وضعت له حدًّا فلن يتجاوزه الّا وقد داس طريق الاعتداء والظلم . فاجاب بطرس والرسل وقالوا : ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس

(اعمال ٥ : ٢٩) . فهذه اية علوية صرحت بحرية الانسان الشخصية حتى اذا ما اعتدت عليه السلطة البشرية بامر حرية ضميره دافع عن هذه الحرية المعطاة له من الله خالقه والمحافظة عليها بيعته المقدسة خازنة اقواله

قال ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم عن الكنيسة الكاثوليكية . ومن حيث هي سياسة فانها فتنة وعدوة كل حقوق الانسان وحريته (نشرة اسبوعية في اخر عدد ٤١ سنة ١٨٧٣) . فيا من تدعي ان مذهبك الابروتستانتي قد اعتق حرية الانسان قل لنا كيف يسوغ لك ان تدعي ذلك وقد اعددت فعل المؤمن المدافع عن حريته الشخصية من ظلم الظالمين عصياناً واحتسبت بيعة الله المقدسة عدوة حرية الانسان حال كونها تعلمه المدافعة عن حريته وتحافظ دائماً على حريته . فقد انزل الله ايته الشريفة في هذه الاقطار ونادى بها بطرس والرسل الكرام على رؤوس الملا وعلمتها ودافعت عنها بيعة الله المقدسة مدى الادهار صيانةً لحرية الانسان واذا من بعد مرور نحو عشرين جيلاً قد نهض نبي جديد في هذه الاقطار واحتسب العمل بموجب هذه اية الله عصياناً وافترى على كنيسته المحافظة عن الحرية زاعماً انها تغلل الحرية بقيود الاستعباد . لله دره من مفسر تعليم كتاب الله وتفسير اقوال رسل الله

الفصل التاسع عشر

في حرية الضمير والكنيسة الكاثوليكية

قد علمت الكنيسة الكاثوليكية دائمًا وابدًا ومكنت في قلب الانسان وايدت حقيقة هي اخص الحقايق وهو ان للانسان فروضًا وجب عليه تتميمها ولو اقتحم المخاطر وداس القوات الجهنمية والبشرية معًا فان الانسان قد خُلق لغاية عظمى وان العمل نوالاً لهذه الغاية الجليلة هو فعل شخصي وجب على كل انسان مباشرته فلا يسد سده في ذلك انسان اخر اذ قد وقعت مسئوليته عليه وحده دون غيره من الانام ، فلذا لم ترَ قط قبل ظهور المسيحية الّا ابناء الكنيسة الكاثوليكية وحدهم كبارًا وصغارًا نساء ورجالاً من كل مصاف ورتبة قد ناضلوا ودافعوا عن حرية ضميرهم ولم يفوهوا بما يمس مبادي ضميرهم فقد اقتحموا الاخطار وركبوا متون الاهوال وداسوا اشواك جميع المصاعب والمحن بغريب الشجاعة وعجيب البسالة ولم يتسلحوا بالحراب ويتقلدوا السيوف البتارة ويحصنوا في الحصون المنيعة ويكمنوا في المواقع الحصينة ولا تحمسوا بصوت البوق والنفير ولا بعزف الموسيقى الحربية بل قاموا على قدم وساق امام الحكام وبحضرة المحاكم وداخل السجون مدافعين عن حرية ضميرهم وقد نشروا راية الثبات وشمروا على ساعد الهمة والنشاط واعربوا عن شعائر النفس الابية واخزوا قوات المقتدرين بسامي تعاليمهم وشهامة قلوبهم ثابتين على حرية ضميرهم

فمن عثر في هذه الايام على صحف الاخبار المتواردة الى هذه الاقطار

راى في هذا العصر والزمان ان قد اوقدت نيران الحرب على حرية الضمير الكاثوليكي فاسرت اساقفتهم وسجنت كهنتهم وتوعدت شعوبهم في اوربا وامريكا حتى علمنا ان في البريزيل قد حكم على اسقف كاثوليكي بالسجن ومباشرة اعمال المسجونين ومع ذلك راينا الاسقف المشار اليه قد اقتفى اثار اراكنة الكنيسة في اوربا مدافعة عن حرية ضمير الكاثوليكي فيناضل اراكنة البيعة في هذا العصر عن حرية الضمير كما قد ناضل عنها في مرور الاجيال السابقة معترفوا الايمان وكما قد دافع عنها في هذه الاقطار الشرقية مصابيح الكنيسة وعواميدها القديسون غريغوريوس الكبير والذهبي الفم واثاناسيوس وباسيليوس وفي ذلك دليل واضح وحجة راهنة على ان حرية الضمير الكاثوليكي واحدة لا تتغير فدافع عنها اراكنة الكثلكة وعموم مؤمنيها

٦ فقد اخطأ اذًا من توهم انه يرهبهم بالمواعيد ويرعبهم بالمخاوف اذ لا يدري بان حرية الضمير اذا ما ساعدتها النعمة الالهية لا تقوى عليها قوة المقتدرين هل زعم المغتصبون ان قوة الله قد انحطت عن ذي قبل فان الذي شدد قوى مختاريه في ازمنة سلفت ما زال يعضدهم ويقويهم الى منتهى الاجيال وانهم لا تكالهم على قدرته الضابطة الكل ونعمته وهي السلاح الذي لا ينثلم يدافعون عن حرية ضميرهم الى اخر قطرة من دمائهم · وانك اذا ما اشتد الاضطهاد وازداد الاغتصاب ترى منهم ما شاهدته هذه الاقطار الشرقية في عهد القوة الوثنية · ففي جنوبي ارض فلسطين بالقرب من بحر الموت بقعة عقيمة لا تعطي اثمارًا غير انها خصبة بالمعادن ففي اخر الجيل الثالث وقد اشتد اذ ذاك ضطهاد ديوكليثيانوس قيصر رأينا جماهير الاساقفة وكتائب الكهنة

وبجافل المؤمنين قد حكم عليهم بحفر تلك المعادن ليكفروا بحرية ضميرهم ولاجل ان يزيدهم المغتصب نكالاً امر بقلع احدى اعينهم وقطع قيود ارجلهم وبذلك يجبرهم على الاقامة داخل تلك الحفر العميقة . فترى ما الذي ناله المغتصبون وماذا حاز المظلومون فقد افادنا التاريخ ان اولئك جنود الدين الابطال قد قاسوا مر النكال محافظين على حرية ضميرهم الى ان قام قسطنطين الملك فاعتجب من تجلدهم واندهل لصبرهم فنهض لما راى اولئك الاساقفة قد جلسوا في المجمع النيقاوي وقبّل اعينهم التي احتملوا قلعها مدافعةً عن حرية ضميرهم . ولما كان شدة ذلك الاضطهاد قد آل لفخرهم ونالت بعده الكثلكة راحةً املنا نهاية اضطهاد هذا الزمان فلا تلبث بيعة الله ان تحوز نصرًا وينال ابناؤها فخرًا ومجدًا

الفصل العشرون

في مدافعة النواب الكاثوليك عن حرية الضمير

في شورى بروسيا

عبثًا تحاول الاغراض المنحرفة والاميال المفسودة ومحبة الدنيا واموالها اطفاء نور الحق اي نعم ان هذه الاميال بعضًا او كلاً تحاكي غيومًا ترتفع في الافق فتحجب انوار الشمس عن اعيننا برهة لكنها لا تستطيع ان تلاشي شمس النهار ولا يخل لذهن انسان انها غيوم تحجب الشمس دائمًا فانك في ساعة لا تنتظرها ترى ملكة الافلاك قد سطعت فضمحلت غيومًا كنت تخالها دائمة فهكذا قل عن حقائق الدين الحق

واخصها حرية الضمير التي نحن في صددها فقد توهم اقوام ان اشتغال اهل العصر بامر دنياهم واغراضهم السياسية وعدم التفاتهم الى امر الدين تطفي سراج الحق المبين فلم يكن الحق ليسكت عن سلب حقوقه بل قد ايقظ الضماير فنهض جبابرة الحق فدافعوا عن حقوق هذا الحق وكفانا شاهدًا بأمر حرية الضمير ما يجرى في هذه الايام في نفس عاصمة ممالك المانيا حيثما توهم قوم ان سطوة السياسة وفلاح العلوم العالمية قد لاشت حرية الضمير ودفنتها في قبور النسيان فقد نهض نواب الامة الكاثوليكية في شورى بروسيا ودافعوا عن حق حرية الضمير الكاثوليكي مع تاكدهم حال ضعفهم وعظم قوة اخصامهم فضلاً عن كون عنصرهم قد امسى فريسة الاضطهاد قال احدهم وهو مسيو دي مالينكرودست نشرته الصحف الالمانية وهي الجرمانيا وغزتة سالسبورج وقد وجه خطابه نحو نواب الشورى : سادتي لا غرو ان امر الدراهم والاموال ما برحت دائمًا حتى وفي هذه الايام تشغل الاذهان غير ان هذه وان كثر الاهتمام بها وعظم احتشادها ما برحت صوالح دونية لكونها مواد دونية وقد استخدمها البشر لصوالح دونية ففي هذه الشورى قد طرحت مسائل اعظم واسمى وهي مسائل التعليم وحيوة الكنيسة الكاثوليكية خصوصًا حرية الضمير الكاثوليكي وقد نادى بها اراكنة بيعة الله المقدسة فان ناظر الاديان قد تكلم في خطابه في هذه الشورى عن اساقفتنا الكاثوليكيين بما لم نكن ننتظره لعمري ان كل من لم ينطفيء نور حرية الضمير في قلوبهم يشهدون علنًا بكون اساقفتنا ابطالاً يدافعون عن حقوق الحرية فكيف لا ندعوهم جبابرة وقد خاضوا ميادين المدافعة عن هذه الحقيقة الغراء في عصر قد انمحت سمات الرجال

من قلوب رجاله ٠ اه

وقال النائب دي ريشنسبرجر ان شعبنا الكاثوليكي قد اقتفى اثار اساقفته الكرام ومن توهم بان الاسقف الكاثوليكي يستطيع ان يجيز الاحكام المطروحة في هذه الشورى فلم يعلم هذا المتوهم ما هي الكنيسة الكاثوليكية ولا ما هو اسقف كاثوليكي . فان الاسقف الكاثوليكي راعٍ يبذل نفسه عن خرافهِ وليس باجير يفر هربًا متى رأى الذئب مقبلاً . هذا وترى ما الذي يفعله اساقفتنا الكاثوليكيون لعمري انهم انما قد عارضوا معارضة اصولية شرعية متى رأوا الدين والاداب تعارض ضروبًا من الاحكام ومما لاق بنا ان ننادي بهِ علنًا اذ لا يخلو نشره من جزيل الفائدة هو انهُ متى رأيت نور الايمان قد انطفأ من الضمائر ولم يهدِ خطواتها قام لهيب حريق الكومونيين واثارها ودبر خطواتها ٠ اه

وقال مسيو فيندهورست : سمعنا ناظر الامور الدينية يلومنا واساقفتنا لكوننا نعتمد على هام الكنيسة المقدسة في رومية بأمور ضمايرنا فليعلم الناظر المشار اليهِ انهُ انما قد لامنا لكوننا كاثوليكيين وليعلم ايضًا ان خطابًا خطبهُ وقد اطال فيهِ الكلام واكثر الاسهاب انما كان مداره على مسالة واقعة تحت الجدال فرام ان يبرهن صحة دعواه بنفس دعواه اذ انهُ في كلامهِ عن الاحكام الدينية اراد ان يقنعنا بها باسناد حجته اليها فقد سمع الكاثوليكي مذ ساعة انشاء الكثلكة نفسها مثل هذه الحجج قال اليهود في طلبهم رفع المسيح لاسمو السجود ان لنا شريعة وبموجب شريعتنا موتًا يموت ٠ اه

قد فاه هولاء النواب الكرام في شورى الامة ودافعوا عن الحق علنًا وعن حرية الضمير جهارًا مع تأكدهم بان الاكثرية ضدهم وانها

تسحقهم بعددها وسطوتها ونفوذها غير ان ابن الايمان قد حامى عن حرية ضميره بملء الاحترام ولم يتجاوز حدود الاداب الانجيلية فدافع وبرهن مؤملاً دنو ساعة النصر بنعمة اله النصر

الفصل الحادي والعشرون
في حرية الافكار

قد تكلمنا عن حرية الضمير الكاثوليكي هات الآن نبحث في امر حرية الافكار وهي مسالة قد اشغلت افكار هذه الاعصار وقد خاضوا ميادينها وان هم الاّ تايهون في تيه الضلال فنهم ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم فان دأبه الطعن بالكنيسة الكاثوليكية قائلاً عنها انها عدوة حرية الافكار ليس بامر الدين فقط بل بامور اخرى واخذ يتكلم عن الحرية المذكورة ولم يتضح من جميع ضروب تعبيراته ماهية هذه المسالة لكونه لقد طالما استعمل الفاظاً مبهمة وعبارات شابها اللبس فساد كلامه في حرية الافكار كهذه الحرية في عقول اهل الضلال ولما كانت هذه من المسائل الجزيلة الاهمية اقتضى البحث فيها في فصل مخصوص وقد جاءت نسقاً ومحلاً بعد حرية الضمير ولما كان من شروط الجدال الصحيح بيان حدود القضية بينا قضيتنا هكذا: هل للانسان حرية الافتكار: فنقصدنا بهذه الحرية استعمالها داخل ضمير الانسان ولم يعلم به احد سوى الله وحده ولم نتعرض الآن الى حرية نشر الافكار قلماً او شفاهاً

قلنا لمن يدعي حرية الافكار ان قصدت في ذلك ياصاح ان لا

يعارضك معارض في فعل حريتك داخل مقدس ضميرك اي لايشارك فعلك هذا فعل اخر اجنبي فيوثق حريتك داخل مقدس ضميرك فتلك ليست بمسالة نبحث فيها ونختلف عليها اذ ان فعل حرية الانسان لا يجبره طبيعيًا فعل اجنبي بل انه فعل اختياري معتوق لم يتقيد بقيد طبيعي اصلاً انما بحثنا في انه الاتوجد شرائع يخضع لها الفكر في ابحاثه لئلا يتوه في فيافي الضلال وهل يباح للفكر ان يدوس محك الصواب ويسد اذنيه عن مشورة النطق وهل يباح للفكر ان لايلتفت الى ذلك المبداء الصحيح وهو ان موضوع البحث هي الحقيقة وهل يسوغ للانسان ان يتغاضى في بحثهِ عن المبادي الادبية ويطلق العنان لجواد افكاره فيخوض ايما ميادين كانت بدون التفات الى الحقيقة والى المبادي الصحيحة . فانه في كلامنا عن حرية الافتكار قصدنا حرية صوابية مضروبة على محك العقل الصائب ولم نلتفت الى ما يزعمه اقوام ان ليس لحرية الافتكار حدود نقف عندها ولا نتجاوزها كأن الطبيعة وخالق الطبيعة لم يضع حدودًا لهذه الحرية الطبيعية بل قد اطلق لها العنان فتجول حيث شاءت فليذهب اهل هذه المذاهب أيّة مذاهب شاؤا فليس للانسان حرية ان يدوس بها ميزان العقل والصواب ويتجاوز حدود المبادىء الازلية وصالح الافراد والالفة وبناء عليهِ حصرت قضية حرية الافكار داخل حدود ولم تلبث قضية عامة ومبهمة يحار فيها الفهم ولايدركها اولوا العقل

ولقائلٍ ان يقول كيفما تأملنا مسالة حرية الافكار رأينا الكاثوليكي لاحرية لهُ فعبثًا اذًا ايها الكاثوليكي تحدد وتعرّف قضية حرية الافتكار فنعم التحديد والتعريف لكنا رأيناك لاحرية لك لان تفتكر اي انك

قد عدمت حرية الافتكار فعلاً فنقول هل يسوغ لك بموجب مذهبك ان تشك باحدى عقائد دينك المحددة من كنيستك التي تحرم على الكاثوليكي حتى خفيف الشك بامر الدين فيما انها تعطي للابروستاني الحرية المطلقة بان يشك في مذهبه فما قولك في ذلك

قلت لما كانت المسالة ذات اهمية وقد نزلت ميدان البحث فيها جاوبت على رغبة المعترض في كل ذلك وبينت له حقيقة حرية الافتكار بالرجل الكاثوليكي والابروتستاني في ما تعلق في محض العقائد الدينية المحددة من الكنيسة ومما زادني رغبة في ذلك علمي ان اهل العصر قد هاموا بهذه حرية الافتكار حتى داسوا كل ما قيدها فامست وباء سطى على عالم الدين والاداب بل على العلوم الراهنة بيد ان القوم قد توهموها عطرًا انتشر عرفه في الافاق فاخذوا يستنشقون ذكا رائحتها ولقد طالما رأينا الهواء الطيب قد حمل مواد الوباء فقتل مستنشقيه وهم يتلذذون بلذة طيبه

ان مسالة حرية الافتكار سائرة على قدم وساق في اقطار الكرة غير ان الاقطار الشرقية الكثيرة الحب في الامور الدينية لابد من ان يرضيها الاطلاع على الحقايق الكاثوليكية بشان هذه المسالة بازاء النائم الابروتستانية وعليه اقتضي البحث فيها تبديدًا للاوهام وحسمًا للجدال غير ان القول انه لا يباح للكاثوليكي ان يشك في حقائق مذهبه بيد انه يسوغ للابروتستاني الشك في تعاليم بدعته يلوح في اول وهلةٍ من الغرائب لكن اذا ما امعن العاقل النظر وتبصر بحقيقة الامر انقشع عن اعينه البرقع واقتنع كل الاقتناع بصحة هذه الدعوي وهاك شرح الكيفية

فلا غرو ان الكنيسة الكاثوليكية لدى ظهورك في العالم لم تبرهن

معك بامر الايمان بل انه حالما فتحت عينك الى الدنيا ورفعت الحاظك الى السماء الاطلس فتحت هذه الكنيسة امام اعينك سماء النعمة ولما صحت المرة الاولى مناديًا اباك في الارض علمتك بان تنادي ابانا الذي في السماوات ولما تعلقت بثدي امك وتبسمت لك وبسمت لها دلتك على ام في السماء حاملة على ذراعيها طفلاً هو فاديك فناديتها قائلاً : السلام عليكِ يا امنا بل انها باعلانها لك مريم وولدها قد علمتك اخص اسرار الدين واهمها سر التجسد الالهي فعلى هذه الصورة نموك في الايمان كنموك في السن

فهذه الحقائق الدينية هذا الارث الشرعي الذي ورثته وعلمتك اياه الكنيسة المقدسة مذ دقيقة وجودك في الحيوة لا يسوغ لك ان ترتاب بصحتها شرعًا بل ان الايمان والرجاء والتعاليم التي تعلمتها من الكنيسة قد تثبتت على حجج راهنة وادلة ثابتة ولا تحتاج لاطمئنان افكارك لان يحققها العقل ويصدق على صحتها (١) وفي المثل الاتي ما يوضح حقيقة المقال

---

(١) قلنا ان تعاليم الدين الحق التي تعلمها بيعة الله المقدسة لاولادها لا تفتقر الى التحقيق لكن لا يخال لعقل عاقل ان هذه الحقايق عارية من البرهان والادلة فان اله الحق هو الذي علمها وبشر بها وارسل رسله ليعلموها واعطاهم سلطانًا لفعل الايات تاييدًا لما يعلمون . فقال وهو اصدق القائلين : وهذه الايات تتبع المومنين انهم باسمي يخرجون الشياطين الخ فاذًا كانت هذه التعاليم حقًا لمصدرها الحق وتاييدها بمعجزات اله الحق هذا وامر تعالى ان يؤمن كل انسان بتعاليم رسله الكرام لانه ارسلهم ويتكلمون باسمه ولا حرية للانسان لان يقبل او لا يقبل بهذه التعاليم بل يلتزم بان يؤمن بها كل انسان لانه تعالى قال : اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا للخليقة كلها : ولم يستثنِ انسانًا وقلنا ليس لانسان الحرية لان لا

لما كان الانسان قد خُلق لاجل حياتين احداهما حيوة الدنيا والثانية حيوة الاخرة قد اختص طبعًا بالفتين احداهما زمنية والثانية روحية وبكل من الالفتين نواميس خاصة بها ولهذه النواميس يخضع بنو البشر اجمع ولكلتا الالفتين فروض وواجبات وجب عليه تتميمها فما هي واجبات الالفة الزمنية الملتزم الانسان بالقيام بها وكيف يتوصل الى معرفتها فان هذه الواجبات تعلنها له شرائع الالفة التي اصبح هو من اعضائها وهذه الشرايع هو عين نظامها الشرعي وبدونها لا قيام للالفة وقد علمتها السلطة وثبتتها وامرت بالخضوع لها فلا يجهلها انسان ولا يسوغ لانسان الاحتجاج عليها بل وجب عليه ان يذعن لاحكامها طوعًا ام كرهًا ولما كانت المسالة بين ابن الكثلكة وابن الابر وتستانية اخترنا مملكة كان اعضاء الفتها من كلتا الملتين وقلنا هب ان الفة كنت انت من اعضائها هي فرنسا او انكلترة او المانيا وهب انك قد جلست قاضيًا في احد مجالسها وقام لديك مجرم لتبحث في امره وتحكم عليه لذنب ارتكبه وقد انهته عنه شرائع البلاد واخذ يدافع عن نفسه لدى ارباب الحكمة قائلاً : ان امرًا احضرتموني الى هذا الديوان لاجله فلا انكره بل اقر معترفًا باني قد ارتكبته غير ان هذه الالفة التي تقاوم الدعوى عليّ بسببه ما هي وما هي الشرائع التي تشجبوني بمخالفتها ومن هم المشترعون

يؤمن بها او يشك بصحتها لقوله تعالى : من امن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدان : فاذًا قد وعد تعالى بالخلاص لمن يؤمن وبالدينونة لمن لا يؤمن فاذًا انّى حرية الايمان وعدمه . انما الايمان موجب بل وموجب على كل انسان لقوله المتقدم ذكره . اما قوله بان الايات تتبع المومنين فهو وعد خاص ليس لكل مؤمن لكن للكنيسة وما زال هذا الوعد يتحقق فيها مدى الايام والاجيال

الذين اشترعوا مثل هذه الشرائع ومن اين لهم السلطان لذلك فاني الى الآن لم ابحث في صفات توجب عليّ الاذعان لما يقررون ولم اتحقق النصوص الشرعية التي تستند اليها اراؤهم وتعليمهم فاذًا اعطوني مهلة لابحث في كل ذلك ولاغرو فاني لا التزم بالرسوخ الى هذه الشرائع الاَّ بعد ان اكون بحثت ووقفت على صحة كل ما تقدم

فما قولك ياصاح بهذه الضرب من المدافعة افما يهزا بهِ الناس حتى اكبرهم جهلاً وما قولك بمن يدعي هذه الدعوى افلا تعده جاهلاً او هازيًا بشرائع الالفة فاي رجل فرنساوي او انكليزي او الماني يجهل وجوب الخضوع لشرائع بلادهِ لمجرد كونه من تبعتها وينكر سلطة هذه الشرائع والاسباب الموجبة عليهِ حفظها وسلطة اجرائها افما انك ايها القاضي تحكم على هذا المذنب بحسب ذنبهِ سجنًا او نفيًا او قتلاً وذلك بكل راحة ضمير ولم تلتفت الى تعليلاتهِ فاذا كان ذلك فدونك الآن والمقابلة

الفصل الثاني والعشرون

في حال الكاثوليك نظرًا الى الايمان

هات الان نقابل حالة ابن الكنيسة الكاثوليكية الالفة الروحية مع ابن الالفة البشرية على ما في المثل المذكور انفًا . ليت شعري هل يستطيع رجل كاثوليكي ان يقول بانه لايرى الكنيسة ولا يسمع صوتها وقد راها مذ ابصرت عيناه النور وسمع صوتها مذ سمعت اذناه دويًا في الارض كيف لا يرى الكنيسة وقد راى في مسقط راسه معبدًا يعبد

فيهِ العلي وسمع صوت الجرس يقرع الاذان داعيًا المؤمنين لقيام الصلوة كيف لا يرى الكنيسة وقد نشرت علاماتها المقدسة فما هذه الايقونة المصمودة في بيت والديه وما هذه المسبحة التي يتلوها وما هذه الايقونة المعلقة فوق صدره وما هذا رسم الصليب الذي رسم بهِ جبهته وما هذه الصلوة الربية التي يتلوها وما هذا السلام الملائكي الذي يترنم بهِ وما هذه الاثار الدينية التي يكل اللسن عن حصرها اما هي عبارة عن الكنيسة التي يراها المؤمن يوميًا وليست هذه الكنيسة في مكان واحد في الارض بل قد انتشرت في كل صقع فلا يحجز الاوقيانوس المحيط مرسليها عن نشر راياتها في الاقطار الشاسعة ولم ترهبهم قوات العظماء ولم ترعبهم بربرية الاقوام واضطهاد المضطهدين بل ان ما يراه المؤمن من الكنيسة وعلاماتها واثارها في اعظم مراكز الكثلكة يراه ايضًا في كهوف الجبال وفي اقصى الاصقاع اي نعم قد حاول اقوام محو بعض اثار الكنيسة من القلوب حتى وفي هذه الاقطار الشرقية غير ان مسعاهم قد آل لنشر علامات الكنيسة وترسيخها في الاذهان اذ انه ما زرع زارع الزوان زوانًا الّا وقد نهض العملة الروحيون لتلع ذلك الزوان فرام خدمة الابروتستانية الغاء رسم الصليب من الاقطار الشرقية وحرفوا ايات الله وقدموا للمؤمنين سلامًا ملائكيًا جديدًا لم تعلمه الكنيسة الكاثوليكية وازدهوا بكونه وفقًا للغات الكتاب الاصلية لكن ترى ما كانت ثمرة مساعيهم فانها ثمرة اجنتها الكثلكة اذ قد اتضح ضلالهم فازداد المؤمن تمسكًا بالدين وبعلامة الدين

يا ترى الا يسمع الكاثوليكي صوت الكنيسة كيف يستطيع ان لا يسمع هذا الصوت الشجي وقد دوت الافاق باصوات المبشرين اما قد

سمع امام الدين يبشر وينذر ويعظ ويرشد ويونب ويوبخ ويهذب ويودب لعمري ان صوت الكنيسة وتعليمها وآراءها ولغتها قد استغرقت افكار البشر حتى لاق بنا القول ان الكفرة انفسهم الذين يحاربونها اذا ما افتكروا او صنفوا قد افتكروا رغمًا عن انوفهم بها واستعملوا نفس لغتها فكيف لا يسمع ابن الايمان صوت الكنيسة وقد سمع صوتها ينادي علنًا برذل الاضاليل وحرم الكفرة والمدعين . ثمّ هذه الشيع منفصلة عنها وقد انشقت عن حضنها وقامت كل منها بذاتها انما لان صوت الكنيسة قد نادى بفصلها ومنجل الحق قد كسح الاغصان اليابسة من كرمة الرب . فاذا كان ذلك هل يسوغ لكاثوليكي ان يقول انه لم يرَ الكنيسة ولم يسمع صوتها وقد سمعه من ليس بكاثوليكي بل الوثني ايضًا وان انزوى في اقصى زوايا الارض هذا وان الكنيسة نظير الالفة البشرية لها شرائع وقوانين فتعاقب من يخالف اوامرها وتؤدب من لا يسير بحسب نظامها

ولما كانت الكنيسة تقدم لابن الكنيسة تعليم الحق الذي علمه اله الحق ورسل الله الحق وقد ايدوه بالمعجزات والايات وكان هذا التعليم هو هو نفسه الذي علمه الانبياء والمسيح ورسله الكرام اذ ليست الكنيسة في الارض على ما قاله القديس اثناسيوس الجليل الأصلة سرا التجسد على الارض حتى منتهى الاجيال فكيف يسوغ للمؤمن ان يرتاب بتعليمها او كيف انها تسوغ له ذلك . لعمرك الله قل لنا ما المقصود من البحث انما معرفة الحق هي المقصودة فان كان الحق قد اتضح وهو من الله وعن كلام الله فَلِمَ يطلب المؤمن الحق ولِمَ يشك به وهل له ان يشك به فبناء عليه قد اصابت بيعة الله المقدسة بتحريمها الشك بالايمان

على ابناء الايمان . اما على من ليسوا بابناء الايمان فلا تمنع الكنيسة البحث في تعاليمها بل انها توجبهُ عليهم لانهم ابناؤها حكمًا وان كانوا خارجًا عنها فعلاً وهل تخشى بيعة الله من ان يبحث اهل البحث في تعاليمها لا لعمري فان الحق لا يخاف بحثًا وتفتيشًا بل كلما بحث بهِ كلما سطعت انوارهُ وهذا ما تعملهُ هي نفسها نحو من كان خارجًا عنها فانها تبرهن لهُ عن صحة تعاليمها وتامر بهذا البحث لكن بشرط ان يكون اصوليًا ويوزن بميزان الوحي والنطق لكنها تنفي بل تحرم على ابنائها بحثًا لا يوزن بهذا ميزان بيت المقدس وهل يوجد من لا يصدق على رأيها هذا الصائب كيف ينكر عليها العاقل ذلك وانما كان البحث غايتهُ الحق ولا توصل الى الحق الاَّ بالنطق وبالاذعان الى تعليم الاله النطق

الفصل الثالث والعشرون
في حال الابروتستاني نظرًا الى الايمان

قد تقرر ان قد اصابت الكنيسة بتحريها الشك بالايمان على ابنائها. هات الآن نثبت اصابة تعليمها باباحتها للابروتستاني ان يشك بمذهبه بل بحثها اياه على هذا الشك وان يبحث في هذا المذهب ولا تعجب من هذا ياصاح فانه وان اختلفت عبارتها فقد اتفقت غايتها فان الابروتستاني هو حكمًا ابن كنيسة المسيح بالمعمودية وليست هذه الكنيسة الاَّ واحدة وهي الجامعة الرسولية فكل من اعتمد بالماء والروح هو ابنها ولو ملكًا ولو غازيًا وقد رفع عقبه عليها وقلب المجن وحاربها وازدهى بقوته وصولته فلذا جدت هذه الام الجزيلة الحب برد هذا ابنها الشاطر

ولذا تبعت هذه الغنمة الضالة فايضاحًا للمقال دونك ومقابلة الابروتستاني بالمثل المقدم ذكره انفًا في المذنب المتمثل امام المحكمة المدنية . فلا غرو ان الابروتستاني اذا ما حاكمته الكنيسة على ضلاله وونبته على جهله تسلح بدعاوي متعددة وحجج واهية واستل من جعبة تلفيقاته نبل الاحتجاج واخذ يدافع عن غيه ضد صحة تعاليم الله المؤتمنة عليها الكنيسة المقدسة عامود الحق لكن ترى ما الفائدة من دعاويه الفارغة واحتجاجاته الباطلة وكيف يسعه الاحتجاج على امينة اقوال الله . فمن هو هذا الابروتستاني فهو في الاصل ابن الكنيسة الكاثوليكية التي ان كان لم يعش هو داخلها فقد عاش فيها اجداده وكثيرًا ما اسمعته صوتها ونادت على فساد مذهب انحاز اليه وكثيرًا ما قدمت له ابناءها مثالاً يقتدي بهم ايمانًا واعمالاً وبذلك حملته على الشك في مذهبه والبحث في الدين الحق علّه يرجع من سواء الطريق وكفاها لذلك برهانًا ان تقول له : ان كانت سلطة في الارض تدعي حق السلطة الماخوذة عن اله كل سلطة فهي انا الكنيسة الكاثوليكية المقدسة التي ما برحت سلطتي قائمة على عامود الثبات مذ اقامني الله في الارض وها ان كل سلطة زمنية وروحية قد تزعزعت اركانها الاّ سلطتي فاني مبنية على الصخرة الصلدة التي لا تقوى ابواب الجحيم عليها واعلم يا ايها الابن الشاطر ان كل بدعة ابروتستانية وغير ابروتستانية هي غصن يابس قطع مني ولا تنخدع ببعض تعاليم اخذتها عني اذ من عادة الالحاد التستر بثوب الحق واعلم ان كل دين في الارض قد اخذ بعض حقايقي ومزجها مبتدعوه بآراءهم البشرية وجعلوه دينًا اوجبوا على الناس اتباعه يبد ان الدين الحق هو من الله وليس هو صنعة بشر . فبناء عليهِ

سربنا في خلال الاجيال الماضية حتى ظهور فادي البشر واستقرىء كل بدعة على حدتها فترى لها مبدا وبوماً انفصلت فيه عني وان ابرونستانيتك قريبة عهد هذا الانفصال فما من بدعة مسيحية انفصلت عني واستقلت في ذاتها الاَّ وقد كانت يوماً من ابنائي وغصناً من جفنتي اليانعة الى ان قطعت . وان الذين ابتدعوا كلاًّ من هذه البدع رجال ينبئك التاريخ عنهم فرداً فرداً وان مقاصدهم بالانفصال معروفة لدى الجميع وانها لمقاصد مرذولة من عين ذاتها حتى ان المبتدعين انفسهم قد رذلوها . اما سمعت لوتيروس وكلفينوس وغيرهما قد لعنوا انفسهم لاضاليل علموها وعاشوا وماتوا ودود الضمير ينهشهم على سوء مشروعهم وان كنت على ريب في ذلك فدونك وان تراجع تاليفهم اما المقاصد التي قصدوها بالعصيان عليَّ والتمرد على سلطتي فقد نقلها الوضيع والرفيع وحوتها بطون الاوراق . اما بلغك ما قاله ارازموس احد طلايع الابروتستاية وقد هام بذكر اسمه ملفق تاريخ الابروتستاية في هذه الاقطار الشرقية . هل فاتك ما ذكر عن الاسباب التي حملت ملك انكلترة على خلع نيري الاقدس وتطويحه جزيرة القديسين في وهدة الضلال . فما قد اتضح لديك يا ابني الشاطر ضلال اقوام وبدعة اضلتك عن حضني فشردت في تيه الاضاليل ولك البحث يا ابني في فساد تعاليم اهل الضلال وصحة تعليمي فابحث عن اصلهم وفصلهم وغايتهم ومقاصدهم وطرقهم المعوجة واجحدها واكفر بها وارجع الى حضني انا امك عامود الحق التي ما برحت مذ انشأني فادي البشر على ما علمني وما برحت اعلم تعاليمه على ما اودعنيها وما برحت في مدى الاجيال ابشر بها وادافع عنها واقاسي مر الاخطار

لثبوتي عليها

فاذا كان ذلك الا يصدق العاقل على رايي بيعة الله المقدسة بوجوبها الشك على الابروتستاني في مذهبه والبحث في تعليم الحق ليرجع فيدخل الى حضن بيعة الله الحق لانها ام تدعو بنيها الى حضنها وليست بخالة كالابروتستانية وغيرها من البدع تبعدهم من بيت ابيهم السماوي وتدهورهم في وهاد الضلال تمردًا وعصيانًا

الفصل الرابع والعشرون

في الانسان الكاثوليكي المرتاب في دينه

كثيرًا ما نرى اقوامًا بين المسيحيين يعيشون حيارى بامر دينهم فانهم في حضن الكنيسة الكاثوليكية ومن ابنائها غير انهم لا يمارسون امر دينهم ولا ينحازون الى الابروتستانية ولا الى بدعة اخرى بل قد اعتمدوا على بعض صفات ادبية سكتوا الناس بها فقيل عنهم انهم من اهل الاداب اي نعم انهم لا يباشرون الامور الدينية غير انهم ليسوا من الاشرار وقالوا عن انفسهم انه يشق عليهم انهم لا يؤمنون لكنهم لا يستطيعون ان يؤمنوا ولقائل ان يقول : لعمري افلا يليق انارة هولاء الاقوام وان يسعى قهارمة الدين بتعليمهم وارشادهم وان يبحثوا معهم علّهم يخرجونهم من وهدة الشك بل قد وجب على قهارمة الدين ان يساعدوهم على الاهتداء فان القوم من اهل المعارف والعلوم وقد صرفوا الاوقات بالبحث بامر الدين لكن كانت ابحاثهم عقيمة غير ان اعمالهم غير

ملومة فتراهم يحسنون الى الفقير ويجانبون القبائح الخ

قلنا لمن رغب في ارتداد هذا النوع من المسيحيين اننا لراغبون في ما انت راغب لكن طريقة توهمتها صوابية قد عريت من كل فائدة وان هذا مقالنا قد بني على الامتحان وان مثل هولاء القوم قد ظهروا في ايام فادي البشر نفسه فعلمنا كيف نعالج شكهم بامر الدين . اما عن الامتحان فكفناك ما قاله العلاّمة بوصويت الجليل في جداله مع كلوديوس احد خدمة الابروتستانت قال : لقد ضل من توهم وجوب البحث قبل الايمان فمن حظ من ولدوا في حضن البيعة الكاثوليكية المقدسة هو ان الله تعالى قد اعطاها سلطة فيؤمن اولاً ابناؤها بما تعلمهم فسبق ايمانهم البحث بل قد اخرج الايمان هذا البحث : وليس العلاّمة المذكور اول من قد علم هذا التعليم بل قد اخذه عن معلميه الكرام الذين استنار بانوارهم فمنهم العلاّمة ترتوليانوس واغسطينوس ذلك الجليل القائل : ان لم تؤمنوا فلم تدركوا وتفهموا : فقد علق هذا العلاّمة فهم الاسرار الالهية وادراك الحقايق الدينية على الايمان بها اولاً

ولا تعجب من تعليم هولاء عواميد بيعة الله المقدسة فقد سبق المعلم الالهي وعلمنا ذلك سربنا في خلال الاجيال الى عهد مخلص البشر واسمعه يعلم سكان كفرناحوم بان جسده ماكل حق ودمه مشرب حق (يوحنا ٦) وان هذا لعمري من اخص الاسرار الالهية واصعب سمعاً لتراطن القوم وتذمرهم وتأمل المعلم الالهي المنادي بهذه الحقيقة الجليلة كيف تصرف نحوهم ليت شعري هل اخذ يشرح لهم ويبين وهل جادل معهم وماحك لا لعمري بل انه لما علم ان تلاميذه انفسهم قد خامرهم الشك في تعليمه

وقالوا انها كلمة صعبة لا يطاق استماعها التفت اليهم وقال لعلكم انتم ايضاً تريدون المضي فعندها اجابه سمعان الصفا اصالةً ونيابةً ابن نذهب يارب وكلام الحيوة الدائمة معك فقد امنا وعلمنا انك انت المسيح ابن الله . ارأيت كيف المسيح لاسمو السجود قد طلب من القوم الايمان بدون جدال حتى قال بطرس قد امنا ثم قال علمنا (فيه) فاذًا كان الايمان في معرفة الاسرار الدينية مقدمًا على العلم الذي لا يتوصل الانسان اليه الاّ بالايمان على ما قاله اغسطينوس الجليل ان لم تؤمنوا فلم تفهموا

فاذا كان ذلك لا تطلب ياصاح المحال فان اهل حرية الافكار المرتابين بامر الدين قد ترتب عليهم الاذعان لقول الله والايمان بتعاليم الله فان امنوا ادركوا اسرار اقوال الله وان لم يؤمنوا فانهم لا يزالون فريسة الشك والارتياب ولا تجديهم ابحاثهم شيئًا وقد افادنا المخلص لاسمو السجود عن علة عقامة ابحاثهم بقوله انهم يطلبون المجد من بعضهم ولا يطلبون مجد الله فلذا كانت ابحاثهم فارغة (يوحنا ٥ : ٤٤) لكنهم لو طلبوا مجد الله لا مجد انفسهم وامنوا باقوال الله لاستناروا بتعاليم الله لانه جلت اسماؤه قد وعد من عمل مرضاة ابيه وامن به واقبل اليه بانه يعرف تعليمه الحق . فقد علق هذه معرفة الحق على الاذعان اولاً لمرضاة ابيه السماوي وهي ان يؤمنوا اولاً به ثم يعرفوا التعليم فقال من احب ان يعمل مرضاة ابي السماوي هو يعرف التعليم (يوحنا ٧ : ١٨) اما مرضاة الاب السماوي فهي ان من يرى الابن يؤمن به فتجب له الحيوة المؤبدة (فيه) فاذًا قد أُعطيت معرفة تعليم الله للانسان بشرط الاذعان اولاً لاقوال الايمان بتعليم الله

فان لبث المرتاب مصرًا على غيه وتاه في بحر جداله طالبًا الاهتداء الى الايمان بدون الايمان فقد ذهبت مساعيه سدىً وعن مثل هولاء انبأنا الرسول الالهي قائلاً : انهم يتعلمون في كل حين ولا يدركون اصلاً علم الحق (تيموتاوس ثانية ٣ : ٦) هذا والحيوة قصيرة الايام والموت يفاجينا في ساعة لا نعلمها وقد نعين من قبل فادينا ان نكون فيها مستعدين قال كونوا مستعدين ولتكن مصابيحكم موقودة والاّ كان حظكم مع العذارى الجاهلات فالاَم يبحث المرتاب في دينهِ والاَم يشك باقوال الله هل تُعطى لهُ حيوة اخرى فليؤمن فيتعلم وليكن مستعدًا فيصادف حظ العذارى الحكيمات

وان ضرورة الايمان وفوائد الايمان حقيقة لايدركها الاّ بيعة الله خازنة اقوال الله فانها لما هاجت عواصف الابروتستانية على الايمان نهضت محاماةً عن الحق وصرحت بضرورة الايمان وقد دعتهُ بلسان مجمعها التريدنتيني المقدس ينبوع واصل كل تبرير يثمر الخلاص: فيا ما اجمل هذا التحديد لعمري هل تحيا الشجرة اذا ما قطع اصلها وهل تثمر اذا ما يبست غرستها وان هذه الكنيسة لا تيأس من خلاص ابنائها الصادقي الايمان ما داموا في نعمة الايمان ولا تياس من رحمة باريها نحو المذنبين ما داموا متمسكين في حبال الدين . افما سمعت قهرمانها كيف يتوسل لله عند راس المسيحي المدنف على الموت العتيد ان يمثل امام ديانه الرهيب فان الكنيسة لاتيأس من انه تعالى يرق لحال المذنب وان كثرت ذنوبه عددًا وتعاظمت قباحةً فانه تعالى يرده اليهِ بمعونة نعمتهِ بل قد اعترفت نحوهُ تعالى قائلةً عن هذا الابن المذنب المدنف على الموت اي نعم يا سيداه قد اذنب لكنهُ لم ينكر الايمان . هذا واهل الشك

نائمون في فيافي ضلالهم ومنشغلون بباطل ابحاثهم وقد تركوا دفة الخلاص الوحيدة التي هي الايمان فمن امن واعتمد قد خلص ومن لا يؤمن يدان : فمثل هذا فليتأمل المتأملون

الفصل الخامس والعشرون

في مساعي النشرة الاسبوعية لتسويد وجه الكنيسة الكاثوليكية

من لا يقهقه ضحكاً لدى وقوفه على قطع تنشرها النشرة الاسبوعية البروتستانية في بيروت وقد زعمت انها تحارب بها الكنيسة الكاثوليكية فمن دأب هذه النشرة ان تضرب عن الجدال اذا ما بني على صحيح البرهان ومتى طاردها الخصم في ميادين الاصول الوت العنان ورجعت القهقرى فقد نازلناها في ميادين الكتاب الشريف وحقل العقائد الدينية فاعلن ضعفها واتضح عجزها وهزأ بها الرفيع والوضيع غير انها لاجل ان تبرد خجلها ونستر قصرها اعتمدت على ما من عادة القصيري الباع خصوصاً من الخدمة الابروتستانت ان يعتمدوا عليه وهو التمرغ في حماة الاوحام وقد سموه جدالاً وبرهاناً قاطعاً ضد الكنيسة الكاثوليكية الصحيحة التعليم حقايق وادابا واخرجوا من جعبتهم سهاماً جديدة وهي اعلان سقطات الضعف البشري بانغلابه من هجوم الاميال ووثوب الشهوات

قد قلنا لك يا هذا ان كنيسة المسيح معصومة بامر التعليم حقايق وادابا ولم نقل ان ابناءها معصومون من ارتكاب الخطية والاثم فهي

الخازنة الامينة لاقوال معلمها الالهي تعلم جيدًا ان هذا المعلم الجليل لم يعدها بالعصمة من ارتكاب الخطايا بل قد سبق وانباها بوجود الخطاة في حضنها وعبّر عن ذلك صريحًا اذ سمّى الاثمة زوانًا في حقل بيعته واسماكًا اجنبية دخلت في شبكت اصطياده النفوس وجداء تفرزهم ملائكته من خرافه في الموقف العظيم وهو الذي قد سبق وقال لا بد من الشكوك بل ان هذه الشكوك قد وجدت في نفس مدرسته الالهية واعلنت باحد الاثني عشر وهو يهوذا الاسخريوطي

فاذا كان ذلك فما هذه الاوخام التي يتمرغ بها منشيء النشرة وقد توهمها سهامًا يرشق بها بيعة الله المقدسة فاننا نحن معاشر الكاثوليك نعلم ونعلّم ان الله تعالى قد وعد هذه كنيسته ورأسها المنظور بقداسة التعليم لا بقداسة العمل ونعلم اننا اذا ما سرنا بموجب تعليمها كنا قديسين واذا خالفناه امسينا اثمة

فلو شئنا التماثل بك جدالاً لكنا رددنا هذه سهامك عليك وطعناك بها كل الطعن اذ انها سلاح بتار نضربك به في موضع القتل فان كنت على ريب في ذلك فهاك ايضاح الامر

قد زعم مبتدعوا بدعتك الابروتستانية اصلاح بيعة الله وقد توقف الاصلاح الصحيح على تصحيح التعليم والاداب قل لنا يا صاح ما هي اداب اية بدعتك . راجعنّ تاريخ حياتهم وتآليفهم وراجعنّ ما ارتاه علماء ابروتستايتك المشاهير بسيرة ايتها واعفنا من تكرير ذكر سيرتهم القبيحة فترى اذا ما رمنا ان نذكر سيرة لوتيروس وكلفينوس وزوينكليوس واوليمبيادوس وغيرهم ما الذي يظهر للوجود انما تاسف الاذان من استماع ذكر قبائحهم وفواحشهم وهم مع ذلك يدعون

اصلاح الدين وإذا ما رام المسيحيون الاستنارة بموجب تعليم ايمتك انما امسى المسيحيون دون البشر ودون السمة البشرية كفاك ان تعي في اذهانك تعليم لوتيروس عن حرية الانسان لعمري لو سار الناس بموجب هذا المبدإ هل لبث الانسان انسانًا فدع يا صاح ذكر اداب ابروتستانيتك وتعاليها واعلم انه لولم يستسر الابروتستانت بموجب نور العقل وتصنهم اثار الكثلكة التي تخللت مذهبهم لانمحت من الابروتستانت السمة المسيحية بل البشرية ايضًا ومع هذا كله ومع حسن معرفتك بو نراك لما عجزت عن محاربتنا اخذت تخرج من جعبتك سهام الاوخام زاعمًا قتالنا بها انما يخطر لاذهانك انه اذا ما وقف عاقل على هذا طعنك حكم عليك باحد الامرين اما انك ضعيف ولما لم تجد سلاحًا تطعن بو خصمك اصوليًا انحزت الى الاوخام وقد توهمت انك توسخ عرضه بها واما انك قد احببت هذه الاوخام وبما صغرت نفسك لمضايقة ضايقك بها خصمك ارتحت الى التمرغ بها وقد قال من رام الانتقاد على هذه طرق التي تعتمد عليها دعوه يعلل نفسه بها فان من احب شيئًا اكثر ذكره

لما كان داب النشرة الاسبوعية الطعن لا التنوير كما تدعي باية وضعتها في جبينها ذكرت بتاريخ ١٦ الجاري قتل احد المرسلين الانجيليين وتقول انه مات شهيدًا في اقطار الميكسيك وقد نسبت هذا استشهاده الى دسائس الاكليروس الكاثوليكي وايدت هذا تلفيقها بتلفيقها اخر وهو ان الهنود في ١٨٤٧ قتلوا احد الانجيليين وزوجته وزعمت النشرة ان قتلها كان بدسائس اليسوعيين وعن هذه الازعام نتكلم في الفصل الاتي انشا الله تعالى

هذا وقد ختمت النشرة الاسبوعية عددها بالتاريخ المذكور بقطعة عنوانها : نشاط . فقالت لو كانت الطغمة اليسوعية تقتصر في اعدادها الوسائط لتنفيذ دسايسها الخبيثة على الجد والسعي لمان الامر ولكن حبها لامتلاك الارزاق يكاد يحاكي سعيها من امتلاك عقول البشر وقهرها لسلطتهم (اه) ان ظني بالناس كظني بنفسي فقاس اصحاب النشرة قياس نفسي فحكموا على اليسوعيين بحكمهم على ذواتهم فقد علم كلٌّ في بيروت اصل كلٍ من خدمة الابروتستانت هنا لاسيما صاحب النشرة الاسبوعية وفضلهم وما هي بداية امرهم وما هي حالتهم الحالية فلم نرَ لليسوعيين عربيات تجرها الخيول الجياد ولا ملابس الغوى والامتعة الغالية الاثمان من اثاث وحليّ ولا المصاريف الزائدة ولا العلائق الباهظة ولا اجورًا يقبضونها نقودًا لكن راينا كل هذه في المرسلين الانجيليين في هذه الاقطار الشرقية ولنا حجج كثيرة تبين احتشاد هولاء الانجيليين للاموال واحتيالهم باكتسابه وقد انشحنت الكتب بكتاباتهم الرسمية المبعوثة منهم من هذه الاقطار الى مراكزهم بامركا وشهدت عليهم شهادة رهنوا بها قلهم وفي الاتي نذكر عينية من ذلك تبين لاصحاب النشرة الاسبوعية كوننا عليمين بحالهم وان ما راموا القاءه على غيرهم انما هو فيهم

الفصل السادس والعشرون

في المعنى المتقدم ذكره

رأينا النشرة الاسبوعية الابروتستانية تعظم حادثة جرت في اقطار الميكسيك وهو ان احد المرسلين الانجيليين دخل بين كاثوليكي تلك الاقطار واخذ بحسب عادة خدمة الابروتستانت يحاول اخداع الشعب ويقدح بمذهبهم وطقوسهم وعوائدهم على ما نراه من ارباب النشرة الاسبوعية انفسهم فاغتاظ الشعب من افترا المفتري فهاج قوم عليه وقتلوه فوضعه منشي النشرة الاسبوعية في سلك الشهداء والقى ذنب قتله على الكنيسة الكاثوليكية وعلى اليسوعيين اما نحن فاننا نأسف على قتل المرسل الابروتستاني المذكور ونوجب الذنب على قاتليه وقد استوجبوا العقاب شرعاً كما وان بيعة الله المقدسة تشجب القاتل وتنهي عن القتل وتحرم سفك الدما حتى ذهب تحريمها مثلاً في الافاق وتناقلته الاجيال حيث يقال ان الكنيسة تمقت الدما وتكره القتل فاذا كان ذلك فليقل لنا منشي النشرة الاسبوعية كيف يسوغ له ان يلقي ذنب القاتل على الكنيسة هل تواخذ الكنيسة باعمال تنهي عنها وتحرمها ام هل هي ضامنة اميال البشر وتورطهم بافعال حريتهم فان الكنيسة امينة اقوال الله والمدافعة عن دين الله لم تاخذ قط سلاحاً للمدافعة سوى الاقناع وفي تبشيرها وانذارها ومحاماتها عن الدين قد تسلحت بهذا السلاح واذا ما اضطهدت وقامت ابواب الجحيم عليها احتملت وقاست واحتجت على المغتصبين على ما تراه منها الان في اضطهاد تقاسيه لكنها لم تتقلد سيفاً ولم تعتقل رماحاً ولم تسفك

دمًا ولم تبح الدم ولم تطلق الحرية لابنائها بارتكاب القتل واتباع الاميال المنحرفة

اي نعم لو علمت الكنيسة عن الحرية ما علمه اية الابروتستانية لكانت هذه بيعة الله بل لله تعالى نفسه مواخذين بافعال حرية المؤمنين وليس كذلك الابروتستانية التي قد راينا مبتدعيها يحثون تبعتهم على حمل السلاح وسفك الدما والانتقام حتى حركهم لوتيروس على قتل البابا نفسه وقال بحسب مالوف تعبيره الانيس اللطيف بما انه مصلح الدين المسيحي: ان البابا هو ذئب وجب على الناس جميعًا ان يجردوا السلاح عليه ولا ينتظرون امر ارباب الاحكام ولا لوم في ذلك على انسان ولا يلحق الندم الاّ بمن تقاعد عن طعن هذا الذئب بالحراب: وقال لتبعته ان ينهضوا على البابا وبين ويعاملوهم معاملة روساء اللصوص ولو كانوا ملوكًا وسلاطين وقد هيج الملوك على البابا لاون العاشر وجماعة الكاثوليكيين وقال: لو كان الملوك رجالاً حقًا لوثبوا باسم مسيح الله على هولاء الشياطين: هذه اقواله حرفيًا

ولا عذر للابروتستانت بقولهم ان مثل هذه الاقوال انما نطق بها امامهم حنقًا وان هي الاّ عن اخلاقه الشرسة فحبذا لو وقف لوتيروس وجماعته عند مجرد المقال ولم يلحقوه بالعمل فليقل لنا هولاء الاقوام متى كفوا عن سفك دما الكاثوليكيين اما انهم في عهد حبرية البابا بيوس الخامس قتلوا ٤٠ مرسلاً كاثوليكيًا من الرهبنة اليسوعية حملتهم السفينة الى الاقطار الامركانية فما وصلت بهم قبالة مدينة بالما من جزائر كناريا الاّ وقد امر جاك سوري الابروتستاني جماعته بقتلهم وتغريقهم في البحر لعمري وما ذنب هولاء الشهداء فانهم كانوا قاصدين ان

يبشروا بالانجيل شعوبًا همجة فعاملهم القبطان المذكور وفقًا لتعليم مذهبه فبعثهم شهداء الى السماء وقد شهدت السماء باستشهادهم حتى ان القديسة تريزيا رأتهم وهي في الاقطار الاورباوية ساعة قتلهم وقد نزلت ملائكة الله وكللتهم باكليل المجد وصعد هولاء الشهداء الى السماء ونخل الاستشهاد بايديهم فهولاء شهداء حقًا وقد اتفقت على استشهادهم الكنيسة اجمع اما الخادم الابروتستاني الذي جعله منشي الاسبوعية شهيدًا فقد لا يتفق على استشهاده اثنان من الابروتستانت انفسهم . ارايت يا هذا كيف يأمر مذهبك بالقتل وكيف سفكتم دما الكاثوليك وناهيك عما عاملتموهم به في انكلترة وهولندة وبلجيكا من الظلم والاغتصاب حتى اذقتموهم مر العذاب وهم كالحملان قد سيقوا الى الذبح

وبعد ان قص منشي الاسبوعية قصة المرسل المذكور ختمها بقوله ليس اسطفانوس وحده كان اول شهيد بايدي الباباويين بل في ١٨٤٧ قتل في الهند الدوكتور ويلمان وزوجته بدسائس اليسوعيين

قلت هذا ياصاح فاين الدليل على زعمك واين الحجة الراهنة عن هذا مقالك فاننا نندبك الى البرهان هل تأتينا بحجة تقنع العاقل بما تدعيه فمن عوائدك ان تقذف ما لا يليق بالعاقل تصديقه واذا ما طلب منك برهان تجلببت بجلباب الحيادة ولازمت الصمت . ولم يكتف المنشي المزبور ان يعزي لليسوعيين قتل المرسل المرقوم بل قد انهى كلامه قائلاً . اوقى الله الناس جميعًا من شرهم . حذار حذار ياصاح من ان يرد الناس عليك هذا سلاحك ويقولون عنك ما تلفقهم لان يقولوه عن غيرك

الفصل السابع والعشرون

في ما طلبه بعض مطالعي البشير بخصوص حرية الافتكار والايمان

قد سررنا لما تأكدنا ان كثيرًا من العقلاء الادباء الشهيرين علمًا ومعارف قد سروا باطلاعهم على قطع نشرناها في التمدن وحرية الافتكار فامعنوا النظر بها ووعوها بل قد وزنوها بميزان الانتقاد فقالوا وقد بلغونا مقالهم انه لبحث جليل في قضايا جليلة وقد ارضى البشير خواطرهم بتكلمه وطريقة تكلمه عن هذه الحقائق السنية غير انهم طلبوا منا ايضاح ما يأتي اذ قالوا : لقد تحقق لدينا ان الله تعالى الحق بان يطلب من خليقته الناطقة الاذعان لاقواله الالهية والخضوع لاوامره العلوية غير انه قد اعجم علينا كيف ان النطق المتوجب عليه هذا الاذعان وهذا الخضوع لا تمس حريته باداتهما او كيف يتفق الخضوع الاعمى مع حفظ حقوق النطق

قلنا : لا الذ من اعتراض صوابي على حقائق صوابية ولذا حمدنا من حضرة المعترضين اولاً لاثنائهم على فضلنا في تكلمنا في هذا الموضوع ثانيًا لطلبهم منا ايضاحات تعلقت بحقائق ذات اهمية خصوصًا اذ قد رأينا روح الله القدوس نفسه قد راعى حرية النطق البشري فقال في سفر حكمته السنية انك بمراعاة تدبرنا (١٢ : ١٨)

فقد اراد تعالى ان تذعن خليقته الناطقة لحقائق الايمان اذعانًا مطلقًا عاريًا عن كل تردد وارتياب ولا غرو ان النفس الناطقة ان اعتمدت على القوانين النطقية ولم تضل بالاعوجاجات السفسطية نقر

معترفةً بهذا الامر على ما يطلبه تعالى منها ولا محل للخلاف ولاجل ان يتضح لنا ذلك فيقتضي ان نسال متى وكيف يامر الله تعالى خليقته الناطقة ان تخضع نطقها كل الخضوع معتمدة على انوار الله تعالى لا غير. فان اله الانوار يطلب ذلك الاذعان من خليقته الناطقة متى توصل النطق الى حدود رسمها له تعالى فان اله النور غير المتناهي قد اعطى الانسان نورًا من نوره لكنهُ نور متناهي وفقًا لطبع الانسان المتناهي على ما قاله المرتل: قد ارتسم علينا نور وجهك يارب (مزمور ٤)

فاذا ما اراد تعالى ان يطلع الانسان على ما هو فوق وسعه انما يقر النطق نفسه بعدم مقدرته طبعًا على ذلك اذ كانت تلك الحقائق فوق حدود امكانيته ولذا وجب عليهِ ان يعتمد على صدق الله موحيها

فان النور المعطى للانسان على ضربين نور طبيعي خلقه الله عليهِ ونور فائق الطبيعة يفيضه ابو الانوار فيهِ وكلاهما من ينبوع واحد وهو اله النور بالذات ولما كانت اعمال الله كلها بحكمة كانت جميعًا تناسب بعضها بعضًا ولا تناقض بينها فاذ كان الله هو المانح النور للانسان فهل يضاد نور خلق الله الانسان عليهِ نورًا القاه تعالى فيهِ

فبناءً عليهِ قد اراد تعالى ان من عري من الايمان يبحث اولًا بحثًا مدققًا مبنيًا على الاصول النطقية وعلى قدر ما في وسعهِ طبيعيًا فمتى تحقق العاقل ان حقائق فرض عليهِ الاذعان لها وان اوامر فرض عليهِ الخضوع لها هي حقيقة من الله وبالهام الله وبوحي الله حينئذٍ طلب منهُ تعالى ان يوقن ويؤمن ويذعن ويخضع اذعانًا وخضوعًا تامين عاريين عن كل شك وارتياب وبالاجمال ان تكون طاعته عمياء فانه تعالى على ما قاله علماء اللاهوت قد اعطى الحرية التامة للنطق

البشري في ان يبحث ويدقق في اقواله الالهية ما دام الانسان في مدخل هيكل الايمان لكنه متى دخل الهيكل وقام فيه ترتب عليه ان يحني رأسه امام جلالة اله الجود والمراحم الذي ارتضى بوافر سخائه ان يوحي الينا حقائق اسراره الالهية حتى يظهرها لنا اظهارًا جليًا تامًّا في الاوطان العلوية

ولنا في هذا الشان شهادة راهنة فاه بها هام الكنيسة الكاثوليكية المالك سعيدًا في منشور عام بعث به لدى جلوسه على السدة الرسولية الى غبطة البطاركة وسيادة الاساقفة ورؤساء الاساقفة ورعاة بيعة الله المقدسة جميعًا وقد ذكر فيه تلك الآفة الجسيمة القاصدة خراب المسيحية والالفة البشرية وقد دل عليها بالبنان وهي احتيال اهل الاحتيال بفصل الايمان عن نطق الانسان وجعلها نقيضين لبعضهما ينكر الواحد ما يوجبه الاخر على ما زعم فلاسفة العصر الدهريين القائلين ان حياتنا الدنيا

قال قداسة حبر الاحبار في منشوره العام المبرز في ٩ ت ٢ سنة ١٨٤٦ : قد ارتعدت منا الفرائص نفورًا واستولت علينا الاكدار والاحزان لدى تاملنا اضاليل فظيعة تسعى في ان تزعزع الدين الكاثوليكي والالفة المدنية وتخربهما من الاساسات ان امكنها ذلك

واخذ قداسته يسهب بايضاح هذه المعاني الى ان مس الآفة باصبعه وذكر اقوامًا يسعون بانتشارها مكرًا وخداعًا فقال عنهم : لاجل انهم يخدعون الشعوب ويجذبون اليهم العارين عن المعرفة والاختبار زعموا انهم هم وحدهم عليمون بطرق الغبطة وسبل السعادة وادعوا لانفسهم اسم فلاسفة كما لو كانت الفلسفة التي انما مدارها البحث في الحقائق

الطبيعية يحق لها ان ترذل ما شاء اله الطبيعة وخالقها بوفور مراحمه وفيض سخائه ان يوحيه لعباده فلما كان القوم قد داسوا جميع اصول البرهان اخذوا يعتمدون على مقدرة النطق البشري وسموه فانهضوه على ايمان المسيح المقدس وانتحوا قائلين ان هذا الايمان الشريف يضاد انوار العقل فبالحقيقة لا يمكن ان يتوهم الوهم شيئًا اكثر جنونًا وحماقة واشد كفرًا ونفاقًا واقوى مضادة ومعارضة للنطق البشري اكثر من ذلك فانه وان كان الايمان فوق النطق فلا يمكن وجود تضاد او تناقض بينهما لان كليهما عن مصدر واحد لا يتغير وهو اله الحق الازلي السرمدي

ثم اخذ يبين وظيفة النطق ليتاكد هذا النطق حقيقة انزال الوحي فقال: اي نعم لاجل ان لا يخدع النطق البشري بامر هكذا جزيل الاهمية وجب عليه ان يبذل المجهود في البحث عن صحة الوحي الالهي لكي يتاكد بان الله تعالى هو الذي قد تكلم وبذلك يكون اذعانه لكلام الله تعالى صوابيًا على ما علمه الرسول المصطفى

ترى من لا يعلم ويعهد ان كلام الله تعالى يستلزم كل اليقين وتمام الايمان وان لا شيء يوافق النطق ويلايم العقل من الارتياح والخضوع العارين عن كل شك وارتياب لاعتلانات اعلنها الله الذي لا يغش ولا يُغش

فيالكثرة الادلة الجلية العجيبة ويالعظم البراهين الواضحة السديدة التي من شانها ان تقنع النطق البشري كل الاقناع بكون الدين المسيحي هو الهيًا وبكون جميع الحقائق التي نوقن بها هي عن مصدر الهي

الى ان قال قداسته مع الذهبي الفم: متى اقتنع النطق البشري

بالادلة الواضحة والبراهين الراهنة ان الله تعالى هو رب الايمان لا يليق بهذا العقل ان يرتفع فوق الايمان بل وجب عليه ان يدوس المشاكل ويرذل الشك ويخضع للايمان موقناً بان الدين لا يقدم شيئاً للايمان والعمل الاّ وقد كان من الله تعالى . اه

الفصل الثامن والعشرون

في براءة بيوس التاسع الى جمعية طبية كاثوليكية وفي غاية مدرسة ابروتستانت بيروت الطبية

قد ذكرنا في الفصل السابق ما ابداه بيوس التاسع خليفة الصفا لدى جلوسه على السدة الرسولية وقد ابان هذا راعي الرعاة لخراف الرب تلك مراعي الموت التي زرعتها الاعصار المتأخرة في حقل العلوم والمعارف وها ان هذا الراعي الغيور لم يبرح دائماً وابداً على مثال سالفه بطرس صخرة الايمان يحذر الانفس المشتراة بدم فادي البشر من مكائد المحتال ودسائس الشرير خصوصاً في براءته بتاريخ ٢٣ تموز سنة ١٨٧٤ التي تكرم بها على الجمعية الفلسفية الطبية المنشاة حديثاً في ايطاليا ومن منطوقها الشريف ما وقع احسن موقع نظرًا لحال كاثوليكي سورية خصوصاً كاثوليكي بيروت الذين نصبت لهم المدارس الابروتستانية ولاولادهم فخاخ الضلال وقد احتالت على اقتناص الانفس بشباك العلوم

وهاك ما تكلم عنه قداسة الاب الاقدس في هذه البراءة الشريفة وهو ان الرجل الوفير الغيرة الفونسيوس ترافاليني العلاّمة طبّاً وجراحةً

قد انشا جمعية تالفت من مشاهير الكاثوليكيين في العلوم الطبية واما غاية هذه الجمعية فهي ترجيع العلوم الطبية الى صحيح المبادىء الفلسفية الكاثوليكية الخلاصية تلك التي لقد طالما ابتعد عنها الطب مذ امد مديد فاثنى قداسة الحبر الاعظم على هذا المقصد الجليل وصدق عليه كل التصديق وقد كرر في براءته بهذا الشأن اعتبارات نادى بها مذ جلوسه على سدة الحق وابان عظيم الاخطار وجسيم الاضرار اللاحقة بالشبان الدارسين التي يتدهورون بها لتغافل ابائهم اذ لا يبعدونهم عن تلك مراكز المعارف والعلوم الساعية بدسائسها المكرية في اقتلاع غرسة الايمان الصحيح من القلوب وبذلك اهلاك النفوس

قال قداسته : انه على هذه الصورة اي بموجب الغاية التي قصدتها الجمعية المذكورة تعوض تلك الاضرار التي سببها مذهب الماديين للدين والمعارف ولا غرو فان العلوم الطبية باستنادها الى الحق واتسائها عليه تبدد ظلام الاضاليل وتسير في طريق الفلاح الحقيقي ولما كان الحق هو من الاله الحق على ما يعلمه جليًا علماء اللاهوت كان ممتنعًا الاختلاف والتناقض بين الحق والفلسفة الحقيقية والنواميس الطبيعية . اه

فاذا كان ذلك لاق بكاثوليكي سورية وشبانها الدارسين ان يعنوا النظر بهذا قول راعي رعاة النفوس ويهتدوا الى الحق مبتعدين عن تلك المراكز العلمية المستعملة العلوم لبث الاضاليل

ومما صرح به قداسته في براءته الشريفة قوله : ان المراد بهذه الجمعية التوصل لتبديد الضلال بالاطباء انفسهم (الذين لقد طالما ابدعوا اضاليل المادية ونشروها) وان يسعوا باقامة التعليم الحق على اس

جوهر الاشياء واصلها ومن ثم يأتي الدواء من حيث قد تأتى اكثر الداء . اه

ولقائل ان يقول ان قداسة الاب الاقدس قد اعنى في براته المذكورة عن اضاليل الماديين المدخولة في العلوم الطبية وهل يعلّم الابروتستانت في مدرستهم ببيروت هذه المبادي المادية قلنا معاذ الله من اننا نعزي لاخصامنا ما ليسوا عليه ونحذو حذوهم فنتسلح باسلحة الافتراء بل اننا نقول : تنوعت الاسباب والموت واحد فموت الانفس انما يتاتى عن الضلال والانحياز عن صرط الايمان المستقيم وما نعلمه حسنًا ونشهده جيدًا ان الابروتستانت قد استعملوا تدريسهم الطب وسيلة لاحادة الكاثوليكيين عن ايمانهم القويم وان هذه غاية مدرستهم المذكورة وليس هذا قولنا قيلاً عن قال ولا مجرد وهم واشتباه ولا افتراض وتخمين بل انه لقول بني على مجرد قرارهم وتصريحهم في لائحة علومهم بمدرستهم المذكورة وقد طبعت في اللغة الانكليزية وعنوانها مدرسة الابروتستانت في سورية وذكروا فيها اسماء مدبريها ومعلميها وما يعلمون فيها في مدة كل ستة اشهر وقد اسهبوا في ذلك كل الاسهاب وذكروه بجميع تفاصيله واذا ما رمت ان تعلم لماذا عول هولاء الاقوام مذ سنة ١٨٧٠ على تعليم الطب في مدارسهم والحقوه في سائر العلوم الاخرى التي كانوا يعلمونها فيها فتراهم هم انفسهم قد اعربوا عن محض نيتهم وقالوا ان من اخص مقاصدهم استعمالهم علم الطب واسطة فعالة تفعل بايمان ومعتقدات شعوب سورية لتهدم بكل سهولة الايمان الكاثوليكي في هذه الاقطار . انما انه لايضاح جلي ولاجل ان ترتفع كل شبهة بهذا الشان ونتضح غاية هولاء الاقوام وطرق استعملوها لذلك

ذكرنا لمطالعيه كلام هولاء الابروتستانت حرفيًا . قالوا في لائحة مدارسهم المطبوعة بالانكليزية

معلوم هو ان الطبيب في المشرق كثيرًا ما يدخل في ابواب تسد على المرسل فبناء عليهِ واملاً بان ابناء الوطن الانقياء يستطيعون ان يتاهبوا لامر ذي فائدة اولى كان هذا الامل هو احدى الزوايا المقصودة بانشاء هذه مدرسة الطب . اه

واذا ما رام اباء الاولاد الكاثوليكيين الاطلاع على وسيلة تستعمل في هذه مدرسة الطب نحو اولادهم لتسلب منهم اثمن النعم التي اقتبلوها من يد الله الكريم اهداهم الى ذلك الابروتستانت المذكورون انفسهم واوضحوه لهم كل الايضاح بقولهم في هذا الشان

اننا لم نطلب الارتداد الى الابروتستانية صريحًا ولم نفرضه على تلامذتنا بل نعتني باتصالية المعلمين مع تلامذتهم في المدارس وفي غيرها خصوصًا في اعمال هذه المدرسة وقوانينها ان نبين لهولاء الدارسين سمات الحقيقة الانجيلية الممتازة بها عن غيرها فمن ثم نطلب من جميع الدارسين حضور الصلوات صباحًا ومساء وان يحضروا ايضًا الخدمة الابروتستانية ومدارس الكتاب تلك التي تصير في يوم السبت وان يحضروا تلاوة الكتاب وقراءته التي تصير في بحر الاسبوع هذا وان الكتاب هو المعول عليهِ استعمالاً في ايدي الاولاد في المدارس

لعمرك الله هل قد اتضح الامر لاعين اباء العائلات الكاثوليكية وهل من له باصرتان قد بصر وهل عرف هولاء الاباء مستقبلاً اعدوه لاولادهم بتسليمهم اياهم لايدي معلمين يصرحون علنًا بانهم يسعون بهدم ايمانهم ومن ثم بهدم بنيان خلاصهم الابدي انما يهدم الاباء ايمان اولادهم

ويسببون هلاكهم بايديهم اذ سلموهم لمن يعلمونه علم الطب في هذه المدرسة الطبية ببيروت

الجزء الثالث

في ما ابداه مؤرخ الاصلاح الموهوم من القدح والطعن ببيعة الله المقدسة وعقائدها الجليلة واحبارها الكرام

الفصل الاول

في الغاية المقصودة لهذا الجزء الثالث

قد بينا في الجزء الاول حقيقة مذهب الاصلاح الموهوم مستندين الى الادلة الصادقة والاثار الجلية والانتقاد الصائب اذ كان مورخ الاصلاح المذكور قدم عنه تاريخًا رذلته الادلة الصحيحة والاثار الحقيقية فكان تاريخًا كاذبًا وعاريًا عن الصحة وضربًا من الخرافات

وبينا في الجزء الثاني فساد ازعام زعمها المؤرخ المذكور واوهام نشرها وقد قصد تبيان عظمة مذهب الاصلاح الموهوم وفوائده بيد انه قد عرى عن رائحة المجد والفخر وتنزه عن كل ما به الفائدة فعليه قد وزنا الامور بميزان العدل فبانت قيمتها للعيان

واننا نبين في هذا الجزء الثالث تفاصيل تعلقت بتعليم الكنيسة المقدسة وعقائدها التي مسها المؤرخ المذكور في تاريخه وفي هذا البيان فائدتان احداهما ارشاد المؤمن وتعليمه الحقائق الدينية وفقًا لتعليم الكنيسة الكاثوليكية ثانيتهما ثلم سهام اوهام زعم المؤرخ ان يرشق بها تلك الحقائق ولم يعلم ان نبله المثلمة لا تؤثر بابراج الحق ولا تثلم حصون الصدق

وقد حملنا على خوض هذا الميدان ليس فقط طعن مؤرخ الاوهام بل مساعي المتلاعبين بحقائق الدين الذين لقد طالما نشروا بهتانهم واذاعوا فساد تعليمهم بكر يرسيات تخجلوا ان يمضوها او ينشروها علنًا بل اودعوها يدًا خفية تطرحها ليلاً على اسكفة الابواب وتلقيها في الارقة والشوارع وتطرحها في حانوت فيلتقطها الانسان ولا علم له بمن اتحفه بها فكان قومًا اعتمدوا على ذلك راموا القيام بموجب شروط ماموريتهم ولما لم يستطيعوا على ذلك جهارًا اخترعوا الطريقة المذكورة واشاروا الى من قلدهم تلك المأمورية وعين لهم عليها العلائف قائلين بلسان حالهم ها اننا قد اتممنا ما علينا افلا يحل لنا التمتع برتبنا

لعمري لقد كان الاولى ان ندع تلك الاوراق تدوسها اقدام المارين اذ انها اهلاً لذلك غير انه لسوء الحظ رأينا كثيرين قد تلوها بانشغاف ولم يكتفوا بالوقوف على ما فيها بل قد اهدوها لاخرين فامست طريقة لافساد اليقين في قلوب المؤمنين الصادقين ولما لم نستطع بل لم يكن داعيًا لنرد على افرادها، كلما نشرت انتهزنا فرصة نشر تاريخ الاوهام الطاعن بحقائق الايمان ودحضنا مفصلاً تلك الاضاليل تصحيحًا ليقين المؤمنين وبهذه الطريقة توصلنا الى الغاية المطلوبة وهي ارشاد ابناء الايمان ودحض اضاليل اهل الفساد ثم وتسهيلاً للمؤمنين للتسلح باسلحة الدين جمعنا في آخر الكتاب فهرسًا ذكرنا فيه كل حقيقة دينية وتعاليم كنائسية رشقها معلموا الضلال بسهامهم الطايشة حتى اذا ما عثر المؤمن باوريقاتهم وراي حقيقة دينية طعنوها بحرابهم راجع الفهرست ورأى تلك الحقيقة الدينية فطلبها في بابها فاطلع اولاً على حقيقة تعليم بيعة الله المقدسة بشأنها ثم

على حل اعتراضات المعترضين عليها وفساد اراء الضالين بخصوصها فيهتدي للصواب متمسكًا بعرى الحق المبين ورإذلًا اراء المفسدين

الفصل الثاني

في ما ارتكبهُ مؤرخ الاصلاح الموهوم من فظيع الخطاء بتخطئتهِ تعاليم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة

قد انتقل صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم من التاريخ الى التعليم فقد بيّنا للناس مهارته في فن التاريخ واننا نبين لهم الآن مزيد فضله في التعليم فيعلو منزلة في هذا على ما علا في ذاك وما التاليف الّا محك القرائح

قد اطلعنا يا هذا على تعليمك في عقائد الكنيسة الكاثوليكية المقدسة فخطانا الخجل لا لكوننا ابناء هذه الكنيسة المشرفة اولادها ولا لحقائق تعلمها اذ انها تعاليم الحكمة الازلية ولا لدعوى هذه الكنيسة اذ ان دعواها هي دعوى الاله الحق فاذا ما مست يد التلاعب تعاليمها معاذ الله من ان تثلم هذه الحقائق بل انها كالالماس الذي كلما سطعته يد سطع بهاء ولمع ضياء فلم نخجل لكوننا ابناء الكنيسة بل قد خجلنا عن الجنس البشري اذ قد رأينا اناسًا اتشحوا بملابس الدعوى الفارغة قد زعموا مع ذلك ان ينزلوا مضمار الحق ويخوضوا بحور العلم ويقيموا انفسهم معلمين بحقايق الدين وهم لا يدركون ما هذه الحقائق ولا يعلمون ما هذه التعاليم حتى اذا ما نزلوا هذا الميدان وتكلموا بهذا الشان لم يبدوا للعيان

سوى جهلهم الفظيع وقولهم الهذر والهذيان ومن كان على ريب في ذلك فدونه والوقوف على اوريقات تاريخ الاصلاح خصوصاً في كلامه عن تعاليم الكنيسة فانه قد تكلم عن تعاليمها في بحر الاجيال الماضية ولا علم لاجيال الكنيسة بالتعاليم الذي تكلم عنها وتاكيدًا لذلك كفانا ان نذكر ما صدّر به كلامه عن تعليم الكنيسة المقدسة الكاثوليكية قال : مبدا الديانة المسيحية هو ان الخلاص انما هو من الله .... وفي الاعصار التي نحن في تاريخها (يعني الاعصار قبل الاصلاح) غلب التعليم بان الخلاص من الانسان ..... تميزت الديانة المسيحية عن سائر الاديان بهذا المبدا اي ان الخلاص انما هو من نعمة الله اما الكنيسة فنسي فيها هذا المبدا وشاع فيها المبدا الاخر اي ان الخلاص بواسطة الانسان ......

.... والتعليم الاخر الذي ساعد في نقض تعليم النعمة هو تعليم بيلاجيوس .... وخطر هذا التعليم ظهر على الخصوص في هذا الامر وهو انه بوضعه الصلاح خارج القلب لا داخله جعل قيمة عظيمة لاعمال الخارجية الخ (نشرة اسبوعية سنة ١٨٧٣ عدد ١١)

هذه اشارة عن تلك الدرر المصونة والكنوز المكنونة المودوعة في تاريخه وقد انبأتنا عن حقيقة فضله

قل لنا ياصاح هل ادركت ما به تكلمت بل هل يدرك العاقل ما من فيك قد قذفت . من له اذنان سامعتان فليسمع ومن كان ذا باصرة فليتبصر اما نحن فاننا نشرع اولاً في البحث عن حقيقة واحدة تاريخية لا علمية قد انكرتها ياهذا بصفة كونك تدعي علم التاريخ بيد ان التاريخ قد انكر كلامك واثبت خلافاً لمقالك فلنستقرأنّ تاريخ الاجيال

هل تجد لما تسند اليه انكارك اثرًا فقد انكرت على بيعة الله المقدسة كونها تعلم ان الخلاص بيسوع المسيح وهذا صريح مقالك المذكور انفًا. هات الآن نرى تعليم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة بهذا الشان فان هذه الكنيسة عمود الحق ومعلمة الحق ومستودعة تعليم الاله الحق والحارس الامين على وديعة الدين الحق قد علت مذاول يوم ظهرت فيه بلسان حبرها الاول بطرس الصفاء اذ قام بطرس في هيكل اورشليم يومًا حل فيه روح الله على الحواريين وفاه وقد اذهل عقول الحاضرين وهم من كل ملة ولسان في الارض قائلاً: ليس يوجد اسم اخر تحت السماء أعطوا الناس الذي ينبغي ان نخلص به (اعمال ٤: ١٢)

فاذا كان ذلك قلنا هذا تعليم كنيسة الله مذ دقيقة ظهورها على الارض بلسان حبرها الاول بطرس الصفا فقل لنا ايها اللاهوتي الابر وتستاني الجديد وعلامة الدين المجيد ها قد مضى مذ انشاء الكنيسة حتى الآن نحو تسعة عشر جيلاً وخلفاء بطرس يدبرون سفينة الخلاص هل من احدهم لم يعلّم هذا التعليم الذي علمه بطرس بل هل من مجمع مقدس عقدته الكنيسة بعناية احبارها الكرام ولم يعلم هذه الحقيقة الاساسية الم تنادِ الكنيسة بهذه الحقيقة دائمًا على روس الملاء وتبجنها في عقول مؤمنيها وتكررها على سماع سامعيها ومع هذا نراك والجهل قد اعماك تنادي في هذه الاقطار السورية مهد الكنيسة الرسولية قائلاً ان الكنيسة قد نست هذه الحقيقة الاساسية وما هذه الحقيقة الاّ صدر كلٍ من تعاليمها الجليلة وراس افعالها الجليلة ومدار اعمالها الكريمة حتى ان كل ما تجريه هذه البيعة المقدسة يوميًا وتمارسه على ممر الدقائق والساعات قد بني على هذا التعليم الحق

فقد حصرت هذه البيعة المقدسة ايمانها بهذه الحقيقة الجليلة بلفظة واحدة افتتحت بها قانون ايمانها الذي ترضعه لابنائها مع الحليب قائلة اؤمن بالله الخ . هل ادركت يا هذا ما معنى لفظة اومن بالله فلما كنت لا تدرك ذلك ترتب عليك ان تصخ سمعاً لاباء الكنيسة الافاضل وتمعن النظر بعظات القديس كيرلوس الاورشليمي في شرحهِ قانون الايمان وتتبصر بما قاله العلامة اغستينوس في تفسير القانون المذكور على مكان افريقية وتراجع مقالته التاسعة والعشرين في تفسير انجيل يوحنا البشير فانك لا تجد سبيلاً لان تنكر على بيعة الله هذا التعليم الذي هو اس تعاليمها الخلاصية فان قولها اني اؤمن بالله ليس معناه فقط اننا نؤمن بوجود الله تعالى وانهُ تعالى هو اس ايماننا ومبداه بل اننا نرجوهُ تعالى ونتوكل عليهِ ونتوقع الخلاص منه وبهِ

وهذا ما علته الكنيسة مدى الاجيال افما تسمعها يا هذا تدعو الله الهها وتبتهل اليهِ وتلتمس نعمه وتطلب مراحمه وتنهي كلامها قائلة بربنا يسوع المسيح فان تشفعت باصفياء الله او امرت ابناءها ان يعملوا الاعمال الصالحة الضرورية للخلاص فانها تعلمهم ان استحقاق الاعمال الصالحة واستحقاق قديسي الله الذين عملوا الاعمال الصالحة انما هو بربنا يسوع المسيح مبدا خلاصنا اذ ليس يوجد اسم اخر تحت السماء أعطي للناس لاجل ان نخلص بهِ

وقد شاقني ذكرك بيلاجيوس وزعمك ان تعليمه قد سرى في الكنيسة فنسي فيها مبدا الخلاص

من كان يخلق ما يقو ل حيلتي فيهِ قليلة

ذكرت يا هذا بيلاجيوس وافترست على بيعة الله المقدسة انها

نست ان مبدا الخلاص هو بالله وانها استسارت بتعليم بيلاجيوس الملحد بيد انك لا تعلم ما علمه بيلاجيوس ولا ما علمته الكنيسة ضد تجاديفه هل قد غشك بيلاجيوس كما قد غش اهل عصره ام قد اعماك الجهل فلم تهتدِ الى ما نقول. فما نهض بيلاجيوس مناديًا ببدعتهِ الاَّ وقد نهض عليهِ وعلى اتباعه جميعًا سواء تمسكوا ببدعته كل التمسك او ببعضهِ وحاربه فرسان بيعة الله فقام عليهِ ايرونيموس في سورية واغسطينوس في افريقية واينشنسيوس في ايطاليا وبروسبيروس في غاليا المعروفة الان بفرنسا ودحضوا اقاويله ورذلوا ورذلت الكنيسة بتعاليمها ومجامعها بدعتهُ الوخيمة ومع هذا تزعم ان الكنيسة استسارت بموجب تعليمه فان محاربة الكنيسة بيلاجيوس حقيقة تاريخية وانت تدعي انك موءرخ ولم تدركها ولقد تكون ما علمت بها ها ان تصانيف اباء الكنيسة قد اشحنت المسكونة وتعاليم مجامع الكنيسة حجة راهنة لكل موءرخ صادق وما ذكر بيلاجيوس لدى الموءمنين الاَّ كذكرايه بدعتك الابروتستانية الملحدين المرذولين

وان كنت تزعم ان تعليم الكنيسة عن الاعمال الصالحة يوقع الموءمن بضلال بيلاجيوس فان انت الاَّ ضال وان عذرك الاَّ اقبح من ذنب وقد بينت لنا انك تجهل تعليم بيلاجيوس كما تجهل تعليم الكنيسة الكاثوليكية المقدسة

الفصل الثالث

في التصور الذي تصور به ملفق تاريخ الاصلاح بيعة الله المقدسة

ان من طالع الفصل الثاني لملفق تاريخ الاصلاح وقد عنونه التعاليم وامعن النظر بما اودعه فيه اخذ يسال نفسه بنفسه قائلاً : كيف يتصور ملفق التاريخ المذكور الكنيسة المقدسة

فقلنا له : ان كلام الملفق صريح وعارٍ عن كل لبس وان الكنيسة على ما في زعمه وتعاليمه على ما ياتي وهذا قوله بحروفه

وبينما افسد تعليم بيلاجيوس التعليم المسيحي شدد ايضاً رياسة الاكليروس واليد التي خفضت شان النعمة رفعت شان الكنيسة لان النعمة هي من الله والكنيسة هي للانسان . بالنسبة الى شعورنا بان جميع الناس مذنبون امام الله يكون تمسكنا بالمسيح مصدر النعمة الوحيد فكيف نقدر اذاً ان نجعل الكنيسة في رتبة واحدة مع المسيح والحال انها ليست سوى جماعة من الذين هم جميعاً بالطبيعة في حالةٍ واحدة شقية ولكن حالما ننسب الى الانسان قداسة خصوصية واستحقاقاً شخصياً يتغير كل شيء ويعد الاكليروس والرهبان افضل واسطة لنوال نعمة الله على ايديهم وهذا ما قد حدث مراراً بعد ايام بيلاجيوس نُزِع من يد الله حق اعطاء الخلاص وصار في ايدي الكهنة الذين وضعوا انفسهم مكان الرب والانفس المتعطشة الى الغفران لم يعد يلزمها ان تنظر الى السماء بل الى الكنيسة ولاسيما الى رأسها المزعوم وصار الحبر الروماني لهذه الانفس العمياء الهاً ومن ثم نتجت عظمة الباباوات وفساد لا يوصف

وقد امتد الشر الى ابعد من ذلك ايضاً لان المذهب البيلاجي بعد ما علّم بان الانسان يقدر ان يحصل على حالةٍ كاملة من القداسة علّم ايضاً بان استحقاقات القديسين والشهداء تُنسب الى الكنيسة ونُسبت قوة خصوصية لشفاعتهم فقدمت اليهم الصلوة وصار الناس يستغيثون بهم في جميع مصائب هذه الحيوة وعلى هذا المنوال دخلت عبادة وثنية حقيقية مكان عبادة الاله الحقيقي (اسبوعية ١٨٧٣ عدد ١٠)

هذا هو التصور الذي قدمه لنا نحن معاشر السوريين عن كنيسة المسيح ملفق تاريخ الاصلاح الموهومْ وهذا ما علمه ذلك اللاهوتي الشهير وقد دخل فيه بيلاجيوس لكن باية طريقة وعلى اي الاستناد فالله وحده عليم بما هنالك. نشدتك الله قل لنا ياصاح : من اين استخرجت هذه درر التعاليم عن الكنيسة وسلطانها الالهي. لعمري فاننا لا نرى شيئاً من هذه يشرف على تعاليم الكتاب المقدس ولا على التقليد حتى ولا على تعاليم الابروتستانت ابناء مذهبك او على تعاليم من بهم رائحة الاعتبار للامور العلمية فلا جرم في ان علماء الابروتستانية انفسهم لو التفتوا الى هذه تلفيقاتك لرجموك بالحجارة لنشرك مثل هذه الخزعبلات في امر كثرت اهميته ووفرت عظمته

اما نحن فاننا نضرب الآن عن هذر هذا الملفق بحق الاكليروس والرهبان وطعنه بحبر الاحبار نائب السيد المسيح على الارض اذ لا نلتفت الى شتم الشتامين وتجديف المجدفين بل اننا حصرنا الكلام في مجرد موضوع هذه المقالة وبحثنا فقط في التصور الذي قدمه لنا الملفق المذكور عن كنيسة الله المقدسة

لعمري نرى ما معنى قوله اننا نجعل الكنيسة في رتبة واحدة مع

المسيح اما ان الكنيسة هي عمل المسيح ومشتركة معه وهو مشترك بها حتى انه قد وعدها وعدًا رسميًا بانه يكون معها وفي وسطها بنوع غير منظور، هل يقتضي ان نذكّر دائمًا اولئك القوم الذين يتفاخرون بانشغالهم بكتاب الله وبطبعه وتوزيعه بتلك الاية الشريفة التي فاه بها مؤسس الكنيسة من بعد ان قام من الاموات وقهر الموت والجحيم واعداء كنيسته المقدسة بانه يكون معها الى منتهى الاجيال

فليراجعنَّ المؤمن الاصحاح الاخير من بشارة متى الانجيلي ويطالع ذلك الوعد الكريم الذي عزّى به تعالى الكنيسة عماه الجليل وقل لمن لام الكاثوليك دونك يا هذا ان توقع الملام بمسيح الله نفسه الذي صرح تصريحًا جليًا عاريًا عن كل لبس وقد اخذل به البروتستانية وضلالها

قد اعطيت لي كل سلطة في السماء والارض . اذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وعمّدوهم .... وعلموهم .... هوذا انا معكم كل الايام الى انقضاء العالم (متى ٢٨) قاله السيد المسيح لكنيسته الخارجة وقتئذٍ من مهدها وان هذه الكنيسة قد تسلمت مأموريتها بقوة هذه السلطة غير المحدودة المقرونة بالوعد لها بان هاديها ومؤسسها هو دائمًا معها ولا يتركها البتة حتى منتهى الايام . فما قول اهل الالتواء بصريح هذه الاية الجليلة وكيف يستطيعون ان لا يدركوا معناها على ما فاه به كلمة الله المتجسد فليقل لنا هؤلاء القوم ما معنى كلام استتلاه الرب اذ امرهم ان امضوا وعلموا جميع الامم وان هذا امر سام بليغ صريح وقد اسنده تعالى على معونته ومساعدته الشخصية اذ قال فاني انا معكم مدى الايام حتى منتهى الاجيال

وما برحت بيعة الله المقدسة مذ تلك الدقيقة المباركة تذهب

وتعلم وقد داست جميع الموانع التي يعارضها بها عظماء الارض ويحاربها بها الناس بفاسد اميالهم وقد استندت الى ذراع العلي القدير الذي هو معها مدى الايام وهذه امور اتضحت للعيان حتى وفي هذا عصر القسوة على بيعة الله المقدسة اما هذه هي حالة حبرها الاعظم القابض على دفة الخلاص حاليًا واذا ملفق الاساطير قد نهض مخطئًا بيعة الله المقدسة لاعتقادها بانها مع مؤسسها ومؤسسها معها وقد اشتركا جميعًا بعمل الخلاص

فقد اتضح مما تقدم ان الملفق المذكور لا يدري ما يقول اذ انه بدعواه انه يقدم لمطالعي اساطيره تصورًا عن بيعة المسيح قد انكر امرًا جوهريًا بهذا الحد والتعريف وان هذه السمة الجوهرية ببيعة الله المقدسة قد عرفتها جميع الاجيال مذ عهد رسل الله الكرام حتى الآن. اما قد سمع الملفق المذكور عن هذا التصور السامي الجميل الذي ازدانت به عقول اجدادنا المسيحيين باعتقادهم بايمان الكنيسة المبني على الكتاب الشريف وقد بينه القديس اثناسيوس احسن تبيان في المجمع النيقاوي المقدس وان مشاهير علماء العصر قد اجمعوا مع العلامة موهلر الالماني وبينوا هذه السمة الشريفة ببيعة الله المقدسة فانه بموجب التعليم الصحيح الشريف الذي اعتقدت به وتناقلته جميع الاجيال ليست الكنيسة متحدة ومشتركة اشتراكًا جوهريًا بمؤسسها الالهي فقط بل انها اي الكنيسة ليست الا امتداد تجسد الكلمة الازلي ذلك الذي به لا يلبث فادي البشر دائمًا حاضرًا في كنيسته فقط بل انه يعتني بان يشرك كل منا بوفور غنائه الالهي وان هذه السمة الجوهرية المتسمة بها بيعة الله على ما علمه كتاب الله وشرحه مشاهير العلماء المتقدمين

والمتاخرين تبين لنا عجيب مقدرة الكنيسة في يوم الامتحان على ما نراها في هذه الايام وبالحقيقة فانها تبين لنا في ذلك صورة ابن الله ورسم الامه اذ انه حي فيها وقد وعدها وعدًا الميًا بانه يكون معها الى منتهى الاجيال

قلنا انه تعالى مع كنيسته الى انقضاء الايام وبناء على هذه القوة الالهية المستقرة في حضن البيعة المقدسة قد اتضح لكل انسان بانه لا يجرى شيء على هذه الكنيسة الاّ برضاء او بقضاء الضابط الكل

الفصل الرابع
في المعنى المتقدم ذكره

فقد علم تعالى بسابق علمه بكل ما يجرى على كنيسته من قصف العواصف وهبوب ارياح الاضطهاد وانما كان هذا الاله القادر على كل شيء يستطيع ان يحول هذه الضربات ولا يدع امواجها تلاطم سفينة الخلاص عمله المقدس

هل يشك انسان بسابق علم الله ام بقدرة هذا الاله انما هو الذي قد قال عنه ايوب البار: جعل حدودًا للمطر وطريقًا للعواصف القاصفة (ص ٣٨ عدد ٣٦)

فلا جرم في انه تعالى قادرٌ على ان يعلن قدرته في ذلك ويمنع كل ما مسّ بيعته المقدسة ويحول عنها وعن سدتها الرسولية الجالس هو عليه بصفة كونه راسها غير المنظور كل عاصفة ويخمد قوة القلاقل وهيجان النزاع الذي يسطو عليها على ما هو ظاهر للعيان

فلم يشا تعالى ذلك وما ذاك الاّ عن حكمته العديمة القرار بل قد

سمح فهطلت عليها سيول المحن ولاطمتها امواج الاضطهاد وانقضت صواعق البغي على ما تقدم الكلام وقد سبق تعالى وانبانا بهذه الرزايا وقد دعاها ابواب الجحيم غير انه قال في الوقت نفسه ان هذه الابواب الجهنمية لا تقوى على بيعته الوطيدة الاركان

ولما كان تعالى بغوامض حكمته غير المدركة قد سمح ويسمح لابواب الجحيم ان تتهدد بيعته ولم يصد مكر البشر وخبثهم عن الاعتدا عليها وقد وعدها في الوقت نفسه بانه يكون معها ويعضدها بقوته العلية قد ضمن لها امرًا واحدًا وكفل لها سلامة هذا الامر الذي هو عين مأموريتها ومدار رسالتها على الارض اي انه تعالى قد امنها على الوديعة المقدسة التي سلمها لرسله الكرام ولخلفائهم من بعدهم وليعلم اولوا الابصار ان المحافظة على الامانة المقدسة هي اخص مامورية الكنيسة على الارض ولهذه المامورية قد وعد تعالى معونته الالهية لكنه لم يعدها بانها تغلب به قوةً واقتدارًا وتنتصر بقوة عقول مدبريها وعلم معلميها وتظفر بقوة العظمة الخارجة ففي هذه جميعها قد ترك المسيح كنيسته والامور تجري مجراها الطبيعي ولم يعد بيعته بامر خصوصي بل انما كان الوعد لها بصيانة مأموريتها والحماية عن رسالتها واجراء لهذا الوعد الصادق قد بذل نحوها قوته واعلن قدرته وقد انحصرت مأموريتها الخاصة بان تعلم الامم ان يحفظوا ما امرها به وصونًا لهذه المأمورية وعضدًا لهذه الرسالة قال المخلص لخاصته انا معكم الى منتهى الاجيال قال العلامة بوصويت في تفسيره هذه الاية مخاطبًا العلامة كلود الابروتستاني انا معكم اذ تعلمون ومعكم اذ تعمدون ومعكم اذ ترشدون المؤمنين بي وتحثونهم على ان يحفظوا جميعًا امرتكم به

فان الذي رام المسيح ضمانته وابتغي كفالته ووعد بصيانته وانه لا يمس هو ثبوت التعليم وسلامة التقليد ودرجة الخدمة وتوزيع نعم الخلاص

واذا ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم اخذ باضاليلهِ يعلم ضد هذا التعليم الحق وقد نادى على روس الملا ولم يخجل ان التعليم المسيحي الصحيح قد انفسد

فلو كان شاب التعليم المسيحي فساد لكان شعر بهِ الناس اجمع واغتنوا عن شهادة ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم الملفق الذي قد اعتراه فساد في تاريخهِ وقد افسد التعليم باضاليلهِ وافسد الكتاب بتحريفه الملفق الذي قد فسدت معارفه بانحرافاتهِ وانحيازه عن خط الانتقاد وعلى حقيقة هذا الانفساد تاريخًا وتعليمًا ومعارف قد اجمع رايًا سكان سورية اجمع باطلاعهم على اوريقاته المنشورة ومع فساد رايه ومعارفه وتعليمه لم يخجل بقولهِ ان التعليم الصحيح قد انفسد في الكنيسة وقد وعدها مؤسسها بانه يكون معها مدى الايام في تعليمها الامم ما امرها بهِ اما حفظ هذه الكنيسة ما علمها معلمها الالهي بدون تغيير ولا تبديل فقد اتضح للعيان وشهدت بهِ تواريخ الايام وحققه فيها علماؤها وعلماء ليسوا في حضنها . فقد خاض ميادين التاريخ العلامة جيبون الابروتستاني فاهتدى عن ضلالهِ وذلك بمطالعة تاليف العلامة بوصويت الجليل في التغييرات الابروتستانية بازاء تعليم الكنيسة الكاثوليكية قال جيبون الموما اليهِ بعد ان امعن النظر في التاليف المذكور اني قد طالعت واجزت فامنت . فعلى ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم ان يحتذي حذو المؤرخين الصادقين ويرد الموارد

الصافية فيهتدي عن ضلالهِ فحينئذٍ تحصيه سورية بين المؤرخين الصادقين المهتدين بانوار الدين وتمحي اسمه من سجل الملفقين

الفصل الخامس

في ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم بمقابلة اخوته الابروتستانت

من الشهادات الواضحة الجليلة والعارية عن كل شبهة وارتياب وقد دلت على المعونة الفائقة الطبيعة نحو بيعة الله المقدسة على ما وعدها مؤسسها الالهي لكي تحافظ على وديعة الحق هي اية وجودها الخارج والداخل والتحامها طغمةً ونظامًا واتحادها تعليمًا على ما بينه العلاّمة بوصويت الجليل اذ غاص متأملاً بها وباحوالها في بحر الاجيال الدابرة

فاذا كان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد زعم بان تعليم الكنيسة قد انفسد فان زعمه الأسيل لان يهزاء بهِ اخوته الابروتستانت انفسهم اذ لا يصدقون على اقاويله ولا يتوهمون اوهامه فان جماعة الابروتستانت لانحيازهم عن ميادين الحق وتورطهم في تيه الاضاليل لا نعجب من ارائهم الفاسدة واقوالهم المخلة حتى وفي كلامهم عن تعليم بيعة الله المقدسة لكننا لم نرَ بينهم من حاكى الملفق المذكور بازعامه الغريبة واوهامه التي لا تخطر ذهنًا سليمًا فان عظمة بيعة الله المقدسة وبهاء مجدها وقد استقر فيها هامها غير المنظور الذي هو معها مدى الايام قد اثرت بعقول ايمة الاصلاح الموهوم انفسهم وادهشت

مشاهير علماء الابروتستانت فخروا لمآثرها الجليلة سجدًا ولم يستطيعوا كتمان الحق ففاهوا باقوال كريمة لاق بنا نشرها شهادة للحق وخذلاً لمن يلفق التلفيق اغماضًا للحق

ففي تصانيف ايمة الابروتستانتية عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية المستقر فيها مؤسسها الالهي اقوال تذهل المطالعين لمباينتها اراء ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم

فان لوتيروس امامهم كثيرًا ما كان يتكلم في حال رواقه عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية وضميره يوبخه على الحاده فانه كتب الى البرنس البرتوس ببروسيا قائلاً : ان كان تعالى منزهًا عن الكذب فان الكنيسة منزهة عن الغلط . وقال في محل اخر عن الكاثوليك ان لهم برهانًا سديدًا تعسر معارضته وانه لسلاح يعسر اخذه من ايديهم كما وانه قد عسر علينا دحضه وملاشاته وهو الوعد الالهي الذي يلبث يسوع المسيح بموجبه مع الكنيسة ويستقر في حضنها فعليه كان لا بد للايمان المسيحي وليسوع المسيح ولروح الله القدوس ان يكونوا معهم

وقد زادنا اندهاشًا اسف كلفينوس وملانكتون على انفصالهما من مركز اتحاد تعاليم الكنيسة وانشقاقهما عن هامها الاقدس قال كلفينوس قد اقام تعالى سدة عبادته في مركز الارض واقام على تلك السدة حبرًا واحدًا تتجه اليه اعين الجميع لمزيد محافظتهم على الاتحاد وقد انبانا التاريخ ان ميلانكتون قد قام يومًا على قنطرة نهر الالب وانحنى على حاجزها وهو يتنفس الصعداء من جرى انفصاله عن تعليم الكنيسة القديم . لعمرك الله أفما دل ذلك على ان اولئك الايمة لم يبرح في قلوبهم الاعتبار نحو الكنيسة الكاثوليكية وان كانوا قد قلبوا

المجن على تعليمها الحق

وقد شاقني كلام الذين خلفوا هولاء الايمة بمذهبهم فانك ترى مشاهير علمائهم الذين قد امتازوا عقلاً وتعليمًا تكلموا عن الكنيسة المقدسة بملء الاحترام والاعتبار حتى يخشى على مطالعي تصانيفهم ان يحصوهم مع اخوتهم الابروتستانت

فمن مشاهير هولاء العلماء صاموئيل بوفاندرف الصاكسي مولدًا والبرليني مدفنًا والقانوني الشهير في الابروتستانية والذي لا يعطي سبيلاً لان يفتري عليهِ مفترٍ بكونه لم يشمر على ساعد الهمة بمحاربتهِ الكثلكة فلم يستطع هذا العلامة ان لا يؤدي الجزية للحق في كلامهِ عن الكنيسة الرومانية وعن السلطة التي تجريها في نقاوة التعليم قال: ان الغاء سلطة البابا قد زرع في العالم اغراسًا لا تحصى نشأت وتنشاء عنها الفتن والانشقاق فانه لما لم تكن لدى الابروتستانت سلطة سامية تحسم الاختلافات الثائرة الشرار في كل الجهات انقسموا على ذاتهم كل الانقسام ومزقوا احشائهم بايديهم

وما جاء عن العلاَّمة غروثيوس الهولاندي من عظم احترامه سلطة الكنيسة الكاثوليكية وسهرها على التعليم الكاثوليكي ونفوذها الخلاصي على الانفس فلا يختلف فيهِ اثنان حتى قيل ان بعض خلانه قدم الذبيحة الالهية لاجله بعد وفاته لما عهده من مزيد اعتبار المتوفي لكنيسة الحق وانه لخبر لا نضمن صحته وإنما قد ذكرناه تاكيدًا لاعتبار مشاهير الابروتستانية للكنيسة ففي احد تصانيف غروثيوس التي ظهرت بعد وفاته اعتماده على مبداء الكثلكة الاساسي وهو ان عقائد الايمان يجب حسمها بالتقليد وسلطان الكنيسة

واذا ما الحقت نغروثيوس اسم ليبنيس الذي قد ساد في كل العلوم على ما وصفه دي فونتانل اغناك هذا الشهير عن سائر علماء الابروتستانية في خذلهم طرقاً سلكها ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم بجهلهِ وعدم احترامهِ تعليم الكنيسة الكاثوليكية . قال ليبنيس اولاً في تأليفهِ الشهير الذي عنوانه الطريقة اللاهوتية انه غب ان كان قد بحث وتعمق ملياً بالجدالات الدينية والتمس معونة الله والقى جانباً الاغراض على قدر ما في وسع الانسان سلم بتعليم الكنيسة الكاثوليكية ودافع عنه مدافعة العلماء بخصوص التقليد والاسرار وذبيحة القداس وتكريم اثار القديسين والايقونات المقدسة والطغمة الكنائسية ورياسة رومية. فللقاري الحبيب بعد اطلاعه على حكم هولاء العلماء الفخام ان يحكم على اقاويل ملفق تاريخ الاصلاح واوهامه وازعامه ضد الكنيسة وتعليمها وتكريمها الايقونات واصفياء الله الكرام (راجع الجزء الاول من كتابنا هذا في الفصل الاول والفصل الثاني حيث ذكرنا شهادات لوتيروس وكلفينوس وغيرهما من ايمة الاصلاح بشان الكنيسة الكاثوليكية)

الفصل السادس

في ان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم يقول ان الكنيسة الكاثوليكية لا تبرح في هبوط وانخفاض لمحاربتها من مذهب الاصلاح

يقول ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم ان الكنيسة الكاثوليكية في

هبوط وانخفاض كيف لا ومذهب الاصلاح يحاربها وقد قام عليها في المتراس لعمرك الله من كانت هذه افكاره وذي اراءه وقد اشغل بهذه الاوهام اذهانه مثله مثل من اعتراه داء البرقان فيرى ساير الالوان صفراء فلم يرَ الملفق المذكور في ما تضمنته صفحات التواريخ الصادقة المقال في احوال بيعة الله المتعال الّا سقوطًا وانخفاضًا فلا تعجب ايها القاري الحبيب. فتاخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم. فكان ملفق التاريخ المذكور قد سهل عليه ان لا يدرك عظمة الكنيسة وقوتها ومصادمتها المحن والشدايد ونزولها ميدان الحرب العوان وقد تكلل هامها بالظفر المتواصل لكنه قد حوى من التاريخ ما وافق سوء امياله نحو هذه الكنيسة الوطيدة الاركان وعد اثار جراحات اتسم بها البطل الصنديد في ميادين القتال عارًا وهي عظمة وافتخار وقد خرج من الميدان وهامه مكلل بغار الانتصار

قال ان الكنيسة قد انفسد تعليمها واخذت تهبط رويدًا رويدًا من عالي مقامها الذي كانت قد ارتفعت اليه بالدسيسة والحيلة وقد انحطت قواها بقوة مذهب الاصلاح الشديد الباس وكانك بها الآن تطلب الامان وتسترحم الرأفة لذاتها قلنا ولقد تطلب بيعة الله الرفق بحالها من مراحم تلك اليد التي لفقت التلفيق ضدها ونسجت الاكاذيب عليها

فهكذا قد وصف لك ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم حال الكنيسة المقدسة وقد احاطت بها جيوش المحن وقاست قسوة الامتحان وهل تعجب اذا ما هزأ بمصابها الهازؤن وقد نشأت على الجلجلة ففي الصالب الذي نقاسيه قد حاكت مؤسسها الالهي وقد علق على الصليب فمنهم

من رثى لحاله ومنهم من بكي لا لامه وفريسي قد اشتفى وزنادقة قد شمتوا وقوم هزاوا واخرون هزّوا الراس ولابد لمن يشاهد مثل هذه المشاهد ان ينضم في سلكٍ فذا ينضم بسلك الاحترام وذا بسلك الاعتبار وذاك يزدري ويسخر فللمفق تاريخ الاصلاح الموهوم الخيار بان ينضم في اي سلك شاء ولما كان قد اختار لنفسهِ الهزء ببيعة الله المرشوقة بسهام القسوة والاضطهاد قلنا له اختر لنفسك ما يحلو وللتاريخ ان يضمك في سلك اخترته كما ضم من قد سبقك في القيام على الجلجلة ومخلص البشر يفدي البشر بالامه الكريمة

الآن عد قولك هزءا وسخرية بل شتمًا وتجديفًا على بيعة الله الحق وقد قلت انها غاصت بحور الوثنية وبدلت عبادة الله بعبادة الاصنام (نشرة اسبوعية عدد ١٠ سنة ١٨٧٣). فاذًا قد وضعت بيعة الاله الحق بمنزلة عبدة الاوثان وانها قد عبدتها دون الله واتخذت لنفسك انجيلاً اتيت تبشر بهِ في ارض هي مهد الانجيل الشريف ومن جملة قولك ان قد سرى بالكنيسة ضلال بيلاجيوس فكثرت طقوسها واحتفالاتها الدينية وان من كان في حضنها توهم انه يستحق النعم بالاعمال الخارجة فاكثر هذه الاعمال وفضلها على حسن الاداب وحميد الخصال

ثم اخذت ياصاح في عدد١١ و١٢ و١٣ (نشرة اسبوعية سنة ١٨٧٣) تصف الكنيسة وتعرفها تعريفًا من جملة تعاريفك الصادقة وانما نتكلم عن ذلك في حينهِ فيبين لك التاريخ صحيح القول من فاسدهِ ونقول لك اذ ذاك عار عليك ياصاح ان نتكلم صدقًا حتى اذا ما اخطاءت بذكرك قولاً صدقًا لم يركن اليك اهل هذه الاقطار اذ

قد عهدوك من الملفقين لا من المؤرخين الصادقين ولم يفلت من يد تلاعبك حتى ولا ايات كتاب الحق المبين فكيف لا تحرف اقوال المؤرخين

وفي تعدادك درجات هبوط الكنيسة الموهوم منك قلت في عدد ٩١ (نشرة اسبوعية ١٨٧٣) ان شيئًا واحدًا لا غير كان قادرًا ان يثبت الكنيسة في عظمتها وهو امتيازها بالعلوم والمعارف لكن لما اخذت الشعوب تباريها في ذلك سقطت حالاً

هذا اعتبار الملفق لبيعة الله الحق التي اسستها يد القدير المتعال وان ابواب الجحيم لا تقوى عليها على ما وعدها رب الجلال وقد حققت لنا تواريخ نحو الفين جيلاً بان هذا البناء الالهي الوطيد الاركان قد هزأ بتقلبات الزمان وصروف الحدثان وما برح مرتفعًا كارز لبنان حتى حار العلماء واندهل العقلاء بعظمة بيعة الله وقوتها العجيبة فانقرضت الدول وهي تنمو وانحطت الممالك وهي تعلو وانطفأت انوار الشعوب وهي تزهو اما الملفق فلم يرَ في كل هذه العظمة والمقدرة الا هبوطًا وانخفاضًا وسقوطًا وانحطاطًا فليقل الملفقون ما شأوا فعلى كل بيعة الله في الوجود وهي ثابتة وطيدة كالطود

ومن شهادات التاريخ التي بها قلما وجد من ارتاب في الضمانة الالهية بين ادارة السماء وادارة الكنيسة فان بيعة الله المقدسة هي اقدم مملكة بين ممالك الارض وقد لبثت قائمة بعد انقراض كثير منها وهذا امر لا ينكرهُ من لهُ باصرة حتى اعتجب منه اعداء الكنيسة انفسهم

ان المؤرخ الانكليزي ماكولاي الشهير ذلك الذي قال عنهُ الوزير الانكليزي جان غراهام في خطاب فاه بهِ في مجلس العموم

بانكلترة انهُ رجلٌ قد ملكت المبادي الابروتسعانية فوادهُ وسادت بغضة الكنيسة الكاثوليكية على قلبهِ قال عن الكنيسة الرومانية : انه لم يوجد ولا يوجد على الارض عمل يستحق ان تبحث فيهِ العقول وتتأملهُ القرائح نظير الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ·

فاستتلى قائلاً : ان تاريخ هذه الكنيسة قد وصل عهدي التمدن العظيمين ببعضها فاننا لا نرى غيرها قائماً يحدثنا عن تلك الازمنة التي كان يتصاعد فيها البخورُ من هيكل الالهة في الوقت الذي فيهِ كانت الضباع والنمورة تفترس المسيحيين في مشهد فلافيانوس . فان اعظم العائلات الملوكية ان هي الاَّ بنت البارحة اذا ما قابلناها مع سلسلة الاحبار العظام الذين خلف احدهم الآخر خلافة متصلة غير منفصلة من البابا الذي مسح نابليون الاول في الجيل التاسع عشر الى البابا الذي مسح بيبينوس في الجيل الثامن وان جمهورية البندقية التي لا اقدم منها بعد البابا وية ان هي بالنسبة اليها الاَّ حديثة وها ان هذه الجمهورية قد انقرضت والباباوية قائمة ثابتة وان الباباوية قائمة ثابتة لا في هبوط وخراب بل ممتلية حيوة وذات شبوبية نضرة . فان هذه الكنيسة الكاثوليكية تبعث بمرسلين حاكوا الذين اصحبوا اغسطينوس في رسالته حتى اقاصي المسكونة وان هولاء مرسليها يجسرون ايضاً على ان يخاطبوا الملوك اعداهم بتلك الجرأة عينها التي تكلم بها البابا لاون بحضرة اتيلا . هذا وليس من الادلة ما ينبئنا عن دنو نهاية هذه السلطة القديمة الايام فانها قد رات بداية كل الممالك وليس من وسعنا ان نقول بانها لا ترى نهايتهنَّ حتى انها لقد تلبث في عظمتها ولا تبرح على قوتها واقتدارها متى في مرور الايام وكرور الزمان مرَّ سائح من

الاقطار البعيدة بهذه لندرة التي تمسي اذ ذاك قفرًا مقفرًا ووقف عند قناطر نهرها وهي اذ ذاك قد ذهبت فريسة الحدثان متاملاً اثار كنيسة القديس بولس ويحقق النظر برسومها . اه

• فقد اتضح لكل عاقل بان عظماء الابروتستانية انفسهم وقد اشتهروا عدوانًا على الكنيسة الكاثوليكية لم ينظروا الى هذا البناء الالهي باعين الاحتقار ولم تصغر باعينهم بيعة مقدسة تمت بها مواعيد المسيح موسمها خلافًا لاعين ملفق الاصلاح الموهوم التي تصغر ما كان عظيمًا . وما هو افصح وابلغ من اقوال ماكولاي هذه الجميلة امثال كريمة جليلة قدمها لنا مشاهير الانكليز حتى بدا لك المبدا مقرونًا بالعمل لدى مشاهدتك من تساموا علومًا ومعارف بمدرسة اكسفورد الابروتستانية الجامعة الشهيرة قد كفروا بذلك مذهب الاصلاح الزاهر على ما ارتاه الملفق ودخلوا حضن الكنيسة الكاثوليكية المقدسة التي هي في هبوط وانخفاض على ما لفقه الملفق المذكور ففي حين هبوب ارياح المحن عليها وفي مقاساتها مر الاضطهاد وهي تمثل لنا بابيها على الجلجلة قد تأملها اللورد ريبون ومن حذا حذوه حديثًا في انكلترة ولم يهزاوا بها بل قال هذه هي ملكوت الله فلندخلها

الفصل السابع

في ابن الايمان العالم بامر ايمانو تجاه المحن والشدائد الملمة ببيعة الله المؤتمنة على وديعة الايمان

قلنا في صدر الجزء الثالث من ردنا على تلفيق الملفقين ان في هزمنا لا فقط دحض اضاليلهم وتبيان تلاعبهم الذي لقد طالما حاولوا اقتناص السوريين باشراكه بل ان نعلم المؤمن الصادق ونرشده بامر ايمانه ولئلا لما كنا قد بينا فساد اراء الملفق بكلامو عن المحن الملمة الآن ببيعة الله المقدسة واوضحنا سخافة دعواه بهذا الشان لاق بنا الالتفات نحو المؤمن الحبيب الذي يرى الآن حال امه الكنيسة المقدسة وما هي عليه من احتمال المحن ومقاساة الاضطهاد

سرّوا بني امي وتدرعوا بترس الايمان ها قد نزل المضمار الانام الكرام وسبقكم في الجهاد اجدادكم السوريون وكانك بي اسمع الآن صوت اغناطيوس بطريرك انطاكية الشهيد الشهير يكرر الآن نحونا ما شدد بهِ ايمان خرافهِ في حياتهِ اذ قال : فلنلبث ثابتين وغير متزعزعين ولنثبت تجاه المحن العظيمة المجيدة التي تقاسيها بيعة الله ولننشر في هذه الازمنة الشديدة راية الصبر الجميل والثبات المتين واقفين على الاقدام غير مرتجين كاننا سندان تطرقه المطارق ولا نخشى تكرارها

قال هذا مشجعاً خرافه وقد غلله المغتصبون بالقيود ليسوقوه الى رومية حيث تسحقه سنان الاسد في مشاهدها

ففي غرة الجيل الثاني من تاريخ سر فدائنا كان ترايانوس قيصر

قد سكر بخمرة العزة لقهره الداسيين والشيتيين فزعم ان تاج الانتصار يحتاج فقط الى حجر كريم وهو قهره اله المسيحيين وخاصة المسيح فقام اغناطيوس تجاه المغتصب الروماني فما لاحت من هذا قيصر الرومانيين التفاتة نحو ذاك الانسان الذي كان يعارض مقاصده ويحرك شعائر البسالة والثبات في قلوب السوريين الا وقد اتقدت نيران الغضب في احشائه ونظر الى عبد الله الجليل شذرًا وصاح بصوت الغضب قائلاً : من انت ايها الشيطان الخبيث الذي لم تخالف فقط اوامري بل قد اغريت الاخرين على ان يشاركوك في عصيانك فتهلك واياهم هلاكًا . فاجابه اغناطيوس وقد تكلل جبينه بالابتهاج والقلب في هدو وسلام قال لم اسمع قط انسانًا دعى ثيوفوروس شيطانًا خبيثًا فان كنتَ ايها الملك تدعوني شيطانًا لكوني القيت الرعدة في قلوب الشياطين فاني افتخر بهذا اللقب الجديد . قال الملك ومن هو ثيوفوروس . قال القديس ان ثيوفوروس هو الذي يحمل المسيح في قلبه . فما كان من ترايانوس قيصر الا وقد ازداد غضبًا لمقاومة عبد الله الشهيد فصاح قائلاً : اننا نامر بان اغناطيوس الذي يفتخر بحمله المصلوب يغلل بالقيود ونقوده الجنود الى رومية العظمى فتفترسه الوحوش الضارية في مشاهدها انشراحًا لصدور شعبها

فلما تاكد اغناطيوس الغيور انه مزمع ان يقدم نفسه ذبيحة في مشهد رومية شهادة للايمان طرب لهذه الغبطة السنية ولم يعد ينشغل اذ ذاك الا بصالح خرافه الكريمة وحثهم على الثبات وانهم ولئن غاب عنهم يتاسون بالصبر الجميل عن تلك العاصفة الشديدة على بيعة الله المقدسة في المشرق وما برح يكرر عليهم النصيحة المار ذكرها قائلاً

فلنلبث ثابتين وغير متزعزعين نظير السندان تحت تكرار طرقات المطارق

فعلى هذه الصورة كانت المحن والشدائد التي تلم ببيعة الله المقدسة في ابتدائها تلقي شعائر الهمة والغيرة في قلوب المؤمنين فيتكلمون بمثل هذه الاقوال الجليلة فهذا كلام فاه به احد الاباء الرسوليين وقد دُعي هذا القديس وغيره من اباء الكنيسة بهذا اللقب الشريف لقرب اعصارهم من عهد رسل الله الكرام

ان بين كلام اغناطيوس الشهيد الاب الرسولي وبين كلام رسول الانجيل الجديد الساعي بنشره على السوريين بونًا عظيمًا واختلافًا جسيمًا في ما يطرا على بيعة الله تعالى من المحن والشدائد فلندع صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم يفوه بما يشا وبيعة الله تخوض ميادين القسوة والاضطهاد ولنذكر لابناء الايمان ما من شانه ان يوطد اركان شجاعتهم ويشدد حبال بسالتهم ويشرف اخلاقهم ويحيي سمو مقام النفس الابية في ايام المحن واوان الشدائد فاننا اذا ما تاملنا الاحزان وتبصرنا بالاكدار تاملاً وتبصرًا يليقان بابن الايمان شددت احزان بيعة الله ايماننا واحيت اتكالنا

فان المحن تشدد ايماننا لاننا قد سبقنا وعرفنا بحلولها وقد انباتنا النبوات بها فاذا ما حلت كملت النبوة وان المحن تحيي اتكالنا لان معلمنا الالهي اذ قد سبق وانبانا بها وعدنا في الوقت نفسه انه يساعدنا فافتحوا الاسفار يا اولي الابصار فترون مستقبلاً اعده مؤسس البيعة لبيعته المقدسة . لعمري انه لمستقبل غرس باشواك المصاعب ونزل فيه ابطال الايمان ميادين الجهاد غير ان معونة الله درع منيع نقي

الانطال من سهام الوبال فقد ترنمت الانبياء بمجد بيعة الله ونشدوا عظمتها وبهاءها اما المسيح منشيها فقد انذرها بالاحزان وانباها بالمحن وصرح بذلك كل التصريح وعبر عنه ببليغ التعبير فاتضحت اقواله بهذا الشان كالشمس في رابعة النهار فادركها تلامذته الصادقون وخاصته الحقيقيون . لعمري هل اوضح من هذا المقال حيث المسيح قد قال اني مرسلكم كالخراف بين الذئاب (متى ١٠ : ١٦) . ويسلمكم الاقارب والخلان للقضاة واولياء الاحكام (لوقا ٢١ : ١٢) . واذا ما ضحوكم صاحوا متهللين كانهم قدموا ذبيحة لله (يوحنا ١٦ : ٢) . هذا ما جرى على بيعة الله في هذا الزمان وفي كل زمان . لعمري فانها اقوال تلقي الرعدة حتى وفي قلب رسل الله الكرام غير ان المنذر بها قد استتلى كلامه قائلاً : ان العالم يضطهدكم لكن ثقوا فاني قد غلبت العالم (يوحنا ١٦ : ٣٣)

ولاجل ان يزيد المعلم الالهي بيانه بهذا الشان ايضاحاً قد اعلن اية حمايته الجليلة في اجمل المرص واجلاها . هل فاتكم ذكر تلك السفينة السريعة العطب التي حملت مرة حامل الكون واستقر فيها المستقر في حضن كنيسته المقدسة فلم يكن هذا الاله القادر على كل شيء ليترك سفينة الخلاص كنيسته في حال المحن والشدائد الثائرة عليها في مرور الزمان وتوالي الايام والاجيال كما انه لم يهمل تلك السفينة الخائضة مياه بحيرة طبرية في عهد بشارته الجليلة . فاذا ما تاملتم الامواج قد جاشت حينئذٍ على سفينة بطرس وهاجت فاعلموا ان فادي البشر قد سمح بذلك وهي اية اجراها مخلصنا ليوكد لنا فعلاً قوله النبوي بانه يكون اميناً في وعده فيكمله في حينه لكن تذكروا ما

قاله المخلص لذلك الرسول المستولي عليه الوجل لِمَ لا تؤمن يا قليل الايمان (متى ١٨ : ٣٦) . قال هذا وامر البحر فسكن والعاصفة فهدأت . قال الكتاب وصار هدو . فما اجراه المخلص رمزاً في اثناء تلك العاصفة فانه يجريه الآن حقيقةً وفعلاً وجيوش المحن تحيق ببيعته المقدسة وامواج الاضطهاد تلاطم سفينة الخلاص واني لمؤمل طول العمر لمن يهزاء بالبيعة وهي الآن على الجلجلة نظير بانيها حتى يرى نهاية هذه المحن وقد راها الناس اجمع في بحر الاجيال الدابرة فانه بعد مرور ثلاثة اجيال طغى فيها طوفان الظلم على بيعة الاله المتعال وقام على الله وعلى مسيحه ملوك الارض وخيل ان ابواب الجحيم قد قويت على بيعة القادر على كل شيءٍ وغرّق ديوكلتيانوس قيصر الارض بدم المؤمنين واقام عواميد الظفر وقد نقش عليها كتابة مخلدة الذكر وهي : ذكراً للاسم المسيحي الذي تلاشى الى الابد وذكراً لخرافات المسيح التي انمحت الى الابد : وقد نهض اذ ذاك الانفس الوطية تهلل لسقوط الكنيسة كما تهلل بعصابها الآن الاقوام واذ في الغد قد نادى المنادي بان سفينة الخلاص قد نجت وبيعة الله قد انتصرت ولاعدائها قهرت وعلى سرير العز قد جلست مع قسطنطين عزها وهيلانة ابنتها

الفصل الثامن

في ان صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم قال ان الكنيسة الكاثوليكية قد خصصت العلوم بنفسها نظير كهنة مصر في الازمان القديمة

قد افتتحت البشرى الاسبوعية السنة ٧٥ الجديدة بتجديد الهدايا الغريبة وجميعها على نفقة صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم فيما قاله بالعدد المذكور رد على القطع التي نشرها البشير تنديدًا لازعامه ودحضًا لفساد تعاليمه. غير ان المؤرخ المذكور قد غير الآن نفس كلامه وعدل عن ارتداع السهام على ما حاول في سابق الايام ومهما كان الامر فان جوهر اقاويله واحد وان اختلف تعبيرًا

كان صاحب التاريخ قد زعم ان الابروتستانية قد نجحت المعارف وفتحت ميدانًا للصنائع الجميلة فرد البشير على هذه الزيوف التي لقد طالما راجت والابروتستانية في هيجانها والتعصب يلعب في ميدانها. غير انه لما هدأت الحال وسكنت زعازع الضلال بانت غرابة تلك الازعام واضمحلت الاوهام حتى هزأ علماء الابروتستانية انفسهم بتلك الاقاويل وخجلوا من ذكرها في ميادين اليقين. وان مؤرخي مذهب الاصلاح انفسهم المشاهير قد بينوا فسادها واثبتوا عدم صحتها وقد ذكرهم البشير باسمائهم وتصانيفهم والحجج التي اسندوا اليها اقوالهم

اما صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم فقد اصر على غيه وابى الا ان يؤيد ازعامه وقد نادى بها على رؤس السوريين لكن لا بالبوق والسهر على ما من عادته بل بصوت مخفض لكنه مهما حاول وغير

صوته وتبرقع فانه ناشر امور لا صحة لها

قال في افتتاح سنة ١٨٧٥ ان لوتيروس قد اعتق العلوم من ايدي الخوارنة الذين كانوا قد خصصوها بانفسهم نظير كهنة مصر في الازمان القديمة . . . حتى قال : فلندع المذهب البابا وي يفتخر بكونه اعضد للصناعات اللطيفة من المذهب الابروتستاني فان المذهب الوثني كان اعضد لها من المذهب البابا وي وافتخار المذهب البروتستاني ومجده مبني على شيء اخر وهو بحثه عن كل ما يلاحظ الكائن الادبي

فيا لجمال هذه المقال وبديع هذه الاقوال فقد نسقها الملفق باساطيره ونسي ذاته ونفس اقاويله فبالامس كنت ياهذا تقذف الشتائم على البيعة الكاثوليكية وقد اعزيت لخدمتها الجهل المذموم وقلت ان تهاونها بامر العلوم وتغاضيها بالمعارف دليل كافٍ على وشك سقوطها . ثم نسيت ما في التواريخ الصادقة والاثار الصحيحة التي تكذبك كل التكذيب اي نعم انه من دأبك ان لا تذكر اقوال التاريخ ولا تدخل بتفاصيلها بل اكتفيت بالقول ان التاريخ الصادق يؤيد كلامك فاذا كان ذلك فاننا نقوم مقامك بهذا الامر الاهم ونذكر لك شواهد التاريخ الصحيح ولا حرج علينا اذا ما نهض القول الحق عليك واخجلك القول الصدق وكذبك كل التكذيب بدعواك ان مذهبك الاصلاح قد سعى بالكائن الادبي لعمري اننا نشفق على حالك لكثرة خطائك فلِمَ تعطي سبيلاً لاخصامك فيرشقونك بسهام الانتقاد الصائب

فاننا نقبل منك هدية اهديتها في راس هذه السنة المباركة وهي ما يسمونه صباحية وكذبناك اولاً بما تدعيه زاعماً ان العلوم قد خصصها خوارنة الكثلكة بانفسهم دون غيرهم ثانياً بان مذهبك الابروتستاني

قد انشغل بجمال الاداب وهو الامر الجوهري بالمسيحية وكان المذهب البابا وي دونه في ذلك

امـا القطعة التي نشرت فيها الازعام فعنوانها تعليم العامة فقلت :

ان لوتيروس قداجتهد باهم اجتهادات الاصلاح وهو انه اعتق العلوم من ايدي الخوارنة الذين كانوا خصصوها بانفسهم نظير كهنة مصر في الازمان القديمة

مهلاً يا ايها الملفق فان في ذا الخلط ما يعيب احد رعاع الناس ويشين اولاد المكاتب انفسهم فما حال من ادعى علم التاريخ وحاول الانضمام بصفوف المؤرخين وهو لايعلم ما في صفحات التاريخ نشدتك الله قل لنا هل تلقي الحاظك على تاريخ القرون الوسطى ولا ترى انه في عهد كارلوس الكبير قد فتحت المدارس في مدائن الاسقفيات وفي الاديرة وفي قصور العظماء والشرفاء ترى من كان يدبر هذه المدارس افما هي كنيسة رومية العظمى التي بمراسيمها ومراسيم مجامعها قد نشرت العلوم والمعارف بتلك المدارس وحركت همة معلميها ونشاط متعلميها وفقاً لرغائب الملك المومأ اليه وفي الجيل التاسع ازدادت المدارس شهرةً وامتازت مدارس كثيرة نظير مدرسة فولدة ومدرسة روشينو وقد وصف لنا التاريخ مدارس ريمس وشارتر وبيك وليج وطورناي وما بذلته الكنيسة فيها من الغيرة والاجتهاد حتى اصبح كلٌّ من الاديرة مركزًا للتمدن بتعليمه الوضيع والرفيع وتلقينه الصغار والكبار وكان للاسقفيات مدارس يضع فيها الاباء اولادهم مذ حداثتهم فيتعلمون فيها العلوم ويتهذبون احسن تهذيب وكانت الاساقفة انفسهم يدبرون هذه المدارس ويديرونها بل يعلمون فيها ففي الجيل الحادي عشر رأينا

كثيرًا من الاساقفة قد اداروا مدارسهم بانفسهم نظير فولدبرتوس استقف شارتر ونوتجر وفازون اساقفة ليج وجيلبرتوس اسقف لزيو وقد اضربنا عن ذكر المدارس الجامعة التي هي مركز العلوم العالية على ما عدده البشير في القطع التي نشرها في الجزء الثاني من هذا التاليف كما واننا نضرب عن تعليم اللغات العلمية التي قد سمت بهِ بيعة الله قبل ان ظهر لوتيروس الى الوجود

فهذه حقائق نسقها التاريخ الصادق وقد اطلع عليها كل من القى الحافظه على صفحات التاريخ ومن رام الوقوف على هذه الحقيقة فدونه وتاريخ مابليون مجلد ٣ وجه ٣٣٠ و ٣٣١ وتاريخ مرتين مجلد ٩ وجه ١٠٦٩ وتاريخ الاداب في فرنسا مجلد ٩ وجه ١ الى ٣٠

فاذا ما تصفح صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم هذه التصانيف النفيسة الا يخجل لنشره تلك الاساطير والا يندم على اذاعتهِ ما فيهِ تكذيبه وهو المؤرخ الصادق على ما زعم والا يغطي الحياء وجهه وقد مس حقوق اللياقة والاداب

قل لنا ايها الملفق الذي اعتديت على الكنيسة الرومانية الباذلة مجهودها بارضاع الصغير والكبير لبن المعارف والعلوم ونشرها التمدن والاداب بمدارسها ومكاتبها وقد صارت كلاًّ للكل لتربح الكل لِمَ انحت مفتريًا عليها اذ شبهتها بكهنة مصر الذين كانوا يكتمون معارفهم ويخفون كنوز اسرارهم فقد قدمت لمطالعيك اساطيرك صباحية في صباح هذه السنة المباركة فرددناها اليك اذ انها زيوف فالقِها في خزاينك فدرهم الزغل لا يروج

الفصل التاسع

في ان صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم قد زعم بان مذهب الاصلاح يفوق الكنيسة الكاثوليكية بامر الاداب

قد تكلمنا عن تلك الهدية التي اتحفت بها النشرة الاسبوعية لسان الابروتستانية مطالعيها في غرة هذه السنة ١٨٧٥ وانها لعمري صباحية غالية الاثمان لم نبين حتى الآن تمام عظمتها وكمال بهائها وما ذاك الأ لنبقي الخمرة الجيدة الى الاخر فلم يكتفِ صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم بان يدعي زاعمًا بان الكنيسة الكاثوليكية قد اخصت العلوم بقسوسها فحاكوا قسيسي مصر الاقدمين حتى ظهرت الابروتستانية فعممت العلوم بين الشعب بل قد ادعى ايضًا بان للمذهب الاصلاح فضلاً اعظم وهو تساميهِ بالتعليم الادبي . زعم هذا وأكثر فيهِ المقال وهاك بعض عباراتهِ قال : فلندع المذهب الباباوي يفتخر بكونه اعضد للصناعات اللطيفة من المذهب الابروتستاني فان المذهب الوثني كان اعضد لها من المذهب الباباوي وافتخار المذهب البروتستاني ومجده مبني على شيء اخر وهو بحثه عن كل ما يلاحظ الكائن الادبي :

فلو كان الكاثوليكي يرغب في حرب يسهل نزول ميادينها ويفتخر بالانتصار على عدو متثلم النبال لكنا نسرلا بعض السرور في ميدان الجدال مع صاحب تاريخ الاصلاح ثم ذلك اذ كان لابد من دحض اقاويله رضينا بمنازلتهِ وقد تسلحنا عليهِ بالتاريخ الصحيح

لا اقتضاء لكثرة البحث في صفحات التاريخ بل كفى مجرد القاء اللحظ عليها فتخاطبك بصريح العبارة ووضوح المقال حتى ادرك اقوالها

الرفيع والوضيع والعالم والامي معًا فيعلم كلٌّ فعل الكنيسة المحيي الاداب والمزيد بهائها في الالفة المسيحية ويحقق ما غطى هذه الالفة من الخزي والعار لتعليم مذهب الاصلاح في ما تعلق بالكائن الادبي

فاذًا فليحكّم التاريخ ولندعه يتكلم بفصيح العبارة ووضوح المقال لكن لما كان الملفق منطيقيًا صرفًا اقتضى اولاً حصر المسالة ووضع حدودها اذ ان الكلام انما هو في احياء وانهاض فعل الكائن الادبي من الكنيسة ومن مذهب الاصلاح بمعزلٍ عن فعل الافراد. لان ما اودعه تاريخ الاصلاح من افعال ذويه الادبية ان هو الاّ مشهد يحزن الفواد وينفر القلوب بل هو سيف بتار يحسم بيننا الجدال. فمن ثم ينهض المنطيقي ويقول لا نخرجنّ عن حدود المسالة فلنا يقتضي البحث في الحوادث الناشئة رأسًا عن مذهب الاصلاح وهو مصدرها وهو المسئول عنها وهكذا قل عن تاثير الكنيسة الكاثوليكية ضاربين عن اعمال الافراد اذ ان المسئولية الفردية تقع على الافراد لا على مذاهب الافراد فاذا كان ذلك حمدنا راي الملفق واطمانت منا الافكار اذ قد وضعت للقضية حدود لا يسوغ الخروج عنها. هلمّ اذًا ايها التاريخ الصادق واحكم بعدلك بين المتقاضيين

فان التاريخ قد ذخّر لنا امورًا تبين جليًا ضعف مذهب الاصلاح الموهوم وخلله بامر الاداب وقوة الكثلكة الحية والمحيية ومزيد عزمها وشديد بأسها فعلى ارباب البحث ان يختاروا امرًا من هذه الامور وقد اخترنا نحن قضية رئيسية في الاداب المسيحية فنعرض هذه القضية على محكمة التاريخ. ترى هل من قضية اهم واعم في الاداب المسيحية من قضية عقد الزيجة وقداستها والزيجة هي الحجر الاول في اس

بناء تمدن الجنس البشري فعليوهات الآن نرى الخصمين في ميادين العمل وقد اعد مؤسس الكنيسة للالفة المسيحية بهذا العقد الشريف والسر الكريم زرعًا مباركًا وهو عدد المختارين في ملكوت الله

يا للعجب كل العجب انك ترى الكنيسة الكاثوليكية تجاهد جهاد الجبابرة بمحاربتها شهوات المقتدرين واميال المتسلطين صونًا لحرمة الزواج وحفظًا لقداسته . هذا والحرب عوان وقد كثرت المحن وتعدد البلاء وتعاظمت الظروف واشتد النزاع والكنيسة بطل صنديد لا ترجع الى الوراء وصخرة صلدة لا تزعزعها رياح الاضطهاد وعواصف الجور والغضب . فقد توعدها القوم وتهددوا ولم ينالوا منها ادنى تساهل ولا ادنى تسليم بما يغاير تعليم المعلم الالهي بيد انّا رأينا الابروتستانية لم يغيم السحاب في الافاق الاّ وقد هلعت جزعًا لئلا تتكدر كأس مودتها مع احد المقتدرين وهو ليس من طبقة الاولين فسلمت له الابروتستانية وتذللت ورخّصت له باكثر من زوجة وعرّضت قداسة الزيجة لفساد الشهوات

وان ذي لحادثة شهيرة لا يختلف على صحتها اثنان وقد صانها التاريخ في صفحاته كل الصون فلا يرتاب بها مرتاب ولا يأولها اولوا التأولات الى ما شاؤا من المواربات . وهي مسالة فيلبوس لاندغراف هيس احد خلان لوثيروس المشاهير ذاك الذي كثيرًا ما قد عضد ايمة الاصلاح بالسلاح وساعدهم بسيفه البتار على ادخال انجيلهم السلام فقد عضد فيلبوس المذكور الانجيل الجديد واحسن في ذلك الخدمة فطلب من ثم جائزة وهي بعض ما يستحقه وانه لعمري طلب عسرت اجابته وان الطالب ملكًا وليس لسلطان تركه الريب على الارض

استطاعةً لاجابة مثل هذا الطلب بل انه لمجرد استماعه يرتاع كل ضمير مهذب بموجب ادارة الانجيل . فمع ذلك ان الابروتستانية تفتخر بالكائن الادبي فالة الملفق وقد اتضح صدقه في هذه الحادثة وهي انه بعد تلك المشورة ذات الشك الذي تشاور فيها لوتيروس امام الابروتستانية مع اساميها الاخرين اعني بها بوسر وميلانكتون رخص لوتيروس المذكور لخليله المرقوم بالاقتران بزوجتين معًا لكن بشرط ان تلبث المسالة في الاسرار ولا تفتضح وتشتهر على ما في نص الصك المحرر في الالمانية بامضاء لوتيروس وبوسر وميلانكتون

فهذا تعليم مذهب الاصلاح لصلاحًا للاداب وقد امضى الصك المبرم بهذا الشان اخص ايمة الاصلاح وسطروه بخط يدهم على ما في سجلات التاريخ . غيراننا نقول انها توجد ظروف تخفف ثقل المادة ولنا من العدل ملاحظتها وقد ذخر لنا التاريخ هذه الظروف فان الامير قد التمس الرخصة المذكورة ثنيقةً لضميره وصونًا له من شبق شهوته وكثرة فسقه على ما قرره في رقيم الالتماس . وزد على ذلك ان الامير المذكور كان يجرد سيفه مدافعةً عن الانجيل الجديد . قال اني متى عرضت نفسي للحرب محاماةً للانجيل امسيت فريسة الشيطان اذا ما رماني الرصاص اوضربني الحسام وقد اتضح لديَّ باني مع زوجتي لا اقدر ولا اريد اغير سيرتي الله يشهد عليَّ بذلك . فبعد تقرير هذه الاسباب الموجبة على ما يتضح لكل عاقل ولي المشورة المذكورة زواج ثانٍ بحيوة الزوجة الاولى الشرعية وقد برأ الامير المذكور اذ قد صرح بانه لم يتزوج بزوجة ثانية مع وجود الاولى عن خفة اوعن رغبة منحرفة بل لضرورة موجبة لداعي جسده وضميره

وليس هذا عمل الاصلاح الموجب العار وحيد ومفرد في هذا الشان بل ان رب الاصلاح تورط في ذلك لا بعض التورط. اذ انه في تفسيره الكتاب المقدس قد بذل مجهوده لينزل هذا الخلل بالادب منزلة مبداء يعول عليه. قال في تفسيره سفر التكوين: انه نظرًا لتلك المسالة وهي هل كثرة النسا مباحة اقول ان ذا امر غير مباح وغير محرم ونظرًا اليّ خاني لا احسم شيئًا بهذا الخصوص. فما قول العاقل بهذه الاداب التي سنها امام الاصلاح الاول اما ان ميله قد اعماه ترى هل من يعلّم بل هل من يطيق استماع مثل هذا التعليم في النصرانية وهل توفيق بين وحدة النساء وكثرتها في تعليم الانجيل. اما ان تعليم المسيح قاطع بات في امر الزواج لا يشوبه لبس. لكن ما العمل فقد قال الملفق ان البرونستانية تعلو الكثلكة بالكائن الادبي فان كلام الانجيل واضح من ان يحتاج الى التبيان وان رب الانجيل قد حسم مسالة الزواج حسمًا قاطعًا وعين بعلاً واحدًا لامراة واحدة مدى الحيوة اما امام الاصلاح فقد سد اذنيه عن تعليم الانجيل ولاجل ان يستر عار تعليمه اخذ يسبل عليه وشاح مثال اباء العهد القديم وقد فاته بان رب الانجيل قد استدرك ذلك وقال: من البدء خلقهما الله ذكرًا وانثى فذكر وانثى قد اخرجها الله من العدم وزوجها ببعضها

فاذا كان ذلك لم يتبقَ لمن يجند لمذهب الاصلاح بامر الاداب الاّ ان يخجل لعار يغطي وجهه وينوح على هذا العمى المريع ومع ذلك ترى صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم يدافع عن الابروتستانية ويزعم انها تعلو الكثلكة بامر الاداب ولقد يصدق بما يقول اذا ما عضده المنطيقي واخذ يميز التمييزات ويقول نعم قد اصاب الملفق واننا

نصدق على ايرداتها بان الابروتستانية تعلو وتفوق . كيف لا وقد فاقت
الابروتستانية كل مذهب بدوسها كلام المخلص الصريح بارجلها
وهتك حرمة الانجيل الطاهر . لعمري ترى ما الذي كان حل بالتين
المسيحية لو سار جماهير الابروتستانت بحسب تعليم مذهبهم ونفذ لا
ايمتهم لعمري لما كانت حادثة لاندغراف هيس قد انحصرت به . لكن
الكثلكة كانت قد غرست في قلوب تلك الجماهير حرمة سر الزيجة
وبجنت في عقولهم تعليمها الصحيح بهذا الشان فتركوا ايمتهم يعلمون
ما شاؤا كما انهم كانوا قد تركوهم يعلمون عن مبدا اختيار الانسان وهو
اس مبادي الاداب على ما بينا مرة فانحصر تعليم ايمة الابروتستانت
داخل دائرة الكلام ولم يدخل دائرة العمل لان تعاليم الكثلكة كانت
قد اشغلت القلوب عن هذه التلفيقات فكان المتمسكون بمذهب
الاصلاح احسن من اربابه واعقل من ايمته وفي نفور تلامذة المذهب
من مبادي المذهب التي علمها ايمته ما يدلنا على ان هذا المبدا من
مبادي ادابه وانه قد رغب فيه

الفصل العاشر

في ما يقرره التاريخ عن مزيد محافظة الكنيسة الكاثوليكية على الكائن الادبي

قد تقرر لدى مطالعيه حال مذهب الاصلاح الموهوم تجاه عهد الزيجة هات الآن نسمع شهادة التاريخ وصدق تقريره عن الكنيسة الكاثوليكية تجاه هذا العقد الاهم في الالفة المسيحية

ان الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ما برحت مذ دقيقة انشائها ويوم اعتلانها سيدًا قاهرًا كل شهوة وملكًا لا يخدعه التمليق وحصنًا منيعًا لا يخشى عدوًا وجبلًا وطيدًا لا تزعزعه صواعق الوعيد ورواشق التهديد. فلم تكن هذه بيعة الحق لتوافق الضلال وتتساهل مع شهوات البشر في ما يمس طهارة الاداب ويغاير تعليم الانجيل وهب قد خسرت ممالك برمتها وتوعدها ملوك الارض وتهددوا فانها تجيب على ظلم عظماء الارض وعدوانهم قائلة لهم: لا نقدر

وهب قد مقت احد ملوك الارض زوجته الشرعية ورام فسخ الزواج المقدس فانك ترى الكنيسة المقدسة قد نهضت عليه واجرت ملء سلطانها الالهي وما ملوك الارض تجاه حرمة شريعة الله المقدسة الا بمنزلة اخر تبعتهم لديها. وهب قد نهض هولاء العظماء وقاوموا سلطانها فان الله تعالى موسسها ينهض الى معونتها ويويد سلطتها بعين عنايته الساهرة عليها وسيف قدرته الضابطة الكل. ازمع لوثير ملك لورين على ان يطلق زوجته الشرعية الملكة تيتبرج وياخذ بدلًا منها المسماة والدراد فما ادراك ما الحيل المنسوجة تنفيذًا لمارب الملك. غير

ان الملكة استغاثت بنائب المسيح على الارض فبحث هام بيعة الله في المسالة وايد صحة الزيجة الشرعية فاستشاط الملك غيظاً وتوعد وتهدد وعلى سلطان بيعة الله تمرد. فتسلح عليه البابا نيقولاوس بسلطانه الالهي حتى فصله من شركة المؤمنين . واذ قد دخل الملك بعد حين رومية والتمس الصفح عن عصيانه والقبول في حضن بيعة الله ثانيةً . فالتفت اليه نائب المسيح على الارض وبيده جسد الرب وقال : ان كنت صادق الارتداد وترغب في ان تصلح الشكوك التي سببتها وتقصد حقيقة تميم الشروط المفروضة عليك من بيعة الله تعالى تقدمنَّ من جسد الرب لكن ان كنت باطناً على خلاف ذلك لا تتجاسرَ وتدنو من جسد الرب . غير ان هذا كلام نائب الله وقهرمان الله لم يوثر في قلب الملك الصخري فدنا واقتبل جسد الرب وخرج بعد ذلك من رومية وقد سر اذ لم يتبقَ عليه ما يخشى عواقبه . غير ان العالم بخفايا البشر لا مهرب من يديه . قالت التواريخ ان تلك السنة كانت ضربة على شرفاء المملكة واعيانها اذ قد هلك فيها جميع زعماء الملك الذين خامروا معه وصدقوا على ارتداده الكاذب وقد امهل تعالى الملك برهة عله يحسن الارتداد اليه بالتوبة. اما الملك فانما قد ازداد طمعاً برحمة الله تعالى وتوهم انه سيفلت من ايدي الله الرهيبة لكنه لم يدخل شهر آب وكان الملك قد دخل مدينة بلشنسة الا وقد استولت عليه الاسقام فانهكته وفي الساعة الثانية من منتصف ليلة الثامن منه ظهر امام منبر الديان الرهيب . ما ارهب احكامك يا الله . قال روح الله القدوس ان الله لا يهزأ به . هذا ما روته تواريخ الجيل التاسع من سر الفدا

لكن ترى هل رجعت الكنيسة عن عزمها في بحر الاجيال المقبلة

لا لعمري فانك تراها لاتبالي بوعيد البشر وتهديدهم كلما اقتضت المدافعة عن عقائد الانجيل وادابه الشريفة

انباتنا التواريخ عن فيلبوس اغستوس ملك مملكة الافرنج انه قد رام ان يطلق الملكة انجلبرج زوجته الشرعية وكان قد تزوج بها بعد وفاة ايزابيلا زوجته الاولى وكانت انجلبرج المومأ اليها من الدانيمارك شقيقة الملك كانوت الثالث. فاستقبلها فيلبوس اغستوس بمدينة اميين حيث كان قد ذهب للقائها وتكللت ملكة بمدينة ريمس في رابع عشر شهر آب سنة ١١٩٣ ولم يلبث الملك ان ملّ منها ورغب في ان يطلقها واخذ يبحث في حيلة تسوغ له ذلك شرعًا فادعى القرابة المانعة بينهما ولسؤ الحظ قد وجد اساقفة اظهروا ضعفهم تجاه ارادة ذلك الملك القدير فحكموا على الملكة بحضرتها ولم يخاطبوها ولا يسمعوا كلامها ولم تكن الملكة تعلم بما هو جارٍ ضدها لعدم معرفتها الافرنسية. واذ قد بلغها ترجمانها المسالة فحارت منها الافكار واخذت تبكي وتذرف الدموع ولعثمت هذه الكلمات بالافرنسية قائلةً: فرنسا عاطل. فرنسا ما هو طيب. لكن رومية رومية. نعم استغاثة تستغيث بها البرارة على الظلم في ديوان اقامه الله على الارض لينصف المظلوم من شهوات البشر المفسودة واميالهم المحرفة ولم يعبأ هذا الديوان العالي بوعيد المقتدرين وبهديد المتسلطين في محاماته عن وديعة الدين. وكان اذ ذاك قد جلس على السدة الرسولية اينوشنسيوس الثالث فاعرضت المسالة على ديوانه وجري فحصها على ما يليق باهميتها ولما اتضح ان شهوة الملك تطلب حلاً مغايرًا لشريعة الانجيل نهض هام بهمة لله بمزيد العزم يدافع عن الاداب صحة المسيحية ويحامي عن حرمة

الشريعة الانجيلية وسال الملك ان يسترجع زوجته بدون مراجعة . ماخذ الملك يقاوم وقد سكر بخمرة الشهوة فلم تلتفت الكنيسة الى غضبه وهو يعارض قداسة تعليم الانجيل حتى اذا ما ابى الملك الاصغاء واصرّ على غيهِ عنادًا رشقته الكنيسة ومملكته بسيف سلطانها الالهي الى ان اذعن واسترجع زوجته فاسترجعت البرارة حقوقها

هل فات مطالعيهِ امر هنريقوس الثامن ملك انكلترة وقد ذهب فريسة شهوته المفسودة فانه قد بذل كل الطرق ملتمسًا من الكنيسة طلاق كاترينا داراغون زوجته الشرعية لكي يتزوج بحنة دي بولين . فقد توسل تارةً وتوعد اخرى فذهبت مساعيهِ فارغة ولم تلتفت الكنيسة الى سابق مدافعته عن حقوقها ولم تغض الطرف عن اداب الانجيل لتخلص مملكة انكلترة برمتها وقد تهدد الملك بفصلها عن الكنيسة الكاثوليكية بل وانه يسلمها للاراطقة . فقالت الكنيسة اذني عن الفحشاء صماء . فان الكنيسة ان هلكت الممالك باسرها وبادت هذه وكنوزها بل ان اتقدت نار الاضطهاد على البيعة وروسائها فان الكنيسة تموت باعضائها وروسائها ولا تخون وديعة العقائد المقدسة والاداب الشريفة

فقد اخترنا مسالة الزيجة وحدها من مسائل الاداب الانجيلية لمقابلة الكنيسة الكاثوليكية ومذهب الاصلاح الموهوم بالنظر الى الكائن الادبي على ما رغبت فيهِ النشرة الاسبوعية . لكن لعمري ان ما بيناه بهذهِ المسالة يمكنا ان نبينه بمسائل شتى فخرًا للكنيسة الكاثوليكية وخزيًا لمذهب الاصلاح الموهوم . فما قول العاقل بوجوب حرمة السلطة المدنية الشرعية افما انه لولا هذه الحرمة لسادت الثورة دائمًا

واستولت الفتن ابدًا فليراجع القاري الفصل الخامس من الجزء الاول من هذه التصانيف فيرى اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بحرمة المبداء المذكور ويرى فساد الابروتستانية بهِ. وما قول العاقل ايضًا عن مبدا المبادي الادبية اعني بهِ مبدا الاختيار البشري وقد تكلمنا عنه في الجزء الثاني من هذا التأليف وبينا فيهِ تعليم مذهب الاصلاح الموهوم عن الاختيار المذكور. وقد سعى ايمة الاصلاح بان يدخلوا مبداء حرية تهدم الاداب المسيحية من اساساتها. قلنا ونكرر المقال انه لو لم يكن الشعب الابروتستاني احكم واعقل من المذهب وتعليمه ومن ايمته ومبدعيه لتلاشت التعاليم المسيحية ومباديها الادبية في حضن الابروتستانية. ومع هذا قد نهض ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم مدعيًا بان للاصلاح الموهوم ان يفتخر بالكائن الادبي على الكنيسة الكاثوليكية

الفصل الحادي عشر

في اصل الحبرية والبطريركية بكنيسة يسوع المسيح على ما زعمه صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم

ان رمت الوقوف على اقوال من لا يدري ما يقول وشئت بهذه المفاكهة ان تشرح منك الصدور فدونك ومطالعة خرافات صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم عن اصل الحبرية والبطريركية بكنيسة الله تعالى. لعمري ان ما قد فاه بهِ بهذا الخصوص وعرى عن شعائر المعارف والعلوم قد مس جميع العلوم المتعلقة بشرح كتاب الله الشريف اي انه قد مس علم اللاهوت وعلم الفلسفة وعلم

اللغات الكنائسية وما شاكل ذلك . فمن ثم لا سبيل لنا للرد اذ لا رد على ما لا يستند الى مبادي علمية فكيف الى ما ليس فيهِ رائحة المعارف بل هو هذر محض. لكنه لما كانت غايتنا ليس دحض الاضاليل فقط بل تعليم ابناء بيعة الله وتبيان المبادي الصحيحة المبني عليها ايمانهم تكلمنا عن اقوال الملفق المذكورة خصوصاً اذ قد مست اموراً اهم وهي سلطان بيعة الله الاعظم الذي من جملة ما يحملنا على الكلام عليهِ والمدافعة عنه الحرب الحالية المشتعلة النيران على السدة الرسولية ولهذا السبب الاخير حصرنا كلامنا فيها الآن ضاربين عن البطريركية فاننا نتكلم في حينهِ عن هاتين المرتبتين في بيعة الله المقدسة وقد اكتفينا الآن بان نردع الملفق بمجرد قوة التاريخ لا غير. فان استفاد فيها والّا قد استفاد ابناء الايمان بما يتعلق بالايمان اذ يرون ان كل الادلة الراهنة قد اجتمعت على الملفق حتى قام عليهِ ابناء مذهبه وايمة مذهبه فكذبنا باقوال المذهب مؤرخ هذا المذهب فنعم التاريخ المودع مثل هذه الاقوال العارية عن الصحة. فعلى زعمه ما الحبرية الّا اختراع بشري لم يذكرها الكتاب وقد ضادها الانجيل . قال هذا ولم يعلم ان التاريخ وحده كافٍ لتسكيته فمن ثم قدمنا لابناء بيعة الله تعالى سلاحاً يحاربون بهِ رسل الانجيل الجديد اذا ما بشروا بمثل هذا التعليم

ولاجل ان لا ينسبنا انسان لروح الاغراض ذكرنا اولاً اقوال صاحب التاريخ المذكور حيث تتضح لمطالعيهِ اراوه بسلطان نائب السيد المسيح . قال في ما نشره بتاريخ ١٢ شباط سنة ١٨٧٢

فلما قوي الوهم بلزوم وحدة منظورة للكنيسة ظهر بالحال وهم اخر وهو لزوم رأس واحد منظور تقوم بهِ الوحدة ومع اننا لا نجد في

الانجيل رسمًا لتراس بطرس على بقية الرسل ومع ان قضية التراس من شانو ان يضادّ العلاقة الاخوية التي ارتبط بها الاخوة معًا وانهٔ مضاد ايضًا لروح الانجيل الذي بالعكس يأمر التلاميذ بان يخدموا بعضهم بعضًا وان يسلموا بوجود معلم واحد ورب فقط ومع ان المسيح كان يوبخ بصرامة تلاميذه كلما ظهر في قلوبهم اللحمية رغبة وميل الى التراس قد اخترعوا لبطرس رياسة وهمية واسندوها على ايات من الانجيل فسروها تفسيرًا معوجًا واخذ الناس يعتقدون بان هذا الرسول والذين يلقبون انفسهم خلفاءه في رومية هم النواب المنظورون للوحدة المنظورة اي روساء الكنيسة العامة

ثم ان الملفق لاجل تتمة خزعبلاته لم يأخذ نفسًا بل انتقل حالاً الى البطريركية وقال

وما اعان ارتقاء البابا وية في الكنيسة انشاء البطاركة في الثلاثة القرون الاولى الخ

نشر صاحب التاريخ المذكور هذه الخرافة ولم يدرِ ما يقول اذ لم يدرِ حتى ولا ما علمه الاصلاح الموهوم ولا ايمة هذا الاصلاح ومن كان على ريب في ذلك فدونه وان يصح سمعًا لاراء ايمة المبدعين عن سطان حبر الاحبار. فلا تعجب يا صاح اذا ما نهض لوتيروس وكلفينوس وميلانكتون وكذبوا الملفق المذكور بتعليمهم واخذلوه بارائهم وكفاك بتعليمهم سلاحًا تطعن بهِ هذا ولدهم العقوق . ولقد يقول هذا ما لنا ولايمة الاصلاح فانما نعتمد على تعليم الاصلاح لا على تعليم ايمته . قلنا انى لنا يا هذا ان نعلم ما هو تعليم الاصلاح الاّ من ايمته ومن مبدعيه وهل لاصلاحك قانون يسير بموجبه وميزان نزن بهِ تعاليمه وهل من محك

لانتقاد اصلاحكم اصح من تعاليم ايمتكم

قال لوتيروس امام بدعتك واحد اجدادك بالايمان مكذبًا قولك بان الكتاب قد سكت عن الحبرية والانجيل يضادها : اني اشكر يسوع المسيح لانه حفظ على الارض هذه الكنيسة الواحدة باية من لدنه عظيمة وانها هي وحدها قادرة ان تبين لنا بان ايماننا صحيح . قاله في تاليفه المطبوع بويتمبرج مجلد ٧ وجه ١٧٣ و١٨٨)

ولاجل ان نتاكد انه قد اعنى بقوله هذا الكنيسة الكاثوليكية التي البابا راسها الاعظم وان رياسته قد قبلها من السيد المسيح نفسه الذي سلمه المفاتيح نرى لوتيروس قد ثبت كل ذلك في المقالة المذكورة مستندًا الى ايات الكتاب الشهيرة حيث قال المسيح : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لا تقوى عليها وقال : ارعَ خرافي . ارعَ نعاجي . حتى قال لوتيروس ان العالم اجمع يعترف بان سلطان البابا قد بني على هذه الايات وقال في محل اخر معاذ الله ان انكر على الحبر الاعظم السلطة حاليًا او مستقبلاً

فاذا كان ذلك افما ان امامك قد اخذلك ياصاحب تاريخ اصلاحه واحد ابناء اصلاحه . افلا تخجل من مناقضتك كلام امامك وتكذيبك سلطة اقوال اكبر اجدادك . افما تعترف بعد هذا انك حفيد عقوق . فمن جملة ما انعم الله عليك هو انه بينك وبين جدك المذكور اجيال والاّ لو علم بعصيانك واستشاط عليك غيظًا على ما بدا منك ضد الاحبار الرومانيين اما نحن فكفانا انه كذبك وان لا مسند لتلفيقك حتى ولا من نفس اصلاحك

هات الآن نستشير امامك الاخر وهو كلوين قال في كتاب

الرسومات : قد اقام الله سدة الدين في وسط الارض واقام عليها حبرًا واحدًا يلتزم الجميع بان يوجهوا الحاظهم اليهِ ليتقووا ثباتًا في الاتحاد : فانه لقول عصا تاديب للملفق ومع ذلك فانه دون صفعة يصفعهُ بها ميلانكتون جده الاخر الموصوف بالحلم وهو اعلم وافقه ايمة مذهب الاصلاح . فان من اراءهِ ان لابد من الاقرار والاعتراف بسلطة الحبر الروماني وقد بيّن منفصلاً ما ينشا عن عدم هذه المعرفة من الموانع والاضرار . راجع يا هذا كتاباته خصوصًا الكتابة ١٠٦ ا مجلد ٤ كما واراءه في اجتماع سملكد ولاغرو فانك تنذهل كل الانذهال اذ قد سحق عظامك بطرقة تعليمه بهذا الشان

فاذا كان ذلك قال العاقل ما هذه الخرافات التي يلفقها صاحب تاريخ الاصلاح وعن اي الاصلاح يتكلم اذ ان ايمة الاصلاح الموهوم انفسهم لا يصدقون على اقواله بل قد كذبوه بما يقول وعارضوه بما يزعم . اي نعم لم يستتر المبدعون بموجب ما يعلمون لكن ليس في ذلك عجب اذ من مزايا الضلال التناقض اعمالاً واقوالاً . وعلى كل ففي هذا زعم الملفق ما لا اسناد له في مذهب اصلاحه وعلى الاولية في التواريخ الصادقة بل قد اظهر بما يدعيه اما جهله بالتاريخ واثاره واما انه قد احترف حرفة الحكايات او حرفة الانخداع فعلى كل اننا مبينون اكاذيبه وله ان يتصف بما شاء

الفصل الثاني عشر

في اصل الحبرية والبطريركية في كنيسة المسيح

لا يعجب العاقل من وضوح اصل رياسة بطرس الحبر الاول على بيعة الله المقدسة الالهي اذا امعن النظر بمجرد شهادة مبدعي الاصلاح انفسهم واتفاق تقريرهم حتى لو اعتبرت شهادتهم تاريخية محضة لافادت هذه الحقيقة وضوحاً فانجلت لدى اولى العصيان والجهل انفسهم. فانه لولا تمكن هذه الحقيقة في عقول المسيحيين وتاصلها في ارض التعاليم المسيحية لاستطاع مبدعوا الاصلاح التخلص من هذه الحقيقة الاساسية التي هي اس الكنيسة ومركز الاتحاد المسيحي هم الذين قد خرجوا من حضن هذه الكنيسة القديمة الايام وقطعوا رباط الاتحاد وشردوا ضلالاً عن هذا المركز الوحيد

ثم انهم قد انفصلوا عنها لكنهم مع انفصالهم قد أُجبروا على تادية شهادة صريحة عن هذا الاساس الالهي الذي بنى عليه المسيح كنيسته المقدسة حتى انهم اثبتوا هذه الحقيقة وبرهنوا عنها بنفس الادلة الالهية والايات الانجيلية التي يستند اليها علماء اللاهوت بتثبيتها

وهب انهم قد غيروا رأيهم فيما بعد وعلموا وصنفوا واجروا ما يغاير هذه الحقيقة وهزأوا بها واحتقروها فما ذاك الا مما يؤيد سابق شهادتهم بها وكانوا قد اسندوها الى ايات الكتاب

فاذا ما سمعنا لوتيروس يقذف الشتائم على خليفة الصفا ويدعوه المسيح الدجال ويصفه باوصاف يضرب عنها القلم احتشاماً هل تقل لدينا قيمة شهادة هذا المبتدع السيء الاقوال وقد اسند نظام رياسة

بطرس الالهي الى ايات جليلة واقوال الهية شريفة لا يختلف على معناها اثنان واتضح منطوقها للعيان مع تاولات اهل العصيان واقاويل من يفسدون بالايمان . فان معظم ما يوثر بسماعنا قذف القاذفين وطعن الطاعنين هو ان نضمهم وشتايمهم في سلك ابواب الجحيم التي لا تقوى على الكنيسة المبنية على الصخرة

ووددنا لو امكنا تفصيل هذه العقيدة وتبيانها وسرد الادلة الراهنة التي تايدها والايات التي تسندها والمصادر العلمية والفلسفية واللاهوتية والتاريخية التي تضمحل عن سماها المراتق غيوم الارتياب . فانه ما من حقيقة تحاكيها باسانيدها اذ ان جميع المصادر العلمية والتقليدية قد بادرت لتاييدها واجمعت على صحتها . غير انه لما كان ملفق تاريخ الاصلاح الموهوم قد تستر بثوب المؤرخين اقتصرنا على مصدر التاريخ وحده وبينا له في الفصل السابق اصل الحبرية الالهية وقد اعترف مذهب الاصلاح بحقيقة ما نقوله واسنده الى المصادر الانجيلية

قل لنا ايها المؤرخ الفريد بجنسه : ما الذي حملك على ادخال البطريركية وانت تحكي الحكايا عن الحبرية هل من مقابلة بين السلطان الاعلى العام الذي اعطاه المسيح لهام بيعته المقدسة العام وبين البطريركيات القديمة العهد التي نشأت كذلك مع المسيحية وما زالت حتى الآن على عظمتها وساطع بهائها

غير ان الانجيلي الجديد الناشر ايات انجيله الجديد في الاقطار السورية قد علم عن البطريركية ما لا يعلمنا به انجيل ولا تاريخ . هل فاتك كلامه عن الحبرية اذ قال في نشرته الاسبوعية عدد ٧ تاريخ سنة ١٨٧٣ وما اعان ارتقاء البابا وية في الكنيسة انشاء البطاركة في الثلاثة

القرون الاولى . قل لنا يا صاح هل ندوس بارجلنا جميعا علمناه التاريخ الصحيح وقد بُني على الحقوق ووقائع الحال مذ انشاء بيعة الله المقدسة . لعمري ما رأى البطريركيات بهذيانك بمقام روساء الكنيسة وانتشائها وقد اجروا سلطانهم مذ مهد النصرانية . انما انها تحتج على اقوالك وتنزلها منزلة الخرافات

فان الحبرية هي من الله ولم تستند قط الى البطريركية بل ان جميعها للبطريركية خارجًا عن السلطان الاسقفي انما هو من فضل الحبرية وهذه حقيقة جلية تثبتها اثار الكنيسة مذ انشائها . فان البطريركية قد نشات من بطرس الصفا واحترامًا لبطرس قامت البطريركيات في مراكز شرفها بطرس بمروره او اقام فيها نوابه

فان البطريركية هي جدول يجري من ينبوع رياسة بطرس وشعاع ينبعث عن شمسها تركه بمروره في كراسي انشاها واقام فيها هو ومرقس تلميذه . فقد اسس بطرس كرسيه برومية عاصمة العالم الكاثوليكي واقام فيها مدته الرسولية ليرعى خراف المسيح ونعاجه . وانطاكية عاصمة المشرق انشا بطرس كرسيها وجلس عليه . والاسكندرية عاصمة المشرق جنوبًا بطرس ارسل اليها مرقس تلميذه واسس فيها كنيسة باسمه وهذه الكنائس الثلث قد دعيت بطريركيات امتيازًا لامتياز مقام بطرس

هذا قول لا ريب فيه وقد اتضح كالشمس في رابعة النهار حتى ان المجمع الخلقيدوني في كلامه عن بطريركية القسطنطينية رومية الجديدة التمس اباؤه هذا الانعام لها من خليفة بطرس قائلين . تنازل وانشر حتى على كنيسة القسطنطينية احد اشعة رياستك . فعليه قد ايد هذا

المجمع المسكوني راينا في اصل المقام البطريركي في الكنيسة فمع ذلك لم نحصر البرهان بقول الاباء المومإ اليهم لان حقيقة ندافع عنها قد تلالأت بلء بهائها مذ انشاء الكنيسة بقدم حقوقها وعوائدها واجرا آتها

الفصل الثالث عشر
في المعنى المتقدم ذكره

قد اتضح لدينا من صريح عبارة اباء المجمع الخلقيدوني بان الكنيسة تعرف البطريركية مشتقة من رياسة بطرس المستقرة بتمامها في سدة رومية

ومن رام ان يرى كم قد استولى هذا المعنى بتعليم الكنيسة الرومانية واعمالها فعليه ان يتاملها وهي تعلم ذلك وتجري توليها الالهي على البطريركيات وسائر مراتب الطغمة الكنائسية في بحر الاجيال فتتضح لديه الحقيقة كل الوضوح وبذلك ما يقنعه كل الاقتناع

ولكثرة الادلة الراهنة الواضحة والاسانيد الجلية الثابتة السارية كالمياه المتدفقة في قلم يبين هذه الحقيقة يحار الباحث في هذه المسالة الاهم ولا يعلم اية الادلة يفضلها على ما سواها ولما امتنع ابراز جميعها اخترنا منها ما يوافق خصوصاً مطالعيه الشرقيين وقد تكلمنا اولاً عن التعليم

ان القديس غريغوريوس الكبير ذلك الحبر الكبير بتعليمه والكبير بسامي تصرفاته والكبير باصله وفصله اذ هو سليل عائلة شهيرة حسباً وغنىً فترك جميع هذه الكرامات والاموال وصار فقيراً

حبًّا بالمسيح . قال وعلى القارئ ان يمعن النظر باقواله الجليلة التي خاطب بها اولوجيوس بطريرك الاسكندرية (في رسائله سفر ٦ رسالة ٣٧) : ترى من يجهل ان الكنيسة قد قبلت ثبات اساسها بهام الرسل فهو الذي قال له فم الحق بالذات اعطيك مفاتيح ملكوت السماوات وقال ايضًا . انت متى رجعت فثبت اخوتك . والتفت اليهِ وقال : وانت ياسمعان ابن يونا أتحبني . ارعَ نعاجي . ولئن كان الرسل كثيرين فلم يحظَ بسلطان اجراء الرياسة سوى بطرس لا غير . اه

ثم ذكر ان هذه الرياسة الواحدة قد تركت اثارًا في الكراسي الثلثة قال : لانه هو (بطرس) اسس هذه الكرسي العلية (كرسي رومية) في المكان الذي ارتاح فيهِ وانهى حياته المضطهدة . وهو الذي شرف بمجده ذلك الكرسي الذي ارسل اليهِ تلميذه البشير . وهو الذي انشأ كرسي انطاكية حيث اقام سبع سنوات ولم يقصد الاقامة فيهِ دائمًا . اه

لعمرك الله هل رأيت ما هو ابين واوضح واجلى من هذه الاقوال فان معلم الكنيسة العام قد علم هذا التعليم وفي الوقت ذاته فطن بطريركًا شرقيًا بتعليم امنت بهِ وعرفته جميع الاجيال ووعاه جميع المؤمنون افرادًا واجمالاً حتى قال : ترى من يجهل اي ترى من لا يعرف ويعلم . نعم لا يعلم من كان نظير ملفق تاريخ الاصلاح الذي اما انه لا المام له واما انه متجاهل

وبمثل هذه الاقوال كان الذهبي الفم قد سبق فتكلم في ميامره التي فاه بها على روس الشرقيين بمدينة انطاكية وفي تلك الاثناء قد تفوه بمثل

ذلك القديس اينوشنسيوس الاول بر ومية

وقبل هولاء جميعاً كان القديس لاون الكبير قد استند الى المجمع النيقاوي المسكوني الاول ونادى علناً بان هام الرسل هو الذي اسس البطريركيات فانه في رسالته الى اناطوليوس قد دافع عن شرف القديس بطرس ضد مزيد اطماع احد البطاركة الشرقيين ووضع له حدّاً فاستعمل الحبر سلطانه وقد خامرت فواده الغيرة فصاح صارخاً : كلاّ ثم كلاّ ان كرسي الاسكندرية الذي اسسه مرقس تلميذ القديس بطرس لا يخسر شيئاً من مقامهِ ولا يحجبه كرسي اخر .... وان كرسي كنيسة انطاكية التي بتبشير بطرس قد اتخذنا الاسم المسيحي فيها شانه ان يثبت في المقام الذي عينه له الاباء

ولما كان القديس لاون قد استند الى القانون السادس للمجمع النيقاوي المسكوني الاول اقتضى ذكر بعض منطوقه تأييداً لهذه القضية فان عبارات هذا القانون توصلنا الى مهد المسيحية على ما لاحظ وشاهد اهل الانتقاد الاشهر ذكاء نظير المعلم فيلبس (في الشريعة الكنائسية) والسيد هيفلي (في تاريخ المجامع) وهجبان (في كتابهِ عن الكنيسة الرومية)

فان القانون السادس المذكور يبين لنا ما صار التامه في المجمع النيقاوي بشان اورشليم التي امست بغاية الذل لقتلها مسيح الرب فاضمحلت من بين العواصم الشهيرة ولما اسم هليا كابيتولينا ولم تكن الاّ اسقفية تحت ولاية رئيس اساقفة قيصرية الكائنة على شاطي البحر قال القانون : انه احتراماً واكراماً للرب قد التمس لها الآن امتياز ومقام كرسي بطريركي بعد ان مضت ثلثة اجيال بالاحتقار ولم يسلم

اباء المجمع بالطلب المذكور الاّ بكل صعوبة وبالشرط الآتي ذكره وهو انها تبقى تحت ولاية قيصرية المذكورة . لكن ترى ما هو سبب هذا التصعب الخصوصي قلنا انما لانهم ارادوا ان تبقى العادة القديمة محفوظة وتلبث على ملء قوتها τὰ ἀρχαῖα ἔθη κρατείτω وما هي هذه العادة القديمة التي ايدها الاباء كل التايد . هي ذلك التولي العظيم الوحيد التي كانت تمتع بهِ وتتخذ الكراسي التي انصل تاسيسها ببطرس الرسول . هذا ما نراه في الشرح الملحق بالقانون المذكور وفي هذا التفصيل ما يبين نوع تولي الكراسي المذكورة فانها كراسي رسولية تتعلق بكرسي بطرس وقد دعوا حقوق رومية المبني على هذه العوائد القديمة والتقليد القديم بحسب النص الاصلي πρεσβεῖα اي حقوقًا ناشئة عن الاصل اي كانها حقوق البكورية هكذا شرحه صترابون

فلذا راينا القديس اينوشنسيوس الاول (في رسالة ١٨) قد خاطب اسكندر بطريرك انطاكية مذكرًا اياه بكلمات المجمع النيقاوي المقدس وبسلطانه السامي معربًا عن راي جميع اساقفة العالم ومتكلمًا عن سامي سلطان كرسي رومية وقد استتلى كلامه قائلاً بصريح العبارة ان هذا السلطان لم يكن لهُ البتة لاقامته بعاصمة المسكونة بل لكونها كرسي هامة الرسل الكرام

ومن الادلة الواضحة المقنعة هي شهادة الوثنيين انفسهم الذين كانوا اعداء الدين ومضطهدي الكنيسة قبل قسطنطين الملك فانهم قرروا عن رياسة بطرس وتوليه السامي على سائر البطريركيات شهادة صريحة تاريخية رسمية . ففي هذه الاقطار السورية عينها راينا بطريرك انطاكية قد غوته الاطماع ورام الاستقلال عن الكرسي

الرسولي وقد استند على زبيدة ملكة تدمر وزعم انه يايد استقلاله ويحمي كرسيه بقوة الاسلحة عدوانًا واذ قد نهض عليه الرومانيون بشخص اورليانوس الظافر بدولة تدمر وكذبوا مدعاه تكذيبًا رسميًا وشهدوا برياسة بطرس مع انهم وثنيون

الفصل الرابع عشر

في ان الاحبار العظام قد اجروا حقوق رياستهم على البطريركية

انا نلحق بالشهادات الماخوذة عن المجامع المسكونية وشهادات اباء الكنيسة الكرام ادلة ذلك الحق الذي اجراه الاحبار العظام فعلاً في جميع الاجيال على جميع البطريركيات مع سعة التولي وكثرة الامتيازات الممنوحة لهذه الكراسي التي اسسها بطرس هامة الرسل وعلى هذه الصورة نتم الايضاح الذي قصدناه بهذا الشان احسن تتميم لاننا نبين بذلك ان كل ما منحه بطرس وخلفاؤه في بحر الاجيال الى الكراسي المذكورة انما قد منحه على هذه الطريقة وهو ان بطرس لا يبرح دائمًا وابدًا صاحبًا مالكًا لذلك الشيء الممنوح بنوع انه يقدر ان يغيره ويحصره حسب الاقتضاء وعلى ما يتطلبه السلطان المعطى له من السيد المسيح

فلا شيء اوضح وابين بل لا شيء يقنع الباحث في حقيقة السلطان الذي اعطاه ابن الله لنائبه على الارض من ان نرى هذا السلطان موضوعًا بالعمل مذ ابتداء الكنيسة

فان رايت خليفة بطرس الصفا قد اقام بحسبما تتطلبه وظيفته العلية بطاركة وعزل بطاركة امسوا غير اهل لمقامهم او رايت يغير تلك الامتيازات لاسباب راهنة او يامر بواسطة نوابه اساقفة او كهنة وشمامسة البطريركيات لدى الاقتضا اتضحت لديك تلك الاراء الافكية المضلة المستندة الى مجرد الاوهام الكاذبة بخصوص حق رياسة بطرس الالهي

فان رمنا تبيان ذلك تاريخيًا كثرت الادلة ووفرت الحجج واني تابيدًا لذلك اعتمدت على تلك الحادثة التي جرت ببطريركية انطاكية في عهد زبيدة ملكة تدمر التي انبانا عنها اوسيبيوس المورخ وقد اشرنا اليها انفًا واستصوبنا الآن زيادة ايضاحها فاننا قد راينا هام بيعة الله المقدسة يجري حقه ويمارس سلطانه في تلك الظروف المحزنة حيث اضطر ان يحط بطريركًا عن كرسيهِ ويقيم بطريركًا اخر مقامه. فان اجراء هذا الحق الحبري قد تم ورومية اذ ذاك وحبرها تحت سلطة الملوك الوثنيين وان هذا حق رياسة بطرس الموضوع بالعمل لم يعترف بهِ اساقفة الكثلكة فقط بل ان الوثنيين انفسهم قد عرفوا حق الحبر الاعظم على ما اتضح من الحادثة المذكورة

وهاك الحادثة على ما رواها اوسبيوس ذكرنا منها شيئًا يويد مقالنا اما البطريرك فهو بولص من صاموزات مدينة بسورية العليا فارتقى المذكور الى مقام البطريركية في سنة ٢٦٠ اما كيفية ارتقائهِ فمجهولة غير اننا نعهد انهُ ولد من ابوين فقيري الحال ولم يستعمل سامي مقامه الّا لاحتشاد الاموال. قاله اوسبيوس الذي اخذ يقص لنا ذلك بموجب اعمال المجمع الصحيحة الذي صار التئامه بخصوصه

ووصف لنا سوء خصاله وسيرته ذات البذخ والخفة في دار فخيمة داخل اسوار انطاكية فانه كان ذئبا في حظيرة الخراف يفترسها افتراساً فاحشاً خصوصاً اذ كان مستظلاً باكناف حماية زيبة ملكة تلك الاقطار ذات الاقتدار. لعمري هل تحتمل بيعة الله مثل هذه السيرة المشككة فمن ثم ولئن كان الحبر الاعظم اذ ذاك تحت سلطة ملوك وثنيين رايناه قد رفع صوته واجتمع اساقفة هذه الاقطار الرعاة الساهرون على القطيع وعقدوا مجمعاً وبحثوا في امر البطريرك المذكور ولما اتضح ذنبه شرعاً حط عن مقامهِ قانونيا واقيم بدلاً منه دمنوس ولد ديمتريوس الذي كان اهلاً لهذا المقام الشريف ومع ذلك ما انتهت المسالة لان اجراء الحكم كان عسراً جداً نحو ذلك البطريرك الذي ابى الخضوع وداس سلطة الحبر الاعظم لاستناده الى اقتدار الحامية عنه. فعندها نهض الحبر الروماني الذي حاكت احواله حينئذٍ احواله الحاضرة واحتج على هذا الاغتصاب محافظاً على حقوقهِ واذ قد حسمت العناية الالهية المسألة وحلت المشكل حلاً بهِ شهادة راهنة ودليل قوي عن حق الحبر الاعظم المعروف حتى ومن الذين انبأنا عنهم التاريخ انهم من جملة مضطهدي البيعة المقدسة. فانهُ حالما ضرب اورليانوس جيوش زيبة في سهول حمص وضعضع قوة تدمر واباد ملكها واصحب الملكة معه اسيرة كعلامة لانتصار انتهز الاساقفة الكاثوليكيون فرصة حضور هذا الظافر الذي مرَّ بانطاكية والتمسوا عضده ضد البطريرك المحطوط شرعاً عن مقامهِ فاستجاب الظافر حالاً التماسهم واجاب على ذلك جواباً يستحق الذكر خصوصاً اذ قد خرج من فم رجل ليس فقط خارج عن الكنيسة

بل ممن وصفه لنا التاريخ فيما بعد انه من جملة مضطهديها القساة قال : ان دار البطريركية تختص بمن هو بشركة واتحاد مع اسقف رومية . وعليه جرى الحكم وانذل البطريرك المحطوط لقدرة الظافر. فلك ان تعترض بان اوريليانوس لم يكن عدوًا للكنيسة لما اجاب بالجواب المذكور قلنا هب ان الامر كذلك فالحجة لا تخسر شيئًا من قوتها وقد اعتبرها كل الاعتبار اهل الانتقاد من المتاخرين

فهذا الشاهد الذي ذكرناه ليس وحيدًا فريدًا في صفحات التاريخ في تبيانه لنا سلطانًا اجراه الاحبار العظام على سائر البطريركيات

فلنضربنَّ عن البابا فيكتور الذي استعمل في الجيل الثاني بملء العزم حقوقه هنا بالمشرق في مسالة تعييد الفصح

ولنضربنَّ عن بطاركة الاسكندرية والقسطنطينية الذين اعادهم يوليوس بسلطانه الى كراسيهم على ما قرره زوزومينوس وسقراط

ولنضربنَّ عن فعل حبرية اينوشنسيوس الاول الذي رجع الذهبي الفم الى كرسي القسطنطينية

ولنكتفينَّ بذكر امر ابرزته السدة الرسولية في عهد البابا مرتينوس الاول في الجيل السابع فانه لما كانت الارطقة قد افترست هذه الاقطار نهض الحبر الاعظم مهتمًا بامر بيعة الله وفوض اسقف فيلادلفيا الواقعة غير بعيد من السلط واقامه نائبًا عنه بقوة السلطان المعطى من الرب لبطرس هام الرسل وامره بان يقيم اساقفة وكهنة وشمامسة في مداين بطريركية انطاكية ومداين بطريركية اورشليم ولا يبالي بالمضادين مهما كانوا ولا يلتفت الى المعارضة من اينما نشأت

الفصل الخامس عشر

في عجب النشرة الاسبوعية لمذهب النطق الصرف

ان محرر النشرة الاسبوعية الذي لقد طالما تكلم ولئن لم يحسن التكلم عن ذلك السلطان الذي اقامه ابن الله على الارض وهدم مبادي الانجيل وحوادث التاريخ الصحيحة على ما بيناه قد اذهلنا بقطعة نشرها في احد اعداده الاخيرة اذ رايناه قد هام كل الهيام بحب مذهب النطق المحض ولاغرو فان في ذلك لفلاحاً له غير اننا وكل من طالع اساطيره لا نعلم كيف ان هذا الرجل الذي يزدهي بنشره تعليماً موحياً وبطبعه دائماً الاسفار المقدسة الموحاة يسوغ له ان يعجب و يقبل كل القبول بكلام من يتكلم ويبرهن كأن لا وجود لتعليم موحى نعم ان محرر النشرة المذكورة لا يلتفت الى النتائج المنطيقية ولا يربك نفسه بها غير انه في المسالة الحالية قد تجاوز الحدود . كيف يدعي انه اتى البلاد لينيرها بتعليم الوحي ومع ذلك تراه يتكلم ويكتب ويتصرف فعلاً كأن هذا التعليم الموحى لا وجود له ومن كان على ريب في ذلك فليمعن النظر بواقعة الحال

راجع من النشرة الاسبوعية العدد ٢٠ من هذه السنة فترى محررها ليس قد ذكر حرفيًا قطعة الجريدة الالمانية المسماة لانوفل بريس ليبر فقط بل تراه ايضاً خلافاً لعادته يذكر باحرف فرنساوية عنواناً باللغة الالمانية فقد علمنا الاسباب التي قد جرت العادة لاجلها بذكر الفاظ اجنبية متناً بل قد استعملنا ذلك لكن ذلك متى كانت الفاظ المتن اقوى من الفاظ الترجمة او قد تضمنت ما لا يمكن التعبير عنه

باللغة المستخرج المتن اليها وذلك مما لا محل له في القطعة الحالية التي نشرتها الاسبوعية لان الالفاظ الالمانية التي ذكرتها باحرف فرنساوية لا تتضمن شيئًا لا يمكن التعبير عنه بالفاظ عربية فاذا كان ذلك قلنا ان مزيد هيام المحرر بالقطعة الالمانية حمله على ان يلوّن ترجمتها العربية بالفاظ المانية

وعلى كل فذلك مما يتعلق بظاهر الحروف وللمحرر ان يتبع ذوقه وهواه اما نظرًا لمنطوق القطعة وجوهر معناها فليس الامر كذلك فاننا نتعجب من كل من آمن بالوحي من اية ملة وعلى اي دين كان ان كان لا يتعجب لعجبنا لقبول المحرر بمنطوق القطعة المذكورة وقد دعى نفسه خادم الانجيل

واني لذاكر اقوالاً من القطعة المذكورة وقد قبلها المحرر المومأ اليه على ما هي عليه بدون شروح ولا تفسير ولا تنديد البتة بل قد عجب لها على ما ذكرنا فعلى القاري ان يقضي في هذه المسالة

قال في العدد ٢٠ وجه ١٥٨ : ان حيوة الشركة الدولية قائمة بهذا الشرط وهو ان شرائعها وحقوقها تستوجب من كل اتباع الدولة بلا استثناء الخضوع لهذه الشرائع والحقوق الصادرة عن ارادة مجموع اهالي البلاد او السلطة حينما تكون هذه الشرائع قد صودق عليها وانتشرت بقوة النظام الاصلي المقرر وان حرية الاديان هي تحت هذا القيد الوحيد الذي لاغنى عنه (اه)

نشدتك الله يامن تدعي كونك خادم الانجيل : هل يمكنك ان تقبل وتعجب لمثل هذا التعليم ولا تخجل من الكتاب الحامله تحت ابطك . نعم ان انجيلاً انت تحمله ليس هو على ما خرج من يد الله بل

انكم حرفتموه وصحفتموه ومسخموه على ما بدا لكم وقد اتضح هذا تلاعبكم للعيان غيران انجيلاً نحلة مع ما تخلله من التحريف يحوي حقائق كثيرة تشجبك ليس فقط لدى المسيحيين بل لدى معاشر الاسلام ايضاً

هات الآن نبحث قليلاً بتعليم قبلته وعجبت له فترى الى اين يوديك . هب ان شريعة قر عليها النظام غايرت الانجيل وذلك مما يمكن حدوثه بل قد جرى فعلاً فعندها ترى ما الذي يجب عليك صنيعه. لاغرو فانك قد حكمت على نفسك سلفاً بهذا القول الذي قبلته واعجبت له وهو ان حيوة الشركة الدولية قائمة بهذا الشرط وهو ان شريعتها تستوجب الخضوع حيثما تكون هذه الشرائع قد صودق عليها بقوة النظام الاصلي المقرر. هل لك ما تعلل به وقد وقعت باحبولة مقالك بل يلزمك بان تلقي الاسفار المقدسة جانباً لان هذه الاسفار المنزلة مع تلاعبكم بها قد حوت ايات شريفة تشجبك من جملتها هذه الاية القائلة : يجب ان يُطاع الله اكثر من الناس (اعمال ٥ : ٢٩)

وان جواب بطرس الصفا ويوحنا البشير يشجبك علناً وليس لك ما تعلل به اذ اجابا بصريح المقال وقد خاطبا القضاة قائلين : ان كان عدلاً قدام الله ان نطيعكم اكثر من الطاعة لله فاحكموا (اعمال ٤ : ١٩)

اراكم لم تمسوا هاتين الايتين فاذاً قد قضتا عليكم ولا رد لقضائهما

ولما في الجيل الاول من التاريخ المسيحي اقتيد تلميذ الرب يسوع الى هيكل الاصنام ليجبر على ان يقدم لها البخور بموجب الشرائع المقررة من نظام ذلك العهد والمعمول بموجبها حتماً هل قد اخطأ تلميذ المسيح

ذلك الشهيد المجيد باحتماله عذاب الاستشهاد ليلبث امينًا نحو الله ولكيلا يدنس نفسه بفعل السجود للاصنام . فان تلك الشرائع كانت مقررة وصودق عليها من النظام الاصلي وقد تطلبت حيوة الشركة الدولية الخضوع للشرائع المذكورة

ارايت يا خادم الانجيل الجديد الى اين اوصلك عجبك لمثل هذا التعليم الذي يتطلب فعلاً الكفر باوامر الانجيل وبتعليم الوحي اجراء لما هو ضد تعليم الله على خط الاستواء

فان كان تعليم الله يامر صريحًا بان الطاعة لله تفضل على طاعة البشر هل يليق بك ان تعجب لمبادىء تامر الخلاف وهو تفضيل الطاعة للبشر على الطاعة لله تعالى

فلك ان تعجب لمثل هذا التعليم اما نحن فاننا نعجب ليس للتعليم الذي بشر به رسل الله الكرام واجروه بانفسهم فقط بل لتعليم اتبعه ذلك الشهيد المجيد تجاه وعيد المضطهدين واننا لمرتاون بانه اولى بك ان تعجب لما نعجب له من ان نبالغ بالعجب لتعليم يغاير تعليم الوحي مغايرة تامة

فان استسرت بموجب قولنا سلمت من طائلة سهام افاضل الاسلامية الذين يرشقونك ثانية بما رشقوك به لتلاعبك بايات الله

فقالوا عنكم ان هولاء القوم قد اتوا هذه البلاد وادعوا التبشير بالتعليم الموحى في كتابهم ومع ذلك فانهم يرخصون لانفسهم بان يقيموا اقوالهم مقام الاقوال الموحاة عندهم لا شك انهم لاقوام لا يوقنون بما يعلمون والاّ لما كانوا يغيرون اقوالاً يوقنون بكونها الهية

اما نحن فلا نعلم ما يجيب به المعجبون بالتعليم المغاير الذين

عما يرشقهم به اهل الاصابة وقد راوهم عجبوا لتعليم مذهب النطق وفضلوه على تعليم الوحي عندهم

هذا وقد ابقينا البراهين المؤيدة مقالنا لما ياتي من الكلام

الفصل السادس عشر

في المعنى المتقدم ذكره

لما كنا قد راينا رسول الانجيل الجديد بسورية قد اعجب لمذهب النطق الصرف متغاضياً عما حواه انجيله من تعليم الوحي نبقى علينا وعلى القاري اللبيب ان نرى البراهين التي استند اليها صاحب القطعة تلك التي قد لاحت لصاحب النشرة قاطعة جازمة لا تقبل اعتبارًا ولا تمييزًا فقد اخذها صاحب القطعة من التاريخ فلذا راقت لخاطر صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم ونزلت لديه منزلة الحقائق المثبوتة لكن ترى ما راي التاريخ الصادق بهذه الادلة الواهية لعمري قد هزأ بها من وقف عليها وضحك لمجرد ذكرها

فان القطعة قد استشهدت اولاً مثال المورمونيين باميركا ثم اليهود الذين لا يحاربون في يوم السبت ثم الماموينيت الذين يحرمون سفك الدم ولو لداعٍ شرعي . هذه هي الشواهد التاريخية التي استندت اليها القطعة وراقت لخاطر صاحب الاصلاح الموهوم

لا جرم قد عجب القاري لعجب رسول الانجيل الجديد لامر يستوجب بالحري كل الازدراء وتأييدًا لعجب القاري الحبيب لاق تبيان سخافة ما عجب له الرسول المذكور لكننا لا نكتفي بذكر الشواهد

المذكورة بل يجب ان نبرهن ونعلن النتائج التي زعم الرسول المذكور
نتيجها من هذه الشواهد

فعليهِ سالنا اولاً: لِمَ ذكر صاحب القطعة هذه الشواهد وما الذي ينتجه منها تأييدًا لقضية بنيت على مجرد مذهب النطق وضادت تعليم الوحي وتصرفات الكنيسة الكاثوليكية كل المضادة

قد جيءَ بهذه الشواهد ردًّا او بالحري مواربة ضد الكاثوليكي متى استند هذا الى شهادة الضمير فيأبي مخالفة تعليم الوحي ولو خسر ماله وحياته ثم اراد الخصم ان يقول: ان شهادة الضمير لا تثبت لك شيئًا ومن المحال ان تعتد بها الدولة والاّ الى اية الاحوال نتوصل ان التفتنا الى صوت ضمير المورمونيين وجهالاتهم ولما استطعنا جبر اليهودي على ان يحارب في يوم سبت ولالتزمنا بمسايرة الماموني وتركناه يتمتع بحرية ضميره الذي يعفيه من سفك الدم ولو لعلة شرعية

نشدتك الله ايها القاري اللبيب الا تحزن لسقامة هذا التعليل وتتكدر لسخافة هذا الايراد الذي زعم بهِ الخصم تاييد مدعى دولة تأبي الاعتداد بضمير رعاياها وانها لا تلتزم ولا نقدر ان تراعي ضمير تبعتها

لعمري هل في جميع الشواهد المذكورة شيءٌ تعلق بضمير الانسان ذلك الذي يدعوه الفيلسوف واللاهوتي بعدل وصواب شاهدًا للحق لا يقبل رشوة وقد وضعه تعالى في نفس الانسان

لا جرم انهُ كثيرًا ما لا يسمع الانسان صوت ضميره وكثيرًا ما لا يتبع هذا الصوت وعن ذلك لا اقتضاء للبرهان فان الشهوات شانها ان تخمد صوت الضمير غير ان هذا الشاهد الصادق لا يبرح مستقرًّا داخل النفس ويصرخ مناديًا وقد اقلق راحة المنافق وايقظه من

هبات غفلته لانهُ شاهد لا يقبل رشوة بل قد صاح صارخًا حتى وعلى من يحاول اخماده

قل لنا ياهذا: متى دعى العاقل جهالات المورمونيين صوت ضمير واما خطاء اليهود بعدم جهادهم في يوم السبت على ما نرى في سفر المكابيين الاول فهو مما ندعوه تطرفًا وترفعًا في الضمير وقد حسب لهم الله ذلك اجرًا غير ان ذلك كان خطاء منهم اصلحوه فيما بعد على ما ذكرته القرائن فعليه يقول الفيلسوف ان خطاء الضمير ليس هو الضمير . واذا رأينا اتباع مينو قد حرموا سفك دم عدوهم ولو في حرب عادلة فما للعاقل الّا ان ينوح على ضعف الطبيعة البشرية ويشفق عليها لكنه لا يشرك بين الضعف وبين صراخ الضمير الذي لا يقبل رشوة ولا ينغلب فانهُ يحني الراس ويعجب داخل نفسه لتلك شهامة النفس الابية ولسمو الطبيعة البشرية ولقوة النفس المؤمنة التي نرى في تعليم الوحي جليًا ارادة الله العلي ولا نتعرج ولا تكفر بشهادة الضمير بل ندوس عذاب السجون وشوكة الموت ولا نخون دعوى الله

اما عما ذكره صاحب القطعة عن معاهدة منستر واجتماع فينا حيث احتج الباباوات على سلم فستفاليا ومعاهدة فينا في سنة ١٨١٥ ولم تلتفت الدول الى احتجاجهم وكما ان الباباوات قد احتجوا في سنة ١٧٦٧ بخصوص الاملاك الكنايسية فاننا نقول للخصم . نشدناك الله قل لنا ما معنى ازعامك هل سمعت يا هذا ان الطلب العادل يضيع عدالته ويخسر الحق حقوقه متى سدت الاذان عنه . لعمري ما الذي يحل بنا لو جرت مباديك بخصوص الحق والعدل

فاذا كان ذلك انما قد تبددت كالهبا جبال اوهام شحنت بها

اساطيرك وقد زعمت انها من ملح العصر ونخب الدهر وان قطعة ذكرتها انما قد عرت من البرهان وخلت من المعاني فكانت خاوية خالية

الفصل السابع عشر

في ما قالتهُ النشرة الاسبوعية عن حال الكنيسة الكاثوليكية في شدائدها واحزانها الحالية (عدد ٣١ سنة ١٨٧٥)

راق لخاطر صاحب الاصلاح الموهوم ان يلقي الحاظه حيناً بعد حين على الكنيسة الكاثوليكية وعلى شدائدها في هذه الاوقات وكلما بدا منهُ ذلك ذكرنا بمشهد الجلجلة فلدى تاملنا اياه على ما يصف لنا نعسه معربًا عن شعائره وموضحًا اراءه بتامله رومية العظمى وما يجرى حول السدة الرسولية تمثل في اذهاننا رغمًا عنا قوم وصفهم لنا البشير وصفًا محكمًا يجبر الافهام على الاقتناع لصحتهِ . فاذا ما رايت الذبيحة الالهية رجل الاوجاع الحمل المنزه عن العيب حاملاً صليبه وصاعدًا الجلجلة رايت ايضًا في هذا محل العذاب مكانًا دلك عليهِ قلم البشير اقام فيهِ قوم سرّوا وازدهوا لعار المخلص وذله فوصفهم البشير على ما هم عليهِ من حقيقة اخلاقهم وصحة اميالهم بانتصارهم الموهوم وصفًا عجيبًا مثلهم امام عينيك حتى لاح لك انك تراهم خصوصًا لدى قذفهم الشتائم على الذبيحة السماوية وهي تسلم الروح وقد اشتدت عليها الاوجاع واحزان الموت

فمن راي اباء الكنيسة الكرام ان مشهد الجلجلة يتكرر اوقاتًا

في بحر الاجيال والاَّ لما مثلت لنا كنيسة المسيح الاله المتجسد تمثيلاً صادقًا وعليهِ قد ظهر في الاوقات المذكورة لهذه مشاهد الجلجلة المكررة قيافا وبيلاطوس والزنادقة والفريسيون على ما ظهروا حول رجل الاوجاع في يوم الامهِ. فاذا ما عثرت على مقال صاحب تاريخ الاصلاح الموهوم كلما تكلم في النشرة الاسبوعية عن شدائد الكنيسة واحزانها الحالية وقد وصفها وحبرها المسجون وصفًا يطابق مشهد الجلجلة عرفت لا محالة مكانًا ومقامًا اختارهما المورخ لنفسه في تكرار هذه مشاهد الالام وقد دلك على ذلك صوته وازدهاؤه نصرًا وكلامه وحالته تجاه اوجاع الكنيسة

قال ان سنة فرح الكنيسة اي يوبيلها لم تاتِ في مدارها الى الآن بما يحمل اسيادها الى التصويت بالفرح فنسمع اساقفة المانيا ينوحون يومًا فيومًا بسبب ما استحسنوا ان يسموه اضطهاد الكنيسة ورعاة المسيحية الكاثوليكية العظام في باقي المالك يردون الصوت على هذا التولول برسالات الرعاة الى رعيتهم وما اشبه ذلك مهذرين كما كان يهذر خلفاء الرسل وموخرًا قد اتانا من بلاد الانكليز صياح الم مستحق الاستماع اليهِ فانهُ خرج من فم الارخي اسقف مانين Manning الذي قد تسمى حديثًا كردينالاً وهذا المنصب الكنائسي العالم الغيور الذي قد فاز اخيرًا بعد ما كان اجتهد سنين عديدة بانشاء مدرسة جامعة كاثوليكية في وسط المدينة التي هي قصبة بريطانيا العظمى مدرسة التي طالما اشتهى جميع الكاثوليك الاولترامونتانيون في المانيا مثلها ولم يقدروا ان يحصلوها نقول كان ينبغي على هذا المنصب الكنائسي بحسب ما يرجحهُ العقل البشري ان يهتف فرحًا ويوبيلاً على نوال المقصد لكنهُ عكس

ذلك اظهر افكارهُ بان حالة الكنيسة الكاثوليكية حالة محزنة وبانهُ مشرف على الكنيسة وعلى الكرسي البابوي عدا ان خطر اشد من جميع الاخطار التي سبقت منذ ثلاث مئة سنة . اما نبوة كهذه من فم كهذا في وسط جماعة من المنقادين الى رومية ولكن بدون اضافة التعزية الاعتيادية اي ان الكنيسة ستخرج من كل هذه الانواء بجلال وقوة عظيمة فائقة على الماضي هي امرٌ ذو معنى واهمية لا يمكننا ان نستخف به ويظهر ان المجاهدين عن العصمة يستفيقون رويدًا رويدًا الى حقيقة الحال اي ان الدائرة الاكليريكية الرومانية قد قومت على نفسها جميع دول العالم الامر الذي اذ استفاق اليه المجاهدون عن العصمة ....

لعمرك الله ما هذا القول الشنع افما ان هذا الكلام الذي ينفر منهُ السماع خصوصًا في حال المحن التي تقاسيها بيعة الله المقدسة قد مازجه شيء من مسرة الكتبة والفريسيين في ذلك ازدهائهم نصرًا

اما نحن فاننا نقول ان ذا لشنع هيج بنا شعائر الشفقة على من قذفه لا شعائر الغضب واننا نضرب عن كلام الاحتقار متاملين قوله ان الاساقفة باسفهم اضربوا عن اضافة جملة التعزية الاعتيادية اي ان الكنيسة ستخرج من هذه الانواء

فليعلم المؤرخ المذكور ان صراخًا يدعوه صراخ اليأس انما هو صوت الشجاعة والباس وقد اعتبره العالم الكاثوليكي اجمع حتى واعداء الدين انفسهم اعتلان النفس الشجاعة القوية الابية فحاكى صوت الشهداء في الاجيال الدابرة

ولما كان المؤرخ قد ذكر على وجه الاستهزاء تلك جملة التعزية الاعتيادية وهو خروج الكنيسة من الانواء فليحط علمًا ان كلاً من

الاساقفة بل ان كل مؤمن ثابت على ايمانهِ ليس فقط لا يرتاب اصلاً في نجاة الكنيسة وانتصارها المقبلين بل انهما قد نزلا لديه منزلة الحقايق وتيقن ان بيعة الله تنجو من هذه المحن كما قد نجت من محن سلفتها فيما مضى وقد تنبأ عنها مؤسسها . هذا ما تأكدهُ وتحققه المؤمن الذي ينقاد لايمانه ويهتدي بانواره ويوقن بكلام ابن الله . اما نظرًا لاوان النجاة وساعة الانتصار فلا يهمه معرفتها فكفاه ان يعرف ان ذلك الآن وتلك الساعة يأتيان انما قال تعالى لرسله الكرام : ليس لكم ان تعرفوا الاوقات والازمنة التي تركها الاب تحت سلطانهِ (اعمال ١ : ٧)

وما قدمناه كافٍ بخصوص اقاويل المؤرخ المذكور المهينة التي يتحفنا بها كلما تكلم عن شدايد الكنيسة واحزانها

فان هذه الاقاويل نزلت عندنا منزلتها ودلتنا الى اية درجة قد توصلت عقول جماعة وايمتهم من الانخفاض وقد بشروا بانجيل غير الانجيل الذي بشر بهِ رسل الله الكرام . انما اننا شاهدنا اعتمادهم على مذهب النطق وقد تركوا انجيل الوحي وراء ظهورهم وكانك بهم الآن قد نسوا ما هو مسطر في انجيل الرب بحروف لا تمحى عن محن الكنيسة وشدائدها وقد ظللها العلي بقوته وحماها بذراعهِ فانها مع هيجان الجحيم وروح العالم وادوات الحرب ومدافعها العجيبة قوية لا تتزعزع فان حوادث الدهر وصروف الزمان بقبضة كف الرحمن فيحولها متى شاء الى نجاة كنيسته وانتصارها

فقد سمعنا كلام رجل اجنبي عن محن الكنيسة ومصابها فلنصغ الآن سمعًا لاقوال كوكب سورية في ذلك . قال الذهبي الفم : لا تبرح الكنيسة محاربة وتنتصر فعبثًا نصبت لها الاشراك فانها تظفر دائمًا

قد تعدد انتصارها كتعداد الاعتداء عليها فان الامواج تتكسر والصخرة وثيّة لا تتزعزع . فما راه الذهبي الفم في عصره عايناه نحن الآن برومية في اقنوم بيوس التاسع الجالس على الصخرة غير المتزعزعة مدبراً سفينة الخلاص والامواج تلاطمها والعواصف تعصف عليها

قال كوكب انطاكية لدى توجهه الى المنفى حبًا بالعلي وقد داس الرزايا . ها ان الامواج تتلاطم والعواصف تعصف لكنني لا اخشى الغرق لاني متمسك بالصخرة فلترتفع الامواج فلن تغرق سفينة المسيح

هذا كلام القاه الايمان في قلب كوكب سورية نشدتك الله ايها القاري الحبيب هل هذا الكلام وهذر ابناء الضلال بمنزلة واحدة لديك وانما تقبله وتزدري بهذرهم

الفصل الثامن عشر

في منبر التوبة على ما لفقه مؤرخ الاصلاح

ان مؤرخ الاصلاح البروتستاني بعد ما قذف ما تيسر له قذفه بحق الكنيسة وحبرها الجليل من فظائع لا يخطر قط على بال احد ان ياتي بمثلها في هذا العصر لفرط انتهاكه حرمة التواريخ الصادقة الاكيدة ها كه الان بمقتضى نظام سياق الكلام ياتي بقلمه الى الكتابة في اسرار الكنيسة الكاثوليكية الجليلة .فالكلام هنا عن تلك مجاري النعمة السرية على ما لقبتها القدمية المقدسة والتي رسمها الكلمة المتجسد نفسه ليحيي الجميع امرادًا واحمالاً نعمته الالهية . فالجميع يعرفون هذه الاسرار

وجميع المسيحيين الحقيقيين يمارسونها كل يوم بمزيد التهيب والاكرام وهي السلوان لكل نفس تسامت بالفضل في هذه الحيوة ولاسيما عند دنو المنون حيث يفنى كل امر زمني ولا يبقى الاَّ تلك المفاوضات السرية مع اله السماء التي تقدر وحدها على انقاذ النفس من الموت الابدي . ولعل من يقول ان حقوق الادب تستلزم على ما قل من مؤلف تاريخ الاصلاح شيئاً من التاديب واللياقة احتراماً لمذهب قوم مسيحيين يعيش بينهم في سوريا . وان يكن لا يعتقد معتقدهم فقوانين الادب المالوف يجعل حدوداً لا يتجاوزها من كان ذا شيم واعتبار في طعنهِ بالايمان بل تستدعي ايضاً كل كاتب ان يلطف مرارة الطعن بهيئة المقال . اتريد ان ترى كيف راعى مؤرخ الاصلاح كلا الامرين فانظر الى نشرتهِ الاسبوعية واسمع كلامه فيها فانه يتكلم عن منبر التوبة فهو مادة حديثٍ تسامت دقةً ورفاعةً ولكيما تطلع ايها القاري على ما يراه في الحكمة التي رسمها يسوع المسيح نفسه وعلى ما يرغبه ويقصدهُ هو وجماعته في سوريا خذ نشرة ٤٠ سنة ١٨٧٣ واقرا فهناك ما يحيق فيها بصوت خلته صوت علامة وقور : وكانت رومية تهني نفسها على اقامتها في القرن الثالث عشر هذه الحكمة (الاعتراف) : وكانهُ يريد ان يزيل كل شك بكلامه اخذ يحرر زمن اقامتها بقولهِ : ان مخترعه كان المجمع اللاتراني ولا ينقرض تسلطها (اي الكهنة) حتى تنقلب كراسي الاعتراف ولذلك نراهم مجدين على تمكينها . . . .

فيقول القاري وهو يطوف بنظرهِ هذه الاساطير التي تلقفها المؤرخ المذكور عن الم الغرض النفساني . هذا قول صريح . فلم يكتم المؤرخ هنا افكاره ولا مقصدهُ ولكن كل نفس ابية لا يتلو هذه

العبارات الاّ وطرقت خجلاً وحياء عن ملفقها الذي تجاسر على تسطيرها لاسيما اذا ما علمت بما تنزله الاقوام الكفرة من التهم والوشايات الكاذبة بالاكليروس . واذا ما اتفق لمن تعقه وكان عنده ادنى المام بالتاريخ ان يلقي نظره الى هذه الاساطير المتضمنة هذه الدعوى الفارغة يصعب عليه ان يضبط نفسه عن حركة الغيظ الصوابي على ملفقها اذ يرى مؤرخًا في مادة هكذا جسيمة ينكر ليس فقط اثار التواريخ الصادقة بل يتكلم في حوادث شهيرة كان التاريخ جهلها فيما انها ترى مرسومة على جميع اثاره

فليس من وسعنا اذًا ان نباشر الاغضاء عن مثل هذا الامر في سوريا بل من اللازم ان نأتي المؤرخ المذكور بكفارةٍ عن تلفيقه وكذبه . فهو يباشر جهارًا مهنة الثلاب او ناقل الثلب . وما هذا الاّ عن سوء نية اذ ما من احد يعذره بحجة الجهل في مسئلة هكذا واضحة . فلا حاجة لنا هنا الى البراهين اللاهوتية بل حسبنا اليوم ان نورد ما يتعلق بعلم التاريخ والرقم وتاريخ الاوقات . فمن هذه المادة يظهر جليًا شطط مؤرخنا الفظيع وضلاله المريع

فعلى رايك ايها المؤرخ ان منبر التوبة قد أُخترع في القرن الثالث عشر . فلكمت اشتهي كثيرًا ان تاتيني بايضاح هذه الحادثة الغريبة وكيف توقع ان اثار التاريخ ترينا جميع المسيحيين من كل رتبة ومقام مبادرين الى هذه المحكمة المقدسة في اعصار سابقة القرن الثالث عشر . فمن المعلوم الواضح انهم لايبادرون الى محكمة لاوجود لها . فما قولك في السلاطين والملوك والامراء والقواد والجنود الذين كانوا في الاعصار السالفة قبل العصر الثالث عشر يبادرون الى الاعتراف

فالتاريخ ياتينا باسمائهم في كل عصر وينبئنا ايضاً عن اوقات اعترافاتهم ويدلنا على اسماء معرفيهم . فابن لي ان حسن لديك كيفية هذه الحادثة الغريبة اما انا فاني اتيك بذكر اصولها ولا خوف عليك من غرر . فلا حاجة هنا الى تحجج مان الاعداد وتواريخ فطاحل المدققين هي حجة قاطعة

قيل ما من شيء يصلح لبيان قيمة المرء هنا في سوريا واعتباره افضل من ان يبين شانه بالنسبة الى صدق قوله وخلوص طويته

فبناء عليهِ انهضوا من رموسكم يامرشدي السلاطين والملوك والامراء والقواد في اعترافاتهم وهلموا ادحضوا دحضاً شهيرًا على رووس الملا آكاذيب نُشرت هنا في سوريا في مسئلة هكذا باهظة من مؤرخ ادعى انكم لم يكن لكم وجود الاَّ فيما بعد القرن الثالث عشر

ان الملك تياري الاول في القرن السابع كان معرفه باما ر انسبرج رئيس اساقفة روان وقد ابان لنا ذلك تواريخ رهبان مار مبارك في مباحثهم العلمية عن القرن الثاني من انشاء رهبنتهم وجه ١٠٥٥

وان الملك بابينوس ابا كارلوس مرتال في العصر المذكور كان معرفه مار فيرون استقف روريموند على ما افاده البولندستون (كاتبو اخبار القديسين) عن شهر ايار مجلد ١ وجه ٣١٣

وان القديس مرتينوس راهب كوربِه كان مرشدًا لكارلوس مرتال في القرن الثامن : قرن بناديكتين الثالث وجه ٤٦٣

واما ملك مرسية في انكلترة في الجيل الثامن ايضاً كان معرفه كاهناً يقال له جمبر وقد شهد بذلك احد علماء البرونستانت :

سبلمان في الجامع مجلد ا

ومار كور بينيان اسقف فريزنغوان سمع اعترافات غريمولد دوكا بعيارا في العصر المذكور: بناديكتين الجيل ٣ وجه ١١ ٥

وكان معرف الملك لويس لودي بونز مار الدريك اسقف منص في القرن التاسع على ما روى بالوز مجلد ٣ وجه ٥

والملك لوثار ابن لويس المذكور وخليفته في الملك كان معرفه دونات سكات اسقف فالور في القرن التاسع: ايطاليا المقدسة مجلد ٣ وجه ٣٧٣

والسلطان اوتون في القرن العاشر كان مرشد اعترافه اوديريك اسقف اوكسبرج كما روى البولنديستيون على شهر اذار مجلد ٣ وجه ٣٦٧

فرأيت اذًا ان التاريخ يدلنا بصريح العبارة على سلاطين وملوك وامراء من القدماء مبادرين الى منبر التوبة المقدس فكيف ذا لو كان منبر التوبة لم يخترع الاّ في القرن الثالث عشر

الفصل التاسع عشر

في منبر التوبة على ما لفقه مؤرخ الاصلاح

تابع ما تقدم

فما عدا الملوك واراكنة العالم الذين كانوا يتخذون لهم مرشدين يسمعون اعترافاتهم ويتقدمون الى منبر التوبة في قرون سابقة القرن الثالث عشر على ما هو جارٍ في ايامنا قد وعدت ان اتي ببيان رياضات

الاعتراف جارية في عموم كامل طبقات المسيحيين بينما ان ملفق تاريخ الاصلاح لم يطلع على واحدة منها . فعلينا اذًا ان نريه امفار العسكرية الشجعان وقواد الجيوش الاباسل يبادرون الى منبر التوبة المقدس وما كانت تبذله الكنيسة من الاهتمام في ان المرضى والمناهزين هذه الحيوة لايعدمون نوال سر المصالحة الجليل قبل ذهابهم الى الابدية.ثم علينا ان نريك ايها الملفق جماهير المؤمنين يحتفون بمنبر التوبة واعتقادهم الوطيد في كامل الاعصار ان عقيدة هذا السر المقدس وممارسته يختصان بوديعة الايمان المقدسة المسلمة من يسوع المسيح ورسله الكرام الى شعوب سوريا وحينئذٍ يحكم القاري حكمًا صائبًا فيما يستحق من الاركان مؤرخ لم يدرِ ان يطلع في مدة ثلثة عشر قرنًا على اثار تاريخي يشهد بوجود منبر التوبة فيما ان ما من اثار من اثارات القدمية خالية من الشهادة بحقيقة وجوده

فلا يخطرنَّ على بالك اولاً ان العسكر لم يكن له معرفون . بل وجد المعرفون بين العسكر كما في بلاط الملوك وشهد بذلك اول مجمع عقد في جرمانيا على عهد مار بونيفاسيوس رسول المانيا سنة ٧٤٣ وورد في القانون الثاني لهذا المجمع ما نصه : فليكن عند كل امير الاي كاهن يسمع اعترافات جنوده ويفرض عليهم قانونًا : (مجموع المجامع لاباس مجلد ٦ وجه ١٥٣٤) وجاء هذا الامر بالاعتراف مرسومًا في الفصل الرابع من كتاب مراسيم كرلوس الكبير (المجموع المذكور مجلد ٦ وجه ١١٦٥)

وان غليوم دي سوميرسيت راهب بالماربورج يثني على النورمنديين لانهم يصرفون الليل بطوله في الاعتراف بخطاياهم قبل ان

ينازلوا العدو (كتاب ٣ من اعمال الانكليز راس ١٥)

فلا ريب ان هذه ادلة كافية لتثبيت وجود الاعتراف قبل المجمع اللاتراني . اما جمهور المؤمنين المتقدمين الى منبر التوبة فياتينا باثبات اظهر حقيقة هذا السر على نحو اخر : ان نيسيفوروس المؤرخ اليوناني وحارس سجلات القسطنطينية في القرن السابع يخبرنا ان الاساقفة وحدهم كانوا في البداية يقومون بهذه الخدمة المقدسة ولكن لما كانوا غير كافين لسماع اعترافات جمهور المعترفين استعانوا بالكهنة (مجموع كتب الاباء المطبوع بقولونيا مجلد ١٢ وجه ٥٤٧)

وكانت الكهنة من عادتهم في تلاوة القداس الالهي ان يصلوا لاجل الذين يعترفون لهم وقد افادنا عن هذا بالخصوص احد مشاهير علماء الابروتستانت فلاكوس ايلليريوس الذي اشهر القداس الكاثوليكاني وهو من الاثارات التاريخية الواصلة الى القرن الثامن فيه ان الكاهن يصلي في ست فقرات من القداس لاجل الذين اعتادوا ان يعترفوا له (لاكوانت على سنة ٦٠١)

فلله العجب من مؤرخ ابروتستانتي يكتب تاريخ امته وهو لا يدري شيئًا مما اشهرته مشاهير علمائها

اتريد ان تعلم ما كان تبذل من الاهتمام خدمة هذا السر في قرون تنكر فيها انت نفس وجوده لئلا تعدم المرضى نواله لاسيما عند دنو المنية . طالع المجمع المعقود في باريس سنة ٨٢٩ تجد فيه نهيًا قطعيًا للاساقفة عن ان يخولوا الكهنة ماموريات يستلزم قضاها غيبوبتهم عن رعاياهم لانه قد يتفق على الغالب (قول المجمع) ان المرضى تموت بدون اعتراف والاطفال بدون عماد (مجموع المجامع

لاباس مجلد ٢ وجه ١٦١٩ قانون ٣٩) وفي القرن المذكور نفسه نرى رهبان دير فولد يقدمون اعراضاً لكارلوس الكبير به يسترحمونه بمنع ابعاد المرضى والشيوخ العجز من الاديرة لئلا يموتوا بدون اعتراف (قدمية فولدنس ك ٣ راس ١٢)

ومجمع ماينص الاول المعقود سنة ٨٤٦ يامر باستهام المريض الذي في خطر الموت على ان يعترف اعترافاً نقياً ومخلصاً بخطاياه وان يُفرض عليه قانون كما لو كان متمتعاً بصحته انما بدون ان يطلب وفاؤه منه حال مرضه (مجموع المجامع مجلد ٨ وجه ٤٩ راس ٢٦)

ولنا بينة اظهر واقطع مما مرّ في هذا الصدد وهي انه لاخماك ايها المؤرخ البروتستنطي ان التواريخ قبل المجمع اللاتراني بنيف عن خمسة قرون تريناً ان من كانوا يابون معرفة الالتزام بالتقدم الى منبر التوبة كانوا يعدون اراطقة بدون قيد واستثناء . وان الرجل الشهير علامة عصره وفريد دهره الكوان معلم كارلوس الكبير يوضح لنا جلياً هذه المسئلة في احدى رسائله حيث يقول انه كان في زمانه اراطقة يرفضون الاعتراف وفي الرسالة نفسها يحث الناس على اقتفاء اثر الاباء القديسين : وقال من جملة ما قاله : احذروا من ان تمسوا الخمير المسموم (الكوان رسالة ٧١) وهل اوضح واسد من هذه البينات في اثبات الايمان الكاثوليكي المقترن بالاعمال الجارية في زمن يسبق بخمسة قرون دعوى مؤرخ الاصلاح باختراع سر التوبة

نعم عندنا ما كان اوفر منها وضوحاً وسداداً وهو ان التاريخ يرينا منذ القرن الرابع استعمال مفاتيح الحل والربط في منبر التوبة

كعلامة الكنيسة الحقيقية : قال لاكتنسيوس (ك ٤ في المراسيم الالهية راس ٣٠) وهو افصح اهل عصره وقد اختاره قسطنطين وخوله تهذيب ابنهِ : ينبغي ان نعلم ان الكنيسة الحقيقية هي ما كان فيها الاعتراف والتوبة التي تمحي الاثام وتشفي الكلوم

ليت شعري ترى ما بقي الان لمؤرخ الاصلاح من الدعوى العارية من اثر النظام والصواب التي اتى بها على روس الملا في سوريا لتسمعها اولادها واكليروسها . فاعلم ايها الملفق ان ما تسميه اختراع القرن الثالث عشر قد شهدت اثار التاريخ بوجوده واستعماله في كامل القرون السابقة بنوع ان مشاهير الناس في تلك القرون يسمون استعمال الاعتراف علامة الكنيسة الحقيقية والاعراض عنه دليلاً اكيدًا على الارطقة . فلم انعمد هنا الكلام في اصول علم اللاهوت بل نقصدت فقط ان افحصك امام الجمهور بما انك مؤرخ لكونك تدعي بمعرفة التاريخ . وهل من يعرض بنفسه للازدراء مثلك على وجهٍ هكذا ظاهر ليس فقط لاعين الناس المتفقهين بل حتى على اعين الاولاد الذين يتعلمون ارقام التواريخ وحساب السنين في المدارس

فهذا ما قصدت ايضاحه كالشمس في رابعة النهار فيحق للكاثوليكي والمسلم ان يقولا فيكم ما قالوهُ لدى اطلاعهم على ما انزلتموهُ من التحريف والتصحيف في التوراة كتاب الله العزيز : قد اتى هولاء القوم يحلون في ارض سورية مدعين انهم رسل الحق . اما البينات فهي قائمة لتفضح ما يكمنونه من المآرب والغايات تحت جلباب هذه الدعوى

الفصل العشرون

في منبر التوبة

في اعتراض تكرر مرارًا في ايامنا وهو مدحوض بآية بسيطة من الانجيل

قال المعترض : ان المعرف في نهاية الامر ما هو الاّ انسان مثلي فكيف اعتقد انه قدير بكلمة واحدة ان يباشر سلطانًا ينوط بالله وحده . ان الله وحده قد اهين بالخطية وهو وحده جلت رحمته يخصه ان يصفح عن الاهانة

فلما كان هذا الاعتراض متواترًا على السن من يتاخرون عن ممارسة الاعتراف كانهم يقيمونه لهم حجةً في ابتعادهم عن سر التوبة الجليل رايت من الواجب ان ادخل في هذا البحث

فالمشكل معروض من ذاتهِ لكنه يظهر بهيئات مختلفة في كل عصر . وقد ظهر في عصر الانجيل نفسه واعترضوا به بعزمٍ لامزيد عليهِ بحضرة المخلص ذاته الذي اجابهم عليهِ وافحمهم بسداد حجته الالهية . فما علينا اذًا الاّ تطبيق هذا الرد على افراد المعترضين

فهاك ما اعترضوا به ابن الله لما كان في العالم وهو قائمٌ على ريف بحيرة طبرية في احد مساكن كفرناحوم يقول للمخلع : يا بني مغفورة لك خطاياك : فعندها صاح الفريسيون وهم يتلظون بجزوات الغيظ قائلين : من يغفر الخطايا غير الله وحده . ولم يقفوا على هذا الحد . بل قد استهجنوا كلام المسيح بهذا المقدار حتى حكموا بانه ضربٌ من التجاديف قائلين : لمَ هذا يتكلم هكذا انه يجدف

(مرقس ٢ : ٧) ومن المعلوم ان اولئك الناس الذين جاهروا باعتراض المخلص لم يكونوا من اسافل القوم بل من جماعة المتفقهين وعلماء الناموس كما افادنا ماري بطرس بانجيل تلميذه مرقس البشير اذ كان حاضرًا الواقعة (مرقس ٢ : ٦) وقد صرّح مار لوقا عما كان من قصدهم في اتيانهم الى اورشليم واليهودية والجليل اي ليكونوا شهودًا عيانًا لاعمال المخلص (لوقا ٥ : ١٧ و ١٨) ثم قال البشير لما اجتمعوا من كامل اطراف فلسطين كانت قوة الرب تصنع الشفا

فهاك الفريسيين اعداء المخلص الالداء وعلماء الناموس قائمين حول الرب يسوع في مسكن من مساكن كفرناحوم يحدقون بنظرهم الى مفاعيل القدرة الضابطة الكل البارزة على يديه الالهيتين في كامل انواع الشفاء كما افادت الاية بان ما من مرض مهما كان قديمًا وشديدًا يقاوم قدرة الله الشافية . فكل هذه الظروف وصفات الشهود فيما هم عليه من قلة الاركان بكلام المخلص والمجاهرة له بالعدوان هي محكمة للافاة ومعالجة قلب الانسان الميال الى عدم التصديق والاركان .

فبينما كان ابن الله محاطًا ممن كانوا اخون اعدائه واغدرهم ظهرت بغتة حادثة خارقة العادة فادهشت الابصار والبصائر اذا بقوم انزلوا بحبال من علو سقف البيت حيث كان المخلص جالسًا رجلًا مسكينًا مقعدًا ملقى على سريره وطرحوه على قدميه . فلما عاين ابن الله ما كان من ايمان هولاء القوم اخذت الشفقة بمجامع قلبه وقال للمخلع : يا بني مغفورة لك خطاياك (مرقس ٢ : ٥) . وقد اردف قوله هذا باعجوبة بديهية باهرة في شفاء المخلع دحضًا وخزيًا للحاضرين المنددين والغير راكنين لقوله العزيز . وكانت هذه الاعجوبة محكمة لشفاء علة الكفر في

كل من كان حاضرًا وقتئذٍ وفي كل من جاء بعد الى هذا الجيل ومنه الى نهاية العالم . فهاك حجة المخلص القاطعة التي جاءت في جوابهِ للذين لم يصدقوا بقولهِ : ايما ايسر ان يقال للمخلع مغفورة لك خطاياك او ان يقال له احمل سريرك وامشِ (مرقس ٢ : ٩) فلكيما تعلموا ان ابن الانسان على الارض له سلطان ان يغفر الخطايا قال للمخلع : احمل سريرك واذهب الى بيتك . (مرقس ٢ : ١٠) فشفي في الحال

فاي نعم ان الله وحده يستطيع ان يغفر الخطايا . فهذا ما اشكل علينا وعلى اهل كفرناحوم . ومع ذلك افادنا الانجيل ان الانسان يغفرها . لان المخلص قد اجاب صدًّا على الاعتراض بهذه العبارات . لكي تعلموا ان ابن الانسان المقيم على الارض له سلطان ان يغفر . واثبت ذلك بصنيع اعجوبة في شفاء المخلع . ولك ان ترد علينا بل واراك تصدر ردك بهيئة الاحتداد والحمية بقولك : منو هذا الانسان وابن الانسان اليس هو الاله المتانس . اجيب اي نعم هذا عين ما ادعيهِ تمامًا اي الاله المتانس يغفر الخطايا بقوة الوهيته . فلم ازل اراك تجيب بهيئة التشامخ والظفر بقولك : بقي اعتراضي في محلهِ وعلى قوتهِ . قلت لم ارتبك بردك لانني منتظره واسلم بالحاحك لانه مبني على اساس المنطق السديد . غير انني ارجوك الّا يذهب عن بالك ان منطقك لا تحصل منه قط النتيجة التي تقصد تحصيلها عن الكهنة . اني اسلم معك والكنيسة الكاثوليكية ايضًا ان الكاهن بما انه انسان بسيط لا تقدر كلمته ان تحل الخطايا ولم تعلم الكنيسة قط بالخلاف . اما اذا غفرت كلمته الخطايا بكهنوتهِ فما ذاك الّا لانه مشترك بكهنوت الكاهن

الوحيد الازلي الذي هو حسب رتبة ملشيصاداق المتكلم والعامل هنا في الانجيل وليس فقط يشركه الكاهن الازلي بكهنوته اذ يطبع في نفسه الوسم الكهنوتي بل يأمره امرًا صريحًا يوم انتصاره على الموت والجحيم ان يتصرف بالكهنوت الذي قلده اياه في منح غفران الخطايا والحكم بغفرانها باسمه . وقد نقيد بوثيقة وعده الالهي الجازم بانه يقرر من علو سمائه حكم كاهنه الشرعي على الارض بالخطايا اي حل قيودها او ربطها . فهل جاء على لسان انسان قول اجلى واصرح واظهر من قول ابن الله بعد انبعاثه يوم دخل بعزه وانتصاره والابواب موصدة في غرفة كان التلاميذ فيها مختبئين ومرتعدين فرقًا مما شاهدوه من موت معلمهم الالهي ودفنه . قام بينهم وقلوبهم ترتجف بهزة الرعب من اليهود كما افاد مار يوحنا الرسول في انجيله . فامنهم بكلمة السلام قائلاً : السلام معكم . لا تخافوا . انظروا الى علامات انتصاري الذي حزته باهراق دمي ثم اراهم جراحات يديه وقلبه الاقدس واعاد عليهم السلام ثم قلدهم نفس الرسالة التي تقلدها من ابيه : كما ارسلني الاب هكذا انا ارسلكم (يوحنا ٢٠ : ٢١) ثم نفخ وجوههم مانحًا اياهم الروح القدس والسلطان الالهي بهذا الكلام : من غفرتم له خطاياه غفرت ومن مسكتموها عليه مسكت (يوحنا ٢٠ : ٢٣)

فاقول ايضًا : هل في كلام الناس ما كان اصرح واجزم من هذه العبارات للتعبير عن هذا المعنى وهو انني اقرر من علو سمائي ما تقررونه في الارض من الحكم على منح الغفران او مسكه على الارض ومن ثمّ قد اصاب المجمع التريدنتيني كل الاصابة برشقه سهام الحرم على من يحول هذه العبارات الى غير مفادها عن ترك الخطايا ومسكها

في منبر التوبة وزاد قوله : ان الكنيسة الكاثوليكية قد فهمت كلام المخلص هذا بهذا المعنى منذ البدء وفي جميع الاعصار (مجمع تريدنتيني جلسة ١٤ قانون ٣)

فهل يشك انسان بعد ذلك في هل كلمة الكاهن تصنع معجزة من معجزات القدرة الضابطة الكل والله قد رهن قوله في تقرير كلمة الانسان حالّة او ماسكة الخطية بقوة القدرة الالهية الضابطة الكل . فلا شك فيه والله امين في وعده وصادق في قوله وهو على كل شيء قدير

الفصل الحادي والعشرون

في سر الافخارستيا المقدس وملفق النشرة الاسبوعية

ان جميع الاسرار الاخر تأتي متقبلها بالنعمة وهي فروع لتلك الحيوة المتجسدة في يسوع المسيح التي تجلت على البشر بموته . على انه يوجد سرٌّ لا ينحصر ضمن هذه الحدود ولا يقتصر على هذا المفعول بل انه ليس فقط يمنح النعمة بل منشيء النعمة نفسه ولا يمنح الهبة فقط بل يمنح الحباء وحابيه وليس هو فرعًا من الينبوع بل يتضمن اصل الينبوع وفروعه ومن ثمَّ قد دعي بالاطلاق وبدون قيد سر المحبة لانه يستوعب على نوع ما تمام سخاء الله عز وجل ومحبته . فالى هذا السر الجليل سر المحبة الالهية صوبت هنا في سوريا رسل الانجيل الجديد نبال قتالهم ورمته باسهم المضادة العارية عن اثر الحق والصواب فلا بد لنا اذًا من ان نفيهم حق ما يستحقون من الجزاء على هذا الافتراء

فقد تيسر لديَّ هنا جملة كتابات ينكر مولفها حقيقة وجود جسد الرب ودمهِ في الافخاريستيا وكلها بارزة من تحت قلم هولاء القوم المتعاطين هنا مثل هذه المهن الرذيلة . فجعلوا اعتمادهم بها على الهذر والتجيق وعلى فروغ مآلها من كل اثرٍ علمي . فلما عمدت على دحض اخص الاضاليل المبذورة بين شعوب سوريا ضد العقائد الدينية كان لا بد لي من ان انجز وعدي

ففي بعض صحف النشرة المذكورة وفي خلال اقاويلها السخيفة العارية على الغالب من المعنى والصواب ظفرت بمقالة هي ارذل المقالات سفهًا وطعنًا . واذا ما اتيت بذكرها لا يخطرنَّ على بال القاري اني اعتبرها تستحق الرد بل قد اضطررت لدحضها لتكرار طبع معانيها ونشرها لاسيما في اثناء الاعياد التي نحتفلها تكريمًا للقربان المقدس فترى حينئذٍ اصحاب الانجيل الجديد في سوريا يقومون على قدم وساق في بثها بين جماعات الكاثوليك . فلا باس اذًا من ان نهتك حجابها ونبين ما يلزم من دحضها حتى اذا ما تيسر لفتى من الفتيان الكاثوليك ان يصادف مولفيها هولاء الفرسان المتسلحين بمثل هذا السلاح يعلم حقيقة ما عندهم من القول والبرهان في حقائق الدين .

فلنأتينَّ اولاً بسياق كلامهم على نظام وضعهِ فاذا ما طالعت النشرة الاسبوعية عدد ٤٥ لسنة ١٨٧٣ نرى صاحبها يتكلم بمسئلة القربان المقدس والاستحالة الجوهرية فيعتمد في مقالهِ اعتمادًا ظاهرًا على تصوير المسئلة بهيئة رواية اول من يشخص فيها مار بولس الرسول فيصوره داخلاً في احدى كنائسنا وعند ما ينظر الى بيت القربان الموضوع على المذبح وله باب صغير يسال من معه او من يصادفه

هناك ماذا يوجد وراء هذا الباب المغلوق بمزيد الحرص والعناية

فيجيبه المخاطب فيه القربان المقدس اي جسد الرب المقدس :

فيجيب الرسول (برواية هولاء القوم السخيفة) كيف ذا واني لا ارى الّا خبزًا عند ما يفتحون هذا البيت . فنظري وذوقي وجميع حواسي تدلني على ان هذا ما هو الّا خبز . فهو اذًا ان شئت صورة جسد الرب او رمز اما حقيقته فلا وجود لها قطعًا . اتريد برهانًا حسيًا في اثبات هذا القول . دع الخبز ايامًا في هذه العلبة ثم يفسد والحال ان جسد الرب الحقيقي لا يعتريه فساد فاذًا لا وجود له هنا

هاك بالاجمال ما لهم من البرهان الذي بزعمهم يبين بيانًا قطعيًا باتًا محالية وجود جسد الرب في سر الافخارستيا

ليت شعري هل من قول اذرى واسخف من هذا القول والتصور الخيالي في امر المحاورات الدينية . ويحهم على ما يفترون على هذا الرسول المعظم بتشخيصهم اياه بين لعابي الروايات كانه في مرسح المشعبذين اقرانهم ولا يرون انه اي مار بولس يورد في رسالته الى اهل قورنثية ايرادًا جليًا سديدًا تعليم الكنيسة الكاثوليكية بشان وجود جسد الرب ودمه في القربان المقدس على ما استلمه هو من فم معلمه الالهي نفسه على ما قرر وحقق في نفس الرسالة المذكورة وكما بيانه بعد هنيهة

غير ان هذه الرواية التي يشخصها هولاء القوم لحسن الحظ لا خوف على احد منها من ضرر . نعم ان مشخصها ياتي يحاول بها المكر او الخداع غير ان الصبيان الكاثوليك مهما كانوا قليلي التفقه بهذا السر الجليل فضلًا عن ان ايمانهم في وجود جسد الرب في الافخارستيا

يلبث وطيدًا غير متزعزع يقلبون على راس مخترع هذه الرواية كامل بناء هذا التصور السخيف الخيالي

فليت شعري ما مآل هذه الحجة الذرية ان ساغ لنا ان نسمي حجةً ما كان من ضروب الروايات والخذعبلات . فهاك تحرير برهانهم في هذا الصدد: ان جسد الرب لا يمكن ان يوجد حقيقةً في القربان المقدس لان حواسنا لا تشعر به بل جميعها تدل على عكسهِ

فالجواب على ذلك ترى اسيَّ متى كانت المبادي المسنود عليها الاعتقاد بحقيقة وجود جسد الرب في القربان ان كان في التوراة او التقليد او تعليم الكنيسة الكاثوليكية تقرر او تشير الى وجوب الاعتماد على شهادة الحواس متى كان الكلام في سر من الاسرار المقدسة . اليس القضية بالعكس على التمام . اما ينذر الصواب والذوق السليم نفسه بان في مسائل الاسرار لا اعتماد على الحواس الجسدية ولا التفات الى دلائلها . مساكين رسل الضلال ما اسخف اقوالكم وارذل براهينكم في تعرضكم للكلام في مواد باهظة بدون ان تدركوا منها شيئًا

ان ابن الكنيسة الكاثوليكية اذا عرف مبادي التعليم المسيحي يدرك ويعرف تمام المعرفة ان اعتقاده الوطيد بوجود جسد الرب في القربان المقدس راكز على اقوال الله المخلص الصريحة الجلية ويعلم ان كلمة الله التي ابرزت العالم من العدم تحول الاشياء من جوهر الى جوهر اخر بقدرتها الالهية الضابطة الكل كما افادت الاباء القديسون . فان الاربع مبشرين مع بولس الرسول ايضًا قد اتفقوا بايراد اقوال الرب الصريحة التي تصنع هذه الاعجوبة على

هيا كلنا وهذه كانت موضوع اعتقاد الناس في جميع الاعصار ولا تزال للابد نعبر عن الكنيسة المعصومة عن الخطاء . الكنيسة التي خلفها يسوع المسيح لكي ترشد المؤمنين في سبل الهدى والدين الى دهر الداهرين

فحاشا ابن الكنيسة ان تتزعزع اركان ايمانه الالهي باقوال سخيفة ينفث بها رسول الانجيل الجديد وتغاير على حد سوا انثار العقل والصواب والتعليم الجاري في كامل الاعصار والاحقاب

الفصل الثاني والعشرون

في سر الافخارستيا وملفق النشرة الاسبوعية

تابع ما تقدم

فاننا نكلف هولاء القوم الذين ياتون امصار سوريا ويبثون فيها زيوف اقوالهم وبهرجة حججهم وسفسطيات قياساتهم بايات التوراة التي يعوجونها وبئسما يدركون مآلها فنكلفهم ان يسمعوا على ما قل الحجج الراهنة التي تاتينا بها القدمية المقدسة في القضايا الدينية التي ينقضونها فيرون سلفًا اعتراضاتهم مدحوضةً بل مسحوقةً ذاهبة هبا منثورًا منذ نحو الف عام قبل ما اتوا ينشرونها هنا في سوريا . فشهود القدمية ان كاثوليكًا وان غير كاثوليك ياتون بادلة قاطعة لاثبات ما نحن في صدده سواء اعزيت الى اصول الاعتقاد او بنيت على اساس المنطق البسيط فهي على كافة الوجوه حجج سديدة في روية الجميع ابروتسطنتا كانوا او كاثوليكًا من جميع الدرجات والمراتب . فهذه قد عمدت

ان اعتبرها هنا مع قطع النظر الان عن الوجوه الاخرى

فارى ان مونة هذا الخصام الثائر في انكار وجود جسد الرب الحقيقي في الافخارستيا وما به تجتهد الاخصام في اضلال السامع عن محجة الحق والصواب يستند الى دعوايين اولاهما ان مار بولس الرسول لم يعلم هذا المذهب او علم نقيضه في رسائله . وثانيتهما انه من الواجب ان نتاول قول المخلص الالهي الى معنى المجاز لا الى معنى جسده الحقيقي بل الى معنى رمزه او صورته

فلنقفنَّ اولاً عند هاتين الدعوايين ولنرينَّ ما ورد عليهما من الرد السديد القاطع منذ نحو عشرة قرون قبل ما انت رسل الانجيل الجديد يتحرون اقامتهما في اراضي سوريا

فنظرًا الى ما يتعلق بتعليم الرسول المعظم بشان الافخارستيا المقدسة فعلى اولاد سوريا ان ياتوا ويدحضوا دحضًا جهيرًا رسل الضلال هولاء المبادرين في اخر الزمان من اقاصي العالم القائلين لم يعلم الرسول مار بولس حقيقة وجود جسد الرب في الافخارستيا . فقولوا لنا يا اولاد سوريا هل قصر الرسول المعظم في توضيح وتقرير هذه القضية الراسية في رسائله الى جميع كنائس العالم

فاسمع ما صرَّح به العلامة مار كيريللوس الاورشليمي في هذا الصدد في كتابه الرابع للموعوظين في الاسرار الذي الفه ليفقه شعبه في معرفة هذا السر الجليل

قال : ان تعليم مار بولس الرسول المعظم هو بدون ادنى شبهة فوق ما به الكفاية في اثبات اعتقادنا اثباتًا مليًا بحقيقة اسرارنا التي تصير الانسان في الافخارستيا المقدسة مشتركًا بجسد ودم يسوع

المسيح عينه لانه هو نفسه قال لنا (١ قورنثية ١١ : ٢٣) ان الرب يسوع في الليلة نفسها التي أسلم فيها اخذ خبزًا وكسر واعطاه لتلاميذه قائلاً . خذوا فكلوا هذا هو جسدي . وحيث ابن الله نفسه قال (هاك غلاقة برهان العلامة ماركيريللوس) عن الخبز المقدس انه جسده وعن الخمر المقدس انه دمه منو الانسان الذي فيما بعد يتجاسر ويشك قائلاً . ان هذا ليس هو جسده او هذا ليس هو دمه (انتهى)

اسمعت يا صاح هذه الحجة السديدة القاطعة حجة صرّح بها الاسقف القديس لموعوظيه هنا في اراضي سوريا في نفس مدينة اورشليم . وترى على اي اساس بنى هذه الحجة لعله يسندها الى شهادة الحواس الذوق والنظر لا لعمري بل هي حجة مبنية على مجرد اقوال ابن الله الجلية السديدة الكافية لتوطيد اركان ايماننا كما سياتي من قوله ادناه حتى ولو شهدت الحواس بنقيضه . واسمع ما يقوله عقيب قوله السابق : ان الرب يسوع حوّل في القديم الماء الى خمر في عرس قانا الجليل فهل نشك بعد في انه استطاع ان يحول الخمر الى دمه . فحذارِ ايها الانسان (هاك ما يحذر منه) حذارِ من الاعتماد على الحواس ومن الاركان الى احكامها . بل خذ الايمان مرشدًا وليوقننك بانك اشتركت بجسد يسوع المسيح الحقيقي ودمه الحقيقي (انتهى) . فهاك حجة احد ابناء سوريا وهي مسنودة الى تعليم مار بولس الرسول وهو يعبر عن السر الجليل على ما اقتبله في نفس المدينة التي رسمه فيها المسيح الرب . فاية عبرة بقت في تعليم رسول الكذب

ولعل من يرغب الان في ان يرى كيف القدمية المقدسة بمجرد البرهان المبني على الاية المقدسة تبيد اثر هذا التقدير الحالي في امكانية

تاويل قول الفادي الالهي الى معنى المجاز وفهمهٔ عن رمز او صورة جسد يسوع المسيح. فلناتينَّ الان بما ورد من اقوال مار ايلاريوس الجليل فخر فرنسا ورعَّاب الاريوسيين اراطقة عصرهِ. فلما بخال لفكره هذا التقدير المحالي في جواز تاويل اقوال ابن الله الواضحة الصريحة اقوال الحق بالثالث الى مجاز ورمز كان يرى ذهنه الوقاد يتوقد بنيران الغيظ الصوابي المقدس. فيهتف قائلاً: كيف يجوز هذا التقدير الوخيم بان الخلَّاق نفسه عز وجل الذي نطم بذاته عقائد الانسان يكون طغاه بلسانهِ باستعمال الالفاظ والعبارات على منوال الحمقاء الهج (اه) (مار ايلاريوس في تفسير الانجيل) فما اعزم وارهن اقوال هذا الاسقف القديس الذي طال ما فضح خبث الاراطقة ومكرهم بذكاء عقلهِ وسداد مقالهِ

واما ما كان اوضح منهٔ برهاننا في الافخارستيا المقدسة هو اقوال احدى تلك المنائر العظيمة الشرقية التي طال ما اولت فخرًا مدرسة الاسكندرية الشهيرة اعني بها مار كيريللوس الاسكندري فانهٔ في احدى محرراته في الايات الانجيلية التي وجدها حديثًا الكردينال ماي بما عاناه من البحث والتنقيب بدون كلل في مكتبة الواتيكان يتكلم مار كيريللوس عن كلام التقديس. فلما كانت صراحة الالفاظ والعبارات الحقيقية التي فاه بها يسوع المسيح عندما رسم سرَّ المحبة قد اوعبت ذهنه سدادًا واقناعًا صاح بالقاري قائلاً: ارايت ما اجلى قول المخلص وما احكمه بيانًا (δεικτικῶς εἶπε) اذ يقول: هذا هو جسدي حتى لا يمكنك ان تناوله الى معنى الرمز او المجاز (ἵνα μὴ νομίσῃς τύπον εἶναι) وكرر هذا المقال في كلامه عن اية

تقديس الكاس . فلا حاجة هنا للتحري الى الشرح والتاويل . فلما تيسر للكردينال ماي اخراج هذه الصحيفة من ظلام السيان سقط القلم من يده دهشة وانذهالاً من البرهان السديد القاطع المتضمن فيها دحضاً للاراطقة المحاولين ادخال معنى المجاز في الاية فهتف . هل من سبيل الى دحض اجلى واقطع لارطقة القرن السادس عشر من هذا الدحض . فكل من فيه اثر الصواب اذا ما تلاه يجيب لا سبيل . ترى ما جواب الاخصام الذين نحاججهم ونصدر اقوالهم نعينها وندحضها فمن المحتمل ان لاجواب لهم وهذا احسن ما يصنعون بعد ما اختبروا ان كل ما اتوه من الاجوبة عاد عليهم زيادة عار وخزي

الفصل الثالث والعشرون

في سر الافخاريستيا وكتب اعتراضات الابروتستانت على هذا السر الالهي المنشور في سوريا

اذا ما تحرينا انتقاد كل من الاعتراضات الواردة على سر الافخارستيا المقدس في كتيب ذميم تعنّت جماعة الابروتستانت بمزيد الهمة والاجتهاد نشره في اقطار سوريا اخذتنا عليهم حركة الشفقة والاسف لا حركة الغيظ والحنق

فلو كان كلامهم معنا في هذا الصدد واقعاً موقع اعتراض راهن على سر مذابحنا الجليل لتجندنا لهم في مصار الجدال وشحذنا غرر الفاكرة للرد والدفاع ولا يخفى ان الخصم لا تضيق به الحيلة عن تلفيق اعتراضات على مثل هذا السر الغامض القائم به فضل الايمان المسيحي

ولهذا قد دعي بالصواب سر اسرار الايمان . ولكن ليت شعري ترى ما المسطر في هذا الكتيب المعنون : اعتراضات الاستحالة او اعتراضات على الكنيسة الرومانية من جهة الاستحالة : الاّ ضلال فاحش وخطاء مبين ضد المبادىء الاولى المنطيقية عوضًا عن تلك الاعتراضات الضليعة التي فقهت اولي الذكاء وشحذت غرر حذاقة مهرة اللاهوتيين

فقد اصطلح الاقدمون على اسم عبروا به عن الخطاء المتقلب فيه ظهرًا وبطنًا صاحب هذا الكتاب في كل ما سطره فيه من اوله الى اخره . فسموه سهوًا او شططًا عن الموضوع . فلا يخفى الى اية هوتة من التيه والضلال يتهور المجادل متى شطَّ عن صدد الجدال واخذ يعزي لشيء صفات وخواص ليست له ولا تناسبه بوجه من الوجوه في الحالة التي هو فيها او في المقام الذي له بين سلك الاشياء . فلنقفنَّ هنيهةً في دائرة المقام الطبيعي ولنحاولنَّ في ان نعزي للماء مثلاً تلك الخواص عينها التي كانت فيه قبل ما حلته الحرارة وحولته من المادة السيالة الى المادة البخارية التي تحرك الات الصناعة في السفن وتسرع بها سرعة الطائر في الهواء . فاننا نتوصل لا محالة في هذه القياسات الى اقصى دركات الضلال ونمسي عرضة لسخرية الولد الصغير نفسه ببراهيننا ونتائجنا السخيفة . ثم فلننقلنَّ من الحالة الطبيعية الى الحالة الفائقة الطبيعة لنتقرب الى ما نحن في صدده . فان الايمان يعلمنا ان الانسان سوف يُبعث من الموت وان النفس البارة ستحل يوم النشور في هذا الجسد عينه الذي قضت معه ايام غربتها في هذه الدنيا ارض المنفى . غير ان هذا الجسد يحول اي انه يتحول من كونه جسدًا ارضيًا الى جسد ممجد يشترك بالطف صفات الروح وان ابن

الله نفسه قد افادنا عن ذلك جليًا يوم انبعاثهِ حينما اتى فجاةً نادى الرسل مجتازًا بجسدهِ المجد مسافات وحواجز جدران وابواب موصدة تحجز الجسد الطبيعي عن المرور والاجتياز ومع ذلك كان جسده هو هو بعينهِ الجسد الذي نظره الرسل وعلقه اليهود على الصليب مركبًا من العظام ذاتها ومن اللحمان عينها المحسوسة التي امر الرب الرسل بان يجسوها ويجسوا اثقاب المسامير في يديه وثغرة الحربة في جنب جسد هذه الضحية السماوية ليتيقنوا بعثه

فهات الآن يامن تدّعي الفهم جادلنا ببرهاناتك الطبيعية على ارهب اسرارنا المقدسة : غالط في هتين الحالتين للجسد الواحد بعينهِ او انقل بهِ من حال الى اخرى بدون التفات الى الفرق الكبير ما بين صفات الجسد المجد وصفات الجسد الترابي وانظر الى اية نتيجة من النتائج الفظيعة تتوصل بقياس برهانك الحالي . ويقينًا ان الانسان حال ما يشط عن قواعد البرهان لا يعود قوله برهانًا بل خلطًا وشططًا وهذا ما نراه مراى العين في كل صحيفة من صحف هذا الكتيب السقيم حال ما نحاول ولو اقل المحاولة في سبك عباراتهِ العربية من المعنى في قالب القياس المنطيقي الحصري . وان احببت ان ترى ذلك خذ لك على سبيل الصدفة واحدًا او اثنين من تلك الاعتراضات الموضحة عجب قائلها واركانه الى سدادها والمعربة عن شر الافتراء على المعترض عليهِ وحررنها على صيغة القياس المنطيقي . فاخذت انا الاعتراض المسطور في الصحيفة الرابعة عشرة من الكتيب فهاك تحرير الاعتراض : من المستحيل ان يوجد جسم واحد في اماكن متعددة معًا في وقت واحد . والحال بموجب تعليم الكنيسة الرومانية يكون جسد

المسيح موجودًا في الافخاريستيا في اماكن شتى معًا في وقت واحد . فاذًا تعليم الكنيسة محالٌ . راجع المحل المدلول عليهِ ترَني اوردت نص المعترض على حقيقتهِ غير انني اختصرت عبارته بدون ان اختصر جوهرها ومفادها والمقصود من هذا الاختصار ليسْ فقط تحريرها على القياس المنطيقي بل على قياس الناموس والادب لان المعترض قد اسهبها وحشاها بما لا فائدة منهُ للبرهان ولا علاقة لهُ بهِ بل بما يعبر عن مزيد الطعن والقذف بالمعترض عليهِ . فاستغنيت عن هذا الاسهاب تمييزًا ما بين الاعتراض والطعن وضبطًا لذهن القاري على جوهر المسئلة . ومن المعلوم ان الطعن والافتراء لا يزيدلن الحجة سدادًا ولا فائدة منهما بعين الاديب اللبيب الاَّ رجوعها بكامل جرمها وشناعتها على راس المفتري لاعتماده على مثل هذه الطرق الشنيعة في المحاورات العلمية والدينية .

فالحاصل اسمح لي ايها المنطيقي اللبيب ان اخاطبك بكلمة فان كنت لا ترى فساد برهانك وخلل قياسك فما من شيءٍ ايسر لديَّ من ان اريكه مراي العين . قد اوردت في قياسك لفظة جسد مرتين فقل لي هل كررت هذه اللفظة بمعنى واحد بعينهِ او بمعانٍ مختلفة اذ لا بد من تحرير معاني الالفاظ بموجب اصول المنطق لضبط القياس واستحكام البرهان الم تفهم بلفظة جسد او جسم في المرة الاولى عن الجسد في حالتهِ الطبيعية وفي المرة الثانية عن الجسد الممجد مع اعتبار الفرق الكبير ما بين الجسد الممجد والجسد في حالة الطبيعة . فقل لي اذًا على ايّ من الجسدَين وقعت نتيجة قياسك . الا ترى ما اشنع عرج هذا القياس فانهُ اقزل

ليت شعري ما النتيجة من برهانك فلا شك انه عار من كل نتيجة

كما لا يخفى على من فيهِ ولو ذرة من العقل والصواب وباي حق تنكر امكانية وجود الجسد المجد في اماكن كثيرة معًا . فهل وقفت على كامل صفات الجسد المجد واستقصيت كامل محاسنهِ وخاصاتهِ العجيبة اذ لا بد من معرفة الشيء معرفة تامة لصحة الحكم بهِ ايجابًا او سلبًا ولا يخفى ان الحكم بالمجهول من شان الجاهل . فعلى ما اذا يستند تعليلك هنا . لا بل على اي شيء يمكنك ان تبني قياسك . واين حدود المقابلة المحكمة للقياس بهذا السر في كامل الطبيعة المخلوقة في هذه الدنيا . وما علمك هنا وما تستطيع ان تعلمه من العالم الفائق الطبيعة مع كامل اتساعه وسموهِ ليتيسر لك الخروج من المقام الطبيعي والبلوغ الى ما كان فوق الطبيعة . وهل لك من سبيل الى معرفة شيء بهذا الصدد الاَّ ما يكشف لك الوحي من ذاك العالم الغير المنظور والسامي ادراك عقلنا ومن طريقة معرفتهِ التي تكرم الخلاق بها على نفسنا بجودهِ وسخائهِ . ليت شعري فما دلنا عليهِ الانجيل من خاصة جسد الرب المجد المنبعث من الموت أما يشير اليك أما يؤمرك حتمًا بان تطرق براسك الى الارض هنا في هذه الدنيا وتخرس عن تفلسفك الباطل وان تصغى باحترام الى ما تلقيهِ اليك الحكمة الصمدانية حينما تتنازل الى ذلك لكي تميط قليلاً حجاب الامور الغير المنظورة واسرار الابدية انما يحسن بنا ان نبين على هينة سخافة اعتراضات مولف هذا الكتيب لنرى في اية هوتة من الضلال يتهور عند ما يتحرى التفلسف على اسرارنا . اما اليوم فهنا ندع الكلام . وسنأتي اليهِ في الفصل الثاني

الفصل الرابع والعشرون

في سر الافخاريستيا وكتيب اعتراضات الابروتستانت على هذا السر الالهي المنشور في سوريا

ان ما مرّ من الكلام في الفصل السابق يفيد القاري اللبيب مبدأً راهنًا لحل اكثر الاعتراضات المتضمنة في الكتيب السقيم انما يحسن بنا ان نسمع الاعتراض من فم المعترض لانهُ هو الخاطب فلهُ الكلام ويحق لهُ الاصغاء قبل البدار الى رد قولهِ لاسيما في ما يعترض بهِ على ذبيحة القداس التي هي من عمد رياضات العبادة المسيحية . فاني اروي كلامهُ بحرفيتهِ غير انني اعتمد في الرواية على طريق الايجاز هربًا من الملل بالاسهاب فلا باس من ان نصغي اولاً الى ما يرده من الاعتراضات الواحد بعد الاخر على التوالي بدون خلال

قال في الفقرة الاولى من كتيبهِ : نقولون ان الافخاريستيا ذبيحة غير دموية ومن لا يقول ان دم يسوع المسيح موجود في الافخاريستيا يكون محرومًا . فان كان الدم موجودًا فيها يكون قولكم ان الذبيحة غير دموية باطلاً

ثانيًا : ان كان القربان ذبيحة كما نقولون فالمسيح يموت كل يوم مرارًا كثيرة بخلاف تعليم الكتب الالهية التي نقول انه مات مرةً واحدةً

ثالثًا : نقولون ان كان المسيح يحلُّ في القربان فيجتمع جملة مسحاء مسيحٌ في السماء ومسحاء كثيرون في القرابين . ثم اخذتك حركة الغضب فصحت بنا بصيغة التعجب قائلاً : ما اغلظ هذا الكفر

رابعًا : ان كان ما اعطاه المسيح رسلهُ في العشاء السري هو جسدهُ

الحقيقي واكلوه حقيقةً فيكون حينئذٍ الذي بقي معهم وخاطبهم وصلبه اليهود خيالاً لا مسيحًا

خامسًا : فالاعتراض هنا هو عين الاعتراض الرابع معنىً ويكاد ان يكون عينه لفظًا ايضًا كما لا يخفى عند من يراجعه في محله ومن ثم لا حاجة الى تكراره

سادسًا : تقولون ان المسيح غائبٌ بالجسد والبابا الحاضر نائبٌ عنه فاذًا لا مسيح في سر الافخارستيا . (عافاك الله على هذا البرهان) وان كان المسيح حاضرًا في الافخارستيا فلا حاجة لنا الى نيابة البابا عنه (هذا برهان اظرف منه)

سابعًا : ان كان المسيح حقيقةً في الافخارستيا فيلزم دوام الخبز بلا زوال ولا فساد فتعليم الاستحالة اذًا غش ومكر من الرؤساء

ثامنًا : تقولون ان الذبيحة تقدم لغفران الخطايا وفي كل قداس يحصل الغفران التام . فمن اللازم اذًا ان قداسًا واحدًا يكفي لخلاص الوف الوف من النفوس التي في المطهر . وان الذين ياخذون اجرة القداديس الاخرى هم سراقون ولصوص

لا عدمنا الله انسانيتك على هذا المديح الذي تتحفنا به فانه لثناء جميل لكنه قاصرٌ عن ابطال الحق وقد اعتدنا منذ زمان مديد على سماع هذه العبارات الانيسة البارزة من افواه قومكم بدون ان نتعرض الى ردها . فاننا ندرج هذه العبارات لاننا نعلم ما لها من القيمة بعين القارئ اللبيب سواء اعتبرت قيمتها بالنظر الى قائلها او بالنظر الى الدعوى نفسها التي يدعيها فما اقبح هذه الدعوى وما اخسرها ان كان يحتاج صاحبها الى مثل اساليب هذا الكلام للدفاع عنها

فما علينا من هذا . فلنأتينَّ الآن برد وجيز على كلٍ من الاعتراضات الواردة فردًا فردًا على موجب نسقها . وان يكن الرد على بعضها كافيًا ليعممه القاري من تلقاء ذاتهِ على باقيها

فنظرًا للاعتراض الاول من المأكد ان رده ظاهر لدى من له اثر الصواب والنطق وان الصغير المتعلم في مدارس التعليم المسيحي لا يعجز عن ردهِ بل يقول على الفور بدون ادنى تردد : نعم ان الذبيحة غير دموية لا لان ليس فيها دم حقيقةً او مختلفة عن ذبيحة الصليب بل لان الدم الذي فيها ليس هو في حالة طبيعية كما في حالتهِ عند ما اريق على الجلجلة بل على وجه سري كما شاء المخلص حفظه في جسدهِ المجيد

الرد على الاعتراض الثاني . فعلى يقين ان الرد على هذا الاعتراض ليس هو اشكل من الرد على الاول بشرط ان يقف المعترض والراد على كنه المسئلة . فلا شك ان ربنا لم يمت ولا يموت الّا مرةً واحدةً ولكن ترى ما يمنع المخلص مع ذلك من ان يحضر بكلام التقديس على المذبح بهيئة ذبيحة حقيقية على شبه ذبحه لاجلنا على الجلجلة مع هذا الدم عينهِ الذي سفك لاجلنا . غير ان هذا الدم لا يظهر للناظر بلونهِ الطبيعي ولا بباقي الصفات الحسية لان الكلام هنا في جسد مجيد غير قابل الموت بعد نشرهِ . فانك تتناول مبدا الخلاص عينه على سبيل التكرار . ومن يشك بان قربان هذه الذبيحة الحقيقية البارزة على مذابحنا بهيئة ترمز الى الموت كما صرح العلامة بوسواسيوس لا نقوم بها ذبيحة حقيقية اظهر من نفسه الجهل بعلم اللاهوت وبما يطلب لقيام جوهر الذبيحة الحقيقية

الرد على الاعتراض الثالث قد سبق في الفصل السابق . ومع ذلك نطبقهُ هنا على هذا الاعتراض . فنقول لاشك ان المسيح واحد كما ان الله واحد غير ان هذه الوحدانية لا تمنع كما قرر المجمع التريدنتيني من ان هذا المسيح الواحد الجالس على يمين الاب في اعلى السماوات بجسدهِ المجد يستطيع في الوقت نفسه ان يحضر في اماكن عديدة معاً وعلى مذابح كثيرة . ومن شك بذلك نساله على اي اساس من اسس الفلسفة الوطيدة يبني شكه وباي حق ينكر امكانية حضور الجسد المجد في اماكن كثيرة معاً . فان سالتني الى ما وراء ذلك كيف يكون هذا اجبتك جواب كيف هنا هو السر الغامض . والايمان صامت عن بيانهِ ويامرنا بخفض رووسنا مهابةً وتصديقاً للوحي . فان جلا الاسرار وكشف غوامضها مبقيان للحيوة الاخرى . ومن ثمّ كان الجدير بك كما نرى ان تنتهر نفسك بذاك التعجب الذي عبرت عنه بقولك ما افظع هذا الكفر وكل من كان ذا لبابة وادب يستهجن هذه العبارة المخلة بالانسانية والغير مالوفة في الحديث بين اصحاب الذوق والتعقل

ثم هات الان نرى ما صار اليهِ اعتراضك الخامس فان الرد على ما مرّ قد اجحف بهذا الاعتراض ايضاً فامسى هباء منثوراً فقل لنا . ان كانت الرسل تناولت جسد يسوع في العشاء السري كيف تستنتج بموجب اصول المنطق السديد ان اليهود صلبوا خيالاً . واية منافاة تجد في ان القدرة الالهية الضابطة الكل العاملة كل يوم الاستحالة على يد الكاهن تعمل في العشاء السري راساً على يد الكاهن السامي الكاهن الازلي على طقس ملشيصاداق . فان قلت ان جسد المسيح

في العشاء السري لم يكن مُجِدٌ بعد سلمنا . لكن ترى باي حق يسوغ لك ان تنكر بان المخلص استطاع ان يسبق عمل هذه الاعجوبة كما افادت علماء اللاهوت وهل يسوغ لك ان تنكر على القدرة الالهية الضابطة الكل امكانية احلال الجسد الواحد بعينهِ في اماكن كثيرة معًا فان انكرت هاتِ البرهان لنريك قيمته

اما اعتراضك السادس فحقًا انه من اسخف الاعتراضات الصبيانية ومن ثم لا حاجة للاسهاب في رده بل نسال حضرتكم . ترى اي مدخل للبابا في سلك الاعتراضات على الافخاريستيا . فلا شك انك شططت هنا شططًا كبيرًا عن دائرة الوعي والصواب الطبيعي . فما هذا القول ان كان المسيح موجودًا حقيقةً في القربان المقدس لا حاجة لنا الى نائبه . ترى لماذا لا نحتاج الى نائبهِ . فان كانت العزة الالهية ارادت بجنوها ان تحل بيننا انما بوجه خفي غير منظور لتجيب دعانا من على مذابحنا وتجدد ذبيحة الصليب ولكنها ترشدنا على وجه حسي منظور بواسطة نائبها فهل لك ان تجد دحضًا لنظام الحكمة المتجسدة وتدعوه محالاً و باطلاً ان . امنت اولا فانت مخير وانت ادرى بعاقبة امرك انما كان الاجدر بك ان تكف عن تعنيفنا بمثل هذه الهذيانات

الفصل الخامس والعشرون

في سر الافخاريستيا وكتيب اعتراضات الابروتستانت عليه المنشور في سوريا

هات الان نرى الاعتراض السابع من الكتيب . فالظاهر ان المؤلف هنا قد شط عن الوعي لاعتماده على اقوال لا تعبر الا عن الغرض النفساني والاحتدام وسوء الاخلاق

مع انه لو عرف اقله تعليم الكنيسة في هذا الصدد لتيسر له الجواب من تلقاء ذاته بمجرد الصواب كما تيسر لغيره من الناس الخارجين عن الكنيسة فليطالع ان شاء ما قاله العلامة لابنيسيوس الابروتستاني في سياق لاهوته او يوحنا دافيد ميكايليس من اعلام العلماء اصحاب المذهب النطقي في المانيا في كلامه على الفصل الثاني من بشارة يوحنا حيث يعد المخلص بهذا الحبا السامي قدره فيرى ان هولاء الناس انفسهم يبراون ايمان الكنيسة الرومانية من وصمة الخطاء وينتصرون للعقيدة الكاثوليكية من كل معترض ومناقض بغي اعتراضه ومناقضته على اساس الصواب

لعلك تظن يا صاح انك اتيت باعتراض كبير يرتبك به صبيان الكاثوليك وانت تقول لهم قول من اعتدّ بالتعليم : لو كان المسيح موجودًا حقيقةً في الافخاريستيا للزم ان خبز القربان يمكث للابد بلا فساد اتريد ان تعرف ما يشعر به الصبي الكاثوليكي العارف التعليم المسيحي لدى سماعه هذا القول فعوضًا عن ان تفحمه بأفٍّ في وجهك ساخرًا وحقه ان يسخر بك لان كل كلمة من اعتراضك تبين

له انك جاهل المسئلة نفسها التي انت تعترض عليها مع انهٔ اول ما يطلب من المعترض ان يعقل ما يعترض عليهِ فاتيتنا تقول لنا خبز القربان فقد ضللت ضلالاً مبيناً . يا صاح ليس في الافخاريستيا خبز فهذا بالحصر ما تعلمه الكنيسة ويجيبك بهِ فتيان المدارس . بل كل ما بقي من الخبز هو ظاهره وشكله الخارج كما تعلم الكنيسة اي اعراضه الحسية الدالة على الخبز في حالتهِ الطبيعية . فلم تدرك معنى الاستحالة ونراك مع ذلك تستعملها وتتهجم دحضها حتى في عنوان كتيبك. فرايت اذًا بناء اعتراضك قد هدم دكًا دكًا تجاه مجرد تعليم الكنيسة . ولعلك تقول ان الكاثوليكي نفسه يستعمل لفظة خبز في كلامهِ عن الافخاريستيا فيقول خبز الافخاريستيا اجبنك نعم ولكن باعتبار عوارض او ظواهر الخبز التي شاء المخلص حفظها لدى حضورهِ على مذابحنا ليكون لنا قوتًا . لا باعتبار جوهر الخبز فبهذا المعنى يقول الكاهن خبز الشكر الخبز الجوهري وهلمّ جرًّا فان فهمت بهذا المعنى فلا اعتراض علينا ولا جواب لك لانك تكون فهمت بالمعنى الكاثوليكي ونحن على وفاق في ذلك . لكن اسالك اية حجة لك في القول ان خبز الافخاريستيا المفهوم بهذا المعنى من الواجب ان يستمر بدون فساد. فهل علينا نحن ان نامره تعالى بادارة سننهِ ونظام مخلوقاتهِ الطبيعية ونحدد له المدة الواجب ان تحفظ فيها اعراض الخبز هذه بدون فساد. ألا يسوغ له ان يسمح بان هذه العوارض تجري على السنن الطبيعية نفسها التي كانت جارية عليها قبل الاستحالة فانني مشتهي ان ارى ما يمكنك ان تختلقه بحذاقتك من الحجج على عدم امكانية هذه السواغية

وان قلت كما يلخص او يلوح من مقالك انهٔ من المحال ان يستولي

الفساد على الجوهر الالهي ترى من ينكر ذلك فما قولك هذا الا تكرار القول باحدى تلك الحقائق الازلية التي لايرتاب بها احد من الناس قاطبةً وترى على بال مَنْ من الناس خطر ان الكنيسة تعلم بهذه الحالية الفظيعة

قد بلغنا الى الاعتراض الثامن الواقع فيه الكلام عن غفران الخطايا بواسطة ذبيحة القداس الالهية لكن الكلام قد عبر عن كثافة وسوء ادب على جاري عادة المولف واهل مذهبه الذين يجعلون جل اعتمادهم في الجدال على الطعن والسفاهة

فنجيب لاشك ان الذبيحة المقدسة تُقدم غفراناً عن الذنوب كما قلت انما من علمك ان بها يحصل تمام الغفران كما ضللت ضلالاً بيناً . فان سخر بك صبيان مدارس التعليم المسيحي فلا ذنب عليّ بل ان الذنب ذنبك ولا غفران له . اعلم ياصاح بان ثمن الذبيحة الالهية هو غير متناهٍ في ذاته انما لايستلزم من ثمّ ان ما نناله منه يكون غير متناهٍ ايضاً . فاين قياسك المنطيقي المستلزم مثل هذه النتيجة

ان الله بجودته الغير المتناهية مستعد لان يمنحنا من كنوز نعمه السماوية قدر ما نستحق قبوله ولكن ألا تعلم انه يطلب من خليقته الحرة لاسباب مبنية على الحكمة الغير المتناهية الاستعدادات اللائقة بقبول النعم وانه يوزع علينا نعمه بالعموم بموجب الاستعدادات التي ناتي بها لاقتبالها وبالتالي ان ثمن الذبيحة بذاته هو غير متناهٍ وفوق الكفاة لخلاص العالم باسره وللوفاء عن جميع النفوس التي في المطهر . اما تخصيصه فله متعلقات ومباحث اخرى

فبناء عليه قد شاءت جودة الله ان تكرار الذبيحة الغير الدموية

بدوم ما دام العالم . ولعل هذا يخفاك انت البيبليشي المعتمد على التوراة والمستند على مجرد آياتها وإني لمتعجب من سوء فهمك لها فيما كان واضحًا كالشمس في رابعة النهار . ألم يامرنا المخلص بوجوب تكرار هذه الذبيحة الى دهر الداهرين . ألم نقف في هذا الصدد على ما ورد من شرح مار بولس الرسول اليقيني لكلام السيد المسيح ولارادته المعبر عنها بقوله : اصنعوا هذا لذكري (في رسالته الاولى الى اهل قورنثية ص ١١ : ٢٣ الى ٢٩) اذ فهم الرسول المعظم بهذه الاية امرًا وسلطانًا للرسل بتقدمة الذبيحة بما انهم كهنة قائلاً في العدد ٢٦ : كل مرة تاكلون من هذا الخبز وتشربون من هذا الكاس تذكرون موت ربنا حتى مجيئه الى منتهى الادهار . فان كان سيدنا العزيز امر ورسم تكرار هذه الذبيحة مدى الاعصار الى منتهى العالم فكان من الواجب عليكم انتم معشر البيبليشيين ان تحاذروا مخالفة امر ابن الله الصريح المقرر في التوراة ولم تحذفوه منها

نعم انني اعلم انك توارب هذه النتيجة بدعواك ان المفهوم من كلام المخلص لا وجوده الحقيقي في سر الافخاريستيا بل الرمز الى وجوده تذكرة لموته . ولكننا نجيبك ان هذا التاويل من جملة تلك المضحكة الدالة على ادعائك بمعرفة اللغات والمخالفة لتاويل التوراة الجاري في كامل الاعصار

وهذا ما يلاحظ غفران الخطايا فان الصغير الكاثوليكي يميز تمييزًا جليًا طريقة نواله فانه يعلم ان الانسان ينال الصفح عن ذنوبه بواسطة سر التوبة اما الذبيحة فتفيده ندامة على خطاياه واستعدادًا واجبًا لنوال الصفح بفعل سر التوبة

فلا حاجة هنا الى ذكر العبارة السمجة التي رشقت بها عنوًا الكاهن الكاثوليكي المعطي حسنة قداسات كثيرة . فاذا ما سمعناك تصفة اوصاف الاشرار واللصوص خفضنا راسنا خجلاً عن رجل ادعى الناموس والاداب واتصل الى حد هذه السفاهة المشينة

الفصل السادس والعشرون

في سر الافخاريستيا وكتيب اعتراضات الابروتستانت عليهِ المنشور في سوريا

قد راينا ان ننتهي هنا من تفنيد الكتيب السقيم الذي نعني فيهِ مولفة الاعتراض على اقدس اسرارنا المقدسة واجلها . لاننا قد اتينا اولاً برد عمومي يقوم مقام اصل عام ومنتاج للجواب على جميع الاعتراضات الواردة على هذا السر الالهي . ففي هذا الجواب وحده غنىً عن كل ما سواه انما قد تمهلنا على المعترض حتى سرد جميع اعتراضاتهِ على هينةٍ من اول كتيبهِ الى اخرهِ ثم راجعنا فردًا فردًا كل ما اورد واحدًا واحدًا منها قصدًا لزيادة ايضاح خساستها وسفاهة معترضها فاجرينا عليها مبدأ الجواب تسهيلاً لادراك تفنيدها على المطالع

فبناء عليهِ متى تحقق ان الله قد خاطب الانسان واوحى اليهِ وحيه دل الصواب وحده على نفي كل اعتراض ومحالية كل مناقضة في كلامهِ تعالى أليس العقل نفسه يأمر امرًا جازمًا لكل معترض بالسكوت والرضوخ لكلام الله بدليل ان فهم الله الغير المتناهي اذا ما تكلم لفهم الانسان المتناهي يسوغ له ان يلقي اليهِ من الحقائق والاسرار

ما يفوق ادراكه . فنظرًا الى السر الذي نحن في صدده هل يجوز للانسان العاقل ان يشك بكلام الله ووحيهِ هذا السر وهل يسوغ لهُ ان يكون على ريب صوابي في فحوى ما شاء وحيه اليهِ فيما انه يخاطبه بكلام صريح جازم لايمكن ان ينطق لسان بشري بكلام اوضح منهُ بيانًا واجزم سدادًا كما فهمهُ الناس منذ ايام الرسل . راجع ما رويناه من نصوص الاباء القديسين المعظمين مار كريللوس الاسكندري ومار كريللوس الاورشليمي ومار ايلاريوس في صدد سر الافخاريستيا والاستحالة الجوهرية . فهل من وجه لزيادة الايقان والتصريح في حقيقة هذه الذبيحة الوحيدة الغير الدموية بحسب طريقة تقدمتها على مذابحنا . فعدا ما ورد من الكلام في هذا الصدد نرجو صاحب النشرة الاسبوعية واخاه مذهبًا صاحب كتيب الاعتراضات الّا يكونا سهوا عما ورد من كلامنا تخليصًا لاية ميخا النبي الكريمة مما طرأ عليها من التصحيف والتحريف بيد البروتستانت قصدًا لتعمية مالها الجلي الصريح القطعي الدال على ذبيحة القداس الالهية المقدمة في كل اينٍ وآنٍ على مذابح كنائسنا فيحسن بصاحب النشرة واخيهِ ان يعيدا الى ذهنهما ذكر ما اوردناه من البينات والحجج في هذا الصدد لاسيما انهما لا يزالان يتعنيان تكرار نفس هذه الاعتراضات الفارغة ومعاودة الخلط والخبط في نقضهم الحق الصراح قضية من قضايا الدين الكاثوليكي الراسية لعلهما يستفيدان اقتناعًا بها او على ما قل انكفافًا عن التعني الى اقوال ومماحكات لا طائل لها سوى تحميلها غبّ اتعاب ياول بها الى الخزي والعار . ويحسن بها ايضًا ان يتذكروا المحاورة الشهيرة التي جرت هنا في الشرق على فحوى الاية النبوية المشار اليها بموجب النص

العبراني ما بين تريفون الشهير احد علماء اليهود وبين القديس جوستينوس الفيلسوف الشهيد المولود في اشخيم المعروفة اليوم بنابلوس ويفيدها ايضاً ان يذكرا ما ورد من الشهادات والاقرارات عن اعلم علماء البروتستانت انفسهم اثباتاً واقناعاً بحقيقة ذبيحة القداس الوحيدة على منوال استعمالها في الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرومانية وهي مروية نصاً في كتابنا المعنون بالتوراة الابروتستانية من وجه ٤٩ وما فوق . وما يجديها فائدة خاصة ذكر ما عانوه بدون طائل من الجد الجهيد المشعر بطباع الصبيان والعقيم من كل فائدة في نسخ قوة هذه الشهادة القاطعة السديدة المفحمة التي تعنى مقاومتها منشئ مذهب الاصلاح كل ايام حياته وسقط عناه دون الغرض وعند نهاية حياته كأنه قد اعيي كما علم من امره وكلَّ من الكفاح حكم بها انها شهادة لا ترد ولما لم يرَ له مخرجاً من حكمها انكر عصمة الانبياء والرسل انفسهم من الخطاء (وجه ٥١) قائلاً : وما الذي يهمني ان نادى ضدي البابا ويون مستندين على الكنيسة والاباء فاننا نعلم بان الانبياء انفسهم يسقطون في الضلال وان الرسل ايضاً ليسوا بمعصومين

فلا ريب ان مثل هذه الشهادات ما يوجب اهل اللبابة الى التبصر والتعقل انما مسكين من تعامى عن الحق باختياره فان داءه اعضل الادواء وحظه شر الاحاظ وربما صادفنا مثل هولاء العميان بين جمهور من نخاطبهم . وما اكثر هولاء القوم الذين يبيعون الهدى بالضلال فيضلون ويبيتون خاسرين لانهم يغترون بارباح دنية فيلبثون متسكعين في ديجور الغرر وبعد ما حصحص لهم الحق المبين يعمهون في ضلال . فسبحان الله العليم وحده بما في بواطن الانسان

وهو فاحص القلوب والكلا . غير ان الحوادث الظاهرة تؤذن الجميع بالكلام .

وقد عرفت من الوقائع الحديثة في نفس هذه البلاد حيث سطرت هذه السطور ما يويد تاييدًا قطيعًا ما نحن في صدده من البواعث التي تحمل الضالين على التشبث بضلالهم . وان الذي قص عليَّ هذا الخبر قد صمن لي صحته لانهُ من الصادقين وهو شاهد عيان لا ناقل اخبار وقد عرفت المخبر والمخبر عنه ومكان الحادث . فورد فيهِ اقرار صريح جاء .مذلاً من وجه للمقر لكنه يعبر من وجه اخر عن شيءٍ من الاستقامة والخلوص فيهِ لا يخلو من ان يكسبه فضلاً لتاديتهِ اقرارًا بالحقيقة ولو ال لتجبيهِ : فهاك الخبر

ان خادمًا من خدمة المذهب الابروتستاني في بيروت المعروفين بالحمية على نشر عقايدهم والمشهورين بالاعتبار والاكرام لدى قومهم والمكافين على اعمال خدمتهم بالدراهم والدنانير اتى ذات يوم احد الامراء الاشراف الكاثوليك في لبنان واخذ يحاول في اجتذابهِ الى مذهبهِ ففي الحال قدم لهُ كتابًا بدون ثمن من تلك الكتب المستجمعة ضروب الطعن والقدح في عقايد الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ومعتقديها. فقبله منه الامير ربما لم يكن يدري ما يتضمنه فلما فتحه وعرف ما فيه اسرع في الحال واتاه بنسخة من الكتاب الذي الفناه في كشف المغالطات السفسطية دحضًا لما اشهره بعض الابروتسنت ضد بعض الاسفار الالهية وقال لهُ بمالوف لطفه وانسه . سيدي قد اكرمت عليَّ بكتاب فرايت من واجب مكافاة المعروف ان اهديك هذا الكتاب فما المامول من ذكاك ان تتلوهُ بتانٍ وان تطلعني بعد ذلك على ما تراه

ـه وما لك من الرد على المسائل المدروجة فيه تفنيدًا للدعوى التي
نتنصر لها بمزيد الحمية والهمة . فقبله الخادم الابروتستاني منهُ وغب ما
تلاه متمعنًا وتروى جميع معانيه عاد اليهِ بعد ايام وشكره بكل انس
ورقة حسب طباع الابروتستانت الشهيرة في هذه البلاد فاخذ الامير
يسالهُ في القضايا الواقع عليها الجدال في الكتاب وعما عنده من الرد على
الادلة والاداء المتضمنة فيهِ . فعندها اجاب الابروتستاني على ارتجال
قائلاً : لا رد ولا جواب صائب لا مني ولا من ايٍّ كان على هذه البينات
والادلة ومن حاول دفعها اشبه بمن ضادّ الحق الصراح كمن ينكر
وجود الشمس وهي في رابعة النهار . قال لهُ الامير فان رايت الحق
كيف لا نتبعهُ . اجابهُ الابروتستاني كلٌّ يخير في عمله وقل ما همنا
الجواب والرد بحيث نقبض مرتبنا ونُعطى اجرة عملنا (٥١)

هاك جوابًا صريحًا مقررًا فلعمري انه عبارة عن افكار كثيرين
ممن يعرفون الحق ولا عزم لهم للاقلاع عن الضلال لعلهم لهذا الباعث
نفسه نراهم لا يحاولون بعد المجاوبة على ما نعده من اقوالهم ويتحاشون
جدالنا ولو دعوناهم وحرشناهم النزال بشعائر الحب والانس . ولكن
مجانبتهم جدالنا ووقوعهم الدائم على مسائل جديدة واعتراضات اخرى
حيث يامنون موقتًا من مصادفة اخصام تنازلهم وتدفع ضلالهم وتفند
شططهم مما يدل مضمرًا على احترامهم الحق بهجرهم ميدان الخصام على
انه لا يعسر على احد سرد المشاكل والتنقل من اعتراض الى اخر . فان
هذه الاعتراضات تصادف مدونة ومحررة في الكتب ومن عرف شيئًا
من العربية تيسر لهُ نقلها . اما المجالدة في الجدال ببراهين ضليعة متينة
هذا مما يوذن التقدير على المعترض بما لهُ من الاركان الى دعواه وبما

عنده من اليقين الجازم المويد بالحجة في دينهِ . فان لم يكن على شيءٍ من هذا فعوضًا عن ان يعمد الى الجبانة والفشل كصاحب النشرة الاسبوعية كان الجدير بهِ والاولى بشرفه وناموسهِ ان يحذو حذو الخادم الابروتستنتي المتقدم ذكره فيعترف بالحق تادية مما يحق له من الاحترام ولو كان في الحاضر غير متبسل لاتباعهِ فما ادرانا ان الله الجواد الذي اضاء على بصيرة الخادم المذكور انوار الحقيقة وجلى لذهنهِ حججها يتم فيه عملهُ بايلاه اياه عزمًا وبسالة للاهتداء كما اولى كثيرين غيره من علماء الابروتستنت وخدمتهم في انكلترا وخاصةً في المدرسة الكلية في مدينة اوكسفورد الذين شاهدناهم في ايامنا هذه يحافظون بشديد العزم والبسالة على اليقين بالدين مضحين ودايسين بارجلهم الخيرات الزمنية حذرًا من رزء خيرات النعيم الخالدة

الفصل السابع والعشرون

في مار افرام رسول سورية ورسل الانجيل الجديد

اذا ما سمعنا رسل الانجيل الجديد يتفلسفون في مواد الدين تفلسفًا مستهجنًا وعدما نراهم يتكلمون كلامًا يشط شططًا مريعًا عن دائرة الصواب في اسرار الانجيل وفي كل ما يتعلق برتبة الحقائق الفائقة الطبيعة لا باس من ان نحول اذاننا الى سماع كلام الرسول القديس العلاّمة الجليل مار افرام رسول سوريا النبيل الحائز جزيل الاعتبار والاكرام لدى نصارى هذه الامصار وكامل الكنيسة الكاثوليكية لاسيما انه باتينا في اقوالهِ وبرهاناتهِ بوهن الحجج الداحضة سلفًا

مذهب الابروتستانت والمبيدة الاعتراضات الواردة على الحقائق الفائقة الطبيعة التي يدعون مناقضتها بدليل الصواب والبرهانات سندًا على الحقائق الطبيعية فان مقابلة اقوال هذا القديس الجليل وما يلحقها من الحواشي المنية على اسس الاستحكام والاستقامة شانها ان تبين للقاري مراي العين حقيقة الامر وصحة دعوانا . فما من احد يطالع اقواله الّا وسطعت على ذهنهِ ولبه صحة برهانه وسداد قياساته ورسخت في حجاه حتى لا يعود ينساه غافلاً اذا ما سمعها مرةً عن لسان هذا الرسول القديس وفي لغتهِ السلسة الانيقة . ففيما خلف لنا من شروحاتهِ البليغة على الكتب المقدسة وعن الاعمى منذ ميلاده الواردة قصته في بشارة يوحنا ص ٩ نراه يبهت بغتةً ويقول : ما كان اتكد حظ هذا الاعمى قبل رجوع البصر اليهِ بمعجزة من معجزات سخاء الله الجواد . فكانت محاسن الطبيعة لديه كان لاوجود لها . فهذه الافلاك المقمرة وهذه الارض المزهرة والمثمرة والمعمورة وكل جمالات الطبيعة الباهرة الشاهدة بجلال الخلاق وعظمتهِ القادرة كما شهد النبي والملك داود كانت جوامد صامتة لديه كانها لغو وعدم حيث لم يكن لهُ الة لينظرها حال كونه معدوم البصر منذ مولده

فعلى هذا النحو يقول هذا القديس السرياني الجليل . لو افترضنا ان هذا الاعمى اتاه قوم من القيام قبل شفائهِ من الكمه واحدقوا بهِ وكلهم ذو عيون باصرة واخذوا يحدثونهُ في عجائب المخلوقات عند استضائتها بانوار الكواكب النيرة ويقولون لهُ مشفقين على تعاستهِ : وحسرتاه عليك ما اقل سعدك وما اكبر خسرانك وفقدك فلست تبصر شيئًا من هذه الافلاك السنية وهذه الكواكب المضية وهذه الرياض الناضرة

وهذه الانوار العاطرة وهذه الاشجار والنباتات الباهرة وهذه الديار والمساكن الفاخرة . ثم قال القديس فلو افترضنا ان هذا الاكمه يستفزه الغيظ من هذا الكلام و ينهض ارتجالاً في بهرة القوم و ياخذ ينتهرهم بقوله اصمتوا عما تاتون به من الحكايا فان كل ما تصفونه لي ما هو الاّ مين وقصص عجائز لا اثر له ولا عين . وهل مثلي من يصدقكم على هذه الخزعبلات ومن يمضي لكم على هذه الخرافات

فما قولكم يقول القديس في تصرف الاعمى هذا وما رائكم في انتهاره واحتدامه ومعارضة مكالمه وقطع كلامه وتسويته اياه براوة الحكايا والخرافات فلا شك انكم تطوون كشحكم عنه استخفافاً بل تحتدمون عليه عدلاً وصواباً مجيبينه ويحك اتحسبنا مهرجين ورواة خرافات واراجيف . وباي حق تعدنا من الافكين وتدرج اقوالنا في سطور الاولين . فان كنت اعمى البصر كما انت فاني تكذب من يخبرونك عما نظروه وثبت عندهم وجوده . اما كانوا يقولون له انك فاقد البصر والبصيرة . فالصغير نفسه يعقل ان فاقد البصر لا يبصر

فاختتم القديس كلامه بقولهِ : فاذا ما تكلم الانسان على نحو هذا الاعمى يقضي حكم التعجب عليهِ بيده اذا ما ادعى بحجة العقل النطقي مناقضة اسرار الايمان او كل ما يناط بنظام الحقائق الفائقة الطبيعة

اما نحن بالنظر الى اسرار الايمان ونظام الحقائق الفائقة الطبيعة فكمه منذ مولدنا الا نعلم باننا نولد معدومين القدرة على استجلاء الاسرار والامور السموية . فاننا نعلم ان الة البصر لمشاهدة الالهيات هي مبقية للمؤمن في الاخرة لمشاهدة السماوية والله نفسه عز وجل اي في التجليات العلوية السعيدة . اما الآن فليس لنا هذه الالة كما ليس للاكمه

الة البصر

ولكن لما شاء الله جلت قدرته ان يعرفنا سلفا بالاسرار السموية في كتابه العزيز المنزل من العلاء على قلوب الانبياء والرسل الكرام لم يكتف بتنزيله على الانام بل شاء الله سبحانه ان يخاطبنا بابنه الوحيد كما قال الرسول المعظم مار بولس الى العبرانيين ١ : ١ و٢ الذي اطلعنا على الاسرار الغامضة التي لايزال ينظرها ويشاهدها الى الابد ابن الله الوحيد الذي في حضن الاب هو اخبرنا (يوحنا : ١ : ١٨) فان ابينا تصديقه اما يكون عماونا اشبه بكمه ذاك الاكمه الا نفوقه عماء وجنونا بانكاره وجود ما لايبصره وهو اعمي لي لان هذا الاعمى كذب قول بشر اما نحن فاننا نكذب الله نفسه اذا ابينا تصديق ما انزله في كتابه العزيز وعن يد ابنه الوحيد نفسه . فعليه لما شاء الرسول الحبيب ان يبين لنا جليا شر الانسان وسماجة كرمه في عدم تصديقه ما انزله الله بدعوى عجزه عن ادراكه يقول ان هذا الجاهل الذي يتصلف غير مريد ان يحني راسه تسليما لسلطان الله وامتثالاً لفهمه تعالى يعزي الى الحق بالذات الكذب بمجرد تصرفه الموعب جهالة وجنونا ويجعل الله كذابا تعالى الله عن هذا الافتراء : من لا يومن بالابن يجعل الله كذابا (يوحنا رسالة ١ : ٥ : ١٠)

قد اثرت ان اعلق شرح هذه الاية الانجيلية لمار افرام وجداله المفحم لانه يدك ويلاشي بطعنة واحدة كل ما يمكن للانسان ان ياتي به من الاعتراض ليس فقط على سر الافخاريستيا بل ايضا على باقي اسرار الايمان الكاثوليكي الروماني الذي ندفع عنه مماحكات انجيل الضلال الصبيانية

الفصل الثامن والعشرون

في تكريم القديسين واصحاب الانجيل الجديد

ان اكثر ما استهدف لرمي نبال الابروتستانت من عقائد الكاثوليك وعباداتهم واكثر ما تكسر من نصالهم عنه بالبرهان السديد والبينات القاطعة هو عقيدة تكريم القديسين وملحقاتها فما اكثر ما عاود مؤرخ الاصلاح الكرة على هذه العقيدة في سياق تاليفهِ ولم نتعجب مناقضتها . فقرأنا في استهلال نشرتهِ عدد ١٢ سنة ١٨٧٢ هذا الهذر لاننا صادفنا ما كنا نتوقعهُ لعلمنا السابق باديد كيدهِ وعنادهِ الوخيم في القديم المتداول على السنة جماعته منذ بداية ظهور مذهب الاصلاح وهو دعواهم بان الاستغاثة بالقديسين منطوٍ على مضادة للوسيط الوحيد مخلصنا يسوع المسيح وهاك مقالة في هذا الصدد وهو يفوه بهِ كمن يعد نفسهُ اتيًا بقولٍ بديع فيما انه بالحقيقة ما هو الاَّ هذر ومين لا اثر لصحتهِ ولا عين . فيقول : لم تعد الشعوب المسيحية قبل الاصلاح يعرفون الله وسيطًا وحيدًا للخلاص : فقد اعنى بهذا الكلام ان الكنيسة نكصت وقتًا من الاوقات عن الاعتقاد والاعتراف على رووس الملاء بكون الرب يسوع الوسيط الوحيد لخلاصنا

مع ان هذه العقيدة قد عبرت عنها اقوال كل من اباءها القديسين وجعلت على لسان كل من كهنتها اذ يختتم صلاته وطلبته بما يعبر عن انتظارهِ اجابة دعاه وسواله بواسطة الوسيط الوحيد . و بالحق ان هذا ما نقر بهِ معترفين كل ما اختتمنا الصلوة بهذه الالفاظ : بربنا يسوع المسيح

ولكن قد جاء من تهجينهِ بالكنيسة ما كان شرًّا من ذلك فلنأتِ الى نصهِ . قال : بل كانوا يلزمونهم بالبذل الى وسطاء اخرين . فادرجوا جداول برمتها من اسماء قديسين وشفعاء وهولاء القديسون الذين اكثرت منهم البابا وات لم يتشفعوا الاَّ بمن يمدون الاديرة بالمال . فتواترت الزوار اليها واستباحوا مشترى الصالحات بالفضة ومن ثم كانت تغص الاديرة بازدحام زائريها (٥١) قل ما اتى المورخ بدعوى كاذبة الاَّ وكانت في الوقت نفسه عبارة عن طعن وقدح بالكنيسة الكاثوليكية فما علينا من قولهِ ونصهِ الاولى بنا ان نبين لصبيان الكاثوليك ليس فقط ان جميع هذه الاقوال المضادة اكرام القديسين عارية من كل اسناد بل انها ايضًا دليل على جهل قائلها السمج ومكره الفظيع

وحسبنا في ذلك ان نفتح كتاب المجمع التريدنتيني فنرى مجمعًا عامًّا يدحض دحضًا جليًّا دعوى الخصم هذه التي لا يزال يهذر بها باذان الاولاد الكاتوليك وكما انا التاريخ دليلاً جديدًا في كل قرن منذ عهد الرسل على ان هذه العبادة اي تكريم القديسين جارية بدون انقطاع على الطريقة الجارية في كنائسنا فاية عبرة تبقى لمورخ مثل مورخ الاصلاح ياتينا بمثل هذه الاقوال المجنونية ولا يزال يماحك باساطير الاولين . انما لابد لنا ان ناتي الولد الكاثوليكي بما يسد فا من يصادفه على طريقهِ من اصحاب الانجيل الجديد ويعترض عليهِ بان تكريم القديسين مخل بالكرامة المتوجبة للوسيط الوحيد او هي ضرب من الاختراعات البشرية

فليأتهِ اذًا اولاً ابن الكنيسة بكتاب قوانين المجمع التريدنتيني

ولبفحة بازاء عينيو تاليًا عليو ما قررتهُ تقريرًا صريحًا الكنيسة الملتأمت تحت راسة حبرها في الجلسة الخامسة والعشرين فيراها تاتي ببيان صريح سديد لاعتقادها المعبر بهِ تمام الوفاق الجاري بين اكرام القديسين واكرام الوسيط الوحيد وبالحق انها لما اخذت تعبر للاساقفة عن كيفية معتقدها بالاستغاثة بالقديسين وتلزم الاساقفة بتعليمهِ قالت : ان القديسين المالكين مع يسوع المسيح يقدمون لله ادعيتهم لاجل البشر ومما يحسن ويفيد ان نستغيث بهم استغاثة متوسل وان نلجاء اليهم ليلتمسوا لنا من الله سبحانه احساناتهِ بابنهِ يسوع المسيح ربنا الذي هو وحده مخلصنا وفادينا . ثم اخذ المجمع يبين ما من الوفاق التام بين تكريم القديسين وعبادة الفادي الوحيد فمن الموكد اننا لا ننال الاَّ بيسوع المسيح وعلى اسمهِ ما نناله عن يد القديسين . وهاك نص المجمع بهذا الصدد : امرٌ حسنٌ ومفيد ان نتوسل اليهم (القديسين) ونستغيث بهم لكي ننال النعم من الله بابنهِ يسوع المسيح ربنا الذي وحده وسيطنا (جلسة ٢٥) (انتهى)

فترى من ثم الكنيسة تلح في تعليمها بوحدانية الوسيط واذا ما نال لنا القديسون نعمًا فلا ينالونها الاَّ بالوسيط الوحيد فيقول الوالد الكاثوليكي لخصمائهِ قولاً بصواب وبحق : لما لم تشاء ان تفتح كتاب المجمع قد فتحتهُ لك فكان الجدير بك ان تبادر الى فتحهِ وتلاوته قبلي لان من يدعي مضادة الكنيسة في تعليمها لا بدلهُ من ان يحيط علمًا بما تعلمهُ . فاين ذهب الآن تهجينك الجسيم بالكنيسة مدعيًا عليها بتركها الفادي الوحيد نسيًا منسيًا واني ابين لك بعد هنيهةٍ سندًا على التاريخ الصحيح ان ما كانت تعلمه الكنيسه في القرن السادس عشر كان هو هو

التعليم الجاري في جميع الاحقاب منذ عهد الرسل بخصوص تكريم القديسين بحسب ما هو جارٍ في كنائسنا وانَّنا راينا اثاره الصادقة في حفائر رومية وانت تتجاسر على القول والكتابة هنا في سورية بان الشعوب لم يعودوا قبل الاصلاح يعرفون الله الفادي الوحيد . ان في ذا عجبًا

على انه من واجب العدل والانصاف ان نقول بانك لست انت بمبتكر هذا التفريف بالكنيسة بل انه قديم العهد ومعاصر مذهب الاصلاح قد سبقك اليه مالنكثون بدعواه اننا اذا ما استغثنا بالقديسين اقمنا وسطاء مقابل الوسيط الوحيد ولكن بما انك مورخ ابروتستاني وملفق اخبار عن مذهب الاصلاح لا بد من ان يقدر عليك كل احدٍ معرفة بهذا التمييز الصريح بعين جميع الوراء في هذه المادة وقد افحم مالنكثون وكل من قال قوله وابكمهم عن الاتيان برد فيه اثر الصواب · فمن المعلوم المقرر باصول علم اللاهوت ان الوسيط نوعان وسيط الشفاعة ووسيط الفداء فالكنيسة بتقريرها للقديسين وساطة الشفاعة قد انكرت عليهم دائمًا انكارًا قطعيًا مطلقًا وساطة الفداء . بما ان وساطة الفداء هذه لا تليق الَّا بالفادي الالهي وهذا ظاهر لايحتاج بيانًا انما نرى ما المانع من وجود وسطاء شفاعة او توسل بجانب الوسيط الوحيد يتوسلون لله سبحانه لاجل البشر لينالوا لهم من جودته الالهية نعمًا واحسانات . فليأتنا المورخ ما عنده من الرد على هذا التمييز الذي ابكم كل من جروا على اثر مالنكثون في هذا الاعتراض جري العبيد على اثر مواليهم

الفصل التاسع والعشرون

في تكريم القديسين واصحاب الانجيل الجديد

قد تحتم الآن علينا ان نعلم صاحبنا مؤرخ الاصلاح شيئاً من التاريخ الذي ينتهك حرمة صدقه ويكذبه تكذيباً ظاهر الخطاء والحماقة بدعواه تجاه شعب سورية بان تكريم القديسين من اختراعات كنيسة رومية وان ما حملها على هذا الاختراع هو طماحها الى الارباح الدنيوية التي كانت تتوخاها من تكاثف المؤمنين على هذه الرياضة المقدسة

ليت شعري ترى ما يكون الجواب من هذا المؤرخ لاحد صبيان الكنيسة اذا ما اتاه وكتاب تاريخ العالم بيده يريه فيه مرأى عينه ما دلّ دلالةً اوضح من الشمس في رابعة النهار على ان هذا التكريم يساوي البشارة قدميةً وجرى عليه المؤمنون منذ بداية العصر المسيحي . فليفتح هذا الكتاب ويأخذ بمطالعته منذ تواريخ القرون الاولى للنصرانية فيرى من الاثار الاولى المصدقة دعوانا ما ورد في صدد جهاد الشهيد الجليل القديس بوليكربوس في مصر من امصار الشرق في ازمير المدينة الشهيرة مركز التمدن العظيم لاسيا الصغرى . فاعتم مار يوحنا الرسول اخر من توفي من الرسل ان تم سعيه في الكرازة واذا باوسابيوس المؤرخ الشهير يروي ما كان للمؤمنين في اسيا من الثقة العظيمة في شفاعة القديس الشهيد تلميذ الرسول الحبيب المشفعة . فهاك ما جاء في رسالة بعثت بها كنيسة ازمير الى كنائس بنطس من الاخبار المهمة بهذا الصدد وقد نقلها اوسابيوس الى كتابه الرابع في

تاريخ البيعة حفظاً لها من افة التلف والسيان فقيل فيها : لما حكم على الشيخ (بوليكربوس) بعذاب النار والقوه في المحرقة خمدت قوة النار ولم تمسه بضر فلما نظر احد الجلادين هذا الحادث العجيب استشاط وجزع واستلّ سيفه وغمده في احشاء الشهيد فجرى منها غدير دم اطفا لهيب النار : الى اخر ما رواه بقوله ان المسيحيين اخذوا يهتمون بدفن جثته في الحال اما اليهود فاعرضوا للوالي بما كان من الخطر في ان النصارى يتركون الههم المصلوب ويجعلون هذا القتيل معبودهم . فحرقوا الجثة بالنار ومع ذلك لم يكل المسيحيون حتى جمعوا بعضاً من عظامها وحفظوها كذخيرة اثمن من الذهب والحجارة الكريمة واودعوها مكاناً مكرماً لكيما يجتمعوا كل عام يوم وفاة الشهيد ويعيدوا تذكاره بالفرح المقدس . (انتهى نصاً)

فهذا ما جرى مذ حين كانت النصرانية في مهدها وما من سبيل للصعود الى ما قبل ذاك العصر لانهُ اسبق اعصار الكنيسة نظراً الى تواريخها فراينا فيهِ قراراً جلياً لتكريم القديسين واجلال الذخائر والاعياد المرسومة لاكرامهم وذلك فوق ما يطلب من البرهان لاثبات ما نحن في صدده . فما قول حضرة الخصم هنا لعله يعترضنا ايضاً بان البابا في ذاك العصر اتى باختراع تكريم القديسين ولكن لا يخفى بان اعتراضه حينئذٍ لا يكون الاَّ غلوّاً في العناد وموضوع هزؤ وسخرية لدى كل ذي عقل وصواب

وترى ما قولنا ايضاً في تلميذ مار بوليكربوس اعني بهِ مار ايريناوس معلم الكنيسة والاسقف الشهيد في غاليا وكان مولده سنة ١٠٣ للتجسد . لعمري ان في جهاده وجهاد شهداء ليون موبة الدلائل القاطعة

الواضحة على صحة تكريم القديسين والعمل به شرقا وغربا . فان الشهيد المذكور قد شرع بجهاده المجيد منذ اضطهاد ساويروس قيصر وزاد جهاده مجدا كثرة الشهداء الذين نالوا اكاليل الاستشهاد معه فان اكثر شعبه سار على اثره في دفع حياتهم تمسكا بعروة الدين المسيحي الوثقى مقاسين عذابات مبرحة . وقد وجدت كتابة في ليون تفيد ان عدد الذين استشهدوا وقتئذ في تلك المدينة تسعة الاف نسمة . فان طالع الخصم اخبار جهادهم راى تكريم القديسين جاريا في ذاك العصر بالكمال والتمام

واذا تركنا اسيا واوربا وتوجهنا الى اراضي افرقيا وجدنا تكريم القديسين قائما في رؤوس اعمال المسيحيين التقوية وهاك اشارة الى ذلك ما يغني بيانا عما سواها . قال اوسابيوس المؤرخ الشهير : لم يكن انقضى القرن الثالث واذا ببوتاميا العذراء الجليلة الاسكندرانية قد ظفرت باكليل الاستشهاد فلما شعرت بوجوب امتنانها لاحد حراسها الذي مع كونه وثنيا قد حمى عرضها وعدته لدى ذهابها الى منقع العذاب بان تذكره في دار السعادة الخالدة مكافاة عن معروفه وانجزت وعدها اذ قد ظهرت له بعد ثلثة ايام من استشهادها وجعلت اكليلا على هامه وهي تقول له انها نالت من الله سبحانه ما التمسته له . وكان اسم ذاك الحارس بازيلدس فما مضى على ذلك الا برهة وجيزة الا واخذت ادعية الشهيدة مفعولها بذاك الرجل اذ انه قد استنار من العلاء وعرف الحق وهداه واقلع عن كفره معتنقا الدين المسيحي واحسن نصرانيته واختتم سعي طاعته الوفية لنعمته تعالى باحتمال جهاد الشهداء ونوال اكاليلهم المجيد

وهل يريد الخصم ان نريه ما كان من الوفاق بين التعليم والعمل في تلك القرون نظرًا الى هذه الحقيقة فليسمع ما يقوله العلامة اوريجانوس من كان من اهل ذاك العصر ومن ايمة علمائه: من شك بان القديسين يوازروننا بادعيتهم (انتهى) فعلامة المشرق الجهبذ الفريد اعجوبة عصره ينادي عاليًا بعدم الشك فيما يجديناه تكريم القديسين من الامداد والموازرة وفي تقريظه السادس عشر لسفر يشوع بن نون يقول: ان جميع اولئك الاباء الذين توفوا قبلنا يجاهدون معنا ويوازروننا بادعيتهم. فدل بذلك دلالةً واضحة جلية على فاعلية تكريم القديسين بما انها كانت الان من الامور المحققة والمختبرة تكرارًا كل يوم

ولكان يتهيأ لي ان اجول مع الخصم امصار العالم وفي كل قطر جالت فيه اقدام الرسل الكرام واريه فيها اثارًا جلية محققة لهذه العقيدة لولا خوف الملل بالاسهاب ولكنت اريه مراى عينه في جميع الليتورجيات اليونانية واللاتينية والسريانية والعربية وغيرها استغاثة المسيحيين بالقديسين بما انهم وسطاء الشفاعة لديه تعالى وهل يخفى الخصم ان ايمة من ادعوا بالاصلاح قد اضطروا الى الاقرار بهذه الحقيقة ومن جملتهم المعلم كولمبياد في حواشيه على عظات مار يوحنا فم الذهب حيث يقول: ان الاستشفاع بالقديسين قد جرى عليه يوحنا فم الذهب وغريغوريوس النزينزي واكثر الكنائس الشرقية والغربية (انتهى). ولا شك بان عموم هذه العبادة الكاثوليكية الجارية في جميع الكنائس منذ عهد البشارة هي حجة قاطعة تثبت امرين احدهما صحة العقيدة الكاثوليكية التي نحن في صددها المبنية على حجج التاريخ القاطعة وثانيهما سفاهة المؤرخ الابروتستنتي في سوريا في دعواه انها اختراع احبار كنيسة رومية

الفصل الثلاثون

في تكريم الذخائر المقدسة واصحاب الانجيل الجديد

ان تكريم الذخائر المقدسة الجاري في الكنيسة الكاثوليكية مقترن اقترانًا شديدًا بتكريم القديسين . فمن طالع النشرة الاسبوعية يرى مؤلفها لا يغفل عن اغتنام كامل الفرص ليطعن بالكنيسة الكاثوليكية معتمدًا بذلك على طريقة الاستخفاف والازدراء بكل ما يتعلق بها . فتراه في النص الذي اورده سابقًا من مقالهِ يروي قصصًا على سبيل التهكم عن عبادة يدعي ان بعض الكنائس جرت عليها لذخائر لاقوام لها ولا حقيقة واحكم روايته على ايضاح اسمج الاحتقار والاستهزاء . وما في ذلك من عجب لان هذا ديدنه وديدن من ذهب مذهبه من رسل الافتراء والكذب فانهم كثيرًا ما يعتمدون على مثل هذه الروايات السخيفة استغرارًا بما يتوهمونه فيها من التسهيل لدحض حقائق راهنة وحوادث ثابتة مقررة افحمت اجود قرائح المعترضين وابكمت افصح السنة الداحضين . فما من مؤرخ عز لديه الشرف والناموس يتحرى الى دحض اوهام وحكايات اختراع دماغ السفهاء او الجهلة ويابي العاقل ذكرها تقززًا من رعونة رواتها وملفقيها فرايت من ثم ان اضرب صفحًا عن التشاغل بهذه الامور الذرية بدون طائل وبدلاً عن ذلك اعود الى ما كنت في صددهِ من تعليم صاحبنا مؤرخ الاصلاح تعليمًا صالحًا لماصح وثبت من الحوادث التاريخية فعمدت اذًا ان احول وجهه عن الافك والخزعبلات واصوبه الى مشاهدة وقائع حقيقية يرى بها مراي عينه ان تكريم الذخائر المقدسة

الجاري في كنائسنا قد راه العلي حسنًا وان ما يراه الله حسنًا فهو حسن ولا يكون حينئذٍ عبرة للابر وتستانت منكريه الَّا عبرة العناد والتشبث بالمحال والضلال المبين

فلا حاجة لنا ان نتطوح في البلدان لنستقصي عما كان من حكم الله بمسئلة تكريم الذخائر بل حسبنا ان نلبث هنا في سورية ونستكفي بذكر ما جرى في عاصمتها الكبيرة وما شهدت بهِ مدينة انطاكية برمتها وكان دليلاً ظاهرًا وحجة قاطعة على ان تكريم الذخائر قد وقع لديه تعالى وقع الرضى والاستحسان . فقد اجمع الراوون الصادقون الوثنيون والمسيحيون على رواية حادث عجيب حدث وكانوا مجاوريه مكانًا ومعاصريه زمانًا ومشاهديه عيانًا ومن ثم جاءت روايتهم مقارنة الصحة وعرت من كل شك وشبهة . فهاك والحالة هذه ما جرى

كان في جوار مدينة انطاكية دسكرة يقال لها دفنه وكانت في القديم مرسح الخلاعة والعهارة وفيها هكيل لالهٍ من مشاهير الهة الوثنيين يُعرف بالاله افلو ونسب اليها الهيكل وعرف بهيكل افلو وكان موقعه في وسط غابة جميلة المنظر والنضارة واشتهر بالقديم ذاك المكان بجميع ضروب الرجسات والفواحش التي كان الوثنيون يرتكبونها في تلك الاعصار . فلما تنصرت مدينة انطاكية واستبدت النصرانية في هذه الاقطار عرض ان قيصر اخا يوليانوس عمد الى تطهير ذاك المقام من رجاسة الوثنية فاتاه برمم شهيد قديس استشهد في انطاكية يقال له بابيلاس ودفنها في صحنهِ ولبثت فيهِ دفينةً احدى عشرة سنة . فخرست مذ ذاك شياطين افلو ولم تعد تاتي بوحي

فلما اتى يوليانوس الكافر الى الشرق قاصدًا احياء الوثنية ذهب

الى انطاكية وعمد الى هيكل دفنه واخذ يكثر فيهِ من تقدمة الذبائح والضحايا للاله افلو مبتهلاً اليهِ ليوحي اليهِ وحياً الاَّ انه لم يستفد شيئاً لان افلو لبث صامتاً لم يفه بكلمة وحي فبعد ما اعيي القيصر يوليانوس من الابتهال وتقريب الذبائح سمع صوت متكلم علنًا من ذاك المقام يعبر عن علة صمته وخرسه عن الهتاف بالغيب : ان رم ميتٍ دفين في هذا المكان تزعجني وتبكمني : وقد شهد بذلك ليبانيوس المؤرخ الاديب الوثني في خطبتهِ السادسة وجه ١٨٥ وازكى منه شهادةً القديس يوحنا فم الذهب الشاهد المكاني كما ترى بعد هنيهةٍ

فعليهِ اصدر يوليانوس امرًا جازمًا برفع عظام القديس من ذاك المقام فرفعت في الحال وبادر جمهور اهل انطاكية المؤمنين يجمعون بمزيد الاكرام والاحترام ذاك الكنز الثمين الذي كان مودوعًا في هيكل دفنه . قال الراوون الصادقون فحمل الجميع برم الشهيد وذهبوا يزيحونها بمزيد الاعتبار والاجلال من دفنه الى انطاكية اي على طريق مسافتها مشي ساعتين من الزمان وهم يترنمون على طول تلك المسافة بمزامير داود النبي حسب عادتهم وعلى كل اية من المزمور يهتف شعب انطاكية كله بصوت واحد بهذه الاية من المزمور ٩٦ : فليخزَ كل عابدي تمثال منحوت المفتخرين بالاصنام : فاجاب الله من علو سمائهِ دعاء شعبهِ وشبَّ نارًا في الهيكل احرقت صنم افلو واحالته رمادًا بدون ان يتمكن الجمع من اطفائها . وروى هذه الحادثة ايضًا المؤرخ الشهير مرشيلينوس في كتابهِ الثاني والعشرين عدد ١٣ وكان شاهد عيان لهذه المعجزة الباهرة . واذا صغينا باذاننا لقول مار يوحنا فم الذهب سمعناه ياتي بشهود عيان لهذه الاعاجيب جمهورًا من

الناس . فاسمع ما يقول : ان من اخاطبهم يستطيعون ان يادوا شهادة لحقيقة ما ارويه . لان اناسًا شيوخًا من هذا الجمع نظروا بعيونهم الاعاجيب وان قلتم ما الاعاجيب التي نظروها قلت انهم عاينوا ما اعظم ما يرتعد ابليس فرقًا ويذعر من العظام والذخائر المقدسة وشاهدوا مار بابيلاس بعد وفاتهِ ايضًا يجدل الشيطان ويسحقهُ ونظروا الشهيد يعود الى الطاكية حيث حظي باكليل الاستشهاد ليوتي فيها باكليل الاكرام والاجلال مضاعفًا (انتهى) من خطبتهِ ببابيلاس (٢٣ وجه ٦٧٣)

فليهذر صاحب النشرة الاسبوعية في سورية ولياتِ بهذيانات وخزعبلات ويروِ حكايات ويقص عجائزيات استهزاء وازدراء الى ما يشاء شيطانه . فلا يزال الحق حقًا والباطل باطلاً . ولا يعود قول السفهاء الاّ لخزيهم وعارهم ولا كيد المزدرين الاّ على هامهم ونحرهم . فاذ اجمع هنا على رواية الواقع المؤرخون الوثنيون والرواة المسيحيون الصادقون المعاينون صحت اخبارهم وصدقت روايتهم ولا ينكر الحق الواضح الاّ من بلي بالجنون الفاضح

هذا وان ما يعبر بهِ ابن الكنيسة عن سلامة نيته ووداعة ثقته لدى ضرائح القديسين وذخائرهم قد يشحذ احيانًا للتعنتين المتطرفين سنن السخرية والازدراء فيهزاون بهِ ويسترذلون ثقته وامانته . لكنهم لا يستطيعون على ان يسدوا اذن العلي عن سماع دعاء الودعاء ولا يقصروا ذراع قدرتهِ عن عمل المعجزات دلالةً على مرضاتهِ بهم واثباتًا لصحة ثقتهم وصدق يقينهم . فهاك ما روى في هذا الصدد القديس اغوسطينوس علاّمة عصره وفريد دهره في كتابهِ الخلد البقاء المعنون

بمدينة الله كتاب ٢٢ فصل ٨ . وهذا من جملة الوقائع العديدة العجيبة التي شهد بها وعاين اثارها

قال : كان في ايبون شيخٌ يقال له فلورنتوس رجل فقير الحال لا يملك بلغة من حطام هذه الدنيا لكنه غني بالله في تدينهِ وطهارة سيرتهِ وسريرتهِ . فعرض له ذات يوم ان فقد رداء له لم يكن له سواه ومن ثم كان فقدانه خسارةً بليغة لهذا المسكين . فلما لم يكن له من الدراهم ما يشترى بهِ رداء اخر بادر الى ضريح عندنا حوى جثث عشرين شهيدًا حازوا من القديم شهرةً عظيمةً في بلادنا واخذ يصلي عاليًا على مالوف عادة المصلين وقتئذٍ ملتمسًا من الشهداء القديسين ان يهدوه سبيلاً للحصول على رداء يترداه . فاتفق حينئذٍ ان بعض الشبان كانوا هناك قيامًا يرونهُ ويسمعون دعاه . فاخذوا يستهزئون بهِ ويتهكمون عليهِ قائلين : لعل الشهداء يعطونك دراهم تشتري بها كساء . اما الشيخ المسكين فلم يجبهم بكلمة بل مضى في سبيلهِ ذاهبًا على شاطئ البحر فبينا هو سائر واذا بهِ عثر على سمكة كبيرة صرعى على الرمل ظن ان الموج قذفتها الى اليبس وتركتها عند ارتدادها فتناولها ومضى فباعها بثمن من صديق مسيحي له اسمه كرتوس واخبره ما جرى له من فقد ردائهِ واستغاثتهِ بالشهداء ليوفقوه للحصول على ثوب اخر . فقبض ثمن السمكة واخذ يهتم بشراء صوفٍ تعمل له امراته منه رداء اما كرتوس فلما شق جوف السمكة وجد فيهِ خاتمًا من ذهب فاخذ فيهِ التعجب والدهشة كل مأخذ من هذا الطارئ وطار على جناح السرعة الى صديقهِ الشيخ وقلبه موعب شفقةً على مسكنتهِ واعطاه الخاتم قائلاً له : هاك ما صنع معك الشهداء القديسون فانهم سمعوا ادعيتك واهتموا بترديتك (انتهى

قول القديس نصاً)

وما هذه الاّ اشارة فقط لما يصنعه الله من المعجزات على يد قديسيه .

وليتنبه القارئ ان القديس اغوسطينوس قد روى ما جرى في ايامه وشاهده عياناً وقصد بايراده بيان ما كان جارياً في كنيسة افرقا من التكريم الشرعي للقديسين رغبةً في الشركة باستحقاقهم والموازرة بادعيتهم

الفصل الحادي والثلاثون

في زيارة كهوف رومية

بقي علينا لكي ننهي خير النهاية تاريخنا لتكريم القديسين وذخائرهم المقدسة ان ندعو صاحبنا الابروتستاني البيروتي ملفق تواريخ الاصلاح الى زيارة كهوف رومية المعروفة بالكاتاكومب وهي مغر تحت الارض في رومية كان المسيحيون الاقدمون منذ عهد بطرس الرسول يسكنونها احتجاباً من وجه المضطهدين الظلمة ويدفنون فيها الشهداء القديسين ويقيمون فيها المعابد لقضاء فروض الدين . ولعل زيارة المؤرخ المذكور لهذه المغر المقدسة تفيده استنارة وهدى الى الحق والصواب اذ يشاهد فيها وهو قائم في مهد النصرانية المسيحيين الاولين يجرون على تكريم القديسين الجاري عينه في كنائسنا ولا يعود يتجاسر على الزعم بكونه اختراع البابا وات

فليتفضل حضرته معنا الى هذه المغر الجليلة ونهديه اليها اسماء المسيحيين اصحابها او اسماء الشهداء الكرام الذين دفنوا فيها كمغارة

القديس سابستيانوس ومغارة مار كاليكستوس وغيرها . وان جهل مواقعها وغيبت عليه مسالكها فلياخذ له مرشدًا ودالولاً المعلم روسي الشريف الخبير في معرفة الاثار المسيحية . فلا حاجة هناك الى كلام مستطيل ولاالى شروحات مسهبة بل حسبه ان يفتح عينيه ويمعن النظر بما يشاهده على ضياء المصابيح مرقوشًا على جدران تلك المغائر . فترى عيناه صورًا شتى لشهداء ومسيحيين متوفين واكثرها مكللة برموز الفردوس السماوي كالزهور والطيور وسعف النخل وكلها في هيئة تشير الى القيام بالصلوة كرفع الاكفة الى العلاء والعيون الى السماء دليلاً واضحًا على ان مختاري الله في الخدور السماوية ليسوا بمشاهدين فقط على وجه البساطة الجلال الالهي ومستكفين بالتمتع والغبطة بل هم شركاء ايضًا لاخوتهم المجاهدين في هذه الدنيا بالادعية والابتهال

انما لانكتفي استدلالاً على هذا الامر بمجرد النظر العمومي الى هذه الصور بل اننا نرى في الكتابات التي على القبور ما كان اوضح دليلاً واظهر بيانًا من تشخيص الصور والنقوش . واني قد قرات على احد هذه القبور هذه العبارات المرقوشة باللغة اللاتينية بيد الحفار . هنا مضجعة عبدة الله . تضرعي لاجل ابنكِ الوحيد الذي خلفته من كونكِ راتعة في السلام والسعادة الخالدة : وقرات ايضًا هذه الكلمات على قبر شهيد يقال له اناطوليوس . يا اناطوليوس ابتهل عن والديك . وكتابة اخرى : ياجوفيانوس . حييت بالله فكن شفيعنا

فهذه هي الاستغاثة بالقديسين التي تعلمها المؤمنون منذ عهد مار بطرس والرسل وجروا عليها في ايامهم . فنسال الخصم اليست في عين

الاستغاثة والدعا المقدم للقديسين لفظاً ومعنى الجارية عليه الان الكنيسة الكاثوليكية . وليعتبر القاري هنا ان المؤمنين يستشفعون القديسين لا يقيمونهم معبوداً لهم . يستغيثون بهم ويقررون انهم ينتظرون الغوث من الله نفسه عن ايديهم .كما تفيد هذه العبارات الواردة : تشفع بنا . كن شفيعنا لديه تعالى . ولاشك ان هذا وحده كافٍ لدحضٍ ومحق كامل سفاهات الابروتستنت في سوريا وجميع نفاقاتهم وافترائهم الفظيع على كنيسة الله المقدسة

ولعل من يعترض بدعواه ان هذه الاستغاثة لم تكن الاّ تكريماً خصوصياً للقديسين لا يقوم بها دليل على تكريم عمومي رسمي جرى للقديسين في تلك الاعصار . الجواب على ذلك ان كل ما يتعلق بامر العبادة هو مسنود الى عقائد جارية في كامل الكنيسة ومبني على اعمال جرى عليها جميع المومنين لا مفوضة لارادة بعض الافراد ومع ذلك لنا اثار واضحة جلية تشهد شهادة صادقة بان الكنيسة قدمت للقديسين اكراماً جمهورياً واستغاثت بهم استغاثةً عمومية . اذ وجد في كهوف رومية ضربان من الكتابة المعزية الى هذا التكريم والاستشفاع لكليهما سمة الطقس العمومي المصرح بهذه العبارة الجارية الى الان وهي باسم . على اسم الخ . فاولهما يثبت الادعية المقدمة باسم المسيح وباسم الله ، وشاهده هذه الكتابة المرقوشة على ضريح القديس جوزيوس : ياجوزيوس احيي باسم المسيح . وعلى مدفن ساليافيكتورينا المقول فيها : ايتها القديسة فيكتورينا المتنيحة بالسلام باسم الرب . انما يوجد ضرب اخر من الكتابات تعبر عن الاستشفاع باسم القديس فتكون الادعية حينئذٍ موجهة للقديس راساً ولله سبحانه عن يد القديس .

منها كتابة قرأتها على ضريح احد القديسين وهي: روفا تحيي في سلام المسيح باسم مار بطرس. اي بشفاعتهِ

فان كانت كهوف رومية موعبة اثارًا تعبر عن تكريم القديسين بما اكثر ما تحتوي ايضًا على دلائل تشير الى تكريم ذخائرهم المقدسة فانك تشاهد في هذه المدافن ما لا يحصى عدده من حناجير الدم وخرق واسفنجات مغموسة بدماء الشهداء وآنية مملوءة من التراب الذي شرب دم الشهداء. فليت شعري ما القصد بحفظ هذه الآنية حفظًا جهيدًا في القبور او بجانب جثث القديسين. الَّا لتادي لنا شهادة كما قرر المؤرخون الاقدمون بما كان عليهِ المؤمنون الاولون من شديد الهمة والعناية في جمع دم الشهداء ووضعهِ بجانب الجسد المدفون او في مساكنهم معتبرينه ينبوع النعم والاحسان لاولادهم. هكذا عبر في اوائل اعصار الكنيسة الشاعر برودنسيوس الذي خلف لنا في نظمهِ الجميل باللغة اللاتينية افادة جميلة عما كان يشاهده في عصره من نقاطر المؤمنين افواجًا الى كهف القديس ايبوليتوس الحاوي ضمنه عظام هذا الشهيد المعظم وقال: ان قلتم ما علة هذا الازدحام الى هذا المحل قلت: ان علته رجاء المؤمنين باسترحامهِ تعالى واستمالتهِ على ايسر منوال لاستماع الادعية المقدمة عن يد القديس وهم قائمون حذاء ضريحهِ. وقال ايضًا: كل ما اضنكني ادواء النفس والجسد خررت امام هذا الضريح فنلت في الحال شفاء لكليهما. (انتهى) برودنسيوس في كتابهِ عن المكللين في وجه ٣٨٩

واعلم ايها القاري العزيز ان الوثنيين الاقدمين قد استهجنوا طريقة المسيحيين في تكريم ذخائر شهداء الدين كما استهجنها صاحبنا

مؤرخ الاصلاح الابروتستاني في بيروت وجماعته اعداء بيعة الله جارين
في هذا الصدد مجرى الوثنيين وذاهبين مذهبهم وهم غفلٌ بلهٌ لا يدرون
ما ياتي به التاريخ الصحيح من الحجج القاطعة المفندة كذبهم والجاحفة
بمذهبهم . وان مساعيهم الجهيدة في تخفيض شان اولياء الله الكرام شانها
ان تشدد عزائم ابناء الكنيسة لا ان ترخيها في عمل هذا التكريم الجليل
بينما يشاهدون الكنيسة وهي في مهدها كهوف رومية قد جرت عليه كما
تجري عليه الكنائس في ايامنا بدون ادنى فرق وتمييز . فلما كان
المسيحيون في القديم يشاهدون الوثنيين يجنون كيدًا وحنقًا على جثث
اولياء الله وذخائرهم المقدسة كانوا يزدادون همةً ونشاطًا واعتناء في
جمع عظامهم المبددة وجثثهم المغرقة في الماء . فيقتحمون الى مناقع
العذاب معرضين بحياتهم للخطر ويهجمون الى الات النكال
ويخرقون صفوف قتلة الشهداء الى ان يبلغوا الى منقع العذاب ويجمعوا
هناك الدم الكريم المسفوح ويلتقطوا الذخائر المقدسة واي قلب لا
ينفطر تخشعًا عند ما يذكر ما جرى لتلك الاختين الصنديدتين
القديسة بركسيدا والقديسة بودنسيانا اللتين تيسر لهما بهمتهما العلية
وبسالتهما السنية ان دفنتا اكثر من ثلثة الاف شهيد . قال طوبيا
البار لابنه : نحن بنو جماعة القديسين (٢ : ١٨) فعلينا ان نقتفي اثار
سلفائنا . فان كان لا يتيسر لنا ان نجمع جثث القديسين مثلهم فلنرفصنّ
بارجلنا على ما قل مساعي خدمة انجيل الضلال الصيبانية السخيفة
سواءً سموا نفوسهم مؤرخين او بيبلشيين اي جارين على التوراة فحسبنا
ان نزحزح عن سحناهم طرفًا من اطراف ستار رياءهم رايناهم عارين
من اثر التاريخ والتوراة . ومعاذ الله ان ابن الكنيسة الكاثوليكية

الرومانية يدعهم ان يسلبوا منه الكنز الثمين الذي ناله من المسيح الرب عن يد رسله الكرام . فتحذيراً له من الوقوع بهذا المصاب قد تعنيت هنا الى تبيين هذه الاثارات التاريخية الصادقة كما تعنيت فيما مضى الى كشف ما انزله اولو المكر والفساد من التصحيف والتحريف في كتاب الله العزيز لكيما يتهيأ لابن الكنيسة ما يحذر به من غدر رسل الضلال وخداعهم ويظفر بما يسد به افواههم الناطقة بالهذر والهذيان

الفصل الثاني والثلاثون

في الصلوة لاجل الموتى والمطهر

بعد ما نهينا الكلام في تكريم القديسين واحترام ذخائرهم وقعت المناسبة للتكلم في المطهر والصلوة لاجل الموتى . ولا يخفى ان هذه العقيدة هي من جملة العقائد الكاثوليكية التي كثيراً ما يعتمد الابروتستانت على السفاهة والتهجين في محاربتها . ولا حاجة للقول ان صاحبنا البيروتي مؤرخ الاصلاح الابروتستانتي هو من سباقي الغايات بين اصحاب مذهبه في من هذه السفاهة والرذالة . وشاهده ما عزى اليه من كتيب اوعبه كلام مجون وسخرية بالكاثوليك ومذهبهم وبثه في قطر سورية قصداً لترويج عمله بطريقة الالهاء والاغواء في مناصبته حجج الدين الكاثوليكي فالخليق بنا هنا ان ننتبه لكلا الامرين انجازاً لوعدنا في فاتحة هذا الكتاب

فلنأتينّ اولاً ببيان الاساسات الراهنة المقتبسة من الصحف المقدسة الوطيدة الاركان المسنودة عليها عقيدة الكنيسة هذه

غير ان الاولى بنا ان نسمع القاري قبلاً خلط صاحبنا ملفق تاريخ اصلاح الابروتستانت وهذره بمناقضة المطهر لكي يهديه ما يستحقهُ من الهزء والسخرية على محاولتهِ بمثل هذه الاساليب السقيمة سلب هبة الايمان الثمينة من فؤادهِ . قال المؤرخ المذكور: كان فلاسفة الاسكندرية سابقًا تكلموا عن نار يتطهر بها الناس وكثيرون من العلماء القدماء كانوا قد تمسكوا بهذا الراي وحكمت رومية بان هذا الراي الفلسفي هو من عقائد الكنيسة والبابا بموجب براءة ضم المطهر الى مملكتهِ وزعم انه في ذلك المكان يجب على الناس ان يكفروا عن الخطايا التي لم يقدروا ان يكفروا عنها هنا على الارض الّا ان الغفرانات تعتق نفوسهم من الحالة المتوسطة التي تحجزهم خطاياهم فيها واثبت هذا التعليم توما اكويناس في كتابهِ المشهور المعروف بخلاصة علم اللاهوت ولم تترك واسطة من الوسائط اللازمة لاملاء ضمائر الناس هولاً ورعبًا والكهنة رسموا بالوان هائلة العذابات التي نقسم بواسطة هذه النار المطهرة على جميع الذين يصيرون فريستها والان نرى في اماكن كثيرة من البلاد الباباوية صورًا موضوعة في الكنائس والاماكن المشهورة فيها تطلب الانفس المسكينة بالزفرات من وسط اللهيب القادح تخفيف الامها فمن يقدر ان ياخر دفع ثمن الفداء الذي اذا سقط في خزنة رومية يفتدي النفس من مثل هذه العذابات . (انتهى) وقد اكثر المؤرخ المهذار من هذه السفاهة والهذيان في باقي نشرتهِ فزين صحفها بهذه الاقاويل الرذيلة المدروجة فيها على وجه القدح والطعن بالبابا والكنيسة الكاثوليكية ومعتقدها بالمطهر . فالحاصل اذًا من هذره ان اصل الاعتقاد بالمطهر في الكنيسة صادر عن عبدة الاوثان وان

البابابوات قد نقلوه عنهم حيلة لاحتشاد المال بواسطتهِ . فان سالنا جناب هذا المؤرخ اين حججك وبراهينك في هذه الاقاويل السفيهة الافترائية التي تتكرم بها بزبد السخاء على ابناء الكنيسة السورية فلم نسمع منهُ جوابًا بل نراه يكمن حججه وبراهينه في صدره وقد احسن العمل لمصلحتهِ لانه لو ابرزها من جوفهِ لاسمعناه ما يضاعف عليهِ الخزي والفضيحة . اما نحن فلا جواب عندنا على هذه السفاهة والرذالة بل عندنا اخبار التواريخ الصادقة المفحمة كل لسان كذاب فاذا ما اريناه مرائي العين التواريخ متنصبة كجبار عنيد على اقوال الله المنزلة تكذب تكذيبًا قطعيًا كامل هذره وهذيانه واكاذيبه وطغيانه سالناه حينئذٍ ان يتنضل علينا بالجواب لنريه ما عاقبة الكذب والهذر والفساد والطغيان

اما الصلوة لاجل الموتى فقد جاءت من العقائد الدينية القارة على صخرة الكتاب المقدس وجرى عليها اليهود في العهد القديم واثبتت صحتها التقاليد الرسولية بشهادة العمل بها الجاري بين جميع المؤمنين الاولين والمقرر بخدمة الكنيسة الجمهورية منذ اوائل النصرانية

فلناتينَّ اولًا بايراد الاية الشهيرة في السفر الثاني للمكابيين حيث جاء نصٌّ صريحٌ في اثبات صحة الصلوة لاجل الموتى . قال كتاب الله العزيز : شيءٌ صالحٌ ومقدس هو الفكر ان نصلي عن الموتى ليحلوا من خطاياهم . (مكابيين ثاني ١٢ : ٤٦) . فهذه الشهادة جلية قاطعة لا تحتاج الى شرح . وان ادعى الخصم تفنيدها لورودها في سفر من اسفار التوراة المعروفة بالقانونية ثانيةً ارجعناه الى المحاورة التي جرت على هذه الاسفار وقد افحمناه فيها عن الرد في دحضنا اعتراضاته عليها

واثباتنا صحتها بالحجج القاطعة في كتابنا المعروف بكشف المغالطات الابروتستانية . وقال مار اغوسطينوس قولاً صريحاً في كتابه المعروف بمدينة الله فصل ٣٦ كتاب ١٨ : ان اليهود لم تقبل بقانونية سفري المكابيين اما الكنيسة المسيحية فعرفتهما. ولم يقل مار اغوسطينوس هذا القول من عنده بل شهد باعتقاد الكنيسة . وان مجمع قرطجنة الثالث المعقود سنة ٣٩٧ للميلاد قرر اعتقاده بقانونية سفري المكابيين ومار اينوشنسيوس الاول الذي توفي سنة ٤٠٢ لما استفتاه اكسوباريوس اسقف تولوزا في عداد الكتب القانونية قد افتاه محصياً هذين السفرين بصريح العبارة بين الاسفار القانونية فمن الواضح اذاً العاري من كل شبهة ان الكنيسة الجامعة قد جرت على هذا الاعتقاد في القرن الرابع وقد ثبت اعتقادها هذا بشهادة القرون التالية الصريحة كما بيننا في كتابنا المشار اليه انفاً

والحال قد ذكر في هذا السفر ان يهوذا الشهير زعيم المكابيين الزعيم الشهير ايضاً بتدينه وكثرة النصرات التي حازها على اعداء شعبه امر غب نهاية القتال بجمع دراهم فجمعت وارسل الفي درهم الى اورشليم ليقدم بها هناك ذبيحة لاجل الذين قُتلوا في الحرب . وهذا حادث من الحوادث التي تمت فعلاً وليس ينكره من اعتمدوا على ذرة من الصواب فعليه ان كان يهوذا المكابي قدّم ذبيحةً عن الذين قُتلوا في معركة الوغى أليس في هذا العمل دليل قاطع بين على عمل اهل عصره بتقدمة الصلوات عن الموتى والاّ من وله اثر الصواب يخطر على باله ان زعيم قوم مثل يهوذا المكابي رجلاً حكيماً منقطع النظير بين زعماء الجيوش بدرايته وبسالته وتدينه عمد الى اجراء عادات جديدة في الدين

بين قومهِ وهل يجد كهنةً في اورشليمَ من كهنة شعبهِ الجاري على الدين الصحيح يقدمون ذبائح لم يامر الله بتقدمتها ولم يعملوا ولم يسمعوا بها قط فيما مضى لالعمري

هذا وان ما كان جارياً في عهد يهوذا المكابي قبل الميلاد بنحو مائة وخمسين عاماً بقي منذ عهد الرسل على ما افاد الرسول مار بولس المعظم في رسائلهِ والانجيل نفسه كما ستراه في محلهِ

وعليه ليس بدون حجج راهنة قد قرر مار يوحنا فم الذهب في عظاتهِ على رسالة مار بولس الى اهل فيلبي فصل ١ : ان الرسل امرت بان يجري ذكر المتنيحين في تلاوة الاسرار الرهيبة لانهم يعرفون خير معرفةٍ انهم ينتفعون بهذا الذكر نفعاً كبيراً . (انتهى)

والقديس ابيفانيوس الاقدم من مار يوحنا فم الذهب قال في هذا الصدد في دحضهِ ارايوس الاراطيقي : ان الكنيسة تحافظ من باب اللزوم والوجوب على الطقس والعبادة الذين اخذتهما عن قدمائها الى ان قال: وهذا كافٍ لدحض ارايوس وخزيهِ الذي كان ينكر وجود المطهر ثم يحتدم عليهِ غيظاً ويهجنه باقبح الاوصاف والالقاب

الفصل الثالث والثلاثون

في الصلوة عن الموتى والمطهر

قد مرَّ من اقوال اباء البيعة في الصلوة عن الموتى وذكرهم في تقدمة الذبيحة المقدسة ما لم يبقِ محلاً للريب في كونها مأخوذة عن الرسل الكرام . قال مار يوحنا فم الذهب في عظتهِ على رسالة مار بولس

لاهل فيلبي : لم تامر الرسل بذلك (اي بالصلوة عن الموتى) الّا لاسباب حسنة . ولما كانت شهادة هذا القديس الجليل قاطعة لاتحتمل تعويجًا ولا مواربة قد دكت عزائم احد خدمة الابروتستانت (ضربت الآن صفحًا عن ذكر اسمه) وافحمته افحامًا حمله على الدعوى بان مار يوحنا فم الذهب اول من ادّى مثل هذه الشهادة . ولكن قد فاته انه قد ضل ضلالاً مبينًا في التاريخ كما ضل اخوه صاحب تاريخ الاصلاح في سوريا الذي نحن اخذون بتفنيد اضاليله . فتري ما تفيده دعواه هذه الفارغة اذا ما اتيناه علاوةً على ما تقدم من شهادة يوحنا فم الذهب وكثيرين غيره من اباء البيعة الكرام بشهادة العلاّمة الجليل ترتوليانوس المداني الرسل التي يكذب بها زعمه تكذيبًا قطعيًا متكلمًا بشان هذه الرياضة الجارية عليها الكنيسة كانها من رياضاتها المالوفة التي لا يسوغ لاحد ان يعتفي منها فهل يبقى له وجه للانكار او للشك بحقيقة صدورها عن الرسل انفسهم . قال هذا العلامة في كتابه المعروف باكليل الجندية وجه ٤٤٩ . اننا نقدم كل عام الذبائح عن الموتى يوم تذكار وفاتهم السنوي ولم يقل هذا فقط بل اسمع ما كان من توبيخه لامراة ارملة تتقاعد عن تقدمة الذبيحة لراحة نفس بعلها المتوفي . قال : ان كانت امراءة ارملة لا تهتم بتقدمة الذبيحة كل عام لراحة بعلها المتوفي يوم وفاته يجب ان تُعد عارية من اثر الوداد والحنية لبعلها (في كتابه عن الاقتران بامرأة واحدة وجه ٥٧٠)

هذا وان الليتورجيات وخدمة الكنيسة العمومية الجارية في اوائل الكنيسة الموجودة الى الآن بين ايدينا تدلنا دلالة اوضح من الشمس في رابعة النهار على ان الكنيسة لم تنسَ قط الموتى في تقدمتها الذبائح

المقدسة . واسمع ان شئت ما كان جاريًا في الشرق وفي نفس كنيسة اورشليم مهد جميع الكنائس : لما كلف مار كيريلوس الاورشليمي بتعليم الموعوظين في القرن الرابع كان يشرح لهم مفصلاً ما كان يصنع في القداس فاصغ الى ما قاله في هذه الرياضة تعليمًا للموعوظين . قال : اننا نصلي اخيرًا عن الذين توفوا من بيننا معتبرين ان نفوسهم ينلنَ جزيل الاسعاف من ذبيحة مذابحنا الرهيبة ومن الصلوات المقترنة بها (انتهى قوله في شرحهِ الثامن على الاسرار) فالمفهوم من كلامهِ هذا ليس فقط نقدمة الذبائح والصلوات من اجل الموتى بل منافعها ايضًا لانفس المتنيحين وتنهيج الشعب حتى الفتيان على ممارسة هذه الرياضة

وقال مار اغوسطينوس في عظتهِ على اقوال الرسل وجه ٣٢ وهو يعلم شعوب افرقا ان الكنيسة تحافظ بوجه العموم على ما تناولته بالتقليد. وان سالت ما تناولت بالتقليد قلت قد تسلمت ان تصنع ذكرًا للذين تنيحوا. وقال في كتابهِ المعروف بالاهتمام بالموتى فصل ٤ لم تخل الكنيسة في نقدمة الصلوات لجميع الذين توفوا في شركتها (١٥) وليتنبه القاري الى التعليل الذي اردفهُ بقولهِ : لكي تقوم بما انها ام حنونة بسد احتياجات من ليس لهم اقرباء ولا اصدقاء يهتمون بامرهم (١٥)

واعلم انني لم اقصد بروايتي اقوال هذا القديس العلاّمة الاستناد عليهِ بما انه لاهوتي ومعلم بل بما انه شاهد صادق لا رد لشهادتهِ باعمال الكنيسة منذ عهد الرسل . فمن مفهوم قول هذا القديس الجليل ان هذا التعليم كان وقتئذٍ من التعاليم المعروفة عند جميع المسيحيين ومن العقائد الضرورية الجارية عليها الكنيسة باسرها . ولهذا قد روى المورخون : ان الملك قسطنطين الكبير قد طلب قبل وفاتهِ بالحاجة ان يُدفن في

صحن الكنيسة التي بناها على اسم الاثنى عشر رسولاً. قال اوسابيوس كاتب سيرته في كتابهِ الرابع فصل ٦٦ في سيرة قسطنطين انه قد اختار له قبل وفاتهِ مدفنًا في هيكل الاثنى عشر رسولاً لكيما يشترك بعد موتهِ بالصلوات والذبائح المقدمة لله على اسم الرسل القديسين (انتهى)

وقد افادنا التاريخ انهُ من ذاك العصر اي من تلفظ اوكتب ما ينافي الاعتقاد بمنفعة هذه الرياضة وسم بالعار والفضيحة للابد ومحي اسمه من سفر ابناء الكنيسة. وشاهده ما جرى لآريوس فانه عُدّ اراتيكيًا رجسًا لانه قال: ان الصلوة المقدمة عن الموتى عقيمة النفع (مار ابيفانيوس صحة الارتقات كتاب ١٥ وجه ٩١١)

فلنات الآن الى صاحبنا المؤرخ الامركاني في بيروت ونقول له: قد نظمت نفسك في سلك المؤرخين بل وادعيت ان تدرج تاريخًا تهديه لابناء سورية كانه تحفة الزمان وكنز المنافع والاحسان. فافدنا جنابك هل لك ان تنكر هذه الحوادث الشهيرة الواضحة وضوح الشمس في قبة الفلك الواردة في صحف التواريخ. وان كنت لا تستطيع على انكارها. افِدنا من هم هولاء الفلاسفة الوثنيون الذين اخترعوا بزعمك عقيدة المطهر واخذتها عنهم الكنيسة. فلاشك ان هولاء الفلاسفة ما هم الآرسل المسيح الرب ويسوع المسيح نفسه ونعم الفلاسفة ونعم اختراعهم وتعليمهم

ولعلك تعترضنا بقولك: ان كانت عقيدة المطهر من العقائد الثابتة في الدين كيف لم ياتِ المسيح بذكرها في الانجيل مع انها على قولكم عقيدة تستدعي اعمالاً خلاصية وكبيرة الاهمية. نجيب: ومن قال لجنابك ان المسيح لم ياتِ بذكرها في الانجيل وهل تظن ان كل ما

لا تنظر او كل ما نتعاماه يكون معدوم الوجود . كلاّ . ثم ولو سلمنا ان المسيح لم يأتِ بذكرها في الانجيل فلا دليل بذلك على عدم وجودها لان عقائد كثيرة في الدين لا ذكر لها في الانجيل . ومع ذلك نقول بمعزل عن هذا الجدال . هل تصدق جنابك حقيقةً ان الانجيل لا يذكر شيئاً يشير الى المطهر . كلف خاطرك افتح كتاب بشارة متى واقرأ منها الاصحاح الثاني عشر عدد ٣٢ ترَ الرب يسوع يقول فيهِ: من الخطايا خطية لا تُغفر لا في هذا الدهر ولا في الاتي وهي خطية التجديف على الروح القدس . فعلى ظني لا حاجة الى اطالة الشرح لاظهار المفهوم من هذه الاية الكريمة عن بعض خطايا غير خطية التجديف على الروح القدس تصادف غفراناً في الدهر الاتي . وما من محل تغفر فيهِ الخطايا في الدهر الاتي الاّ المطهر . فمدلول كلام المسيح الرب ليس فقط حقيقة وجود المطهر بل معرفة هذه الحقيقة وشهرتها عند سامعي كلامهِ . وهاك خلاصة الاستدلال من هذه الاية عن المطهر . ان من قال ان بعض الخطايا لا تُغفر لا في هذا الدهر ولا في الاتي دلّ دلالةً واضحة على مفهومهِ ان بعض خطايا غير التي ذكرها تُغفر في الدهر الاتي فلو كانت كل الخطايا لا مغفرة لها في الدهر الاتي لكان استثناء خطية التجديف على الروح القدس عن غيرها استثناء بغير محلهِ ولكان قوله بها لا تُغفر في الدهر الاتي عبثاً ولغواً ومن المأكد ان الدهر الاتي لا يفهم بهِ عن جهنم اذ لا مغفرة هناك للخطاة الهالكين بل عذاب دائم . ولا يُفهم بهِ ايضاً عن الفردوس السماوي اذ لا يدخله الاّ الابرار المطهرون . فينبغي اذاً ان يكون محل متوسط بين السماء والجحيم حيث يتمكن الخاطي من المغفرة لبعض خطايا وهذا هو المحل الذي

سمته القدمية المقدسة بالمطهر . وهكذا سمعنا اباء البيعة الكرام كمار اغوسطينوس ومار غريغوريوس الكبير ومار برنردوس يبرهنون عن حقيقة وجود المطهر من هذه الاية الكريمة ولا شك ان برهانهم سديد قاطع لايقوى على ردهِ معترض ولاماحك لانه راكز على صخرة الانجيل الوطيدة

ثم سمعنا الرب المسيح المعلم الالهي ياتي في بشارة لوقا ١٢ : ٥٩ بذكر سجن في العالم الاتي لا يخرج منهُ المديون حتى يفي كامل دينهِ الى اخر فلس . فعليهِ نقول انه لا يصح قط ان يكون المفهوم بهذا السجن عن جهنم اذ لا وفاء دين في جهنم ولا خروج منها فمن اللازم اذًا ان يكون المقصود بهِ سجنًا يخرج منهُ المسجون حقيقةً انما بعد ان يكون وفي تمام ما يلتزم بهِ لعدل الله سبحانه وهذا هو السجن الذي عبرت عنهُ القدمية المقدسة بالمطهر

وان قال قائل : ان هذه الايات الانجيلية ما هي الا استدلالات تعرض وجود المطهر لا اثباتات مستقيمة لهذه العقيدة . قلتُ : صدق القائل وسلمت لهُ بدون اشكال انما بشرط الاّ يسهى عن بالهِ ان الاستدلال والاثبات سيان لان كليهما برهان قاطع على حقيقة وجود المطهر ولا فرق بينهما الاّ ان الاستدلال يشير الى ان المستدل عليهِ معلوم راسخ في ذهن من يلقي اليهِ الاستدلال او الاشارة اليهِ . اما الاثبات فهو حجة او دليل على امر معلومًا كان او غير معلوم . ولهذا قلنا ان المسيح الرب قد اشار بالاية الواردة في بشارة متى بصدد الخطية التي لا تُغفر لا في هذا الدهر ولا في الاتي الى حقيقة وجود المطهر بما انها من الحقائق المعروفة عند السامعين كلامه ومن عقائدهم الدينية

الفصل الرابع والثلاثون

في الصلوة عن الموتى والمطهر

ردًّا على رسالة تتضمن هجوًا بالايمان الكاثوليكي في سوريا

قد تحتم على دعاة الدين الكاثوليكي وعلمائهِ اللاهوتيين ان يتنازلوا بعض الاحيان قيامًا بحق فرض من الفروض المنصبة الى العمل بكشف الاضاليل الوخيمة المناقضة التاريخ الصحيح والموعبة افتراءً على المتمسكين بعروة الحق والصواب والى فضح جهالة اصحابها ورعونتهم . وهذا ما جرى لنا مع صاحبنا مؤرخ الاصلاح في بيروت على اننا لم نحتج والحمد لله الاَّ ان نصوب باصرتيهِ الى صحف التاريخ لنجزيه ما يستحقهُ عدلاً من العار والفضيحة ويصادف ما جرَّ اليهِ نفسه من الخزي والخجل باعتبار كونهِ مؤرخًا حتى من اسفل المؤرخين واحقرهم .

ولكن ما عتمنا ان انتهينا منه الاَّ واتانا صاحب اخر برسالة اوعبها من الطعن بالحقائق الكاثوليكية ما كان اسمجه وافجه . ولما وعدنا بدحضهِ كان لا بد لنا من انجاز وعدنا . ولكن نرى كيف السبيل الى مخاطبتهِ والانسان لا يخاطب الاَّ الانسان والدحض لا يقع الاَّ على الاعتراض المسكوب بقالب البرهان لا على اللغط والخلط والهذر والمذر . فاننا طال ما طالعنا هذه الرسالة واعمنا الفكر في الفاظها وعباراتها وقد عنونها صاحبها براحة التعبان وما هي الاَّ عربدة السكران لم نجد فيها الاَّ ما تقدم دحضه مليًّا من اقوال بدون برهان ومما كان لا عبرة لهُ ولا شان . وان كنت ايها القاري على ريب فيما نقوله عن هذه الرسالة هاك خلاصة ما ادرج فيها من الخطاب واحكم عليها بموجب

شرعك والصواب . قد تقدم القول ان عنوانها راحة التعبان وصدّر صاحبها فيها كفي مراسح اللعب فتاةً امسى بها المرض الى حافة المنون ووالدتها بجانبها تعزيها وتفرج غمها وكربتها . فالابنة على ما اشار اليهِ صاحب الرواية مسلمة امرها لله وصابرة على احكام العلي بالموت لكنها مرتعدة فرقًا من عذابات المطهر اما والدتها فكانت تسليها بقولها لها انها ستعتني بامر نفسها بعد وفاتها وتقدم قداسات لتخفيف عذابها وانقاذها من المطهر . لكن الابنة لم تُصدقها بل اجابتها : انتِ فقيرة يا والدتي من اين لكِ دراهم تدفعينها اجرة قداسات عني . فهنا شرع صاحب الرواية يسمعنا سفاهة لسانهِ ويرينا ما يقصده من هذه الحكاية المرسحية . فان هذا المشعبذ لعاب المراسح قاصد ان يحول الى غاية الارباح الوخيمة ما رايناه جاريًا من الاعمال الدينية منذ عهد الرسل بين المؤمنين بشهادة العلاّمة الجليل ترتوليانوس . ويتواطئ مع اخيهِ موافقهِ ومرافقهِ مؤرخ الاصلاح الابروتستاني في بيروت على اتقان التمازح والتسافه بهذه الحكاية الرذيلة . ولم ينتهِ هذره الى هذا الحد بل رايناه ايضًا ياتينا باخي المريضة ويجلسه بجانبها لكي يعزيها كما لا يخفى غير ان صاحب الرواية قد كلفه بفصل لعب غير فصل امهِ . فلما كان شديد البأس ثاقب العقل ذكي المعرفة متضلعًا بقرأة التوراة اخذ يتشفق على اختهِ المسكينة لما كانت عليهِ من وهن البصيرة والسذاجة في تصديقها بوجود المطهر . فقال لها : ما بالكِ يا اختي تخافين من المطهر وما المطهر الاَّ اضغاث احلام . وكنتُ انا مثلكِ فيما مضى لكنني فيما بعد قد نبذت عني هذا الخوف الوهمي وذلك لانني لم امنع من تلاوة التوراة في انكلترة . ثم رايت ان الكتاب المقدس لا يذكر الاَّ ذبيحة واحدة وهي ذبيحة يسوع

المسيح الضرورية للخلاص. فقد وفى المسيح عن الجميع بهذه الذبيحة وفاء فائضًا. فلا فائدة اذًا من باقي الذبائح ثم اورد لها جوقة من نصوص ايات في الكتاب المقدس المعبرة عن رحمة الله الذي تالم ووفى عن الجميع وكانت هذه ختام الرواية المرسحية. تامل ايها القاري اني قد اصبت بقولي لك انه لم يات الا بما كان مردودًا ومدحوضًا سلفًا. اما رأيت رده ودحضه بالاعمال الجارية بين المسيحيين والدارجة منذ عهد الرسل ببينات التواريخ القاطعة اي نعمل تقدمة الصلوات عن الموتى والذبائح لراحة نفوسهم التي شاهدها الرب لما اتى الى العالم جارية بالتمام بموجب العبادة التي رسمها الله وجرت في طقوس مجمع اليهود وحفظت في اورشليم المدينة المقدسة. وهل كان ليسوع المسيح وللرسل حاجة للتنهيج على هذه الاعمال التي وجدوها جارية على التمام كما شهدت الكتب المقدسة واثار التواريخ وهل لا يقدّر من النوع نفسه الذي به يوتى بذكر هذه الاعمال في الانجيل المقدس على انها جارية في العالم باسره كما قررت اباء القرن الاول وشهوده الصادقون

فحسبنا قولاً من حيث الدليل والحجة لدحض هذه الرسالة الوخيمة. ولكن قبل ان اختتم الكلام في هذا الصدد احب ان اذكر شيئًا بخصوص هذه الالعوبة المرسحية الوخيمة التي اجاد بها صاحبنا المشعبذ على الكنيسة الكاثوليكية بدون برهان ولادليل مشيرًا بها الى ان الكنيسة قد نقصدت في صلواتها عن الموتى وفي تعليمها بالمطهر متاجرةً ماليةً وارباحًا لئيمة. فعلى هذا المحور الرذيل يدور كما رأيت كامل مونة سفاهته الواردة في هذه الرسالة لان هولاء الرسل حبّابي المال يأملون كل فوز ونجاح بالضلال ولشدة انهماكهم باجورهم المالية الوافرة

وسعيهم في اثر الثورة والرفاهة يحكمون على غيرهم حكم نفسهم بموجب اميالهم وشهوات قلوبهم ويعزون للكنيسة نفسها ما يعزى اليهم من محبة المال والارباح في الادعية والذبائح التي تقدمها عن الموتى . فو يحكم ايها التلابون السفهاء الارذال على ما تفترون به على كنيسة يسوع المسيح . اما سمعتم ما ورد من القول السديد الراهن عن اسقف ايبون المعظم فانه لقول يفحم ويبكم كل تلاب لئيم ويعجز الهاجي المهجن عن الاتيان بمثل هذه المشعبذات المشينة . قال مار اغوسطينوس في كتابه عن الاعتناء بامر الموتى فصل ٤ وجه ٨٨٣ : ان الكنيسة بما انها ام حنونة تصلي عن الجميع ولا تهمل الصلوة لكيما تلافي احتياجات من ليس لهم اهل ولا اصدقاء يهتمون بامرهم (انتهى) . فليت لخصمنا اذنين سامعتين وذهنًا عاقلاً ليسمع ويعقل هذا القول الجليل المعبر عن سمو المحبة والحنو . فاين هنا ذكر الارباح والاجور المالية فيما ان المسئلة عن نفس من لا اهل له ولا صديق واحد يهتم بامره في هذا العالم . لعمري ان الجميع يهملون هذه النفس ولا من يعباء بحالها وهي في وسط العذابات الأ كنيسة يسوع المسيح الحقيقية وذلك لانها ام حنونة . وبما انها ام مهتم من طبعها اهتمامًا غير الاهتمام بالارباح ورغد المعيشة تهتم بخلاص بنيها وترافقهم بهذا الاهتمام الوالدي الى ما وراء القبر حيثما يبلغون الى العذابات المطهرية . فهذا ما كان في هذا الصدد ومن المعلوم ان صاحب هذه الرسالة الوخيمة كما واخاه صاحبنا مؤرخ الاصلاح في بيروت لم يكونا ينظران منا هذا التاديب المحكم الذي استحقاه عدلاً بما افتريا به على بيعة الله المقدسة وهذرا وعربدا في مضادتهما عقائدها واعمالها الدينية . فلا غرو اذًا ان يؤتى كل ذي حق بحقه

الفصل الخامس والثلاثون

في شركة القديسين

بعد مـا اثبتنا حقيقة وجود المطهر ومنفعة الصلوة عن المتنيحين وفندنا ما اتتهُ جماعة الابروتستانت في سورية من الردود الصبيانية على هذه الحقائق وقعت لنا مناسبة للكلام في شركة القديسين. وبالحق ان ابن الكنيسة يقر عينًا ويطيب نفسًا فيما يشاهدهُ من النظام الفاخر الجميل المنسوقة عليهِ العقائد الكاثوليكية ومن الرباط المتين الجامع شتاتها فيما ان الابروتستاني المسكين يرى ان اعتماده على انجيلهِ الجديد قد ودّى بهِ الى قطع كل رباط بين حقائق الدين وبمغادرة الايمان القديم غادر هذا النظام المرتبطة بهِ العقائد الكاثوليكية ارتباطًا متينًا مبنيًا بناء راسخًا على ايات الكتاب المقدس الواردة موردًا جليًا بينًا في رسائل رسول الامم المعظم

فمن المعلوم ان شركة القديسين هي من عقائد الكنيسة ومن قضايا الايمان الواردة في قانون ايمان الرسل بهذه العبارة الصريحة: اومن بشركة القديسين كما اومن بالروح القدس وبالكنيسة الكاثوليكية. فالمفهوم بشركة القديسين الاتحاد بين الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة والكنيسة المتالمة اي بين القديسين الذين في السماء والمؤمنين الاحياء في هذا العالم والنفوس المعذبات في المطهر. وان شئت ان نقف على ما لهذه العقيدة من الاسس الراهنة الوطيدة الراكزة على الكتاب المقدس وما بنى عليها الرسول المعظم من الرسائل التي بعث بها الى الكنائس طالع الرسالة الاولى الى اهل قورنتية (١٢: ١٢

وما يليه) وقابلها معما كتبه الى اهل افسس تره يعبر تعبيرًا جليًا عن هذا التعليم ويأتي بشرحه وتبيينه الى اخر تفاصيله ولواحقه فيقول : ان الكنيسة هي جسد المسيح (١ قور ١٢ : ٢٧) والحال ان اعضاء الجسد مترابطة ومتالفة بتبادل الخدم والوظائف . اذ يساعد الواحد الاخر في العمل ويبلغ الجميع اخيرًا الى الانتفاع بخير واحد . فيسوع المسيح في هذا الجسد هو راس الكنيسة (افسس ٥ : ٢٣) وانتم اعضاؤه . واذ خاطب اهل قورنتية قال لهم : انتم جسد المسيح واعضاء من عضو اي انكم اعضاء بعضكم لبعض . (قورنتية اولى ١٢ : ٢٧) وقد رتب الله الجسد على ان كلاً من اعضائه يعتني بالاخر : وقال في رسالته الى اهل افسس (١ : ٢٣) وتاخذ الكنيسة من المسيح ملء خيراته وتكمل في جميع اعضائها

فحيث الحالة هذه لا عجب من كون ان هذا الجسد الذي يتكلم الرسول في صدده يحتوي ينبوع النعم الدائم وكنز الاستحقاقات العظيمة الغير المتناهية . فان دم يسوع المسيح الزكي المعبود لا يزال يربي كنز الكنيسة ويمده غنىً وفيضًا على ان الراس وان يكن هو الينبوع الخاص لهذا الكنز فلا مانع من ان الاعضاء ايضًا تشترك في انشاء هذه الحيوة المشتركة وقد قرر ذلك الرسول المعظم تقريرًا صريحًا بقوله ان الله سبحانه قد رتب هذا الترتيب (١ قورنتية ١٢ : ٢٤ و ٢٥) ومن ثم قد حشد هذا الكنز الثمين دم الشهداء الزكي المحدر على البيعة البركات والخصب وقد احتوى على زهد المتنسكين الذين افادوا نفوسًا عديدة نعمة الهدى والتوبة . وعليه قد راينا دعاء مار اسطفانوس اول الشهداء احدر من العلاء نعمة لبولس الرسول اصرعته على طريق

دمشق ونورته وهدته سبيل الدين القويم والخلاص ودعاء القديسة مونيكا نشل ابنها اغوسطينوس من وهاد اثامهِ وضعفهِ وصلوات الملكة كلوتيلدة افادت فرنسا نجاةً من رجاسات الوثنية ورقت الدين المسيحي عرش كلوفيس . وقد تضمن كنز الكنيسة ايضاً ادعيتنا واعمال وفائنا التي تطير على اجنحة الملائكة كما قرر طوبيا البار (١٢ : ١١ و١٢) وتذهب الى قلوب اخوتنا الغائبين . واخوتنا المصرين على اثامهم آتيتهم ببلسم التعزية وبنعمة التوبة وبهبة الثبات في الصلاح فتخرق الاجرام وتنفذ الى اخوتنا في اقاصي البلدان . فلا مانع يمنعها ولا حاجب يحجبها عن البلوغ الى من انفذت اليهِ على ان شركة القديسين تعم جميع الامكنة ولا تحصرها الحدود ولا تحجزها المسافات لا يفنيها الزمان ولا تقتصر على الحيوة بل تتجاوز جميع الازمنة وتنفذ الى ما وراء المنون

ولماذا نقف عند ابواب الابدية ومن قال ان الراتعين في ربوع السعادة الخالدة لا يتحدون مع اخوتهم المجاهدين في هذا العالم . فهم الظافرون بالاندية السعيدة ونحن جنود الزمان . السنا جميعاً من جسد يسوع المسيح الواحد . فهل نقول ان حالتهم السعيدة تجعلهم لا يعبأون باكدارنا ومصائبنا ولكن قد فاتك ان المجد لا يطفي سعير المحبة بل ان المجد الابدي هو نصر المحبة وفوزها . ومن يستطيع ان يصدق ان هذه الام البتول المباركة التي تبنتنا حذاء الصليب يمكنها ان تنسانا الآن وهي قائمة في مواطئ عرش ابنها

ومن يقول ان دم الشهداء قد خرس وخارت قواه وان نخل العذارى قد امحل وادبر حاشا وكلاَّ . لان المجد الخالد لا يقطع رباط

شركة القديسين بل يزيدها اعتصاباً وارتباطاً

ومن قال لك ايضاً ان عذابات الصديقين في المطهر تنقض شركة القديسين . اليست هذه النفوس القديسة مثلنا من جسد المسيح اليست حجارةً حيةً في مدينة الله وقد نظمت في سلك اصفيائهِ . فان المجد مضمون لها ولو تاخر نواله . فيابيعة الله الحيّ ما اجملكِ . سواء تالمتِ او جاهدتِ او انتصرتِ ببنيكِ فانتِ على كل حال جسد يسوع المسيح نفسه وعائلة القديسين

اغربوا اغربوا ياخانة عهد الكنيسة التعساء اغربوا يادعاة الانجيل الجديد الذين لا يستطيعون سبيلاً للقيام الاَّ بالاستناد الى النضة والاكاذيب . وقد ابنا امرهم وفضحنا مكرهم . نساله تعالى باحشاء رحمته الغير المتناهية ان ينير هولاء العمي ويهديهم سواء السبيل . اللهم استجب

الفصل السادس والثلاثون

في سلسلة الخلافة الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية

قد شاهدنا في هذه المدة الاخيرة صاحب النشرة الاسبوعية ينهمك بمزيد الاجتهاد حتى لا نقول بمزيد الرعونة في الطعن بالخلافة الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية وهاك ما ورد من هذره في عدد نشرته ١٢ سنة ١٨٧٦ وجه ٦ في هذا الصدد : فانهم (اي الباباويون) يعلمون الناس ان يستندوا على مسئلة الخلافة فلا يخلو اما ان الشعب البسيط يسلم بذلك بدون فحص على صدقه او كذبه واما

ان يفحص التواريخ المطولة واذا فعل ذلك يجد ريبًا واضحًا وانه لا يوجد في مسئلة الخلافة اساس وطيد للايمان (انتهى)

الحاصل من هذا الهذيان ان صاحبنا المؤرخ ينكر على الكنيسة الخلافة الرسولية بناء وتعويلاً على مجرد تاريخه

فنقول انه قد اغلظ الخطاء هنا لا بل انه قد اتى ببديع المغالطة والخلط وربما لم يسبقه احد حتى الان الى هذه الوقاحة بتعرضه الى انكار ما سطعت انوار حقيقته لاسيما في هذه الايام على جميع البصائر وزعزعت اركان العقائد الابروتستانية في المانيا وانكلترا واقبلت بكثيرين منهم الى سراط الوحدة الكاثوليكية المستقيم

فاننا نقبل منازلته طوعًا واختيارًا في مضمار التاريخ انما قبل ان نشرع بتصدير بعض حجج تاريخية وبرد اعتراضاته نحب ان نراه برهةً في النزاع مع اصحاب دينه انفسهم الذين مع كونهم مؤرخين ابروتستنت مثله يفهمون التاريخ من هذه الحيثية خلافًا لفهمه وقد احسنوا مجازاته ما يستحقه من الخزي والعار على اتيانه بدعاوي عارية من اثر الحجة والاسناد

فاسمع ما ورد في هذا الصدد عن المؤرخين الابروتستنت في المانيا : فلعل صاحبنا ملفق النشرة الاسبوعية سمع وقتًا ما يذكر العلامة المؤرخ كاتب سيرة البابا اينوشنسيوس الثالث . وليته يطالع هذا المؤلف الشهير للمؤرخ هورتار الذي كتبه وهو ابروتستنتي ويقف على ما قاله في صدد هذه المسئلة فيرى هذا المؤرخ الشهير غائصًا في بحر الانذهال والتعجب من الخلافة الرسولية في الكنيسة الكاثوليكية في سلسلة الاحبار الصاعدة بدون انقطاع الى مار بطرس

الرسول اولهم الذي تقلد الحبرية من المسيح الرب نفسه : قال المؤرخ المذكور في مباحثهِ العلمية المدققة على سيرة اينوشنسيوس الثالث : ان اصل هذه الولاية السرية واتساعها ياتيان في العالم باسنى المشاهد التاريخية واعجبها : (انتهى) وان سالت ما يدهشه في هذه الولاية السرية قلت هو نفس ما ينكرهُ صاحبنا مؤرخ الاصلاح اي تلك الخلافة المتصلة الجارية في ما بين جميع دوائر الامور الدنيوية ثم قال : التفت الى ما وراك واصعد الى الازمنة السالفة وانظر كيف ان رسم البابا وية لبث بعد اندراس جميع الترتيبات والرسومات في اوربا وكيف ان البابا وية قد استمرت وحدها بدون غيار وهي في وسط تغيرات وتقلابات السلطة البشرية وهل من يتعجب من ان كثيرين يعتبرونها بمنزلة صخر وطيد الاركان قائم لا يتزعزع تجاه زوابع الزمان وزماجرهِ . (انتهى) فهذه خلاصة المباحث المدققة التي اجراها في التاريخ مؤرخ شهير حاذق من مؤرخي الابروتستنت

فهل للريب حقيقة او ظل حقيقة في هذه الخلافة التي ينكرها مؤرخنا البيروني : لا لعمري بل انها خلافة راهنة اكيدة ظاهرة بين تقلبات الازمان ودوائر الايام . فيقينًا لو كان صاحبنا مؤرخًا مدققًا نحرًا كالمؤرخ الالماني المذكور لكان يصادف بدل الارتياب والشك في الخلافة الرسولية ما يحمله على الدهشة والانذهال من ثبات هذه السلسلة المبتدئة من مار بطرس زعيم الرسل الى بيوس التاسع. ولم يكن الدرس الجهيد الذي مارسه مؤرخ سيرة اينوشنسيوس الثالث عقيمًا من الفائدة بل قد افاده اثمار الهدى والخلاص لان هذه الحقيقة قد عملت في ذهنهِ عمل الاقناع وساعدته النعمة الالهية ففتح عيني

بصيرته وشاهد نور الحق الساطع وبادر هو وعائلته الى جحد الضلال والاعتصام بالدين الكاثوليكي . فلو كان لصاحبنا عزم لاتباعه هذه الدروس المدققة لرجونا بان النعمة الالهية تساعده فيفتح هو عينه ايضًا ويقلع عن اضاليله ويبادر في دوره الى تأييد الحق ونصره

فلا ريب ان شهادة هذا المؤرخ الالماني قاطعة مفحمة ومفيدة من ضلّ نورًا وهدًى وليست باقل منها صدقًا وسدادًا شهادة مؤرخ اخر من مشاهير المؤرخين الابروتستنت بنفس هذه الخلافة الرسولية وهو توما ماكولاي من بريطانيا اي انكلترا . وقد علم جميع الملأ ما كان لمقالته السديد من التاثير الشديد عند ما ظهر في جريدة رافي ديدمبورج فلما امعن النظر والفكر المؤرخ الابروتستنتي المذكور في الخلافة الرسولية وتفرس في تلك السلسلة الذهبية المتواصلة بالباباوات الصاعدة من البابا المالك في زمانه والمنتهية بدون انقطاع الى مار بطرس امام الرسل قد اندهش اندهاشًا من هذا الحادث العجيب عبر عنه بهذه الالفاظ قائلاً : لم يوجد ولن يوجد ابدًا في العالم باسره حادث من الحوادث يستحق الذكر مثله (اي مثل الخلافة الرسولية) فما من رسم من الرسومات الباقية الى الان تودي الفكر الى تلك الازمنة التي كان فيها دخان المحرقات يصعد من البنتاون (هيكل الالهة في رومية) بينما كانت النمورة والاسد تزئر في المرسح . على ان اقدم العترات الملوكية تستبين قدميتها يومًا واحدًا بالنسبة الى سلسلة الخلافة من الاحبار الصاعدة بدون انقطاع من البابا الذي مسح نابوليون الاول في القرن التاسع العشر الى البابا الذي مسح باينوس في القرن الثامن غير ان هذه السلسلة الرسولية الجليلة تصعد الى

اعلى من ذلك ونتوارى في ليل الاعصار القاصية (انتهى)

فهل بقي من ريب في دماغ صاحبنا مؤلف النشرة الاسبوعية بصحة الخلافة الرسولية الجارية في الكنيسة الكاثوليكية فيما ان المؤرخ الانكليزي مع شدة عدوانه للدعوى الكاثوليكية على ما وصفه سيرجان غراهام في نادي الشورى الانكليزي شهد بالحق الصراح لواقعة سادت قرارًا وشهرةً في تواريخ العالم باسره

ونعلم يقينًا ان هذا الحادث الشهير اي الخلافة الرسولية لاحبار رومية التي اخذت في القرن التاسع عشر في ذهن المؤرخ الابروتستنتي العاقل ماخذ الاقناع والاندهال واقبلت به الى الكنيسة الكاثوليكية كانت في كل اين وان بمنزلة ترس وحراب للطعن والدفاع في ايدي انصار الدين المسيحي الاولين . وعليه نرى منذ العصر الرسولي ترتوليانوس وايريناوس واوريجانوس يناهضون بمزيد العزم والانتصار اراطقة ايامهم استنادًا على الخلافة الرسولية لاحبار رومية العظام وقد اشتهرت هذه الواقعة اشتهار نار على علم حتى لم يكن احد يخطر له على بال لا في اليقظة ولا في المنام ان يرتاب او يماحك في صحتها : فاسمع ما قاله في هذا الصدد مار اغسطينوس اسقف ايبون الجليل في رسالته ١٦٥ وهو يدحض اراطقة عصره : افتح عينيك وانظر هذه السلالة الطويلة للاحبار والشهداء الذين منذ اربعة قرون تبوأوا خلفًا عن سلف عرش بطرس الرسول واعترفوا بايمان واحد بنفسه وعلموا تعليمًا واحدًا بعينه حتى الحبر انستازيوس . (انتهى) ولما كان مار اوبتاتوس من ميلافيا في افرقا يجادل في نحو ذاك العصر برمايان الارطوقي ابرم خصمه وافحمه باعتماده خاصةً على دعوى

الخلافة الرسولية لاحبار رومية التي لم يكن احد يقدر ان يرتاب بحقيقتها . وطال ما عاند برمانيان وماحك لم يحل اوبتاتوس عن حجته المذكورة المبنية على الخلافة الرسولية والمودية الى النتيجة الجازمة قال في كتابه الثاني في انشقاق الدوناتيين : مهما عملت ومهما حاولت لا يتيسر لك ان تنكران بطرس زعيم الرسل نصب كرسيه في رومية : ثم اخذ بايراد سلسلة الاحبار كما صنع قبله بزمان طويل مار ايريناوس تلميذ مار يوحنا الرسول الحبيب نفسه في كتابه ٣ فصل ٣ ضد الارطقات

فترى ايها الحبيب ان اصحاب ديك في القرن التاسع واباء الكنيسة الاولين لم يخطر لهم على بال شيء من الشك الذي تدعيه في هذه الخلافة الرسولية الجارية في الكنيسة الكاثوليكية لانهم قد اعتنوا في ادراج اسماء المتخلفين واحدًا واحدًا من بطرس الرسول الى الحبر المالك في ايامهم . ولو اعتمدت جنابك كما اشرنا انفًا ولو على قليل من التدقيق في مطالعة التواريخ لزال من ذهنك كل شك في هذه الحقيقة وايقنت ثباتها وصحتها فعليك اذًا بمراجعة كتب التواريخ ان رغبت في صدق المقال واجتناب الخلط والمحال

الفصل السابع والثلاثون

في الخلافة الرسولية واصحاب الانجيل الجديد

ان صاحبنا المؤرخ الابرونستاني في بيروت يدعي انه جاء بشيء اده يطعنه في سلالة خلفاء بطرس وبادعائه وقوع الخلاف على خلافة البابوات الاولين . وهاك عباراته في نشرته الاسبوعية عدد ١١ سنة ١٨٧٦ لم تتفق الرواة الاقدمون والقوانين الرسولية على الثلثة البابوات الاولين واعاد الكرة بمثل هذا القول مرارًا على الخلافة الرسولية . فالظاهر ان مخيلته قد تعربست تعربسًا شديدًا من قبل بعض اثارات تاريخية تنظم مارلينوس في اول سلك الخلفاء لزعيم الرسل ومن بعده ماركلاتوس . وغيرها تزعم ان اول خلفاء بطرس اكليمنضوس فهذا دليل اخر صريح على جهل صاحبنا المذكور في مادة التواريخ وعلى خلل الدعوى التي يقحمنا بها بمزيد السفاهة والتغطرف فلو طالع اقل المطالعة الراهنة المسئلة التي نحن في صددها او لو شاء ان يستفتي مؤرخًا او مؤرخين من المؤرخين الذين استقصوا هذه المسائل لما كان ابدى ما ابداه من العجب والتعجب ولما كنا شاهدنا منه هذه النتائج المضحكة التي يدعي استنتاجها من هذا الخلاف

فرأينا ان نمده قليلاً بالتنوير حتى لا يعود ياتي بمثل هذه المغالطات لاسيما في استخراجه نتائج تنفر من سماعها الاذان لفظاعة خللها وفسادها فعليه ندعوه الى مطالعة تاريخ سيادة هيفله المؤرخ النحرير الشهير بين المؤرخين المحدثين الذي احسن التدقيق والتقصي في هذه المسائل وان سنحت له الفرصة شرنا عليه بمطالعة البولنديست وهو تاريخ

اعمال القديسين طبعة براغ في المحاورة الثالثة لابار فيرى فيو الاب بايبر بروك والاب هنسكانيوس يفسران له علة هذا الخلاف الظاهر فقط والعائد بادني تبصر الى تمام الوفاق . وهاك الواقع

قد سام مار بطرس ثلثة اساقفة ينوبون منابة في سياسة كنيسة رومية في مدات غيبوباته الطويلة في تلك الازمنة فخدمت هذه الاساقفة على التوالي كرسي رومية في حياة بطرس وساسوا الكرسي الرسولي بمنزلة نواب عن هذا الرسول المعظم فكانوا من ثم خلفاء حقيقيين لبطرس في السياسة الرسولية

ولكن لما كانت خلافتهم في مدة حياة بطرس وكانوا نوابًا عنه في غيابه فبعض المؤرخين نظمهم في سلك الخلفاء بناء على تخلفهم لبطرس في حياته وبعضهم عدل عن ذكرهم الى ذكر من تخلفوا له بعد وفاته . فاي مشكل في هذا الخلاف واي خلل في الخلافة من هذا القبيل . لعمري اني لا ارى خللاً الاَّ في مؤرخ يدعي الخلل بمشكل ايسر المشكلات حلاً وباعتراض ايسر الاعتراضات دحضا وتفنيدًا واقول ايضًا ان العجب والخلل في مؤرخ يتجاسر على ايقاع الشبهة بل والنفي ايضًا على حوادث لا ينكرها ولا يرتاب بصحتها من له ادنى المام في التاريخ وبالواقع لم يستند اباء الكنيسة والجدليون على حادث من الحوادث الاولى باوفر اطمئنان واشهر بيان في محاوراتهم من حادث تلك الخلافة الرسولية الجارية بدون انقطاع في خلفاء بطرس الصفا : قال مار اوبتاتوس الميلافي في القرن الرابع للتاريخ المسيحي في دحضه الدوناتيين كتاب ٢ فصل ٢ مهما صنعتم وكيفما اتجهتم لا سبيل لكم ان تنكروا ان بطرس الرسول اقام كرسيه في رومية

حيث جلس الاول بما انه زعيم الرسل (انتهى) ثم اخذ يعدد خلفاء بطرس واحدًا واحدًا الى زمانهِ . وسمعنا مار اغوسطينوس الجليل اسقف ايبون ينادي قائلاً في ايامهِ : افتح عينيك وانظر تلك السلالة الطويلة سلالة البابا وات والشهداء الذين تبوأوا سدة بطرس منذ اربعة قرون واعترفوا بايمان بطرس نفسه وبنفس تعليمهِ الى انستازيوس الحبر (انتهى) ليت شعري هل لكانوا اتوا بمثل هذه الدعوى في محاوراتهم الجهيرة تجاه الاراطقة لو امكن ان يقع ادنى ريب في خلافة الاحبار . فلا حاجة للاسهاب في ايراد البينات القاطعة من كل عصر من اعصار الكنيسة اثباتًا لهذه الحقيقة المعروفة والمقررة ايضًا عند اعداء الكنيسة انفسهم

والعجب من صاحبنا المؤرخ المذكور في انه يرتاب ويرتبك فيما اقر بهِ المسلمون انفسهم ونظموهُ في سلك الحقائق القارة في التاريخ . فليطالع في هذا الصدد ما رواه عبد الرحمان ابن خلدون الحضرمي في كتاب تاريخهِ وقد سمعناه يتكلم في مقدمتهِ فصل ٣٢ كلامًا يعبر عن مزيد الاكرام لبطرس ويعزي اليهِ زعامة الحواريين ويعرف اقامة بطرس كرسيهُ في رومية وتشريفهِ اياه باستشهاده على عهد الملك نيرون من الحوادث المسلم بها والعارية من اثر الشك والشبهة وقد روى علنًا في المحل المدلول عليهِ ان بطرس خلف حقوقه وسلطانه لمن حفت لهم الخلافة على الكرسي العظيم الذي تداولتهُ الخلفاء الى هذا اليوم بحق بطرس نفسه فتامل ايها القاري اللبيب ان صاحب النشرة لا يجد في تاريخهِ اثرًا لخلافة رسولية عرفها واثبتها المسلمون انفسهم لفرط اعتلانها ووضوحها

وما كفاه ايقاعها تحت الريب حتى حسن لديه ان يستخرج نتيجة من خلاف بين المؤرخين لا اشكال فيهِ وذلك لعمر الله غاية في الغرابة . فاسمع ما يقول في نتيجتهِ الواردة في عدد ١١ وجه ٧ من نشرتهِ المذكورة. فالمحتق من هذا جميعه امران اولهما ان بطرس لم يكن اسقف والثاني انه قبل موته لم يعين آكليمنضوس اسقفًا : فعلى من لهُ فهمٌ ان يفهم هذا البرهان وهذهِ النتيجة الغريبة المغائرة كامل اصول المنطق والصواب فليقل لنا حضرته ايتى جاز للبرهن ان ياتي بنتيجةٍ آكيدة ثابتة من مقدمات غير آكيدة

واي حق لك ان تكنر بدون حجة البتة وانت في القرن التاسع عشر ما عرفهُ القوم في القرن الرسولي وخلفهُ لنا بكتابات لا يستطيع احد ان يشتبه بصحتها وصدقها . فافتح كتاب رسومات ترتوليانوس واقرأ منهُ عدد ٣٢ فانهُ يقول فيهِ قولاً صريحًا : ان بطرس الرسول سام آكليمنضوس الروماني اسقفًا (انتهى) وصاحبنا مؤرخ الاصلاح لا يستحي ان يكتب في نشرتهِ خلاف ما كتبهُ هذا الاب الرسولي المجاور الرسل الاطهار ومداينهم والحاصل قد شهد الملاء باسره وايقن كل لبيبٍ ان نشرتكم هذهِ الاسبوعية التي تودعون بطون صفحاتها مثل هذهِ الروايات والدعاوي ما هيَ الاَّ ناقلة اغلاطًا وخلط وحمالة آكاذيب وشط جل عن الاتيان بمثلها من لهُ ولو قدر ذرة من ناموس العلم ولكنت عفت التشاغل في ردها لولا ماستها تقليدات الكنيسة الكاثوليكية الراسية ومراعاة حرمة الصدق والحق بهتك حرمة تاريخكم الحاوي مثل هذهِ الخزعبلات

الفصل الثامن والثلاثون

في الخلافة الرسولية واصحاب الانجيل الجديد

فما قولك الان في صاحبنا المؤرخ الابرونستاني البيروتي وفي مباحثتهِ التاريخية عن الخلافة الرسولية على الكرسي الانطاكي : تراه هذه المرة يلبس شعار العلماء ويقول لنا في نشرتهِ عدد ٨ : ان تاودوراتوس ومار يوحنا فم الذهب ومار اثناسيوس قد اختلفوا رواية على اول من خلف بطرس على كرسي انطاكية اذ قال بعضهم افوديوس وقال غيرهم ماراغناتيوس : ثم وروى عن اوزابيوس ان افيديوس اول من اقيم اسقفاً على انطاكية وخلفهُ مار اغناتيوس : ومن ثم قد انتهى امره بالاستنتاج ان التاريخ في هذه الخلافة مشوش مرتبك متناقض

اما نحن فنقول لهُ : مهلاً ياصاح ليس كل ما تراه سيئاً فهو سيٌّ لا تشوش ولا ارتباك ولا تناقض في التاريخ بل في دماغك وعقلك . وفي كل ما تدعيه ونقول عن الخلافة الرسولية .

فنظرًا الى سلسلة الاساقفة الذين تخلفوا لبطرس على الكرسي الانطاكي قد استوفت اية العلماء منذ زمن مديد تمام البحث والتدقيق في هذه المسئلة وحررتها فمنهم من رويت اقوالهم في الفصل الماضي حيث كان الكلام في سلسلة الخلافة على كرسي رومية وادعوك هنا خاصةً ان شئت الوقوف على هذه المسئلة الى مطالعة الجزء الرابع من كتاب البولانديست على شهر تموز في سيرة القديسين فترى فيهِ مباحثة علية محررة في خلفاء مار بطرس على كرسيّ انطاكية . ومناقشةً وافية على روايات الاباء الذين تستشهدهم هنا واحدةً فواحدةً . لا تشوش

في الاخبار ولا مناقضة ولا ظلها بل بيانًا حاسمًا لكل اشكال واعتراض كالبيان الصريح الذي اوردناه في صدد الخلافة على كرسي رومية اي ان بطرس عليهِ السلام سام كلا الاسقفين لكي يخلفاه اولاً بمنزلة نائبين لهُ على كرسي انطاكية مدة غيابهِ ولكن لما توفي افوديوس في حياة بطرس وهو ضابط زمام هذا الكرسيّ الانطاكي اعزى بعض المؤرخين الخلافة لمار اغناتيوس دون غيره اعتبارًا لتوليهِ كرسي انطاكية ليس فقط بعد ما تركهُ بطرس بل زمانًا طويلاً بعد وفاتهِ. وقد صرَّح بذلك المؤرخ اليوناني نيسوفوروس كاليست في تاريخهِ ك ٢ راس ٣٥

وليس في ما مرَّ الى الان من اقوال صاحبنا المؤرخ الابر وتسعاني كفاتهُ في الذكاء والظرافة بل قد اتانا بما كان اظرف واحلى وازكى من قولهِ في نشرتهِ عد ٧ : ان كنيسة افسس وباقي الكنائس التي اسسها البشر (الرسل) في كل موضع هي تحت خطر السقوط ايضًا وهذا لا يناقض كون ابواب الجحيم لا تقوى على كنيسة المسيح لان هذا الواعد اعطي للكنيسة التي بناها المسيح لا البشر الخ (انتهى)

فهذا بالحقيقة تشويش وخلط في دماغ المؤرخ على الخلافة الرسولية في كنيسة يسوع المسيح

فاي متى استلزم باصاح اثبات الخلافة الرسولية معرفة من تخلفوا على الكراسي المختلفة التي اشادها الرسل. لعمري ان مار ايريناوس المتفقه في مدرسة مار يوحنا الرسول عن يد القديس بوليكربوس قد افادنا خلاف هذا الزعم بالتمام. فكان يعرف الكنائس التي اشادها باقي الرسل وقد اتى بذكرها صريحًا. وان شئت ان تقف

على كيفية اثباته وبيانه للخلافة الرسولية طالع ما ورد من قوله في كتابه الثالث راس ٣ ضد الارطقات فانه يسهب المقال في هذه المسئلة الكلية ومن جملة ما قاله في صددها : حيث يطول الكلام طولاً يفوت الحد في البحث عن خلافة باقي الكنائس ... فالايمان والتقليد المنتقلان الينا في كنيسة رومية بخلافة غير منقطعة يأتياننا بهذه الواسطة . ثم اردف قوله بقوله : وبهذه الواسطة تتقوى على دحض وخزي جميع من يطلبون التعليم والخلاص خارجاً عن هذه الخلافة (انتهى نصاً) اسمعت ياصاح قول هذا القديس او صممت اذنيك عن سماعهِ افهمته او اقتم ذهنك عن ادراكهِ . فكيف ما شئت ان تكون اصمّ او أكمه فقد دحضك وخزاك هذا القديس الرسولي وفند انجيلك وتعليمك المحالي على الخلافة الرسولية الذي اتيتنا به تبثه في سوريا بواسطة نشرتك الوخيمة : ثم اخذ هذا الاب القديس بايراد سلالة خلفاء بطرس الذين تخلفوا له على سدة رومية

فهذه هي اذاً القاعدة التي جروا عليها منذ ايام الرسل للاطلاع على الخلافة الرسولية في بيعة الله واثباتها . وقد همني ايرادها هنا وترسيخها في ذهن ابناء كنيسة الحق في سورية لاحتوائها شجباً قاطعاً ودحضاً جازماً للمذهب الابروتستاني ولكل ارطقة تدعي بان تعلم تعليماً خارجاً ومخالفاً للتعليم الذي علمته الكنيسة كما قال مار ايريناوس بواسطة الخلافة الرسولية على كرسي رومية فانه يفيد ابن الكنيسة الحقيقية حجة اقطع من السيف البتار لم يتمكن من اتقائها لوتاروس ولا غيره من الاراطقة والمخالفين

وبالواقع اذا صحّ كما صح يقيناً ان يسوع المسيح اقام كنيسةً وكلفها

التعليم وتوزيع الاسرار فلا بدَّ من ان هذه الكنيسة المدعية بالنصرانية تثبت اثباتًا قاطعًا كل شبهة انها تقلدت زمام السلطان من الرسل كسفير دولة يعلن رقيم تنصبه في مقام السفارة وكوريث يثبت حقه على تركة مورثه . والحال هذا ما تثبته بالحصر كنيسة رومية وما من كنيسة دونها تستطيع على هذا الاثبات . لانها تصعد من بيوس التاسع المالك سعيدًا وتتدرج في مصاعد الماضيات الى ان تبلغ الى بطرس عليهِ السلام وتدلنا على باقي الكراسي الاسقفية المتصبة حول هذا الكرسي والمستمدة منهُ النور والحيوة . ونقرر لجميع هولاء الاساقفة بدون استثناء البتة البنوة الصحيحة التي تعين لها مقاماتها وحقوقها . وكل من لا يستطيع ان يثبت تقلده زمام السلطان من الرسل الكرام كان متطفلاً ومتعديًا في ادعائهِ لنفسهِ مقام الرعاية ووظائفها وخدمته فيها غصب نفاقي . وان الاله المخلص نفسه على ما ورد في رسالة بولس الى العبرانيين ٥ عدد ٤ قد التزم ان يتقلد الرسالة من ابيهِ الازلي وقلدها لرسلهِ وما زالت الاباء القديسون يقاومون دعاوي المجددين بوجوب انتقال السلطان الرسولي للكنيسة الكاثوليكية المالكته بحق الخلافة . وان ذلك سلالة سرية لكنها منظورة تعصم جميع الكهنة الكاثوليك بالكرسي البطرسي وبواسطتهِ بالرسل والمسيح الرب نفسه

سل الان رسول الانجيل الجديد هل لهُ شيءٌ من هذه الخلافة والسلالة الرسولية سل صاحبنا المؤرخ البيروتي صاحب النشرة الاسبوعية الذي لا يزال يخبط خبط عشواء في روايتهِ عن الخلافة الرسولية من قلده مامورية رعاية النفوس . وان ادعى انه خادم الانجيل لزمه ان ياتي بحجة توليه على هذه الخدمة . فان قال انه تولاها عن

لوتاروس صاحب الاصلاح الابروتستاني بالخلافة له سلمنا له بهذه الخلافة انما لا نستكفي بالوقوف على هذه الطريق بل لابد لنا من التقدم الى ما قدام ونسألة من اعطى لوتاروس مامورية خدمة الانجيل . نعم قد تقلدها من مار بطرس الرسول لما كان كاهنًا كاثوليكيًا مساما سيامة شرعية من يد اسقف تقلد ماموريته من خليفة بطرس ولكن سلة من قلده الرسالة الانجيلية بما انه مصلح ومن اذنه ان ينادي بانجيل اخر. فلا شك انك تراه مرتبكًا وعاجزًا عن بيان رسالتهِ . بل محشورًا مدحورًا لا يجد له سندًا ولا ملجاء بل ربما يستند الى شهادة الدوكتوراتو التي لربما اوتيها لكنه لم يوثق معها بالسلطة الرسولية على الكرازة بتعليم الكنيسة بل تانيه هذه الشهادة بمامورية شرعية في التبشير بالتعليم الجديد كما تأتي شهادة الدوكتوراتو التي يعطونها في كلية الابروتستانت في بيروت بالسلطان في بث تعاليم لا يوصف فسادها وكذبها مقاومة لكنيسة يسوع المسيح الحق في سورية

الفصل التاسع والثلاثون

في سيامة مار اكليمنضوس البابا من يد مار بطرس ورسالته الاولى الى اهل قورنتية

كلّ ما فنّد بشيرنا اضاليل المؤرخ البروتستاني المتفاقة بالفظاعة رأينا المؤرخ يصرّ على الصمت عن المادة المسوقة للجدال عادلاً عنها بالحديث والطعن الى غيرها حيث يعلم سلفًا ان ليس له في الحاضر مقاوم يقاومه ولا خصم يخاصمه . ومن المعلوم ان هذا دأب

المجانين الانذال لان من يركن لصحة دعواه يقم في الدفاع عنها قيام الاشداء الاباسل ويناضل باحسن ما يستطيع عن مسئلة يطرحها في ساحة المحاورة والانتقاد

فقد شاهدناه واقعًا بمضادة احد الاباء الرسوليين في مسئلة تاريخية بسيطة لكنها كبيرة الاهمية وقع النفي التام لما رواه العلامة الجليل ترتوليانوس قائلاً في نشرته (عدد ١١ لسنة ١٨٧٦) : من المأكد ان بطرس قبل موته لم يعين اكليمنضوس اسقفًا وما سواه : فيما ان ترتوليانوس يقول (في كتابه عن الاستحقاق عدد ٣٢) : ان كنيسة رومية تبين لنا ان القديس بطرس سام مار آكليمنضوس اسقفًا : وكنا نشتهي ان نسمع ما عند صاحبنا هذا مؤرخ الاصلاح الابروتستاني من الرد على هذه البينة المفحمة في ما يتعلق بالمسائل التاريخية فضلاً عن باقي الحجج القاطعة الواردة في اثبات خلافة خلفاء بطرس . على ان من ادعى لنفسهِ الافضلية في معرفة الحوادث التاريخية بعد كرور ثمانية عشر قرنًا من الزمان على شهود دانوا الرسل زمانًا وعاشوا في نفس المكان الذي وقع فيهِ الحادث الذي نحن في صدده عدّ كل عاقل دعواه جهلاً وسفاهةً بل حماقةً ومجونًا اما هذا فتراه حسب عادتهِ لا يفوه بكلمة في صدد سيامة مار آكليمنضوس بعد ما انكرها وفندنا انكاره بشهادة العلامة ترتوليانوس وغيره من المؤرخين الاقدمين الصادقين بل كأنهُ عمد على الاخذ بالثار من هذا الانكسار في الاكثار من الكلام والدعاوي المتفاقمة فسادًا وبطلانًا على رسالة من رسائل هذا الحبر القديس تحف الاثار ودرر الاعصار وهي رسالتهُ الاولى الى اهل قورنثية وقد حازت هذه الرسالة عند الاقدمين في عصرها شهرةً وحرمةً

الى حد انهم كانوا يتلونها كرسائل مار بولس الرسول في مجامع المؤمنين . وعليهِ بعد ما اصابتها افة الفقدان كما اصابت غيرها من أول الكتابات مقامًا واعتبارًا قبل اختراع صناعة الطبع وجدوها معلقةً على ذيل الكتاب الشهير المعروف بجامع التوراة الاسكندري ومن المعلوم ان هذا الجامع هو من اقدم نسخ التوراة المكتوبة باليد

اتريد الان ايها القاري اللبيب ان تسمع ما يتحفنا بهِ يدون حياء صاحبنا المؤرخ الابروتستاني من روايات تمجها العقول لفظاعة كذبها في صدد هذه الرسالة الشهيرة عند المدققين المحدثين . افتح نشرته الاسبوعية عدد ٣٠ سنة ١٨٧٦ اترهُ اولاً يزعم زعم من يتكلم بهابة ووقار: ان هذه الرسالة قد اهملت في الغرب منذ اربعة قرون: لعمرك ان من عندهُ ولو قدر ذرة من الالمام بالعلوم المقدسة والتواريخ عند سماعهِ هذا الزعم المحالي يترثى لجهل صاحبهِ وعماه . فاي عاقل اعزى الى الاهمال فقدما فقدته نوائب الزمان من نسخ قليلة لكتب مخطوطة باليد قبل استنباط المطابع كما فقدت في مدة بعض سنوات ملح العلوم الادبية كمصنفات شيشرون في نظام الاحكام الجمهورية وعدة مولفات تضعضعت وهي تحفة بالعلوم التاريخية ثم وجدها بطريق التوفيق والسعد اهل العلم المدققين . فلا حاجة للاسهاب في دحض مثل هذه الدعاوي الفارغة . فلو لم يات صاحبنا المؤرخ بغير هذه الدعوى المضحكة لاستغنينا عن تفنيدها لظهور فسادها لكنها ليست الاَّ هفوة من هفواتهِ الطفيفة بازا ما اورده من الاسباب التي حملت اهل الغرب بزعمهِ على اهمال رسالة ماراكليمضوس المذكورة . فمن يسمع تعليله هنا طاطا راسه حياء وخجلاً عن مورخ بلغ الى هذا الحد من الجهل في اول

المسائل التاريخية ومن المخادعة والمكر في اضلال قراء اساطيره.

فاسمع قوله وتعليله في ما يدعيه من اهمال اهل الغرب رسالة مار آكليمنضوس الاولى لاهل قورنثية

قال: لان الاكليروس الروماني الذي شرع منذ ذاك في ادعاء الرياسة لنفسه لم يكن يجد في تلك الرسالة ما يايد دعواه .... ولكيما يتهيا له دفع هذا الاعتراض اهمل ذكر هذه الرسالة التي كادت تهلك (انتهى)

قلنا ان تعليله هذا اثبات قاطع على ان جنابه لم يطالع قط رسالة مار آكليمنضوس ولا يعلم ما فحواها ولا ما موضوعها

ليت شعري هل من دليل اوضح وحجة اسد لرياسة مار بطرس مع كامل متعلقاتها من نفس وجود هذه الرسالة لا لعمري بل انها وقعت في اذهان العلماء الحقيقيين والابروتستنت انفسهم في ايامنا موقع اكبر الدلائل والشواهد على هذه الرياسة وذلك لان الكلام في هذه الرسالة واقع على فتن جسيمة ثارت في قسم الكنيسة اي الشرق الذي ما زال في كل آن يرمق بعين الحسد والكدر امتياز الرياسة التي رقي ذراها بطرس المغبوط وكانت اكبر علة لما نندبه الى هذا الحين من الشقاق الموبق (مار ايريناوس ضد الاراطقة ك ٣ فصل ٣ واوسابيوس في تاريخه الكنائسي ك ٣ راس ٣٨) ففي ما بين اليونان في عاصمة قورنتية ثارت فتنة من اشر الفتن والقلاقل وفي الحال بادرت رؤساء هذه الكنيسة الى تسكينها واخمادها بالتجائهم نيابة عن الجميع الى ماري آكليمنضوس الحبر الروماني فكتب لهم الحبر المذكور تلك الرسالة البديعة واخمد بها اوار المشاغب

فهات الان نرى ما في مجرد كتابة هذه الرسالة من البينة السديدة لاثبات الرياسة لمار بطرس فنقول نرى ما كان الداعي لهذه الكنيسة في الشرق لان تبادر بمزيد السرعة والاهتمام الى كنيسة رومية بينما كان لها في ذاك العصر حجج باهظة ومعقولة لتسكين حركة الشعب في قورنتية بسلطة حاكم جليل نافذ الحكم والقضاء ومقيم في الشرق نفسه وهو اقرب لقرنتية من رومية . لان تاريخ هذه الرسالة من رومية اسبق من السنة السبعين للميلاد وشاهده ما ورد فيها من الكلام عن هيكل اورشليم قبل دماره فكانت الرسل وقتئذٍ قد توفوا من هذا العالم الّا الرسول يوحنا التلميذ الحبيب الذي كان هنا في الشرق باقيًا وقتئذٍ في قيد الحيوة ومقيمًا في مدينة افسس بسلطانهِ الجليل المهاب لبقائهِ وحده في قيد الحيوة بعد وفاة باقي الرسل اجمعين فلمَ ياترى لم ترفع اهل قورنتية دعواهم الباهظة لمحكمة مار يوحنا الرسول عوضًا عن ان يلتجئوا لمحكمة رومية . فهذا سوال سالتهُ العلماء المحدثون واجابوا عليهِ بقولهم ان السلطان الاعلى في الكنيسة مقلد من ابن الله لبطرس وخلفائه وان الرسول الحبيب نفسهُ كان خاضعًا لاحكامهِ . وان الكلام الذي فاه بهِ الرب المسيح في قيسارية فيلبس وعلى شاطي بحيرة طبريا معبرًا بهِ عن تفويضهِ ملء السلطان والرياسة لبطرس قد حمل المؤمنين حتى في نفس قورنتية على رفع دعاويهم لا لمار يوحنا الرسول بل لمار آكليمنضوس الحبر الاعظم خليفة بطرس الذي سامهُ اسقفًا وخلف لهُ كامل السلطان الذي نقلدهُ من يسوع المسيح

وصاحبنا المورخ الابروتستاني لم يشبع الى الان من الهذر والخلط حتى اتانا يدعي ان الاكليروس الروماني ادعى الرياسة لنفسهِ بدون

اسناد

لعمر الله انه نقلد رياسة الخالطين وإمامة اللاغطين لا بالادعاء بل بالحق واليقين

الفصل الاربعون

في ديوان التفتيش

قد اتحفنا صاحبنا مؤرخ الاصلاح الاروتستاني هذه المرة لدى تكلمهِ عن الباباوات بنبذة اخرى من تاريخهِ في نشرتهِ الاسبوعية عد ١٦ سنة ١٨٧٦ يتجشم بها اطلاع صبيان سورية على حكمهِ بما سماه ديوان التفتيش

فمن عرف روحه عرف سلفًا ما سيكون حكمه بهذا الديوان الجليل المستهجن بعين كل عدو للكنيسة الحقيقية وليسوع المسيح الرب ونوابه المعظمين في هذا العالم . وان شئت ان تقف ايها القاري اللبيب على اشارة من حكمهِ اسمع ما ورد من اول كلامهِ في صدد هذا الديوان في نشرتهِ المشار اليها : ارسل (اينوشنسيوس الثالث) الى جنوبي فرنسا رسولين لاجراء سلطتهِ التامة في الابرشيات التي تكاثر فيها الالبيجيون والولدبون فعمل هذان كل ما في طاقتهما لانهاض الشعب على الالبيجيين والولدبين الى ان قال : فقتل الشعب احدهما وهو بطرس من كاستلو وكان قاتله جنديًا فقتله في جوار تولوز فاشهره البابا اينوشنسيوس الثالث شهيدًا (٥١) . وبعد ما لفق ما لفقه على وجه الايجاز من اخبار سيرة القديس عبد الاحد تخلص من كلامهِ : ان ديوان

الفحص عن الاراطقة قد نما وانتشر منذ عهده

فلا شك ان هذرًا مثل هذا لا يستحق ان نعتنى الى دحضهِ بل كفى صاحبنا المؤرخ عارًا وخزيًا وحسبنا تفنيدًا لطعنه وهذره ان نساله بان يدلنا على بابا واحد من مائتين وسبعة وخمسين بابا تخلفوا على كرسي بطرس هيج شعبًا على الفتنة او التمرد فليعلم ان الحبر الروماني قائمٌ هنا في الارض مقام ملك السلام الاتي من السماء ليلقي السلام في العالم وقد اترعت بطون التواريخ من ذكر ما اجراه من المسالمة بين الرعايا والملوك ولم يفه قط مؤرخ من المؤرخين الصادقين بما نعته بهِ ملفق تاريخ الاصلاح الابروتستاني في سورية . ومع ذلك ان كل كلامه هنا في نشرتهِ محض هذر وهذيان لاحاجة الى تقطيع الزمان في ردهِ اوفي الالتفات اليهِ . اما نظرًا الى الالبيجيين والفوديين الذين تعصب لهم المؤرخ المسكين شديد التعصب وجعلهم تحت كنف حمايتهِ واتخذهم اجدادًا له بدعواه انهم طائفتان انجيليتان اي جاريتان على تعليم الانجيل مثله فقد سبق تعريفنا اياهم في دحضنا تلك الاضاليل الفظيعة التي رويت عنهم . واننا ننصحهُ ان شاء الوقوف على حقيقة ديوان التفتيش ان يستغني عن الاجترار بهذه الهذيانات المفندة الف مرة بمطالعة مؤلفات المؤرخين اصحاب دينهِ انفسهم الذين استوفوا تمام البحث والتدقيق في هذه المسئلة فلو طالع كتاب ليوبولد رنك المعنون الملوك والشعب وكتاب انريكس لاو كليهما من مشاهير المؤرخين الابروتستانت في المانيا لكان استحى ان يبيعنا في القرن التاسع عشر بضاعة هذه الحكايا القديمة الرثة التي اشرنا اليها اشارة فقط فليس من نيتنا ان نعتني الى دحض هذه القصص الجائرية واحدة

فواحدة لان مجرد ذكرها قد امسى في عصرنا كافيًا لرذلها بعين القارئ اللبيب وادراجها في سفر الخرافات . بل من خاطرنا ان ناتي اولاد سورية بما يفيدهم اطلاعًا على صحة الوقائع التاريخية اذ قلما يهمهم الوقوف على هذه الاضاليل القديمة التي قد استهجن المؤرخون المدققون المحدثون التحدث بها وتركوا ذكرها نسيًا منسيًا انما يهمهم كثيرًا الوقوف على صحة الاخبار عن ديوان التفتيش لينبهوا لهم ان يوقفوا على حدود الاداب والحياء من يصادفونه في سورية من الابروتستانت العتق خالعًا عذار الشرف والناموس وخابطًا في نشر الاكاذيب القديمة افتراء على بيعة يسوع المسيح وناتيه . فعليهِ راينا ان ناتي اولاً بخلاصة الاخبار عن اصل ديوان التفتيش والنهج الذي نهجهُ في اعمالهِ ثم ناتي بالفرق الواقع بين دواوين التفتيش المختلفة . اخيرًا نتكلم في ديوان التفتيش الذي اقامهُ الابروتستانت

في اصل ديوان التفتيش

لا يتيسر تحرير الزمن الذي فيهِ ابتدأ هذا التفتيش على الاراطقة لان اوائله كانت ضعيفة وتقدم تدريجًا الى ان بلغ حدود اتقانهِ وتوقعه . على ان كل ما يمكن ان يقال عن يقين في هذه المسئلة هو ان ديوان التفتيش المعروف بالحصر لم يرسم رسمًا قانونيًا باتًا باحكامهِ وصفاتهِ الّا ببراءة غريغوريوس التاسع المنفذة الى والي اقليم تولوس في ٢٤ نيسان لسنة ١٢٣٥ . ومن الثبوت اثباتًا قطعيًا تامًا ان المفتشين الاولين ولاسيما القديس عبد الاحد لم يقاتلوا الاراطقة الّا باسلحة الدعاء والوداعة والصبر والتعليم

واعتبر ايها القارئ ان التفتيش على الاراطقة قد جرى ولا يزال

جارياً في الكنيسة . لان الكنيسة عامود الحق واساسه على ما وصفها بهِ الرسول المعظم فقد تخولت من يسوع المسيح مامورية المحافظة على سلامة وديعة الحق الذي انزلهُ يسوع المسيح وتلك مامورية عظيمة رهيبة . فلا يسوغ لها قط ان تحابي في الضلال بل تلتزم بكشفهِ للشعوب وباقتصاص اثرهِ متى تحجب وتنكر كما يعرض في غالب الاحيان . فعليها ان تصون الشعوب من دسائس الضلال الدابّ كالاكلة والساري كالسم الذعاف متقصدًا اهلاك النفوس . فكيف ياترى يتيسر للكنيسة قضاء هذه المامورية بدون البحث والاستقصاء اللازم عن الضلال وبدون تقرير الوسائط اللازمة لملافاة مضارهِ

فهاك بالاجمال اصل ديوان التفتيش وجوهرهُ . وان ادعى مدعٍ على رومية بانها غالت في القسوة بما اجرته من الوسائط لمعاقبة اصحاب الاضاليل او للتحذر من شرهم وعرهم سندًا على ما عججت بهِ بعض المؤرخين الاغمار الذين ورد صاحبنا المؤرخ وردهم واستعذب علقم زادهم حولناه بالجواب على مؤرخ من اشهر المؤلفين الاسبانيولين وهو يعقوب بلماس فاسمع ما ورد من كلامهِ في كتابهِ المعنون المذهب الابروتستاني بازاء المذهب الكاثوليكي . وجه ١٨١ قال : ان تصرف رومية في استعمالها ديوان التفتيس هو اقوى حجة للدفاع عن المذهب الكاثوليكي ضد المتعنتين في تهجينهِ بدعواهم انهُ ديوان بربري وسفّاح دماء (انتهى) واثباتًا لقولهِ هذا اورد الجملة الاتية قائلاً فيها : من الامور العجيبة ان ديوان التفتيش في رومية لم يصدر قط حكمًا بالاعدام مع ان الكرسي الرسولي قد جلس عليهِ في ذاك الحين باباوات اوغلوا بالصرامة فيما يتعلق بالسياسة المدنية . وقد نصبت في كامل جهات

اوربا مشانق يعاقب فيها مرتكبو الجنايات الدينية وجرت فيها معاقبات ارعبت الفرائص . اما رومية فجأت مستثناةً من هذا القانون وقد اخطأ من وصفها بمركز الترفض والقسوة . نعم ان البابا وات لم ينادوا بالاباحة كالابروتستانت في امور الدين غير ان الحوادث التاريخية هي اصدق شاهد على البون العظيم الواقع بين البابا وات والابروتستانت اي ان البابا وات مع تسلحهم بديوان عدم الاحتمال لم يهرقوا قطرة واحدة من الدماء بخلاف الفلاسفة الكفرة والابروتستانت فانهم سفكوا غدراناً من دموم البشر . فما الفائدة للمقتول ان يسمع قاتليهِ ينادون على اذانهِ بحرية الدين . فما فائدته من هذا النداء الا زيادة عذابهِ عذاباً بالتهكم والسخرية (انتهى)

الفصل الحادي والاربعون

في الفرق ما بين دواوين التفتيش المختلفة

ان التفتيش عند الكنيسة رسم حميد من ذاتهِ ومحمول على الرفق والحلم ومؤدٍ الى صيانة الدين وملازم لرسوم الكنيسة باسرها . انما لا بد من الفصل بين اصل كل رسم وما طرأ عليهِ من التغيار والانقلاب بحكم الاحتياج و باغراض الناس في تمادي الزمان . فان السلطة المدنية عند ما قبلت هذا الوضع الكنائسي رأت من الواجب تشديدهُ وقايةً لامانيها وتوطيداً لاحكامها ومن ثم لم يكن على الكنيسة من حرج فيما اجراه هذا السلطان من التعنيف والقسوة

ولما كان هذا الديوان منصوباً ليس في رومية فقط بل في اسبانيا

وفرنسا والبرتوغال وفي باقي امصار المسكونة قذفت اعداء الكنيسة غدران الاضاليل والاغلاط على هذه المحكمة الجليلة لخلطهم اعمال الولاة المدنيين باعمال الكنيسة وبناء عليهِ قد اتخذوا السجون والمحارق التي اقامتها بعض الحكام الكاثوليك اصحاب الحمية الدينية والغلو حجة لتهجين الكنيسة وتقريعها بالقسوة والبربرية . ومن المعلوم ان صاحبنا مؤرخ الاصلاح البير وني لم يكن من المقصرين بهذا التعييب والطعن كما سنراه بعد هنيهةٍ. على انهُ اذا اعتبرنا رفق القوانين الجنائية الجارية في عصرنا وقابلناه مع قساوة العصر الماضي لانرى عجبًا في ان اخبارًا عبثت بها يد المبالغة وجمعت في مقام واحد تهيج المطالع الى اشد الانبغات والتهجين بمحكمة كنيسة يسوع المسيح الحق السائد فيها كل حين روح الحلم والوداعة . فحسبنا جوابًا واحدًا موجزًا لتبديد غياهب جميع هذه الاضاليل ومحقها . انما لا نغفل عن ان ديوان التفتيش المقام في غير رومية كفي اسبانيا قد اقيم بامر الملوك لا بامر البابوات ومن ثم كان ديوانًا ملوكيًا لا باباويًا وبالتالي لاعهدة على الكنيسة والبابا في ما صدر عنهُ من سوء الاحكام والاعمال . لان الكنيسة والبابوات قد انكروها واستعملوا كامل سلطانهم في منع الولاة من التعنيف والقسوة التي كانوا يجرونها في هذه المحاكم فلم ياخذوا بيدهم في مثل هذه الاعمال ولم يجاروهم عليها . وعندنا التاريخ اصدق شاهد في ذلك . فان المؤرخ الشهير سيادة المطران كفلاه قد قرر قضيتين ايضاحًا لهذه الحقيقة في كتابتهِ سيرة الكردينال كزيمانِس وجه ٣٨٤ بقولهِ : اولًا ان البابوات قد بذلوا غاية جهدهم في منع الملوك من اقامة ديوان التفتيش السياسي في اسبانيا ثم عملوا كل ما في وسعهم لتلطيف قسوته

وقد صادق على جوهر هذه الرواية المؤرخان الابروتستانيان الواردة شهادتهما اعلاه وهما انريكوس لاو وليوبلد رنك

فقد سقط اذًا وذهب هبًا منثورًا تجاه حكم التاريخ هذا الواضح السديد ما كدسه صاحب النشرة الاسبوعية من الاخبار عن اعمال دواوين التفتيش الخصوصية في نشرته ١٧ و١٨ الماخوذ اكثرها عن رواية شيلاب فنلمبرج وما لفقه ايضًا في العدد ١٩ حيث قال: ان محكمة التفتيش قد ترتبت بتواطئ السلطانين . اما نحن فنعلم ان هذا التواطئ كان من قبل الكنيسة سعيًا جهيدًا في تبطيل هذا الديوان الملوكي من اسبانيا وخلافها كما شهد السيد كنفلاه وبتخفيف قسوة احكامه واجرآته لا باشتراكها في المنكرات التي يعزونها الى باقي المحاكم. وعندنا ايضًا دليل عمل يسد فاه من ادعى ان يعزي للكنيسة ما ارتكبته بعض محاكم في اسبانيا وفرنسا من القسوة والتعنيف . وهو ان الاشخاص المحاكمين او المطلوبين للمحاكمة في دواوين اسبانيا وفرنسا كانوا يهمون بالفرار من حكم هذه الدواوين بانتزاحهم من ارض اسبانيا وفرنسا الى رومية

فهل لمن يدعي ان رومية كانت مركزًا للقسوة والغلو الديني رد على هذا البرهان . فمن الماكد العاري من كل ريب ان الدعاوي المرفوعة من ديوان اسبانيا الى رومية لا يحصيها عدٌّ في مدة الخمسين سنة حيث اقيمت هذه المحكمة . ومن الماكد ايضًا ان رومية لم تزل منعطفة الى الرأفة والحلم في احكامها ومن الممتنع ان يوتى بذكر واحد من المجرمين في ذاك العصر استجار برومية ولم تجره وتحسن امره . على ان الطريقة التي نهجتها رومية في هذا الديوان لم يجروا عليها في باقي

الامصار ولهذا قد راينا الباباوات يقبلون في محكمتهم الدعاوي المرفوعة اليها ويعاملون بالحلم والرفق من حكم عليهم حكمًا باتًا بالقهر والتعنيف في اسبانيا وخلافها

ولم يكن المدعى عليهم يلتجئون دائمًا الى رومية طلبًا للانصاف من ظالميهم بل لتيقنهم بانهم يصادفون هناك صفحًا عن ذنوبهم . وشاهده وفرة المستجيرين بها من الاسبانيول الذين ثبت عليهم في رومية دعوى الكفر بالدين المسيحي والتورط في المذهب اليهودي . ولم يكن عددهم اقل من مائتين وخمسين نفرًا كل دفعة ولم يذكر مع ذلك ان واحدًا منهم حكم عليهم بالاعدام بل فرض عليهم بعض اعمال للتوبة ثم حُلوا من ذنوبهم واطلق سبيلهم بدون ان تلحقهم سمة انعار فهذا ما كان جاريًا في رومية سنة ١٤٩٨ وهو بيان جلي لفساد نية بعض المؤرخين الاراطقة الحاذي صاحبنا المؤرخ البيروتي حذوهم اذ يزينون لاذهان قرأي ملفقاتهم الحكم الكاذب باعزائهم الى الكنيسة والباباوات ما جرى من القسوة في دواوين التفتيش المقامة في اسبانيا وفرنسا وغيرهما على اننا ولو اصبنا بذمنا هذه القسوة المفرطة التي كانت تجريها الدواوين المذكورة لا بد لنا مع ذلك مراعاة لحق العدل والانصاف ان نبين على مَن من المجرمين قد اجرتها فنقول : ان ديوان التفتيش قد ابتدأ عمله بالاراطقة المانيين اي بتلك الشيعة التي ابدت اصحابها في كل آن الاسجاس والقلاقل وعوقبوا لاجلها اشد عقاب حتى في عصر القياصرة الرومانيين حيث عوملوا شر معاملة . فان القيصرين ديوكليسيانوس ومكسيميان سنة ٢٩٦ للتجسد قد حكما بعقابات مختلفة على المانيين الذين لا يجحدون عقائدهم وبعذاب النار على ائمة بدعتهم

فقد عُد هولاء المبتدعون من كبار الاشرار وحُسب قصاصهم من الزم الامور صيانةً للدين بل حفظاً لاداب الالفة ونظامها وكان هذا من جملة الاسباب الداعية الى اعمال القسوة التي جرى عليها ديوان التفتيش في اواخر عصره

وزد عليهِ ما اثارت فيما بعد من الاسجاس والقلاقل اصحاب البدع المختلفة الاسماء التي ظهرت في القرن الحادي عشر والثالث عشر فترى اسباباً داعية افضت بارباب الاحكام الى ارتكاب اعمال قسوة بربرية يصعب تصديقها في عصرنا الحاضر

الفصل الثاني والاربعون

في ديوان التفتيش الابروتستاني

قد بلغنا الآن في سياق المقال الى ديوان التفتيش الذي اقامته جماعات الابروتستانت . فاخذنا التاريخ الصادق وحده مرشدنا ودليلنا في هذه المقالة راوين شهادته على حقيقتها تماماً لكي يتيسر للقاري عند الاقتضاء مراجعتها في محالها وتحقيقها . وحفظاً لنظام المقال اننا ناتي بالكلام

اولاً . في ديوان التفتيش اللوتراني

ثانياً . في ديوان التفتيش الكلويني

ثالثاً . في ديوان التفتيش الانكليكاني

فعلى القاري بعد ذلك ان يستنتج ما يُؤذَن لهُ استنتاجه و يشهد بمقتضى رؤيتهِ لمن يراه سائداً بروح الحلم والرفق والوداعة او على من

هل بالتعنيف والقسوة البربرية التي كثيرًا ما يعزونها الابروتستانت الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . فحسبنا ضبطًا للحكم بديوان التفتيش اللوتراني ان نفتح كتاب تواريخ الحرب التي اثارها اللوترانيون على القرويين وجماعة الانابانستيين . فيخبرنا ان اللوترانيين كانوا يذبحونهم بلاشفقة (طالع مؤلفات لوتاروس في خطبه المعروفة بخطب المائدة صفحة ١٩٦)

ثم اســـال عما جرى في مجمع هومبرغ اللوتراني حيث حكم اللوترانيون بقتل كل انابانستي اصرَّ على التمسك بعروة مذهبهِ . ثم اسال عن ديوان التفتيش اللوتراني الذي اقيم في الدانيمرك على عهد الملك خريستيان الثاني تصادف هناك ما يلذك من الاخبار عن روح الحلم والرفق الفريد الذي كان سائدًا في تلك المحاكم

اما نظرًا الى الحرب التي اثارها اللوترانيون على القرويين والانابانستيين فحسبنا ان ناتي ببعض نصوص في هذا الصدد لاننا استوفينا المقال عنها فيما مضى عند كلامنا في تاريخها

فاسمع اولاً ما نادى بهِ علنًا لوتاروس زعيم الاصلاح فلا نأتيك الاَّ بكلامهِ نصًا عن مؤلفاتهِ في خطب المائدة . قال : انا مرتينوس لوتير قد قتلت جميع القرويين لانني قد امرت بقتلهم في الفتنة . فوقع عليَّ دمهم المسفوح لكنني انفضه على الرب الاله الذي امرني ان انطق بهذا الكلام (انتهى)

هذا ما قالهُ لوتيروس لاصدقائهِ المدعوين الى وليمتهِ . وروى عنهُ منسال المؤرخ الابروتستاني في كتابهِ الاول وجه ١٧٥

قال الحكيم : للحمار الحشيش والجلال والسوط وللقرويين التبن

والعلف . وان عاندوا فالعصا والسلاح وهنا حق معاملتهم . نسالة تعالى ان يلهمهم الى الاذعان والاّ لا رحمة . فان لم نُسمعهم قعقعة السلاح ازدادوا شرًّا مائة ضعف (انتهى)

وقال لوتيروس في طعنهِ في برياريا س : فان اعددنا المشانق للصوص والسيف للقتلة فمن الواجب ان نشب النار للاراطقة . (مؤلفات لوتيروس المطبوعة في ويتمبرغ صفحة ١٣٠ (انتهى)

وقد عدَّل احد المؤرخين الابروتستانت عدد الذين قُتلوا في تلك الحرب فجاء مائة الف نسمة . حتى امست الاقاليم العامرة قاعًا صفصفًا واكداس خراب وجثث قتلى (منسال مجلد ١ وجه ١٩١)

وان شئت ان تعرف ما كان حكم اهل ذلك العصر على لوتيروس لما كان ينادي بمزيد الحمية بالقتل على من كانوا يخالفون مذهبه ويدينون غير دينهِ اسال اوسياندر المؤرخ الابروتستاني معاصر لوتيروس فيجيبك : مساكين القرويون فان لوتيروس يتملقهم ويداهنهم طال ما لا يضادون الاّ الاساقفة والاكليروس ولكن لما زمجرت رعود الفتنة وسجرت العصاة ببراءتهِ وتوعدهِ وانصارهِ ابرز حينئذٍ براءةً اخرى نادى فيها بذبح القرويين فذبحوهم كما تذبح الغنم (سنتورية ٦ وجه ١٠٣) الى ان قال المؤرخ المذكور : ولما انتهى من قتلهم جنزهم بتزوجه براهبة . (انتهى)

وقد اشتهر حكم ايرسموس باعمال لوتيروس وهو مؤرخ شديد الميل الى الابروتستانية فكان يقول : عبثًا تحاول تزكية نفسك من التسبب بالفتنة في لاشتراك البربرية ضد القرويين لان رسائلك الموعبة هجوًا وطعنًا تشهد عليك وقد كتبت بلغة العامة فمنها اصل كل

فساد وبجس . (انتهى)

وهذا كافٍ بشان لوتيروس ولا حاجة الى اكثر بيان فيما كان من حكم اهل عصره البروتستانت انفسهم عليه وعلى اعماله بخصوص الذين لم يشاؤا ان يروا رايه ويدينوا دينه . وقد اقرن في ديوان التفتيش هذا الذي اقامهُ شر القسوة بشر التجديف والكفر لانه زعم ان الله جل وعلا الهمهُ الى ارتكاب هذه المنكرات الفظيعة .

وان شئت ان ترى ايها القارئ كيف يحذو البنون حذو ابيهم افتح الكتاب المدروجه فيه اعمال مجمع هومبرغ الذي عقده ابرونستانت المانيا سنة ١٥٣٦ في اليوم السابع من آب ليقرروا فيه ما ينبغي عمله بالانابابتستيين فحكم اكثرهم بوجوب الحكم على المخالفين المصرين بضبط ارزاقهم وبنفيهم وبقتلهم . والاظرف من ذلك انهم يبنون هذا الحكم على كتاب الله العزيز . ولم يتكلفوا عناء كبيرًا ليظفروا باية من اياته الكريمة تصادقهم عليه . بل فتحوا كتاب التوراة وفي الحال وجدوا في سفر اللاويين ص ٢٤ هذه الاية : من يجدف على الله موتًا يموت . فعليه قالوا : ترى اي تجديف شرٌّ من انكار كنيسة يسوع المسيح كما ينكرها الانابابتسيون . اذًا يستوجبون القتل فمن الواجب استئصالهم

وقالوا في المجمع : وربَّ من يعترض علينا بقوله : ان المسيح الرب قد نهى عن قلع الزوان من بين الحنطة فنجيبهُ . ان المسيح قد القى هذا النهي الى خدام الكلمة لا الى الولاة . . . فاذًا ان اصرَّ الانابابتسي على تعليمه فليقتل بالسيف جزاء عناده . (غسنيوس وجه ١٧٦)

الفصل الثالث والاربعون

في ديوان التفتيش اللوتراني في الدنمرك على عهد كريستيان الثاني

قام في الدنمرك سنة ١٥٢٠ ملك حنّاث بيمنو اباد من الشعب دين ابائهِ وسلبه من الكنيسة اوقافها وخفض شان الرياسة البابا وية ومنع الاساقفة من قضاء رسالتهم الالهية وادرجهم مع باقي الاكليروس في سلك اصحاب الوظائف المدنية

وان رمت الوقوف ايها القاري العزيز على ديوان التفتيش الذي رسمهُ هذا الملك الطاغية تنجيحًا لمقاصده وتوصلاً لغايتهِ طالع تاريخ متى شراك (مجلد ٣ وجه ٣٧) فتصادف فيهِ ما يرعب الفرائص من اهوال القسوة البربرية

قال هذا المؤرخ ان الملك قد نصب المشانق لدى عودتهِ من السويج الى الدنمرك في جميع المدن التي اجتازها لاسيما في فتسان مولد القديسة بريجيتا . ولما وصل الى دير نيدال استقبلهُ اهله بمزيد الترحاب والاجلال فكان جزاؤهم منهُ انهُ القى القبض على رئيس الدير والراهبان عند خروجهم من القداس وكتف ايديهم الى ما وراء ظهورهم وطرحهم في النهر . اما الرئيس فقد تيسر لهُ انه قطع رباطه واخذ يحاول النجاة من الغرق بالسباحة فلما رآه الملك كريسيان امر جنده بقتلهِ فحطموا راسه . ثم عمد الى اهلاك افضل افاضل الممالك علمًا وفضلاً وذكاء فالقى القبض عليهم واشخصهم امام لجنة قضاة بعد ما نادى عليهم بالعفو ثم بعث اليهم بجلادين كما اخبر

بعض المؤرخين قبل ان يصدر الحكم عليهم بيشرهم بالقتل وبدون ان يهلوهم وقتًا لتناول الاسرار قتلوهم جهارًا الى اخرهم يوم القي القبض عليهم . هذه اشارة الى اعمال ديوان التفتيش اللاتر باني

ديوان التفتيش الكلوبني في جينيفا

على عهد كلوبن

قد اشتهر كثيرون على علم ما جرى من الفظائع في مدينة جينيفا حينما كان كلوبن يجري في هذه المدينة سطوته ويسفح الدماء . فنصب فيها كلوبن ديوان التفتيش وفي ظله اجرى الدسائس قاصدًا الاستبداد بالاحكام والتسلط . ففرض على جينيفا قانون ايمان تجري عليه وقانون شرع خطه بالدم والنار . فحكم بالقتل على عابد الوثن والمجدف (المراد بعابد الوثن مكرم القديسين) فلا يرى في قوانين شرعه ولا يسمع الاَّ بما عبر عن الحكم بالاعدام على كل من يهين الجلالة الالهية وبالقتل على من يهين الجلالة البشرية . فمن ضرب اباه موتًا يموت . ومن فسق موتًا يموت ومن ارتكب ارطقةً موتًا يموت

وقد بلغ من جور هذا الشرع المريع ان سكان جينيفا قد حرّم عليهم ان يتناولوا من اصناف الاطعمة وكميتها الاَّ ما يعينهُ لهم القانون وان لا يلبسوا بارجلهم الاَّ الاحذية التي تاذنهم بها الشريعة ولا ان تزين النساء رووسهنَّ الاَّ بما يامر بهِ قانون الشرع

وقد ورد في سجلات الدولة بتاريخ ١٢ شباط سنة ١٥٢٨ : ان ثلثة ارفاق من الدباغين قد القوا في السجن وصُوّموا ثلثة ايام على الخبز والماء لاكلهم على الغذاء ثلاثين قرصًا من الحلويات المنهى عن اكلها من الشريعة في ذاك الحين . فعُدَّ عملهم هذا من الجنايات الجسيمة .

هذه اعمال ديوان التفتيش الكلويني . فتامل

ديوان التفتيش الانكليكاني على عهد انريكوس الثامن والملكة اليصابات

وماذا نقول في فرع هذا الديوان الابروتستاني وفي ما اجراه من القسوة المريعة في بلاد دعيت بحق جزيرة القديسين لشدة تمسكها بعروة الدين المسيحي وغزارة خصبها بالقداسة التي بعثت الى الفردوس السموي باجواق لا تحصى من القديسين . فمن يطيق سماع الاخبار عن ديوان التفتيش الذي اقامة فيها الملك واعوانه وما عملوا فيه من القسوة وسفح الدماء ليبيدوا من هذه الجزيرة اثار الدين الكاثوليكي . قال كوبات المؤرخ الابروتستاني الانكليزي . قبل ما قبضت على زمام الاحكام تلك الحكومة سفاحة الدماء يكاد الاَّ يسمع كل عام ثلثة من المجرمين في كل ولاية يقامون للمحاكمة اما في عصر هذه الحكومة فكثيرًا ما حشد في السجون دفعة واحدة اكثر من ستين الفًا . وخلاصة القول ان بلاط انريكوس لم يكن الاَّ مزجرًا للبشر (انتهى)

فاحكم ايها القاري بعد ما وقفت على تاريخ ديوان التفتيش الابروتستاني بما يحق لهولاء القوم الابروتسانت في تكلمهم عن هذا الديوان ان يعزوه من القسوة الى كنيسة يسوع المسيح الحق فيما ان احكامها في كل اين وآن راكزة على اسس الرحمة وجارية مجرى الحلم والرافة

الجزء الرابع

في هدى اهل الاصابة والذكاء من الابروتستانت الى الوحدة الكاثوليكية . في الكنيسة الرومانية في هذه الايام الاخيرة على اثر التفحص والتروي لمذهب لوتاروس وللعقائد الكاثوليكية

قد ابنّا في الكتب الثلثة الماضية جريًا على الاثار التاريخية ما كان ن دعوى الابروتستانت الفارغة بالاصلاح الذي طالما حاولت النشرة الاسبوعية تزيينهُ وبهرجتهُ بعيون صبيان سورية فانصفنا والحمد لله التاريخ الصادق من كامل تفاخرهم الجوني المبني على الافك الفاحش والخداع الفاضح

قال احد مشاهير العلماء المحدثين قولاً حُمل على محمل الصدق واليقين : ان التاريخ قد خط على اطلال صور الدارسة تلبيةً لاوامره تعالى رجاسات العابرات والانذار بالوعيد للمستقبلات (٥١) ونحن يحق لنا ان نقول سندًا على ما رويناه من الاثار الصادقة ان هذا التاريخ نفسه الامين في قضاء فروضهِ سطر في صفحات سجلاته شهودًا صادقين عدلاً شهدوا على الرجاسات التي افاضها في العالم هذا الاصلاح التعيس هلاكًا للشعوب والاجيال المعرقلة بحبائل غشه ومكره . وقد تضمن ايضًا وعيده الرهيب للمستقبل لاسيما لاولئك ارباب العيال المساكين الذين زينت لهم الاجور المنقودة او الموعودة فاسلموا اولادهم بين مخاليب ضلاله وفساده

فقد اشرنا في الكتاب الاول اشارة واضحة الى هذه الرجاسات

والويلات ثمرات الاصلاح جريًا على اقرار المصلحين انفسهم . وابنّا في الكتاب الثاني ما تأتّى للاصلاح بشهادة التاريخ مما يعزيه لنفسه من المنافع والمآثر

وقد اثبتنا في الكتاب الثالث ان ما رشقة الاصلاح من اسهم الطعن والافتراء بكنيسة المسيح الرب ووكيلهِ الجليل في ارضهِ انما يعود فخرًا لكنيسة الحق ولحبرها الاعظم لدى الاطلاع على آثار التاريخ وقيامها بازاء انوار الحقيقة

فوالحالة هذه ما من عجب ان كثيرين من ذوي الاصابة والتعقل في ايامنا قد سأمت نفوسهم اتباع هذا الدين المصلح حال ما تجشموا مطالعة اصلهِ وفرعه . وكل ما تعمقوا في هذه المطالعة الراهنة كشفت عن اذهانهم براقع الوهم والغرور وتضمحلت غياهب الضلال بانوار الحق الساطعة على كل ذهن ولبٍّ مستقيمين طائعين هدى النعمة

اما نور الحق فنفذ اليهم من بابين احدهما باب السآمة والاشمئزاز من الاصلاح ومما يعتمده من طرائق المكر والخداع اخفاءً للحق بتسويدهِ عرض الكنيسة واحبارها العظام افتراءً وافكًا . والاخر باب الاجلال والحب للكنيسة الرومانية كنيسة يسوع المسيح الحقانية الساعية في انتشالهم من ورطات الضلال واقتبالهم ثانيةً في حضنها تخليصًا لنفوسهم

فهذا ما قصدنا نشر طيه في الكتاب الرابع بما انه برهان عملي شأنه ان يوطد ويقرر ما مرّ في الكتب الثلثة السابقة

فعمدنا اذًا كما دل عنوان الكتاب اعلاه الى الكلام بمجرد هدى المهتدين من ازكياء الابروتستانت في ايامنا هذه الى سراط الكنيسة الكاثوليكية . ولاشك ان من ابهج الامور الحالية واعجبها مشاهدة الكنيسة

مستهدفة من كل جهة لشر الاضطهاد والارض مائدة بحركات الفتن والثورات والناس مع ذلك يدخلون دينها افواجًا في نفس الامصار التي ساد فيها مذهب الاصلاح واستتبت بها احكامه

وبالحق قد شوهد في ايامنا خاصة اعلام القوم وغطاريفهم يقبلون على الفور الى الكنيسة الكاثوليكية من المانيا مربع العلماء ومن انكلترا من اعضاء كلية اكسفورد بعد التفحص والتقصي عن الحق والمعتقد الكاثوليكي ومنهم من رقوا المناصب العالية في العالم والكنيسة والمدارس والجندية والقضاوية فتعدوا عنها تلبيةً لحكم ذمتهم داخلين في حضن الكنيسة الكاثوليكية التي لاتأتيهم الّا براحة القلب وبرجاء الحيوة الابدية

فمن المعلوم الواضح ان مثل هذا الهدى هو عبارة عن انتصار الحق مايد النعمة وانخذال ضلال الابروتستانية المرتد الى عرينه مدحورًا يذعورًا

الفصل الاول

في ان الكنيسة على ما قالهُ ترتوليانوس لاتبتغي الّا امرًا واحدًا وهو الّا يُقضى عليها عن جهل وبدون فحص

قد اشرنا في استهلال هذا الكتاب الى هدى اولي الفهم والاصابة من الابروتستانت الى سراط الكنيسة الكاثوليكية وكان حقنا هنا ان نعقب هذه الاشارة بايراد الاخبار الموثوق بصحتها عن هذا الهدى

الّا اننا قد استحسنا قبل ان نخوض ميدان التاريخ ان نطلع القاري على فحوى ما قالهُ علّامة دهرهِ وفهامة عصرهِ الحامي زمار الدين

المسيحي ترتوليانوس الشهير في صدد الكنيسة لعمري انه افصح بقوله عن علة ارتداد مشاهير عصرنا من جماعة الابروتستانت الى حضن الكنيسة الكاثوليكية مولين ظهرهم للمذهب الابروتستاني وعن داعي هذا الانقلاب الخلاصي في اذهان وقلوب من عدوا بين الانام نخبة الفهماء وغرة الفقهاء

ولما كانت هذه العلة المادية مما يلبس الكنيسة وشاح الافتخار ويزين جيدها بعقود الجمال والانتصار ويفضح بطلان ورذالة كنائس الزور والاغرار ككنيسة الابروتستانت وما شاكلها تحتمت علينا معرفتها وترويها وتوجيه بال القاري اليها في راس هذا الكتاب لما نتضمنه من الامور الكبيرة ولما يصدر عنها من النتائج الباهظة فعليه نقول : ان هذه العلة الظاهرة بمعلولاتها في عمل الهدى هي ان الكنيسة الحقيقية بما انها سليلة الحق حسبها ان تُعلن بما هي عليه لا بما يشنعها به اعداؤها لكي تجتذب الى حضنها كل ذي فهم وصواب يطلب الحق بسلامة النية وخلوص الطوية

اما المذهب الابروتستاني وكل كنيسة من كنائس الزور والضلال فحسبهُ ان يظهر بما هو عليه لعين الحاذق المستقيم القلب لكي يعيفه ويوليه ظهره ان كان له عزم كافيًا لاتباع هدى النعمة . وما ذاك الاَّ من سجايا الانسان الطبيعية ومن الشيم المنيفة التي دمجها الخلاق في اعماق النفس . قال القديس اغوسطينوس : ترى باي شيء ترغب النفس اشد رغبةً الاَّ بالحق (٥١) فالكنيسة سليلة الحق بالذات يسوع المسيح اذا ما تبدت لعين المستقيم القلب انعطف اليها غرامًا في الحال وهام في اعتناقها من صميم فؤادهِ

اما المذهب الابروتستاني اذا ما اعلن بما هو عليه فما من شي له

يستميل بهِ اليهِ ذا العقل المستنير والقلب القويم الطالب الحق . ليت شعري ماذا يبقى لهُ اذا ما تجرَّد من كل ما ليس هو لهُ بل يدعيهِ لنفسهِ من باب الزور والبهتان كما ابنا في الكتب المتقدمة . لعمري انه لا يبقى لهُ شيءٌ الا ما دل عليهِ اسمه اي الانكار والرفض (لان لفظة ابروتستان معناها في الاصل الانكار وعدم القبول) وبالتالي نقول : انه لا يبقى لهُ شي بعين الحكيم الحاذق الّا الافاضة بانكار الحق الذي جعلهُ يسوع المسيح الحق بالذات وديعة في كنيسة واحدة واقام نفسه كافلاً لها عند ذهابهِ من هذا العالم ليصونها سالمة كما انشأها حتى مجيئهِ . قال عز وجل هوذا انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر (متى ٢٨ : ٢٠)

وقد افاض العلاَّمة ترتوليانوس بهذا الصدد منذ اوائل النصرانية بمزيد العزم والحماسة واوردنا من كلامهِ يسيرًا ما يتضمن خلاصة هذا المعنى وهو قوله : ان الكنيسة لا تطلب الّا امرًا واحدًا وهو الَّا يُقضى عليها عن جهل وبدون فحص . بل ينبغي ان تعلن بما هي عليهِ حقيقةً لعين من يطلب الحق

وقد اجاد في هذا الصدد بالاقوال الجلية الفصيحة والحجج السديدة القاطعة لسان كل معترض . وبالطبع لم يكن وجود بعد للمذهب الابروتستاني في ايامهِ بل اقتضى كرور قرون عديدة من بعدهِ حتى ولد هذا المسخ نقمةً للعالم وبليةً للشعوب ولكن من طالع اقوال العلاَّمة المذكور ووقف على تفنيدهِ لاضاليل عصرهِ رآه يفند سلفًا المذهب الابروتستاني على ما نشاهدهُ بعيوننا في سورية

ومن كان على ريب في قولنا هذا فليسمع باذنهِ ذاك الصوت نصار الحق وقتال الضلال صوتًا عرَّف بهِ ترتوليانوس تجاه قياصرة رومية

كنيسة يسوع المسيح الحقيقية الوحيدة وصفاتها الجوهرية المميزة تمييزًا جليًا سليلة الحق من سلائل الضلال والافك

ولما كان الحق نصيره في دعوى الاهه وحقوق الحق الثابتة نهض بهمة الابطال في اواخر القرن الثاني تجاه المذهب الوثني وباقي اضاليل عصره ونادى عاليًا يدعو رجال ندوة رومية وجميع اعلام الالفة الرومانية الى ان يتفحصوا وينتقدوا تلك الكنيسة التي اودعها المسيح الرب حقائق دينه لدى ذهابه من هذا العالم

فلا يرهب هذا الفحص ولو مهما غالوا في تدقيقه لانه ضامن صحة دعواه بل اعلن انه يخشى فقط الجهل والطياشة بما انهما آفة الحق ومصابه

قال: افتحوا عيونكم وانظروا الى ما حولكم تروا ان الذين كانوا يبغضوننا فيما مضى لجهلهم ايانا قد كفوا عن معاداتنا لما عرفونا وعرفوا كنيسة الحق وشرعوا منذ ذاك يشنأون ما كانوا يعبدونه ويعبدون ما كانوا يشنأونه . وقد كثر عديدهم حتى اصبحوا رعبة لاعدائهم . يوافون من المدن الكبيرة ومن القرى الصغيرة من القلاع كبارًا وصغارًا من العامة والخاصة داخلين في كنيسة الحق افواجًا . انتهى (ترتوليانوس في محاماته فصل ١)

فلا يرهبهم خسران اموالهم ولا ترعبهم الرزايا المؤلمة ولا الموت الاحمر لانهم يعلمون ان كنيسة للمسيح لا تبتغي هنا راحة ولا نعيمًا بل انما هي بمنزلة غريب انيل يجري في كل اعماله ذكر وطنه العزيز

الى ان قال : بنت السماء ففي السماء عرشها وهناك امالها وعزها ومجدها . فلا تبتغي هنا الا امرًا واحدًا وهو الا يُقضى عليها عن جهل

وبدون فحص . (انتهى)

فمن يا ترى يطالع اقوال هذا العلاّمة ولا يراه في خطوه تاريخ ايامه سطر ايضًا تاريخ زماننا فيما يلحق بالحق من الحب وفيما يصيبه من سهام الكيد والبغضاء

الفصل الثاني

في من اهتدوا في المانيا

ولدت المانيا منذ نيف ثلثة قرون ثورة لوتيروس الدينية وقد اصبحت هي ايضًا منذ نصف قرن مشهد الهدى الشهير في كثير من الانام لاسيما في سلائل الملوك ففرارًا من تشويش الاخبار وحفظًا لنظام سردها رأينا ان نقسم جدول المهتدين الى مصافين (١)

المصاف الاول : يشمل مشاهير الانام من الطبقة الاولى للالفة البشرية الذين منهم من تبوأوا العروش الملوكية ومنهم من دنوا من

---

(١) حاشية : فليعلم القارىء اني التزمت الايجاز وفاء لوعدي السابق في ايراد تفاصيل الاخبار عن من ياتي ذكرهم من الاعلام اذ قد ورد في ذلك اقوال مسهبة واخبار مطولة لاسيما بعد ما استبدت حركة هذا الهدى في البلدان الابروتستانية . فمن رام الوقوف تمامًا على هذه الحوادث عليه بمطالعة كتاب التاريخ لسيادة اسقف رايس وهو اسقف ستربسبورج العلاّمة النحرير الذي حاز حسن الشهرة والامتياز في المجمع الواتيكاني المسكوني وتلقته رعيته لدى عوده من رومية بما لا مزيد عليه من الترحاب والاكرام . فهذا قد الف اخيرًا تاليفًا يحتوي عدة مجلدات اودعها اسماء الانام الاعلام الذين عزوا الكنيسة باهتدائهم الى حضنها واورد فيها بالتفصيل اخبار اهتدائهم واسبابه

معاليها بين اعضاء العترات الضابطة زمام الملك في اوربا

والمصاف الثاني : يحتوي بعضاً من الانام الفقهاء العلماء الذين ذاع ذكرهم وطاب سرهم في هذه الايام الاخيرة

المصاف الاول

فمن جملة الذين اهتدوا من المذهب الابروتستاني الى سراط الحق في الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٨١٧ الدوك دي صكص غوطا من انسباء ملك انكلترة الادنين

ثم البرنس فراداريك اغوسطوس كرلوس ابن الغرندوك دي هاس دَرمِستاد الثالث دخل حضن كنيسة المسيح الرب في تلك الايام

وسنة ١٨١٨ : في ٦ كانون الثاني بعث اليه بيوس السابع حبر الله الجليل المكابد وقتئذٍ عذاب الاسر والسجن على عهد نابوليون الاول برسالة اوعبها عبير حنوه الابوي يهنئه بها على عودهِ السعيد الى دين الحق وحسن قيامه على عهد الوفاء للانجيل الطاهر

وسنة ١٨٢٣ : اهتدى البرنس ادورد دي شمبورج بعل البرنسس بوليانين دي شمبرج المتوفاة

وسنة ١٨٢٦ : الكونت دي اينجنهان لاخو ملك بروسيا ثم الدوك ادولف فراداريك دي مكلمبورج . ثم دي لويزا دي صكصفوتا تركت المذهب الابروتستاني في نحو ذاك العصر ودخلت حظيرة المخلص الالهي

وقد رفض ارطقة الابروتستانت الدوكا انهالت كاتان وزوجته اخت ملك بروسيا في ١٢ كانون الثاني سنة ١٨٢٦ وحذا حذوهما في سبيل الهدى عدة اعلام واشراف من عترتهما

ثم الكونتس فراداريك فيولارين لويزا سلمس باروث ارملة الكونت بورغيفان من سيلازيا رفضت سنة ١٨٢١ المذهب الابروتستاني ودخلت حضن الكنيسة الكاثوليكية في رومية نفسها يوم عيد قلب يسوع الاقدس

وفي شهر شباط لسنة ١٨٣٠ جحدت الارطقة الابروتستانية واعتنقت الدين الكاثوليكي البرنسس كرلوت فراداريك ابنة الغرندوكادي مكلمبورج وهي الامراة الاولى لولي عهد الدانيمرك الذي تبوا فيما بعد عرش هذه المملكة وكان اهتداؤها عبرة البسالة والعزم والثبات

فهذه اشارة فقط الى من اهتدوا من الاعلام المختصين بعترات الملوك ويليها جدول اخر في اسماء من اشتهروا ايضاً بالحسب والنسب وحسن المناقب ولاسيا بسعة معارفهم وذكاء عقولهم

فمن بعد ما اوردنا على وجه الايجاز اسماء البعض من الذين اهتدوا من المصاف الاول راينا ان ناتي بايراد بعض ملحوظات في هدى بعضهم واسبابه

هدى اخي ملك بروسيا الى حضن الكنيسة الكاثوليكية

قد اسلفنا ان اخا ملك بروسيا سليل العترة الضابطة الان زمام الملك قد اهتدى الى حضن الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٨٣٦ وهو يُعرَف بلقب كونت ديغنهام في التاريخ وقد كان نشا وتربى في ارطقة لوتاروس فمن بعد ما درس العلوم وبلغ منها مبلغاً كبيراً ودقق البحث والتقصي في امور الدين عرت ذهنه شكوك باهظة بصحة المذهب

الذي وُلد فيهِ ولما كان ثاقب العقل ذكي الفؤاد لم يبطأ بامداد العون الالهي الى ان بلغ الى معرفة الحق الذي اقامه الله سبحانه في الكنيسة الكاثوليكية كمصباح وهاج يجلي بصيرة كل من لا يصر على تعاميهِ وشاهد بازائهِ في اثار تاريخ الاصلاح علائم الضلال المبين والمين الفاحش

وبالواقع لما طالع مصنفات صاحب الاصلاح ايقن ان لوتاروس نفسهُ كان عارفًا بنفسهِ على يقين انهُ معاند الحق الواضح ومتجند بالسفاهة والعتو كابنٍ عقٍ لمحاربة امهِ تلك الكنيسة الكاثوليكية الحائزة منهُ تعالى الوعد بالعصمة عن الضلال وبالرسوخ على رواسي الحق الوطيد الاركان وقد وجد هذه العقيدة مسطرة في صفحات سجل عترتهِ الملوكية . وقرأ في مؤلفات لوتاروس هذه العبارات المخلدة الذكر المروية عنهُ في خطابهِ للبرنس البرتوس البروسياني: ان كان الله سبحانهُ معصومًا عن الكذب لزم حتمًا ان تكون الكنيسة معصومة عن الضلال . اه

فهل من عجب ان هذا الامير ذا الفكر الثاقب والحكم الصائب يميل ما مال فؤاده القويم ويعروهِ الشك والارتجاج فيما يسمونهُ اليقين اللوتارياني وهو يسمع لوتاروس يقر هذا الاقرار في خطابهِ الى احد اجداده العظام بل يقضي على نفسهِ هذا القضاء المبرم ويذكر عند الهدو والرواق الحجج القاطعة السديدة التي ايد الله بها كنيسته عامود الحق وركنهُ الوطيد كما سماها رسول الامم المعظم . فكان يخطر على بالهِ لدى خمود نيران الاهواء النفسانية في صدره مونة تلك الادلة القاطعة التي يفيض بها علم اللاهوت وقد علمها غيره لما كان معلمًا في الكنيسة الكاثوليكية قبل ما عقها وهجر ربوعها المقدسة

ومن قوله في تكلمه بصدد الكنيسة الكاثوليكية (مؤلفات لوتيروس مجلد ٧و٨) عندهم حجة يعسر منازعتهم عليها وتفنيدها . لا بد من ان يكون عندهم الدين والكنيسة المسيحية فاذا اعمل انا المنادي ضدهم كتلميذ يناقض استاذه حقًّا . ان مواعيد المسيح للكنيسة قد اوهنتني واضنت فوادي وقد عرفت الان اني اخطات . اواه ليتني لم اشرع بعمل ولم انادِ بكلمة . من يستطيع ان يعاصي هذه الكنيسة المحرر في قانون ايمانها : نؤمن بالكنيسة المقدسة المسيحية (١٥) فهل اصرح من هذا الاقرار واجلى منه تعبيرًا وبيانًا وهو صادر بعزم عن صحة العقل ورواته لا لعمري . واغرب من ذلك هو انه قضى حياته كلها يجاهد بدون فائدة لكي يستاصل هذا اليقين الراسخ في ذهنه مذ كان معلمًا لاهوتيًا كاثوليكيًا . ولم يقف عند هذا الاقرار وحده بل افادتنا مؤلفاته عن كثير مثله اوردنا بعضها في كتابنا الاول فاشرنا هنا اشارة فقط الى ما سلفنا شرحه اتلاه لاستحكامه حسن الوقع في صدد هدى الكونت المذكور الداني من عرش الملك

فالحاصل ان هذا الامير قد تنقب ونقّر عن الكنيسة الكاثوليكية وانتقد ذاك الاصلاح التعيس فوجد تلك صحيحة وهذا زائفًا ثم تداركته نعمة الله واقبلت به الى سراط الحق والهدى فاصبح ابن الكنيسة الكاثوليكية وظفر في حضنها براحة القلب وسلامته التي طال ما كدّ وجدّ ليجدها في مذهب الاصلاح ولم يجد لها اثرًا

في هدى الدوك ادلوف فريدريك دي مكلمبورج

فاذا انتهينا من هذه الاعتبارات الاولى رجوت القاري ان يتبعني في

التامل بحركة النعمة ومفعولها في الدوك ادولف دي مكلمبورج .
فقد اظهر هذا الامير منذ صباه ميلاً من نفسهِ الى الديانة الكاثوليكية وتعزز فيهِ هذا الانعطاف بانصبابهِ على مطالعات مصنفات حميدة شانها ان تنورهُ في اثار التواريخ الصادقة

فبلغ من امرهِ انهُ سال اباه ان ياذنه بتغيير دينهِ وباعتناق الديانة الكاثوليكية . فمن المعلوم ان اباه ابى ان ياذنه ولكيما يتسبة هذا القصد لاتباع المذهب الكاثوليكي امرهُ بان يسافر في البلدان واقام عليهِ في السفر مرشدًا كلفه ان يسير بهِ الى المدارس الابروتستانية المختلفة التي في المانيا وقد اوصاه خاصةً بالتيقظ والسهر على الامير الشاب لئلا يخالط الكاثوليك او يطلع مؤلفاتهم

على ان الامير لم يزل مع كل هذه الاحتياطات ثابتًا على عزمهِ وواجدًا في نفس مصنفات الابروتستانت حججًا نقنعهُ بالابتعاد عن تعليمهم

فعرض افكاره على مرشدهِ الذي كان يبذل غاية جهدهِ في دحض ما خالج ذهنهُ من الريب والشبهة في صحة المذهب الابروتستاني الاّ انه لما كان عاقلاً رائقًا كان يتجنب كلام السفاهة والطعن بالكاثوليك ويتحاشى تعريفهم بالترفض والقسوة التي يستبيح كثيرون منهم حتى الآن اعزاءها اليهم من باب الزور والبهتان .

اما المرشد فقد سباه الامير بحذقهِ وذكائهِ ولما ايقن عدم الفائدة من الاحتياطات التي اوصي باجرائها اذنه بقراءة كتب الكاثوليك الاّ انهُ عرّف اباه بطريقة التصرف التي استحسن اتباعها مع ابنهِ . فحينئذٍ اخذ الامير يطالع كتاب العلاّمة بوسواسيوس في بيان تعليم الكنيسة الكاثوليكية واستفاد من هذه المطالعة رشدًا واستنارةً اقرته على اتمام

قصده اقرارًا نهائيًا . وقد وجدوا نسخة من هذا الكتاب الذي طالعهُ الامير واقتبس منهُ اكبر الحجج التي اقبلت بهِ الى سبيل الهدى . اخيرًا طلب من ابيهِ والحّ عليهِ الحاحًا شديدًا حتى يأذنه باتباع المذهب الكاثوليكي طاعةً لامر ذمتهِ فاذنهُ انما بشرط ان يبتعد عن العائلة ويمكث في بلاد غريبة وهناك يكفر بالمذهب الابروتستاني ويعمل ما يشا

فذهب الامير ادولف الى سفيسرة وجحد المذهب الابروتستاني في مدينة جينيفا ثم انطلق الى فريبورج وجعل فيها سكناه وابدى من التقوى والمواظبة على اعمال الدين ما دل على حماسة ايمانه ورسوخه على الهدى . وقد اعجب الناس ايضًا بانسهِ ورقة اخلاقهِ . ولما كان مستمرًا بالتقوى والتدين ويفيد الناس عبرة الفضل والصلاح قد اصبح في حضن الكنيسة ثمرة ناضجة حان قطوفها لدار البقاء فاستولى عليهِ مرض اختطفتهُ فيهِ يد المنية ولهُ من العمر ثلاثون سنة فالمأمول من كرمهِ تعالى انه نقله الى دار السعادة الخالدة ليتوجه بتاج العز والمجد المابد جزاء شهامتهِ وعزة نفسهِ في الازدراء بمجد العالم الفاني واحتمالهِ اعباء البلايا والرزايا تمسكًا بعروة الدين الوثقي ورغبةً في حفظ اكليلهِ الابدي من اخطار الخسران

هدى الدوك انهلت كوتان وزوجتهِ اخت ملك بروسيا

قضى الدوك انهلت كوتان وزوجتهُ ايامًا في باريس سنة ١٨٢٥ وحضرا مرارًا حفلة الطقوس الدينية المختلفة

فالظاهر ان الدوك المذكور كان منذ زمن مديد يهجس في الاهتداء

المذهب اهتداه فعمد الى المذاكرة في امور الدين مع المتفقهين من اكليريكيين وعامة وكان البرتوس دي هازا احد اعيان داره وكاتم اسرار الوزارة ومستشارها جحد المذهب الابروتستاني في ٥ تموز سنة ١٨٣٥ واصبح مذ ذاك نموذج التقوى والهدى والثبات

فحذا الدوكا حذوه في اعتناق الدين الكاثوليكي في باريس في ٢٤ ت ١ من السنة المذكورة عن يد سيادة رئيس الاساقفة واقتفت اثره زوجته الاميرة

فلما عاد الى ولاياته اصدر منشورًا لرعاياه نادى جهارًا فيه على روس الملا بدخوله في حضن الكنيسة الكاثوليكية

هدى الاميرة نوفنبوتال

لا باس من ان نذكر هنا خبر اهتدى الاميرة نوفنبوتال ولو كان هداها اسبق تاريخًا من هدى الدوك انهلت كوتان الّا انه يتضمن تحذيرًا وتعليمًا نافعًا خلاصيًا لمن تورط في ضلال الابروتستانت وشعر بنعمة الله النادبته الى الخروج من الضلال والعود الى سبيل الهدى في حضن الكنيسة الكاتوليكية

فكانت الاميرة المذكورة معدة للاقتران بالامبراطور كرلوس السادس كما لا يخفى فاستفتت جمعية علماء هلمستاد في هل يمكنها باطمئنان ضمير ان تجحد المذهب الابروتستاني مذهبها وتتمسك بعروة المذهب الكاثوليكي

فاجابتها الجمعية بالايجاب وعليه جحدت مذهبها واعتنقت المذهب الكاثوليكي واعترفت مذ ذاك اعترافًا مخلصًا بان الكنيسة

الكاثوليكية لم تزل في كل اين وآن كنيسة الحق

فبناء على حكم هذه الجمعية الوقورة عادت الاميرة الى دين ابائها ودخلت حجر الكنيسة الكاثوليكية حيث صادفت سلام القلب والسعادة

فقد شاهدنا هنا تلك الجمعية الابروتستانية المؤلفة من نطس علماء هذا المذهب الشهيرة بمعارفها الوثيقة في امصار شمالي اوربا تشهد بحقانية المذهب الكاثوليكي . فما قولك ايها القاري بهذه الشهادة . اما هي شهادة جازمة بالقضاء للكاثوليك بحقيقة مذهبهم بناء على الصواب واصول الفلسفة الصحيحة . لعمري ان الحق واحد لايتجزى فكيف يمكن ان يكون بموجب اقرار علماء الابروتستانت مستقرًا في الكنيسة الكاثوليكية وفي المذهب الابروتستاني معًا مع ان المذهب المذكور يتضمن تعليمًا ينافي الدين الكاثوليكي على خط الاستقامة . انما لا عجب من ان يقع في مثل هذه المنافاة الفاحشة مَن تورط في سبل الضلال وقد سمعنا مثل هذا الاقرار من ثم صاحب الاصلاح نفسه فعلى كل حال يروق للناظر ان ينظر كيف قوة الحق تجبر من تهور في مهاوي الضلال والخداع الى ان ياتي بمثل هذه الشهادة تأييدًا لحق الكنيسة الوحيدة كنيسة يسوع المسيح الكاثوليكية الرومانية

في هدى الكونت دي ستولبرج

ولد الكونت فريدريك لاوبلد دي ستولبرج في برانيستاد من اعمال هلستان وكان ابوه وزير ملك الدنمرك فربى ابنه واحسن تربيته فارسله يدرس العلوم في غُتّينق ثم في هال . ولما كان ابنه ذكيًا حاذقًا نجح نجاحًا كبيرًا في درس اللغات القديمة كاللاتينية واليونانية بل

اتقن ايضاً علم اللغات الحديثة كالافرنسية والانكليزية والايطالية ثم اكبّ على درس الفلسفة والفقه وصبا مذ ذاك غراماً الى معرفة الحق فبلغ جانباً عظيماً من المعارف والعلوم وصنف كتباً واشتهر بترجمة قصائد هوماروس وبغيرها من ترجمات كتب علماء اليونان الاقدمين واكسبه حذقه وذكاوه شهرةً عند علماء عصره في اوربا وصداقةً واعزازاً لدى علماء عصره

ثم تولى الكونت دي ستولبرج عدة مناصب جليلة في الاحكام فصار وزيراً مطلق التصرف لدى لوباك في كوبنهاك ثم سفيراً لدولة الدنمرك في برلين ثم رئيس الحكومة في اوتين ثم رسولاً فوق العادة للدوك دي اودلنبرج في روسيا

وكان منذ صباه يفتكر بامور الدين معرباً في مؤلفاته عن هذا الافتكار وعن ازدياده في تمادي حياته

وكانت الثورة الافرنسية في ذاك العصر نفت الى تمالي المانيا جمهوراً من افاضل القوم الذين هجروا اوطانهم تمسكاً بعروة دينهم وصيانةً لحقوق ذمتهم فاصبحت بسالتهم شاهداً مصدقاً لصحة معتقد الكنيسة امهم

فانحاز الكونت دي ستولبرج الى اكارم القوم الذين تلقوا هولاء المنفيين بمزيد الترحاب وشرعوا يسعون في ما يأول لتخفيف اعباء بلاياهم بمزيد الهمة والاجتهاد

واخذ في تلك الاثناء يهتم اخص الاهتمام في امر الدين وفي استقصاء حقائقه بصدق النية وخلوص الطوية الى ان عرض له ان يتعرف بالاميرة غاليتسين الروسية التي اهتدت في ذاك العصر الى الدين

الكاثوليكي اذ انها من بعد ما اقامت مدةً في هاي عاصمة هولندا حيث كان زوجها سفيرًا انطلقت الى مونستر عاصمة فستفالي وهناك اعتنقت الديانة الكاثوليكية الرومانية وكانت ذا عقل رفيع حاذق وتقوى راهنة فوقع لها مع الكونت دي ستولبرج مذاكرات عديدة تارةً في امور الدين وتارةً في مسائل اخر علمية وفلسفية وكانت لها اليد الطولى في مساعدته في مباحثه وفي تبديد الاوهام اللازجة في ذهنه منذ حداثته

فدرس الكونت التوراة وطالع كتب اباء الكنيسة والجدليين واستفاد منها اطلاعًا على القدمية وعلى كامل رهانة التعليم الكاثوليكي الروماني وحداثة المذهب الابروتستاني وخساسته. الّا انه لم يسرع الى جزم الحكم بالاصابة او الخطاء لاحد الفريقين بل لبث يتفحص ويتروى الامور بالخلوص والاستقامة ويسعى اعوامًا عديدةً في الاستعلام والتنور .

ولهذه الغاية اجرى مكاتبةً بينه وبين سيادة انسلموس اسقف بولونيا اللاجئ الى المانيا فعرض له ما اشكل عليه فاجابه الاسقف على اعتراضاته ببرهانات ادرجت في الكتاب السادس من منتخبات مؤلفاته واقتبلها الكونت بمزيد الشكر والمعروف وقرمنذ ذاك على المدى في حضن الكنيسة الكاثوليكية

وما اكثر ما حال دون اهتدائه من الموانع العسيرة كالحياء والخجل ورزء حقوق الشرف وفقد الاموال واحتمال التعيير من عائلته كلها على اقدامه الى عمل خارق العادة من شانه ان يوقف عنده من كان اقل منه شهامةً وباسًا اما الكونت دي ستولبرج فقد وطاء بقدمه كل هذه العرقلات البشرية ولبث سائرًا بعزم شديد في سبيل الهدى حتى

ادركه بعد ما نقب عنهُ وفحصهُ مدة سبع سنوات

فلما خلعه الدوك اولدمبرج من جميع المناصب التي رقاه اليها توجه مع زوجته الى مونستر وهناك جحد كلاهما المذهب الابروتستاني في شهر ايار سنة ١٨٠٠ وقد اعرب برسالتين من رسائلهِ عما اولاهُ المذهب الكاثوليكي من التقوى والتدين بعد اهتدائهِ

قال في احداهما المؤرخة في ١٦ ايار سنة ١٨٠٠ : ان قلبي وجسدي قد هللا فرحاً بالله الحيّ. فقد وجد العصفور وجرًا واليمامة صنعت لها عشًا تضع فيهِ افراخها اما مذابحك يا اله القوات مذابحك يا ملكي والهي انما هي الملاذ المرتاحة الآن فيهِ نفسي بالسلام والفرح : قد فاض قلبي بالسرور المقدس كنهر طمي وحتم ان يكون هيكلاً يتلى فيهِ التسبيح لاله ابرهيم واسحق ويعقوب فجاءت ترن فيهِ بدون انقطاع نغمة التمجيد لله ابي ربنا يسوع المسيح اله البركات والرحمة لانهُ صنع رحمةً معي ومع قرينتي وسيصنعها مع اولادي . فقد نظر برأفتهِ الى رغبة من رغب في ان يعرف الحق رغبة انشأها هو نفسه في فؤادي. واجاب الادعية الحارة التي قدمها لهُ كثيرون من انقياء الانام الافاضل لاجلي . فقشعت عن بصيرتي غشاوة الغباوة بينما كان قلبي يعاند بالمرارة والكره عذوبة المن السموي الذي كان يهديني ه . انتهى

وكتب ايضاً من غنتين في ١٦ آب سنة ١٨٠٠ هذه الرسالة الثانية يقول فيها : لا استطيع ان اعبر لك عن الاحسان العظيم الذي من الله عليّ بهِ وعلى قرينتي صوفيا في ادخالنا حضن كنيستهِ المقدسة . فما زالت هذه السعادة لدينا حديثة . ليت لنا لسان لا يكف ابدًا عن تسبيح الله حتى نبلغ الى دار السعادة الخالدة حيث نسبح الرب سبحًا

جديدًا . فمن الواجب ان هذه السعادة هنا في العالم تنغص بذوق شيء من المرارة التي لا يخلو منها وجودنا في هذه الدنيا . فان جميع اصدقائنا يهربون منا ويتخلون عنا . كنت اشتهي ان اقيم في مونسترلان مركزنا هنا موعب اكدارًا تفوق وصف الواصفين غير انني اعلم بان يتيسر لنا ان نجني ورود الاجور الكثيرة من اشواك هذه المحن الشديدة ولن الذي شاء بخاطره ان يكلل بالشوك يوليني ابدًا على احتمال البلايا بالصبر الجميل . اسالهُ تعالى ان يقمع جموح طبيعتي المتمردة ويحني عنقها تحت نير صليبه المقدس ... الهي ما اكثر ما انعمت به علينا فليكن اسمك مباركًا الى ابد الابدين . انتهى

وهاك ايضًا ما ورد من اوصاف هذا المهتدي الجليل في تاريخ الاعلام : كان الكونت دي ستولبرج شديد الهمة ذكي الفواد سباق غايات في كل ما يشعر بالناموس والبر والعدل حليمًا وديعًا كعجة عنده من اللطف والانس في المعاشرة ما ليس عند غيره كريمًا عزيزًا عند معاشريه لا يتظلم من اهانة تلحقه ولا تقصر يده عن الاحسان والمعروف لم يطق الكذب ولم يأذن قط ان يدنس لسانه بما يخل بالصدق والاستقامة . لم يجرأ احد قط ان يفوه امامه بكلام يثلم سمعة القريب . اما صبره وخلوص طويته وشهامته في قضاء ماموريانه فقد اكسبتاه معزة سكان بلاده اودلمبرج الذين كانوا جميعهم يعتبرونه بمنزلة اب حميم لهم ولما كان غير محتاج لشيء لم يقتض شيئًا لذاته بل كانت الانفة والعفة من شيمه وطباعه

فكان الواجب على ظاهر الحال ان رجلًا تحلى بمثل هذه المناقب الحميدة وزهد بالكرامات والغنى تلبية لامر ذمته ان يكون صادف

من الابروتستانت من عاملوه بالاعتبار او على ما قل بالحلم والاحتمال . فلم يكن شيء هذا من جميعهم بل ان اقدامه هذا اثار عليه في البعض التعجب وفي غيرهم البغضاء والحنق ومنهم الكونت دي سلمتان اخو البرنسس غالاتسين فانه كتب اليه رسالة عبر فيها عن تعجبه واندهاله من انقلابه . اما الكونت دي ستولبرج فقد اجابه برسالة يقول له فيها قولاً صريحاً جليًا : انه نظر المذهب الابروتستاني مقوضاً من اساساته وانه لم يتمكن من تعامي ضياء الكنيسة الكاثوليكية الساطع بقدميتها وبتعليمها .

وكان لافاتر كاتب المانيا الابروتستانية الشهير عشيرًا للكونت وقريبًا من الديانة الكاثوليكية على ما ظهر من قصيدته التي نظمها تقريظًا لمريم العذراء وهو وحده من بين جميع الابروتستانت انصف لدعواه وبيان انه قد استحسن عمله ولو لم يتبسل الى اقتفاء اثره

اما باقي الابروتستانت فقد عاملوه بما لا يوصف من الجفاء والرجز والحنق . والذي عاداه اشد العدوان صديق صباه المستشار فوس الذي كان الكونت انضل عليه باعظم الاحسان العالي اذ رقاه الى هذا المنصب الجليل . اما الكونت فقد اظهر من نفسه في هذه الاثناء عظم الصبر والحكمة ولم يتكلم عن خصمه الكنود الاّ بالشهامة اللائقة بالمسيحي

فهجر الكونت مدينة اوتين بعد اهتدائه واستقر مدة ١١ سنة في مونستر وجوارها ثم اقام في ولاية رافنسبرج ثم في قلعة صندر موهلان في بلاد اسنابروج

وقد عزاه الله سبحانه بهدى جميع اولاده اذ اعتنقوا الديانة الكاثوليكية حاذين حذو والدهم لما بلغوا سن الرشد ولم يبق منهم في

المذهب الابروتستاني الاَّ ابنة انثة من امرأته الاولى وقد اقترنت بالزواج مع الكونت دي ستولبرج ورنيجرورد

ولاحاجة الى القول بان الكونت قد اثبت صحة اهتدائهِ باعمال البر والصلاح في مدة حياته وكان متقنًا رياضات التقوى . فمن بعد رجوعه الى الكنيسة الكاثوليكية اخذ يباشر الاشغال الراهنة وتشاغل خاصةً في امور الدين فترجم الى اللغة الالمانية مولفين من مولفات القديس اغسطينوس في الدين الصحيح وفي اداب الكنيسة المسيحية . واهم ما صنفهُ تاريخ ديانة يسوع المسيح الذي كان اول ظهوره في همبورج سنة ١٨٠٨ ويحتوي خمسة عشر مجلدًا . فوطد هذا التاليف اركان الايمان في الكاثوليك واقبل بكثيرين من الابروتستانت الى صراط الهدى . وقيل ان الامير ادولف دي مكلمبورج قد اهتدى بمطالعة هذا الكتاب وقد ترجم الى اللغة الايطالياوية سنة ١٨٤١ وطبع بمطبعة انتشار الايمان المقدس . اما فوس المستشار فقد صب عليهِ جامات غضبهِ ورجزه في السنة الاخيرة من حياته فطعن بعرضهِ حتى راى الكونت ان لامناص له من ردهِ ودحضهِ الاَّ انهُ قد جاوبهُ بما لامزيد عليهِ من الرواق والاعتدال فقال انهُ متاسف على اضطراره الى تكذيب ما يعزيه اليهِ خصمه من العار والفضيحة ويخشى من ان يظن بهِ انهُ كامن لهُ شيئًا من الحنق والبغضا . اما المرض الذي ادركه وكان اكبر اسبابه ما نالهُ من الغم لاستهدافهِ الى اسهم الطعن والافتراء ممن كان لحد ذاك الحين يدعوه صديقه قد منعهُ من انجاز هذا التاليف الجليل ولكن قد انجزه فيما بعد اخوه ونشره وسماه الدحض الموجز لافتراء المستشار فوس

ونال الكونت دي ستولبرج ميتة صالحة ثمرة حياته البارة ٠ فعرض بتدبير العناية الالهية ان الانبا كِليرمان الذي رقي فيما بعد الى الاسقفية في مدينة موتنستر حضر الى دار الكونت يقضي عنده بعض ايام سنة ١٨١٩ وكان مرشدًا له . فمرض الكونت بعد حضور الانبا المذكور بيومين ودعوا له الطبيب من اوسنابروك وحكم لن دناه فقال خفي الحال طلب الكونت بان يعطى الاسرار الاخيرة فاعطيها ليلاً في الثالث او الرابع من شهر كانون الاول . فلما اتوه بالقربان المقدس اراد يتناوله ساجدًا على ركبتيه فلم يتمكن من السجود بل تمكن من اعطاء الحاضرين عبرة الصلاح وحرارة الايمان وقبل ما توفي بسط يديه باستدعى اليه جميع اولاده وخاطبهم اجمالاً وافرادًا . فاوصاهم بان يصلوا عن الموتى ويثبتوا في الديانة الكاثوليكية و يلازموا على الاتفاق فيما بينهم .. وكثيرًا ما كان حرضهم فيما مضى على الصغر المستشار فوس وكرر عليهم هذه الوصية قبل ما تناول الزاد الاخير ومسحة المرضى . قائلاً لايجوز لنا قط ان نعفي من الالزام المحتوم علينا بالصلوة لاجله . ولم يعد مذ ذالك ياتي بذكر هذا العدو الشرير ولم يهدس الّا بامر الابدية . ولما شعر بجوار قواه طلب ان نتلي عليه صلوات المنازعين فتلاها مرشده وابنته جوليا حذا مرقده واخر ما كان من كلامه هو هذا تبارك ربنا يسوع المسيح واسلم الروح بعد ما فاه بهذا الكلام وكانت وفاته رحمة الله في ٥ كانون الاول سنة ١٨١٩ وله من العمر ٦٩ سنة

الفصل الثالث

في هدى مشاهير العلماء من البروتستانت الى حضن الكنيسة الكاثوليكية

بعد ما انهينا من الكلام في هدى شوات العالم من البروتستانت سلائل الشعراء المتبوأت في الحال عروش الممالك في اوربا اي الدانيات من سلاطها رأينا ان نردف مقالنا بالكلام في هدى علماء الابروتستانت في هذه القرون الاخيرة فلقد ما خلفنا مقادح الدروس حيث قضت هولاء الامام الايام والليال منعكفين على المطالعات والمباحثات العلمية التي اوعت اوربا شهرة ونفعًا ايقنا ان الله سبحانه قد تداركهم براقته الالهية وهم منهمكون في البحث والتنقيب وبعث اليهم من علو سمائه بقبس من انواره استضاءوا به من عند ابي الانوار ونهجوا بعونه تعالى الى ادراك حق الديانة الكاثوليكية ورذل ضلال المذهب الابروتستاني وخساسته. فحينئذٍ نرى اولئك القوم الجهابذة يخرّون على الارض يسدون صميم الحمد والشكر لولي كل خير ونعمة هاتفين من صميم فوادهم مع رسول الامم عندما أُصرع على طريق دمشق: يارب ماذا تريد ان اصنع: فجاءوا من حالة كونهم رسل البغي والضلال اعز الانصار للحق الكاثوليكي

وقد كان هدى الكونت دي ستولبرج الشهير بمنزلة حرف وصل بين مصافي المهتدين الذين اخذنا بالتكلم في صددهم. لان الكونت المذكور بما انه من القوم الاشراف يُعد من المصاف الاول اما علومه ومصنفاته النفيسة فقد جعلت له مقامًا ممتازًا بين ملك

العلماء. فمنه اخذنا بالانتقال الى ذكر من اهتدوا من علماء اوربا البروتستانت مبتدئين من هدى العلامة شارل لويس دي هالر

في هدى العالم النحرير شارل لويس دي هالر

كان شارل لويس دي هالر بطريق برن وعضوًا في مجلس ندوة الملك وسليلاً لاحد المصلحين الاولين في بروسيا وُلد جده البرتوس دي هالر سنة ١٧٠٨ للميلاد وتوفي سنة ١٧٧٧ وحاز في عالم العلم شهرة جهبذ فريد في المعارف يوقر الحقائق الدينية ويحميها من شر الكافرين. وابوه تاوفيلوس عمانوئيل صاحب التاليف المعروف بمكتبة التاريخ السويسراني توفي سنة ١٧٨٦ للمسيح وكثيرًا ما كان ينتصف للكاثوليك في حديثه بين عائلته اذ عرفهم بواسطة المكاتبات العلمية وعزهم وبلغ امره انه كان يصدق عقائدهم في مسائل عديدة

وقد اخذ ابنه عنه هذه الخصال الحميدة ونما عليها وظهرت آثارها السعيدة في رسالة بديعة حررها سنة ١٨٢١ الى عائلته بشان ارتداده حيث قال. ان جمال الهياكل الكاثوليكية قد رقت جوارح نفسي الى المقامات الدينية لكنني قد عفت هزال هياكلنا وعراها الذي اجحف برموز الدين المسيحي الى اخره واشمأزيت من يبوسة عبادتنا. اذ تراءى لي اننا مفتقرون الى شيء ومتغربون عن الدين المسيحي ونحن في بهرة المسيحيين (٥١)

وقد ظهر شارل دي هالر بهذه الاخلاق منذ سنة ١٨٠١ في ويمر في اثناء تقريظ اتحف به لافاتر المؤلف الشهير الالماني الذي كانوا قرفوه بالاستمالة نظيره الى المذهب الكاثوليكي

واردف كلامه بقولهِ في الرسالة المذكورة : اني قد تعرفت في غربتي بكثير من اساقفة الكاثوليك وكهنتهم ولو انهم لم يجروا معي ذكرًا لامور الدين او بالحري لم يسعوا في زعزعة اركان معتقدي عجبت مع ذلك مما لهم من روح المحبة والصبر وطول الاناة في احتمالهم كثرة الاهانات والافتراء ولي ان اقول ايضًا ان انوارهم ومعارفهم الراهنة قد ابهجتني وادهشتني فوقعت لهم في فوادي سريرة حب وانعطاف لا ادركها ولا ادري ما يهزني دائمًا على مصافاتهم ومآخاتهم

وان مطالعتي الكتب في صدد الشركات السرية الفرنماسونية واصحاب الفتن في المانيا هدتني صراط الفة روحية منتشرة على كامل سطح الكرة ... ومع ما نابني من الكره والاستفظاع لهذه الشركات استفدت منها استشعارًا بلزوم الفة دينية تنقضها وتكون مسلطة بالتعليم وحارسة للحق لكيما تكبح جموح التيه والضلال في عقول الافراد . ولم تكن بعد تخطر هذه الالفة في ذهني ولم ادرِ الاَّ بعد زمنٍ مديد انها كائنة في الكنيسة المسيحية العمومية اي الكاثوليكية تستهدف لاسهم الحنق والبغض المرشوقة من ايدي جماعة الكفرة الاوغاد فيما ان جميع اهل الفضل والناموس والدين حتى المخالفينها مذهبًا يجلونها ويكرمونها ويتقربون اليها ميلاً وانعطافًا . انتهى

ولما سافر شارل لويس دسيه هالر الى ويانه عاصمة النمسا مرَّ باحدى مكاتبها فصادف فيها كتيبًا مخصوصًا للشعب يتضمن شرحًا لرتب الكنيسة الكاثوليكية وطقوسها فابتاعه رغبةً في الوقوف على مضمونهِ . وقد اخذه العجب حين طالعه لكثرة ما صادف فيهِ من الامور المفيدة تفقيهًا للعامة ومن معاني جليلة وفوائد خطيرة لعدة اصطلاحات

تجري عليها الكنيسة وتعتقدها الابروتستانت ضروبًا من الخرافات فقال : ان هذه الاصطلاحات قد اتخذتها موضوعًا لمنديتي ودرسي وقد اقبلت بي بالتمادي الى معرفة حقائق كنت بعيدًا عن معرفتها . فلما عافت نفسي تعاليم الضلال الجارية واستنتجتُ منها علة جميع الاسواء اكببتُ على استقصاء مبادي اخرى لاصل الروابط الالهية الشرعي وجوهرها . . فتتبعت اثر التواريخ والامتحان حتى ادركت ان هذه المبادي جارية في الكنيسة الكاثوليكية وعرفت بها وحدها الروم الحق والعدل والنظام . وقد استشف البعض من اصحاب الذكاء بين الكاثوليك ميلي هذا من تأليف ألفته في خلاصة العلم السياسي سنة ١٨٠٨ وقالوا لي انني جارٍ على مذهبهم فعلاً وانا عنه غافل . اه

وقد ازداد هالر تاهبًا لاعتناق الدين الكاثوليكي بمطالعة الصحف المقدسة وبما جاء فيها من صدد ملكوت الله على الارض اي الكنيسة التي دعاها مار بولس المعظم بجسد يسوع المسيح المحتوية على رأسه واعضائه . . . ولا يخفى ان الابروتستانت قل ما يوردون ذكرًا لهذه الاية الكريمة اما هالر فقد صنف بها كتابًا وعنونه الدين السياسي اي السياسة الدينية ونشره سنة ١٨١١ واقر فيه انه قد جرسه منذ سنة ١٨٠٨ على الديانة الكاثوليكية في قلبه ولم يكن عنده من المذهب الابروتستانتي الا اسم بلا مسمى

فقال : وقد اردت عزمًا بهذا الرأي سنة ١٨١٢ حين دبرت العناية الصمدانية برحمتها العزيزة ضم اسقفية بال الى مقاطعتنا حيث تيسر لنا الشرور والتفقه بمعارف الكنيسة الكاثوليكية واختلاق اوهام حديثة مشؤومة . فلما ارسلت الى تلك الجهة المضافة الى اراضينا تعرفت

بانالسي مشهورين بالمعارف والفضل ووقفت على مؤلفات نفيسة كان لي فيها حاجة او فائدة لاتقان وانجاز الكتاب الرابع من تاليفي في الاغلاط الدينية او السلطات الكاثوليكية . وكنت انتجع منهم ادبًا وتهذيبًا ووصلها الى ان توارى من ذهني اخر ما عراني من الشك بصحة منهجهم حتى بالعقيدة التي كنت تشاغلت في استقصائها اشد التشاغل . فاميطت الحجب عن بصيرتي وجاء الوفاق جامعًا بين عقلي وقلبي فاينقنت اني صادفت سبيل الحق والحيوة واستكنت نفسي مرتوية من مورد الحق الذي كانت تلهف اليه

وكنت اطالع ايضًا مؤلفات الابروتستانت لاسيما تلك التي تتكلم بصدد الحق الكنائسي ولله العجب من انها قد زادتني يقينًا بصحة الدين الكاثوليكي اكثر من مؤلفات الكاثوليك لان ما عُبر فيها عن ارتجاج مؤلفيها الابروتستانت وتقلباتهم الدائمة ومناقضاتهم ومراوغاتهم وما يفرط عن قلمهم من التسليم بالحق في اوقات رواقهم وهدوءهم ثم سفاهتهم ومجونهم وتعطرفهم الحلّ بالدين المسيحي قد اسأني بانهم ضالون عن سواء السبيل بدليل ان الحق لا يعتريه انقلاب وغيار ولا يحتاج الى مثل هذه الاسلحة في النزاع : اه

وفي سنة ١٨١٨ ذهب هالر الى نابولي لقضاء بعض مهام له فيها وقد اتفق انه سار من راجعو الى رومية برفقة عائلة انكليزية وخوري من خوارنة فرنسا كان يتحدث معهم كثيرًا في مسائل دينية يتلقنها من مناظر ايطاليا واثاراتها المنشورة على كل مسافة من طرقاتها .

قال هالر : وقد اختلست بطريق العرض مع الخوري واخذ يثني املحي جميل الثناء على اطوار واتلك بالانكليز وعلى استقامة حكمهم

بالديانة الكاثوليكية . ولما اجبته ان ليس في ذلك عجب من كون الثورة قد اقشعت الغباوة عن اعين كثيرين في الدنيا حتى صاروا يرون رايًا مستقيمًا في ما كان معجمًا عليهم ومحجوبًا عن ابصارهم وكاد لم يصدقني لما قلت له اني ابروتستاني وقد اطبق عليَّ ما قاله المسيح الرب في قائد المائة : الحق اقول لكم اني لم اجد مثل هذا الايمان في اسرائيل

فلما شاهد الاب مني ميلاً الى اعتناق المذهب الكاثوليكي اخذ يلح عليَّ شديدًا بالدعوة الى حضن الكنيسة التي كنت قد عرفتها حقيقية الّا انني لم ازل وقتئذٍ اعاصي هذا الميل من قبل الحياء البشري او خوفًا من تكدير خاطر اهلي او طمعًا بتأجيل هذا المشروع الى اخر حياتي او املاً ربما بان الكتاب الرابع من تاليفي يصادف احسن وقع في اذهان قارئه لبروزهِ على الظاهر من تحت قلم ابروتستاني . فعليهِ قد نكص عن الحاحهِ الّا انه بعث اليَّ برسالة من رومية ذكرني فيها ببعض ايات من الكتاب المقدس منها اية النبي داود في المزامير : اليوم اذا سمعتم صوته لا تقسوا قلوبكم (١ه)

وبقي على هذه الحال مدة كامل سنة ١٨١٩ حيث كان الكونت المذكور منهمكًا على الخصوص في تاليف الكتاب الرابع في التصحيح الذي كان كل فصل منه يثبته في يقينه ويبين له لزوم الكنيسة الكاثوليكية وصدقها وقداستها وجزيل منافعها . فهاجت نفسه وقلقت بما فاق الحد والوصف . وكان الدوك دي مكلمبرج اتى في فصل الخريف الى برت يقضي فيها بعض ايام وقد كان اهتدى الى الدين الكاثوليكي كما تقدم القول واصطلحت اموره مع كامل عائلته

الابروتستانية فاتى يزور الكونت هالر وشاهد فيهِ حسن استعداده للاهتداء الى الديانة الكاثوليكية وقلته وخوفه من غوائل هذا الاهتداء فانبأه على انهُ قد يتيسر لهُ انْ يعتنق المذهب الكاثوليكي خفيةً ويستعفي من قضاء اعمال الديانة الخارجة وان كثيرين من الابروتستانت جارون على هذا الاسلوب. فطابت لهُ هذه النصيحة وسكنت روعه لانها امدته بوسيلة للانقياد الى حكم ذمتهِ بدون ان يفضي امره الى الاشتهار الراغب في مجانبتهِ. الّا انهُ لم يقر وقتئذٍ على حكم في هذا الصدد

وكان في صباح بعض الاحاد السابقة عيد الميلاد المبارك لسنة ١٨١٩ ينزوي في مخدعهِ ويذرف من عينيهِ دموع الخشوع هاذًّا بالاية التي كان الكاهن الافرنسي اوردها لهُ في رسالتهِ. فاخذهُ التحمس والقلق من قبل تربية اولاده وشرع يقدم الدعاء للرب عنهم طالبًا منهُ تعالى توفيقًا لهم في امور الاخرة. ففيما هو في هذه الحال وفدت اليهِ قرينته تدعوهُ للذهاب الى سماع الوعظ اذ اقبل وقتئذٍ الى برن واعظ من مهرة الوعاظ. فذهب يسمع كلامهُ واول ما طرق اذنيه من استهلال وعظهِ تلك الاية الكريمة المذكورة انفًا: اليوم اذ سمعتم صوته لاتقسوا قلوبكم: فما من قلم او لسان يستطيع ان يصف ما خالج ذهن هالر وقلبه من الدهشة والخشوع. فقال هو عن نفسهِ: قد تراءى لي ان العناية الصمدانية نفسها قد دبرت ان يستهل الخطيب خطابه بما جاء مطابقًا لحالتي الخصوصية: اما الواعظ فلم يبسط الاية على الوجه المألوف بل اخذ يتكلم في صدد الدين المسيحي والكنيسة المسيحية ومار بطرس الرسول لما عمّد في يوم واحد خمسة الاف من البشر وغير ذلك

وعند المساء اجتمع الكونت هالر بالخطيب وتحدث معهُ مليًا في

امر الدين الى انهُ سلم لهُ اخيرًا بان الانفصال عن الكنيسة العامة شرٌّ باهظٌ

وفي اليوم التالي كتب هالر الى احد اصدقائهِ العارف وحدهُ بحالهِ وحيرتهِ يقول لهُ. لم تذق عيناي الكرى هذا الليل بل بت اذرف فيهِ عبرات باردة. لان الرب قد اجاب على ما يبان دعاء كثيرين من المسيحيين لاجلي وقد اخذت نعمته تعمل في نفسي عمل القدرة والظفر حتى لم تعد لي استطاعة او ارادة على مقاومتها. فمن المحال ان اعيش فيما بعد مداومًا على معاصاة الله ويقيني. فارجوك ياصديقي العزيز ان تذهب الى فريبورج تبح لسيادة الاسقف بما نقرر فيما بيننا: واستمد من الكنيسة رحمة لنعجة ولدت في الضلال ووقعت في بهرة متعصبيه لكنها تلتفت التفات الحب والتذلل الى ام جميع المومنين ولا تنتظر الا الوقت الموافق لكي تضم جهارًا الى قطيع السيد المسيح القائمة بسياستهِ الرعاة الشرعيون

لكنني لم ابلغ المراد على عجل بل بقيت عدة ايام اتبصر واتأني والح في طلب الدخول في حضن الكنيسة الكاثوليكية حتى جاوبني الاسقف برسالة اهطلت من مقلتي عبرات الخشوع وكانت وحدها كافيةً بان توضح لي قداسة تلك الكنيسة لو لم اكن قبلاً ايقنتها. وكان عرفني الاسقف بمطالعة مولفاتي. فقال لي انهُ كان منذ زمن طويل يعتبرني بمنزلة ابن للكنيسة الكاثوليكية ومن ثم لم يتعجب من قراري على الدخول في حضنها بل انهُ كان ينتظر مني هذا الاقدام ويهنئني عليهِ. فقد وقف على سريرتي وعلى الصعوبات الحائلة دون اهتدائي من قبل عائلتي ومقامي بين الالفة فاعلن لي ان الكنيسة تستكفي باعتقادي بالديانة

الكاثوليكية وانه يتيسر لي محاشاة للشر او ابتغاءً للخير ان اعفى من قضاء فروض الديانة الخارجة لوقت غير محدود: ثم افادني عما ينبغي عليّ ان اعمله تاهبًا للدخول في حضن الكنيسة الكاثوليكية وما هو الا بعض رسومات قليلة سهلة الاجراء يستلزم قضاوها على من يريد ان يعتنق الديانة الكاثوليكية. ومع ذلك قد تاخرت ثمانية اشهر ايضًا عن انجاز مقصدي منتظرًا انجاز تاليف صغير كنت شرعت به في نظامات اسبانيا. (انتهى)

اخيرًا كان شارهالر في ١٧ ت ١ لسنة ١٨٢٠ في مصيفو وهناك اعتنق الديانة الكاثوليكية عن يد باني اسقف فريبورج ثم اعترف اعترافًا عامًا بخطاياه وفي اليوم التالي تناول القربان المقدس وقبل سر التثبيت واستفاد من هذين السرين المقدسين قوة وسكينة وفرحًا لا يوصف ولا يقدر كل الابروتستانت على ما قال ان يتصوره باذهانهم

وكان اشهر في تلك الاثناء مولفة في تصحيح المعارف السياسية ووقع عند الجميع في سفيسرا وفي غيرها من البلدان وقع الاعتبار العظيم فسر به الكاثوليك سرورًا لا يوصف واستحسنه كثيرون من الابروتستانت واتخذوه موضوعًا للتبحث والانتقاد. انما كان الجميع يرغبون في ان يعرفوا ان كان مولفه كاثوليكيًا او ابروتستانيًا. فذاعت الاقوال في هذا الصدد وكثرت المباحث والمسائل والكونت هالر يتحاشى ان يجيب جوابًا صريحًا فلم يقل قط عن نفسه انه ابروتستاني وكان يساتر مذهبه بمواربة اجوبته. الا انه قد اطلع زوجته سرًا على انه كاثوليكي يقينًا بدون ان يعرفها بانه اعترف اعترافًا ظاهرًا بانا

بالديانة الكاثوليك . فلما كان في باريس في اوائل سنة ١٨٣١ اباحت بعض جرائد سفيسرا بانقلابو عن المذهب البروتستاني واعتقاده بالديانة الكاثوليكية دالةً دلالة صادقة على حزن هذا الانقلاب ومكابو فعندها افشى سره تمامًا في رسالة بعث بها الى عائلتو يقول بها في اخرها : ايقنوا اننا عائشون في بهرة اجسم مصاب وبلية في الدنيا . . . ولكن الكنيسة الكاثوليكية القديمة العامة بارزة من جوف الدمار مطهرة بالمحن والبلايا تزداد قداسةً وعزًا بعد تحملها اهوال الاخطار المستطيل وفي كل اين تكتسب نفوسًا حتى بدون حماية الدول الزمنية : فقد انقسم العالم بين المسيحيين المعتصمين بكرسي بطرس الصفاء مركز الدين العمومي وبين جماعة الكفار او عصبة اعداء الدين المسيحي . فهذان الحزبان يتفاصلان ويتشاجران منتظمين يكاد الاَّ يكون متمائد عن خصامها . ولكن طال ما وجد بين البروتستانت قوم افاضل يراعون حرمة الدين قد اتحدوا واعتصموا قليلاً او كثيرًا باخوتهم الكاثوليك لئلا يتشتتوا ويعروا من كل مذهب ويندرجوا مع مصاف اعداء الدين المسيحي ويقال لهم من اين انتم وبمن تعتصمون فلا اعرفكم . ومن ثم قد سبقني في الطريق التي سرت فيها الوف الوف من البشر وسيتبعني كرات ومليونات . فلم يكثر في ما مضى ولم يشتهر هدى المهتدين الى الديانة الكاثوليكية مثلما غزر وبهر في هذه الايام الاخيرة . وسترون من تتعجبون من اهتدائو اعظم تعجب من اهتدائي . ولولا ضيقة المقام لاوردت لكم من لا يحصون عددًا من الذين حذرت حذوهم في سبيل الهدى في كامل مصاف الانام من مصاف الولاة والعلماء الى مصاف الفعلة والفقراء وحتى خدمة المذهب

البروتستاني انفسهم في انكلترا والمانيا وسفيسرا . وما ادراني ان كنت اما لم انهج باهتدائي سبيلاً لاهتدائكم . (انتهى)

في ما عقب هدى الكونت دي هالر من التأثيرات الصالحة في المذهب الابروتستاني هدى السيد شافالي والسيد اسلنجر

فذاعت في الامصار شهرة هدى الكونت دي هالر وانزلت الرعب والياس في قلوب اصحاب دينه الاقدمين اما الكونت المذكور رئيس مجلس الملك في برن ومن اعضاء ندوتهِ فلم يتأخر عن اعلان الاسباب التي قوضت في ذهنهِ دعائم الاعتقادات القديمة واقبلت بهِ الى هدى الكنيسة الكاثوليكية . فحذا حذوهُ بالتوالي ابنتهُ وابناهُ ثم والدتهُ . وذهب البرتوس دي هالر اصغر اولاده الى رومية يدرس فيها العلوم اللاهوتية ثم سيم فيها كاهنًا ومن بعد ذلك اقيم خوريًا في سويسرا . اما ابوهُ فقد تشرف باحتمال الاضطهاد الذي اثاره عليهِ زملاؤهُ في برن وعزلوهُ من جميع مناصبهِ جزاء رجوعه الى ديانة برن القديمة وديانة جميع امصار اوربا . ولم يكتفوا بذلك بل حال ما ظهرت للعموم رسالته المنيفة التي ذكر فيها بالتفصيل اسباب اهتدائهِ هاجت وماجت عليهِ وزراء برن ورجال ندوتها الابروتستانت واخذوا يرمونهُ بسهام الكيد والتعنيف

فلما لم يكن لهم قِبلٌ الى تفنيد حججهِ تفنيدًا قاطعًا عمدوا الى قتالهِ بسلاح الشتائم والاهانات فبادروا من ثمَّ الى نشر تلك الرسالة السفسطية للمركيز ديلاسكالر المسطرة بقلم البغضاء والعدوان للمذهب الكاثوليكي

فقد دلتنا هذه الرسالة على ان الابروتستانت قد اخذوا بطريق الارث عن اجدادهم في البدع ما يعملونه هنا في سوريا من نشر اقاويل الطعن والقذف في الكاثوليك ولكن قد فاتهم ان الشتائم والتقريع ليست ببرهانات على فساد مذهب او صحته وان الافك والطغيان لا قوام لها تجاه آثار التاريخ الصحيحة الوطيدة . فليس عندنا جواب على الشتائم والقذف لكننا نعمل في تفنيد الضلال ودحض الاكاذيب ارشادًا للضالين وتوضيحًا للوقائع استنادًا الى التاريخ الموثوق بصحته واخذًا عن مصادرها وينابيعها الصافية وقد رأى القارئ انا لم نتكلف على دحض ما كدسه اصحاب المذهب البروتستاني في سوريا من تلال الاضاليل في ايرادهم التاريخ البروتستاني او تاريخ الاصلاح الّا ذكر حوادث الاصلاح على حقيقتها بناءً على اخبار الرواة الصادقين ولم نرَ احدًا من هولاء القوم الابروتستان في سوريا تجرأ على الاقدام الى تخطئة رواية واحدة من الروايات التي نشرناها تكذيبًا لمقالاتهم . وربما يتحاشون الى الابد مخاصمتنا في هذا الصدد . فالظاهر انهم بعد ما صابوا ما صابوا منا عقيب تحريفهم وتصحيفهم التوراة كتاب الله العزيز تادبوا وعافوا معاودة خصامنا وتخطئة حججنا المفندة دعاويهم لئلا يصيبهم في الثانية شر ما صابهم في الاولى . لكنهم لا يزالون بمداومة الطعن والافتراء على الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها لئلا تعود عليهم المهنة بصفقة خاسر . فمن المعلوم ان مهنة التدح والقذف هي ايسر المهن . فلا يلزم للعمل بها عند اللزوم الّا ان يتناول القاذف كتابًا من كتب علماء اللاهوت الكاثوليك ويأخذ منه اعتراضات الاراطقة المفندة فيه منذ بداية المذهب الابروتستاني ويزخرفها قليلاً حسب

ظروف الحال والزمان ويترجمها الى اللغة العربية فتأتيهِ حالاً وافية بالمقصود فعليهِ يجري بالتمام خدمة المذهب الابروتستاني الحائزون عظم الشهرة والقافشون بدر الاجور في هذه الايام اذ يترجمون هذه الاعتراضات من كتب المحاورات الدينية ويعرضونها على الجمهور بدون ان يأتوا بذكر ما ورد عليها من الدحض السديد والتفنيد الوطيد كما لا يخفى

اما نحن فاننا نرغب من صميم فوادنا قياماً بمصلحة الدعوى التي ندافع عنها ولاسيما حبًّا بمصلحة نفوسهم العزيزة لدينا ولو مستنا الحاجة الى دحض اضاليلهم في ان يتروّوا الحجج التي نوردها ولو قصدوا محاربتنا وتخطئتنا اذ قد يمكن وقتئذٍ ان يصادفوا وهم مكبون على هذه المطالعة الراهنة رحمةً من عند الله ونعمةً من تلك النعم الفريدة تفتح اذهانهم لمشاهدة النور الالهي فيستنيرون بهِ وينقلبون عن منهج العدوان للكنيسة الى منهج مصافاتها والدفاع عن حقها كما جرى للسيد شافالي في اثناء تاهبه الى منازعة الكونت دسيه هالر ودحض الحجج والبرهانات التي اقرنه على رذل المذهب الابروتستاني والالتياذ بحضن الكنيسة الكاثوليكية

هدى الكونت شافالي

ولد الكونت شافالي في سفيسرا ودرس العلوم في مدرسة لوزان وحاز في العلوم الفلسفية قصبات السبق على اقرانهِ . فكثرت وقتئذٍ الاشاعة عن تلك الرسالة الشهيرة التي نشرها الكونت هالر رئيس مجلس الملك في برن وعضو ندوتهِ وشنت عليهِ الجرائد غارات الطعن والقذف ورمته بسهام اشد البغض والحنق خدمة المذهب الابروتستاني

كما لا يخفى وحتى رجال الندوة والوزارة . فتراكمت على هامه اللعنات والشتائم كالمطر الوابل لاعطائه ظهره المذهب الابروتستاني ولياذه في حضن كنيسة المسيح الحقيقية بما انها وحدها مينا الخلاص الامينة. ولكن الشتائم كما تقدم ليست ببرهانات . فطعنوا بالسيد هالر وقذفوا بحق عائلته الجليلة وقذفوا به وبكلما يتعلق به ولم يعفوا من طعنهم وقذفهم الا عما كان يلزم وحده ان يطعنوا به لو كانوا مصيبين اي عن الاسباب والحجج التي حملته على رذل المذهب الابروتستاني

فاثار هذا التصرف الرذيل الغيظ في قلوب كثيرين من ادباء الابروتستانت حتى اخذوا يتساءلون قائلين : اليس عندنا الا الشتائم والدعاوي الفارغة للطعن بعمل سناتور الدولة ومستشارها . فلم لا يبينون ضلاله عوضاً عن شتمه واهانته ولم لا يدحضون الحجج التي بنى عليها اقدامه هذا الحازم الباده . وممن امتازوا بهذا الغيظ في مطالعتهم الجرائد السيد شافالي المذكور فلم يعتمد على اقوال المذر والمذيان بل لما راى رعاة سفيسرا ومعلميها البروتستانت قاصرين عن دحض الكونت هالر دحضاً سديداً تجشم وحده رده ومن ثم اخذ رسالته واكب على ترويٍ قضايا الجدال المتعلقة بدعواه . فلما كان منصباً على هذه المطالعات بزيد الاجتهاد نهاراً وليلاً شرع يشك بصحة عقائده الابروتستانية ويزداد منها شكاً كل ما ازداد مطالعة وترويًا . فما اعجب قوة الحق وما اعظم رافة الله ورحمته فيما كان شافالي هذا العلامة النطس منهمكاً في دحض حجج الحقيقة اضحى اسيراً لرب الحق وما ذاك الا ان الله سبحانه قد شاء ان يكافيه بالهدى على ما كان يبديه من روح الاستقامة في الجدال وفي الاستقصاء الجهيد عن الحق .

فاضطر شافالي الى الانشاء الى حركة كانت تحمله على عكس ما كان يقصده . ومن بعد ما كان عدو الكنيسة اللدود قد صار من اشد نصرائها

فاستشاطت عائلته غيظًا عليه حتى اضطر الى الهرب من وجهها اذ كانت عازمة على سجنه اما هو فذهب يجد ارطقة كلوين في دير من اديرة الرهبان الكاثوليك وقد حملته حمية التدين والتقوى الى الترهب نترهب في دير من اديرة الترابيستيين بالقرب من لافال وهناك جعل يصرف اوقاته بعضها بدرس الجراحة وبعضها برياضات العبادة والزهد الرهباني . فظفر بسلام القلب وراحة الضمير والثبات في الايمان

هدى السيد اسلنجر

وقد حذا حذو السيد شافالي قوم من اعلام الابروتستانت سائرين في سبيل الهدى على اثار البارون هالر في سفيسرة الابروتستانية منهم السيد اسلنجر فقد دخل حضن الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٨٢١ وكان مولده بزوريق سنة ١٧٩٠ ثم اقيم راعيًا ابروتستانيًا سنة ١٨١٣ ثم مرشدًا لفرقة من العسكر في فرنسا سنة ١٨١٧ ولم يزل يشعر بقلق الضمير فيما يتعلق بعقائد الدين ويميل ميلاً شديدًا الى حقائق الديانة الكاثوليكية وقد اكب على المطالعة والدرس ومقابلة المذهب الابروتستاني بالمذهب الكاثوليكي وجل ما اثر في ذهنه وحدانية وثبات تلك الكنيسة التي قضت اعصارًا وقرونًا عديدة بدون ان يستحوذ ادنى تغيير وانقلاب على عقائدها بيد ان مناقضات المذهب الابروتستاني كانت تزداد له وضوحًا يومًا بعد يوم

فاثر فيه هدى الكونت هالر تاثيرًا شديدًا وما عتم ان الكونت المذكور توطن في باريز سنة ١٨٢٣ حتى تعرف به السيد اسلنجر وعقد معهُ صلات العشرة والموادة وعاشر ايضًا سنة ١٨٢٦ كثيرين من منشئي الجريدة المعروفة بالماموريال كاثوليك وكان اكثرهم من مصاف الكهنة وكان يقول لهم بعد ما تمكنت بينه وبينهم علاقات الصداقة اني انا معكم وكان يتخابر معهم في الوسائط العائدة الى ترقية اسباب المذهب الكاثوليكي وتنجيحه . وقد صنف وقتئذٍ كتابات سنية ونشرتها الجريدة المذكورة على التوالي منها جملة عنوانها : محبة الحق اصل الخلاص . ثم جملة عنوانها : النظر المدقق في العبادات : لا خلاص خارج الكنيسة . وشرح لآية الرسول المعظم القائل فيها : فلتكن طاعتكم حسب الحكمة . ثم مقالة في تاييد الحكومة الابروتستانية لمذهب حرية الاديان وغير ذلك من النبذ النفيسة التي عبرت عن ذكائهِ وبراعة يراعه بدون ان تشير ادنى اشارة الى مذهب مولفها الابروتستاني بل ابانت ان صاحبها كان يرغب في الدفاع عن ايمان لم يكن ايمانه الّا بسبيل اليقين الباطن لصحتهِ الّا انه كان صمم منذ زمن مديد على ان يعتنقه يومًا ما ويتقيد في خدمة الكنيسة معتنقًا الحالة الاكليريكية . فلما سالتهُ امرأة كاثوليكية أأنت مزوج اجابها على الفور كلّا ياسيدتي بل سوف تريني كاهنًا كاثوليكيًا لا مزوّجًا

فلكيما ينجز ما قصدهُ سافر سنة ١٨٢٨ الى وطنهِ بنية الذهاب الى رومية حيث يجحد مذهب الضلال ويدخل في مدرسة انتشار الايمان المقدس

ولم يخبر اهلهُ الّا عن قصدهِ للمسافرة الى شمالي ايطاليا . لكن قد

وقعت تحت يد والدهِ تذكرة سفرهِ وكتابات من باريس تتضمن توصيةً بهِ الى بعض روساء دينيين في رومية وكشفت لهُ سرائرهُ فثار من ثمَّ نزاع شديد اليم بينهُ وبين ابيهِ وامهِ واخيهِ واختهِ . اما والدته فكادت تذوب غمًّا عليهِ الاَّ انهُ لبث وطيدًا على عزمهِ واباح لهم حينئذٍ بقصدهِ لاعتناق الديانة الكاثوليكية . فتوسط بعض اقاربهِ بينهُ وبين اهل بيتهِ وقرروا بينهما السلام على شرط ان إسلنجر يعدل عن سفرهِ الى رومية ويؤخر انجاز مقصدهِ مدة عام برمتهِ فان استمر بعد انقضاء هذه المدة على عزمهِ تكف اقاربهُ عن مقاومتهِ ويستمرون على مراضاتهِ .

فعاد اسلنجر في هذه الاثناء الى فرقتهِ العسكرية وثارت حينئذٍ الثورة في باريس ورجت اوربا باسرها كزلزلة مهولة وطُردت آل بُربون والجنود السفيسرابية من فرنسا وعدها اخذ بالعود الى وطنهِ ولم يستفهُ شي في الدنيا الاَّ انجاز قصدهِ وهاك ما كتبهُ في هذا الصدد الى مجمع زوريخ الكنائسي يخبر بهِ عن شك دخولهِ في الكنيسة الكاثوليكية فقال : قد تزعزعت جميع الالفات الملكية والجمهورية من اركانها في الوقت الذي فيهِ احرر هذه الاسطر فجاء لي ذلك داعيًا اخر على التشبث بتلك الالفة الوطيدة الاركان التي اشادها يسوع المسيح بقولهِ : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها

ثم تلا اسلنجر صورة ايمانهِ بين يدي السيد جاني اسقف لوزانا في جينيفيا ومن بعد ذاك دخل مدرسة فريبورج الاكليريكية وسيم كاهنًا في ٦ ايار سنة ١٨٣٢ وسمي خوريًّا على الفرقة العسكرية السفيسرابية المقامة على خدمة الكرسي المقدس في فُرلي

ثم سافر الى رومية سنـــة ١٨٣٤ واقتبله الحبر الاعظم بمزيد الاعزاز وشرفهُ بوسام سنجورج . وما عتم ان عاد السنة التالية الى اهلهِ حتى بلغهُ ان داء الهواء الاصفر قد دنا من فرلي فاسرع في الحال على جناح الحماسة والحمية عائدًا الى تلك المدينة في اخصر الطرقات يكب على عمل خلاص النفوس التي ايمنهُ الله عليها ويموت شهيد المحبة ان قدرت لهُ العناية الالهية

غير ان الله سبحانهُ قد استكفى منهُ بحسن الاستعداد فوقى حياته من شر الوباء الموبق . اما هو فاسدى الشكر لعزتهِ الالهية ولم يعد يهتم الاَّ بنشر ذاك النور السنيع الذي افاضهُ الله على نفسهِ . فهدى الى الدين الكاثوليكي ثلاثين نفرًا من الجنود وهو في الوقت نفسهُ يخدم الكنيسة بمصنفاتهِ العلمية . وكثيرًا ما حوت من مقالاتهِ النفيسة النشرات السنوية العلمية والدينية التي تُنشر في رومية وكان هو من اكبر المعاونين في انشادها . وصنف ايضًا مقالات في المسائل المختلف عليها بين الكاثوليك والابروتستانت . وعلى هذا النحو قد انعكف المهتدي على خدمة الكنيسة الكاثوليكية في درجة الكهنوت وظهر كاهنًا لا يألو جهدًا في عبادة ربهِ والدفاع بجميع الغيرة عن حقوق الله بلسانهِ ويراعه الجواد في مؤلفاتهِ الجدلية . ولم ينقطع عن اعمال مثل هذه الهمة السنية حتى قطعت المنية خيط حياتهِ في ١٢ آب سنة ١٨٣٧

الخاتمة

بقي علينا ان نختتم مقالتنا هذه في صدد المهتدين من اعلام الابروتستانت الى حضن الكنيسة الكاثوليكية بايراد هدى شهير اوعب في وقتهِ قلوب ابناء الكنيسة بهجةً وسرورًا وافاد مزيد الخزي والخجل المذهب الابروتستاني ومن نورطوا في وهاد الضلال

فلا يخفى ما يقع من التعجب والدهشة في قلب من ينظر على الفور انقلابًا لم يكُ في حساب احد يجرى على البعض من مخترعي مذهب الاصلاح وعلى رجل علق المذهب الابروتستاني فيهِ ارطد امالهِ . فما علينا الا ان نرد الواقع على ما عثرنا عليهِ في التاريخ وفي شهرتهِ غنى عن شرحهِ وتاويلهِ

ترى من اذا شاهد علمًا من اعلام الشعراء الذين تكرمت بهم المانيا اختاره اهل مذهب الاصلاح ليعمل بقريحتهِ الجوادة في تخليد ذكر مبدع الاصلاح ويصادف احسن نجاح وتوفيق في قضاء عمله هذا فنظم قصائد تتلى في المراسح ويتلقاها السامعون بتهلل يبلغ حد الهوس لايوقن ان صاحب هذا النظم الفاخر المأيد بالفوز والتوفيق ينبغي ان يكون راسخًا اشد الرسوخ في مذهبهِ الابروتستاني ومتمسكًا اشد التمسك بعروة الكنيسة الابروتستانية . والحال ان الواقع بالخلاف لانهُ بينما كان صاحب النظم ونظمهُ قد بلغا معالي المديح والتعظيم في المانيا الابروتستانية وعاصمتها شوهد الناظم على الفور ملتحفًا بالخجل ومطعونًا بحربة الالم على صرف قريحتهِ الجوادة في تعظيم قدر الضلال . وبدلاً عن انهُ يرسخ في المذهب

الابرولستاني على اثر ما يصادفه من العز والفخر الجوني رأوه يقلب للمذهب المذكور ظهر المجن ويبادر على جناح السرعة الى الدخول في حضن الكنيسة الكاثوليكية ويعيش فيها كاهنًا ورسولاً يتوقد غيرة وحمية في محاربة الضلال

فصح ما قال الروح القدس عن موسى كليم الله : اصبع الله هنا . اذ قد ظهر فيه عمل يد العلي وانتصار نعمة القدير كما ظهر مرارًا في اوائل الكنيسة وفي شاول على ما افاد سفر الابركسيس اذ كان سائرًا الى دمشق يضطهد الكنيسة بغضب شديد أُصرع عن متن جواده وجاء رسولاً معظمًا للامم . فهذا ما جرى بالتمام للشاعر الالماني الشهير على ما ذكر التاريخ فانه قد اصبح هو وشعره صيدة النعمة الالهية بينما كان يضطهد الكنيسة وينظم التقاريظ لمذهب الاصلاح

وهاك بالايجاز تفصيل الواقع على ما روته الرواة الصادقون . فاسم الشاعر المومأ اليهِ لويس فرنر وقد استخدمته دولة روسيا في ولاية بصوفي واندرج في سلك الجمعية الفرمامسونية وصار من مشاهير خطابئها

ثم وُظف سنة ١٨٠٥ فيما بين كتبة وزارة برلين واكب على تأليف الروايات ونجح فيه نجاحًا كبيرًا حتى شُبه بالشاعر راسين الفرنساوي وكثيرًا ما يُسمى باسمهِ لغزارة ذكائهِ وبلاغتهِ في فن القريض وتأليف الروايات

وكانت السيدة ستائل تعرفت بفرنر واصاحبته وشهدت له احسن شهادة بسعة المعارف وذكاء العقل . ومن جملة ما عدته من ملح مصنفاتهِ نبذة في لوتير واتيلا . وفي اثناء سكناه برلين كُلف بانشاء

نقاريظ لمذهب الاصلاح فصنف تقريظاً للوتير تلقته اهل مراسح برلين بمزيد الابتهاج وفي ذاك الوقت نفسه تداركته نعمة الله حينما قل ما كان ينتظرها فانثنى الى انتدابها بوفاء وثبات هما على الاغلب من شيم النفوس السامية

ففي الحال بارح فرنر برلين وتوجه الى سفيسرا ثم الى فرنسا ومن هناك الى رومية نكب على الدرس والهذيذ في عمل الله تحت ظل الكرسي الرسولي الظليل

فجحد هناك المذهب الابروتستاني وصمم على تكريس نفسه لخدمة المذبح . ثم وجه الى ويانه عاصمة النمسا حيث قضى ثلث سنوات يمارس التوبة والتقشفات تأهبًا لقبول الكهنوت . وقد نجح عظيم النجاح في الوعظ ومحاربة الضلال وارطقة الاصلاح التي كان فيما مضى مجردًا لتايبدها . وانهى حياته الرسولية بميتة مقدسة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٢٣

فهرس الكوكب الوضاح في تاريخ الاصلاح

الجزء الاول
في اوصاف المصلحين وحقيقة اصلاحهم

وجه

وجه

الجزء الثاني

في فخر فوائد الاصلاح الموهومة

وجه

وجه

الجزء الثالث

في ما ابداه مؤرخ الاصلاح الموهوم من القدح والطعن ببيعة الله المقدسة وعقائدها الجليلة واحبارها الكرام

وجه

وجه

وجه

الجزء الرابع

في هدى اهل الاصابة والذكا من الابروتستانت الى الوحدة
الكاثوليكية في الكنيسة الرومانية في هذه الايام الاخيرة على اثر
التفحص والتروي لمذهب لوتيروس وللعقائد الكاثوليكية